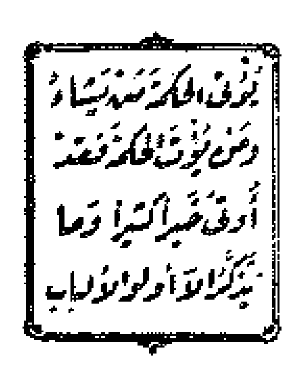
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

(٢٩ المحرم سنة ١٣٤٩ هـ ٦ برج السرطان سنة ١٣٠٩ هـ ش ٢٦ مايو سنة ١٩٣٠)

فاتحة المجلد الحادي والثلاثين

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٣٩:٤٦)

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٧:٩٥) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨ : ٧٠)

لبيك اللهم ولك الحمد كما تحب وترضى ، وصلواتك الطيبات ، وتحياتك المباركات الزاكيات ، وصلاة ملائكتك المقربين ، وعبادك المؤمنين ، على رسولك محمد خاتم النبيين ، الذي أرسلته رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ، أولي قرابته وقربه ، وعلى التابعين لهم في طاعته وحبه ، واتباع سنته في بيان كتاب ربه ، على ما نقلوه لنا عنه من قول وعمل ، وفضيلة وأدب ، وتشريع وحكم

أما بعد فانني أذكر قراء المنار في فاتحة مجلده الحادي والثلاثين ، بنحو مما كنت أذكرهم به فيما سلف من السنين ، من حظ المسلمين من الاسلام وأثر الاسلام في المسلمين ، ولا سيما حال ملاحدتهم ومبتدعتهم ، وفساقهم وظلمتهم ، وجامديهم ومقلدتهم. وقد كان من قدر الله تعالى أن ألممت في فاتحة المجلد الثلاثين بشيء من دعاية التجديد الالحادية . ومفاسد فوضى النساء الشهوانية ، ثم كان أن اصطدمت بالفريقين في أثناء تلك السنة بالمناظرة والمحاضرة ، فكانت الحجة والغلب لهداية الاسلام ، وظهر ذلك للخاص والعام ، وعلمنا به أن ما كانوا يذيعونه عن شباب مصر ، وسائر نابتة العصر ، من انسلاخهم من وجدان الدين ، واتباعهم غير سبيل المؤمنين ، وانتظامهم جندا خاضعا لدعاية الالحاد ، وقيادة الاباحة والفساد ، انما هو زور وبهتان ، وإرجاف وايهام ، فقد نصر جمهور طلبة الجامعة المصرية داعية الاسلام نصراً عزيزا ، واقترحوا عليه ان يكتب مقالات في بعض الجرائد اليومية يفصل بها ماأجمل في مناظرة الجامعة تفصيلا ، فكتبنا في جريدة كوكب الشرق مقالات تجاوزت جمع القلة الى جمع الكثرة ، فكان لها ما كان من حسن التأثير في الأمة ، ولم يرتفع للملحدين والاباحيين في الرد عليها صوت ، على ما حذقه أكثرهم من خلابة المراء وسخف القول ، وان لها لبقية ، ستكون ان شاء الله تعالى راضية مرضية

بيد أن ريح الطيش طارت بلب داعية قبطي منهم كان أول من عاب الاسلام ، وقال بتفضيل الذكور على الاناث في الميراث ، ودعا المسلمين الى نبذ الفرائض المقررة في نصوص القرآن ، فلم يجد حيلة في مقاومتنا إلا إثارة العصبية الجنسية الفرعونية . ودعوة المصريين كافة الى ترك قراءة كل مايكتبه من لا يجري في عروقه الدم المصري الفرعوني ، ولا سيما من كان من أصل سوري ، كأنه لغروره بقبطيته يتوهم ان مسلمي مصر كلهم يفضلون نسب فرعون الذي لعنه الله ولعن آله وقومه في كتبه ، وعلى ألسنة رسله ، على نسب سيد ولد آدم ، وأكمل مصلح ظهر في العالم ، وهو محمد رسول الله وخاتم النبيين ، الذي تعبدهم الله تعالى بالصلاة عليه وعلى آله الطاهرين ، كما تعبدهم بلعن فرعون وقومه الوثنيين ، بقوله تعالى بعد ذكر غرقهم وعاقبة ظلمهم (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون *

وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين)

ولو شئنا لأثرنا عصبية إسلامية على هذه العصبية الفرعونية فاجتاحتها وكان أهلها هم الخاسرين ، ولكننا نكرم أنفسنا عن مثل هذا السلاح ، ومن العجيب أن أعداء الدين الذين يزعمون أن التعصب له هو الذي يفرق بين أهل الوطن، يستبيحون التفريق والتعادي والتخاصم بالتعصب للجنس والنسب ، لانهم لا يكرهون شرور العصبيات وضررها، وانما يكرهون مثارها من النفس وسببها ، كأنهم يكرهون الغرائز او العقائد الدينية الاسلامية وهي وجدانية اضطرارية، دون المفاسد التي تتولد من الغلو والافراط فيها وهي اختيارية ،وأما نحن فنكره سوء استعمال الغرائز والأديان، الذي هو كسوء استعمال العقل والجوارح والحواس، ويرى جماهير المسلمين في مصر أن القبط قد أسرفوا في تعصبهم الملي ،واستغلال نفوذهم في الوفد المصري،فصبر الاكثرون عليهم صبر الكرام،حرصا على الوحدة السياسية أن يصدعها الانقسام،وانما تصدى خصوم الوفد منهم لاثارة النعرة الاسلامية عليهم وعلى الوفد بغضاً في الوفد لا تمسكا بالاسلام، ونحن نربأ بنفسنا أن تعبث بها هذه الاهواء، وانما هذه كلمة قد جبذها الاستطراد

بيد ان الذي اتأياه في هذه الفاتحة، واذكر بخطره الاذهان الغافلة ، هو أن أنصار الجمود والبدع المؤفة ، وحماة التقاليد المألوفة ، ممن سماهم الاستاذ الامام « حملة العمائم، وسكنة الاثواب العباعب» قد أثار بعضهم في هذا العهد عصبية مذهبية، هي أضر على المسلمين من أثرة القبط عليهم في مصالح الحكومة ، ومن فريقي المبشرين والملاحدة . فان انتصارنا على هذين الخصمين بالحجة والبرهان ،يفهمه ويغتبط به جميع طبقات المسلمين من الخواص والعوام ،

وأما انتصارنا على أولئك بآيات كتاب الله وسنة رسوله (ص) وسيرة السلف الصالح فلا يعقله إلا من أوتي من سلامة الفطرة واستقلال الفكر ما كان به ممن قال الله تعالى فيهم (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب) ولا يزال أكثر طلاب العلوم الشرعية على الطريقة التقليدية يطلبون معرفة الحق بشهرة قائله ، أو سعة جبته وشكل عمامته ، أو بلقبه الوهمي ، أو بمنصبه الرسمي ، وهم ينفرون من الدليل ومن صاحبه ، ويسيئون الظن به

وقد كان طلاب الاصلاح الاسلامي يسمعون من هؤلاء الجامدين ومن المبتدعين أذى كثيرا ويصبرون عليهم، إذ يرون ان مبلغ أذاهم لا يعدو بطء انتشار الاصلاح فيمن حولهم، ويسر الذين يعرفون تاريخ الأمم والملل ان مقاومة الاصلاح في تاريخ الاسلام أضعف من مثلها في تاريخ النصرانية، ويحمدون الله تعالى ان الجامدين من كبار علماء الدين الرسميين لم يبلغ منهم الجود أن يتصدى احد له قيمة منهم للكتابة والنشر في الرد على دعاة الاصلاح المستقلين، ذلك بأنهم يعلمون أنهم يدعون إلى حق وخير وهو الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في الدين على منهج السلف الصالح الذين هم خيار هذه الامة، والاخذ في مصالح الدنيا بما ثبت للبشر نفعه بالتجارب الفنية والعملية، مع مراعاة القواعد الشرعية، وانما يتعضون من هذه الدعوة لأمرين (أحدهما) خشية افضاء الاستقلال في فهم الدين إلى الخروج عن المذاهب المتبعة الى دعوى الاجتهاد المطلق، ولا يتسع هذا التذكير لبيان مثار هذه الخشية من النفس وما لها من الهوى فيها (وثانيهما) ان هذا تجديد في الاسلام تخرج به الزعامة الدينية من عهدتهم لعدم استعدادهم للنهوض به، وعجزهم عن تولي القيادة في ميدان جهاده، وأذكرهم بما بينته مراراً من التفرقة بين الاجتهاد المطلق بوضع مذهب جديد، والاستقلال في العلم واتباع السلف في هداية الدين.

ولكن نجم في هذه السنين الاخيرة رجل من أعداء السنن، كما ينجم قرن المعز، لم يلبث أن تصدى لنطاح صخرة هداية السنة النبوية، والسيرة السلفية، دون غيرها من المقاصد الاصلاحية، وهو شيخ تركي لا ندري أكان من أولئك الجامدين الذين فتنوا رجال الدولة العثمانية عن الدين بتعصبهم لتقاليد كتب الحنفية، فصدوا أولئك السياسيين عن أصل الملة الحنيفية، أم هو دسيسة كمالية، يبغي بها الكماليون مقاومة حركة الاصلاح الاسلامية، التي تقاوم دعاية التفرنج الكمالية؟

بدأ هذا التركي نطاحه للسنة وحفاظها، بدسائس بثها في حواشي المطبوعات من كتبها، التي يتجر تلميذه من الاغرار بطبعها، ثم بث دعايته في الازهر فاستمال لمشايعته عليها عالم من أشياخه المشهورين، كان في موقف التجاذب والتدافع بين الجامدين والمجددين، حتى كان بعض تلاميذه وأصدقائه يرجون أن يخلف الاستاذ الامام،

في ناحية من نواحي خدمته الاسلام ، فخابت فيه الآمال ، أو يعودوا إلى الاعتدال .

كان الشيخ التركي أحذق من الشيخ المصري في الصد عن السنة وحفاظها، وعن مذهب السلف وأنصاره . فانه سلك فيه مسالك الدسائس السياسية ، وقدر السير فيها مراحل كالمراحل الكمالية في هدم الشريعة الاسلامية ، فبدأ هو بالطعن على بعض حفاظ السنة المشهورين، وتفضيل أهل الرأي على اهل الحديث ، وسخر الشيخ المصري للجهر بما لم يتجرأ هو على الجهر به من مناجزة المعاصرين، واستدرجه إلى كتابة شيء جهر فيه بالنيل من شيخ الاسلام ، وهجر بتمييزة الاستاذ الامام، ونشره له مطبوعا باسمه ، ولعله فعل ذلك بدون اذنه ، ليجعله دريئة له في ميدان الجدال ، ومجنا يتقي به في معارك النزال

لاخوف اليوم على مذهب السلف من سيف هذا التركي ولا من مجنه .

وقد أعلى الله مناره ، وأعز مهاجرته وأنصاره ، وأنشأ له دولة ، وجعل له صولة، فتعددت جمعياته وصحفه ، وكثرت رسائله وكتبه ، فتضاءلت أمامه التأويلات الكلامية ، والتقاليد الخرافية ، ولا خوف على طريقة الاستاذ الامام في الاصلاح، بعد أن اتفقت الكلمة على إمامته ، وانكشفت بموته الحجب التي كانت مضروبة أمام جلالته ، من استبداد أمير ، وحسد شيخ كبير ، وتقليد غر جاهل ، وحقد غمر متجاهل، وان ظهر ان الحسد بعض الاشياخ بقية في الزاوية ، أخرجها منها ذلك التركي الداهية، وسنفرغ في هذا المجلد لرد هذا الهجوم ببيان بطلانه وضرره في الاسلام والمسلمين في هذا العصر ، الذي يهاجم الاسلام جيشان قويان من جحافل الكفر أقواهما جيش الملاحدة الذين صار لهم دولة، وان كانت واحدة، وأضعفهما جيش المبشرين وإن كان لهم دول متعددة ، فيجب على أهل العلم وحملة الاقلام من المسلمين الاتحاد والتعاون للجهاد في هذه السبيل سبيل الله بدلا من اضعاف الاسلام بالتعصبات المذهبية التي كانت أضر عليه في عهد قوته من كل أعدائه من الكفار . فكيف يكون ضررها الآن؟

وقد كان من حكمة الله في تقديره ، ولطفه في تدبيره ، أن بلغنا عند كتابة هذه الفاتحة الكلام على تأسيس جمعية العروة الوثقى من تاريخ الاستاذ الامام الذي ألجأتنا احداث السياسة إلى تأخير نشره إلى هذا العام . فرأينا ان ننشر لقراء المنار بعض تعاليمها السرية ، لانها قد صارت من الحوادث التاريخية : فهي

أفضل أطوار الاصلاح الذي تتخولهم به في هذه الفواتح ، وخير صدمة لتقحم الجامح ، وتهجم الطامح ، وهذا نصها :

﴿ بعض الأصول العملية ، لاعضاء جمعية العروة الوثقى السياسية ، ﴾

العقد الرابع للعروة الوثقى

(١) ينعقد بثلاثة يقسمون اليمين المعهود

(٢) مذاكرة المجتمعين عند الالتئام المعتاد تكون في أمور : التذكير بآيات الله ـ النظر في حالة الاسلام عند بدئه وما كان عليه النبي وخلفاؤه فقط ـ البحث في السبب الذي امتدت به سطوة الاسلام حتى صال على جميع الاديان وكاد يبتلعها في زمن قصير ـ كيف انقلب الحال وآل إلى ما نراه ؟

(٣) يلاحظ كل باحث أن ذاته في موضوع البحث فيطلب العلة من نفسه قبل أن يطلبها في غيره ، ويقارن بين حاله وحال السلف بوجه الدقة والانصاف

(٤) مدارسة أحكام الجهاد وحقوق السلم وما هو مكلف به في معاملة غيره وما يفرض عليه اذا زحف الاعداء لخضد شوكة الاسلام

(٥) النظر في حال المسلمين لهذا الوقت أخذاً من أقوالهم وأعمالهم للوقوف على احساسهم الديني ومقدار الداعية الاعتقادية ليعلم الداء ويعالج بالدواء اللائق به .

(٦) كتب كل فكر وتدوينه مفصلا ثم مجملا مع ما تستقر عليه الآراء

(٧) العمل في الدواء بالقول (ومنه الكتابة والتأليف) وبذل المال في مساعدة من يقوم بنصر الدين وحمل السلاح المقاتلة بين يديه عند المكنة

(٨) كل واحد من أهل العقد مكلف بالعمل واعداد أسبابه وما لا يتم إلا به ، وبدعوة الناس إلى عقده والارتباط به مع الاحتراس التام من كل ما يفيد أن هناك عقداً . والثقة بمريد الانضمام انما تتحقق عند اتفاق آراء أهل العقد عليها

(٩) يكون معظم الاهتمام بضم الصالحين للأمر من ذوي المكانة على اختلاف طبقاتهم من علماء وأمراء ورؤساء عشائر وغيرهم . وفريضة

كل منهم أن يعمل للاسلام فيما خوله الله.

(١٠) في كل حالة يراعى تمكين الفكر وتأسيس الارتباط حتى يكون عند كل واحد ان مصلحة الكل بمنزلة مصلحة الشخص أو أعلى ، ولا يقبل قول من قائل حتى يكون عمله أزيد من قوله أو مساويا . العمل بذل المال والروح ، والاول أقرب الدليلين .

(١١) على أهل العقد أن يرسلوا رسلا إلى نواحي الوطن الحالين به وإلى المواطن المستمدة من غيره متى أمكنهم ذلك

(١٢) لايكون الشخص رسولا حتى يكون سير العقد ملكة راسخة فيه ، ويكون على قدرة كاملة في تصريف القول ، وتوفيق النصح مع طباع المنصوحين وحالة السلطة العارضة عليهم ، فيكون حكيما في عمله لايحتاج لوصية من غيره ، ولا لقيم يلاحظ عمله

(١٣) يسمح للعقد أن يبعث رسلا من الخارجين عنه على انهم وعاظ يعلمون المعروف من الدين ويؤيدون مناطيق القرآن ، وعلى العقد أن يرسم لهم طريق النصيحة بدون أن يعرفوا أن هناك عقداً .

(١٤) على لرسول إن كان من أهل العقد أن يكاشف عقده بما يحس به من انفعالات الناس ، وما يأخذ قوله من قلوب السامعين لدعوته ، وما أثر تعليم الوعاظ المبعوثين من طرف العقد .

(١٥) من استحق باستعداده الدخول في العقد فعليه أن يقدم رسما مالياً أقله مائة فرنك وأوسطه مائتان وأكثره ثلاثمائة ، ولا يستثنى من ذلك إلا عالم أو معتقد عند الناس لايستطيع اداء ، على شريطة أن يبذل العالم وسعه في تبيين الحق وبثه ، والمعتقد جهده في حمل معتقديه على العمل في مقاصد العقد ، فان استطاع هذان الصنفان تأدية النقد فهم أولى الناس بها

(١٦) يجتمع أهل العقد في كل أسبوع مرتين للمذاكرة فيما سبق بيانه في الفصل الاول وما بعده .

(١٧) يجب على كل واحد أن يؤدي في آخر كل جلسة مقداراً من النقد على حسب استطاعته قليلا أو كثيراً يدور على الحاضرين من أصغرهم سناً بصندوق صغير له فوهة ضيقة يضع فيها كل واحد ماتيسر خفية حتى لايعلم من أدى أقل ومن أدى أكثر . لايستثنى من ذلك أحد ويسمى هذا الصندوق صندوق التبرع

(١٨) يحفظ النقد المجتمع من الرسوم الابتدائية والتبرع عند من ينتخبه العقد أميناً

(١٩) يودع في ظرف تكتب عليه هذه العبارة : هذا مال حق التصرف فيه لعقد الاخلاص تحت رئاسة فلان (يذكر اسم الرئيس)

(٢٠) يستعمل هذا المال في النفقة على محل الاجتماع ولوازمه ، وفي سبيل نشر المشرب وارسال الرسل الداعين إلى الحق ، وفي إغاثة المقصرين مما ترجى منهم فائدة لمقصد الجمعية ، وما يفضل عن ذلك فلننظر فيه للجمعية العليا (جمعية العروة الوثقى) اما مباشرة أو على يد أحد نوابها

(٢١) يكون للعقد أربعة دفاتر (أحدها) لحصر أسماء رجاله (ثانيها)لاسماء رسله (ثالثها) لحصر النقد المجتمع (رابعها) لاحصاء النفقات

(٢٢) اذا توفر في الصندوق مبلغ من النقد وافر وأمكن تنميته على وجه شرعي مأمون الخسارة فعلى أهل العقد أن يديروا أمر نموه

(٢٣) على القائم بضبط الحساب في الايراد والصرف أن ينهج الطريقة المعهودة في مركز العقد أن يضعوا لها نظاما حسب المعروف في بلادهم

(٢٤) لايصرف شيء إلا بقرار من أهل العقد يتفق عليه جميعهم أو أكثرهم

(٢٥) اذا قضت الحوادث بعمل عاجل يقرب من مقصد الجمعية وخيف فوات الفرصة بفوات الوقت واحتيج إلى نفقة تقتضي زيادة عن الموجود وجب على أهل العقد أن يبذلوا مافي وسعهم لاتمام العمل .

(٢٦) لايباح لاحد من رجال العقد أن يذكر شيئاً من أحوالهم ومقاصدهم ومذاكراتهم عند من ليس من مقصده في شيء ، بل لايباح التصريح باسم العقد وأهله إلا لمن حصلت الثقة بحاله عند رجال العقد

(٢٧) على رجال العقد أن يحمي بعضهم بعضا ويعين كل منهم باقيهم بقدر الاستطاعة

(٢٨) الاستطاعة لا تفسر بالاهواء حتى يعد كل وهم عجزاً وانما هي المعروفة عند المخلصين التي لا يعدمها الانسان مادام حياً قادراً على الحركة

(٢٩) اذا رأى أهل العقد أن يزيدوا شيئاً فيما وصلهم من قانون الجمعية حسب حالة بلادهم فعليهم مخابرة من يتولى مواصلتهم فيما يزيدون

(٣٠) القانون الداخلي للاجتماع يضعه أهل العقد

اليمين الذي يحلفه المرتبطون بالعقد

أقسم بالله العالم بالكلي والجزئي ، والجلي والخفي ، القائم على كل نفس بما كسبت ، الآخذ لكل جارحة بما اجترحت، لأحكمن كتاب الله تعالى في أعمالي وأخلاقي بلا تأويل ولا تضليل

ولأجيبن داعيه فيما دعا اليه ولا أتقاعد عن تلبيته في أمر ولا في نهي، ولأدعون لنصرته ، ولأقومن بها مادمت حيا ، لا أفضل على الفوز بها مالا ولا ولدا

أقسم بالله مالك روحي ، ومالي ، القابض على ناصيتي ، المصرف لاحساسي ووجداني ، الناصر لمن نصره ، الخاذل لمن خذله ، لأبذلن ما في وسعي لاحياء الأخوة الاسلامية ، ولأنزلنها منزلة الأبوة والبنوة الصحيحتين ، ولأعرفنها كذلك لكل من ارتبط برابطة العروة الوثقى وانتظم في عقد من عقودها ، ولأراعينها في غيرهم من المسلمين ، إلا أن يصدر عن أحد ما يضر بشوكة الاسلام ، فاني أبذل جهدي في إبطال عمله المضر بالدين ، وآخذ على نفسي في أثره مثل ما آخذ عليها في المدافعة عن شخصي

أقسم بهيبة الله وجبروته الأعلى أن لا أقدم إلا ماقدمه الدين ، ولا أؤخر إلا ما أخره الدين ، ولا أسعى قدماً واحدة أتوهم فيها ضرراً يعود على الدين جزئياً كان أو كليا ، وأن لا أخالف أهل العقد الذين ارتبطت معهم بهذا اليمين في شيء يتفق رأي أكثرهم عليه ، وعليّ عهد الله وميثاقه أن أطلب الوسائل لتقوية الاسلام والمسلمين عقلا وقدرة بكل وجه أعرفه ، وما جهلته أطلب علمه

من العارفين ، لا أدع وسيلة حتى أحيط بها بقدر ما يسعه إمكاني الوجودي . وأسأل الله نجاح العمل ، وتقريب الامل ، وتأييد القائم بأمره ، والناشر لواء دينه ، آمين.

النائب محمد عبده

[المؤلف] من تأمل هذه الاصول وهذه اليمين حق التأمل تجلى له ان كاتبها الداعي اليها ، المجاهد في سبيل غايتها ، من أقوى المؤمنين بالله وبما جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين ايمانا ، وأشدهم في ايمانهم ايقانا ، وأرسخهم في يقينه وجدانا ، وأعلمهم بمقاصد هذا الدين وتاريخه وإصلاحه لامور البشر ، وأعظمهم غيرة عليه وجهاداً في سبيل الله لاعادة مجده ، وتجديد ملكه ، وإحياء شرعه ، وانقاذ أهله من الذل . . .

ومن قرأ مكتوباته قدس الله روحه لبعض العلماء والكبراء من المنتظمين في سلك العقد في الفصل الاول من الباب الخامس من منشآته ، المصدر أكثرها بكلمة شعاره « لا إله إلا وحده لا شريك له وبه الحول والقوة » رأى فيها شرحا جليا لهذه الاصول الجليلة – وعلم من هذا وذاك أن خدمة الجم الغفير من كبار علماء الأزهر وغيرهم من المصنفين في العلوم الاسلامية المختلفة منذ عدة قرون للاسلام لتصغر وتتضاءل في جانب خدمة هذا الرجل وأستاذه فان علومهم ومصنفاتهم كانت في العهد الذي تهدم فيه ملك الاسلام وضعفت هدايته ولم يكن لها أقل تأثير في العلم والعمل ، لأنها كلها مباحث لفظية ، ومناقشات في عبارات بعض كتب المقلدين ، وليس لأحد منهم فيها كلمة تدل على الشعور بذلك ، فضلا عن الدعوة إلى تداركه ، والجهاد في سبيله.

ولو شئنا شرح هذه الاصول وما أدمج فيها من الحكم والعبر لزدنا القاريء إعجابا بأمر هذين الحكيمين وجهادهما ، ولا تظن أن بين ما في الاصل الثاني من التذكير بما كان عليه النبي ﷺ وخلفاؤه فقط ، وما في الاصل الثالث من الاعتبار بسيرة السلف ، وما في الاصل الرابع من الاشارة إلى أحكام الفقه – لا تظن أن بين ما ذكر شيئاً من التعارض فان لكل نوع منها غرضاً خاصاً ، فالاول للاعتبار بنشأة الاسلام وتأسيسه ، وما بعده ظاهر لا يحتاج إلى بيان ، اه من الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام

فليعتبر قراء المنار بهذا الجهاد ، ونسأله تعالى أن يهدينا سبيل الرشاد

منشيء المنار ومحرره — محمد رشيد رضا

فتاوى المنار

نتيجة ما تقدم

(في حقيقة ربا القرآن او الربا المحرم القطعي المراد بالوعيد الشديد)

ان هؤلاء العلماء الاعلام من محققي المفسرين والمحدثين والاصوليين والفقهاء قد صرحوا بأن الربا الذي حرمه الله تعالى بنص كتابه العزيز ، وتوعد آكليه أشد الوعيد ، هو الربا الذي كان فاشياً في الجاهلية ومعروفاً عند المخاطبين في زمن التنزيل ، وهو أخذ مال في مقابلة تأجيل دين مستحق في الذمة من قبل ، وهو المسمى [ربا النسيئة] لان اخذ الزيادة على رأس المال إنما سببه إنساء أجل الدين المستحق أي تأخيره لا في مقابلة منفعة ما لمعطيها . وهو قول الحبر ابن عباس في تفسير آيات البقرة وتدل عليه نصوص الآيات باباحة ما سلف منه وإيجاب الاكتفاء برأس المال على من تاب كما تقدم عنه (رض) . ويؤيد هذا أمران (أحدهما) الاستعمال اللغوي ووجهه أن هذا اللفظ كان مستعملا عند عرب الجاهلية من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم وذكر في بعض السور المكية فهو ليس من الالفاظ التي وضعت وضعاً جديداً في الشريعة فكانت مجملة ثم فسرت بعد ذلك بالاحاديث عند الحاجة اليها في التشريع العملي ، بل الام في الربا للعهد كما صرح به بعضهم ، (ثانيهما) ان الله توعد على أكل الربا بضروب من الوعيد لم تعهد في التنزيل ولا في السنة ولا ما يماثلها إلا في الترهيب والزجر عما عظم إثمه وفحش ضرره من الكبائر ، ويؤكده الوعيد الوارد في الاحاديث النبوية ، وهاك الاشارة اليها بالايجاز

(١) قوله تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون) أي من قبورهم يوم البعث والنشور (إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) وهو الجنون ، وقد ورد أن المرء يبعث على ما مات عليه ، فاذا كان هذا حال آكل الربا عند البعث وقبل الحساب ، فكيف يكون حاله بعد ذلك في النار ؟ وهو :

(٢) قوله تعالى فيمن عاد الى اكل الربا بعد تحريمه (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقد حملوه على المستحل له لأن استحلاله كفر

(٣) قوله تعالى (يمحق الله الربا) أي يمحق بركته

(٤) قوله تعالى بعد ذلك (ويربي الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم) وحرمانه من محبة الله تعالى يستلزم بغضه ومقته عز وجل

(٥) تسميته كفاراً أي مبالغاً في كفر النعمة بقسوته على العاجز عن القضاء واستغلاله لما يعرض له من الضرورة بدلا من إنظاره وتأخير دينه إلى الميسرة او إسعافه بالصدقة

(٦) تسميته أثيماً، وهي صيغة مبالغة من الاثم وهو كل مافيه ضرر في النفس او المال او غيرها وأشدها المضار والمفاسد الاجتماعية

(٧) إعلامه بحرب من الله ورسوله لانه عدو لها في قوله تعالى بعد الأمر بترك ما بقي للمرابين من الربا بعد التحريم (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)

(٨) وصفه بالظلم في قوله (وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لاتظلمون ولا تظلمون)

(٩) عد النبي ﷺ اياه من أهل الموبقات وهي اكبر الكبائر ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعا «اجتنبوا السبع الموبقات» أي المهلكات قالوا وماهن يارسول الله؟ قال «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»

(١٠) ورود عدة أحاديث صحيحة في لعنه ﷺ لآكل الربا وموكله، وفي بعضها زيادة كاتبه وشاهديه،

(١١) في غير الصحاح احاديث كثيرة في الوعيد الشديد عليه منها ان درهم ربا أشد من ثلاث وثلاثين زنية في الاسلام وفي بعضها ٣٦ زنية، وفي بعضها بضع وثلاثين زنية وفي بعضها «الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه وان أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه» رواه الطبراني في الاوسط من طريق عمرو بن راشد وقد وثقه ابن حبان على نكارة حديثه هذا

وجملة القول ان هذا الوعيد الشديد كله لا يمكن أن يكون على ربا الفضل

الوارد في حديث عبادة وأبي سعيد وغيرهما لانه لا ضرر فيه ولذلك اضطر بعض الفقهاء إلى القول بأن تحريمه تعبدي لا يعقل معناه . ومن المعلوم من الدين بالضرورة لصراحة أدلته في الكتاب والسنة أن الاسلام يسر لا عسر فيه ولا حرج ، وانه الحنيفية السمحة ، وقال العلماء : ان من علامة الحديث الموضوع أن يكون فيه وعد بثواب عظيم على عمل تافه او سهل قليل التأثير - أو وعيد شديد على عمل ليس فيه ضرر في الدين ولا في الدنيا او فيه ضرر قليل

هذا وان بيع الاجناس الستة بعضها ببعض مع التفاضل المعتاد بالتراضي أو بيع جنس بآخر مع تأخير القبض ليس فيه من الضرر والفساد ما يستحق فاعله شيئا من أنواع ذلك الوعيد فلا يفهم له علة إلا سد ذريعة ربا النسيئة الذي نهى الله عنه وتوعد فاعله بما لخصناه آنفاً ، فهو كنهيه ﷺ عن خلوة الرجل بالمرأة الاجنبية، وعن سفرها إلا مع ذي رحم محرم، وعن الانتباذ في الاواني التي يسرع فيها اختمار النقيع المنبوذ فيها من تمر أو زبيب ، وعن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر ، لان هذا وذاك مما يسهل وجود الخمر ويجرئ على شربها بتأثير الالفة والقدوة، ومثله أو أشد شرب القليل من الشراب الذي لا يسكر الا الكثير منه - وأبلغ من هذا في النهي لسد الذريعة نهي الله عز وجل للمؤمنين عن سب آلهة المشركين وأصنامهم مع تعليله الدال على ذلك وهو قوله (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)

وأما تسمية ذلك ربا في بعض الروايات فمن باب المجاز المرسل كقوله تعالى حكاية عن احد صاحبي يوسف في السجن (اني أراني أعصر خمراً) وقد صرح النبي ﷺ بما يدل على هذا في بعض روايات هذه الاحاديث كحديث ابن عمر عند الامام احمد والطبراني « لا تبيعوا الدينار بالدينارين ولا الدرهم بالدرهمين ولا الصاع بالصاعين فاني أخاف عليكم الربا » وقد ورد في روايات متعددة إطلاق لفظ الربا أو أشد الربا على استطالة الرجل في عرض اخيه يعني بالغيبة ، واطلاق لفظ الزنا على مقدماته في حديث مرفوع معروف

وروى مالك وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي عن ابن عمر قال قال عمر ابن الخطاب لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل ولا تبيعوا الورق بالذهب

أحدهما غائب، والآخر ناجز ، وان استنظرك حتى يلج بيته فلا تنظره إلا يداً بيد: هات وهاء ، اني اخشى عليكم الرماء . والرماء هو الربا

وروى مالك والبيهقي عن نافع قال كان ابن عمر يحدث عن عمر في الصرف ولم يسمع فيه من النبي ﷺ شيئاً . قال قال عمر لاتبايعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق إلا مثلا بمثل سواء بسواء ولا تشفوا بعضه على بعض اني أخاف عليكم الرماء ،

ولكن الوعيد الشديد في الربا وما يقتضيه من الورع واتقاء الشبهات اوقع الناس في مشكلات من هذه المسألة منذ ذلك العصر إلى اليوم ، فترى ان عمر (رض) على نهيه عن ربا الفضل خوفا من إفضائه الى الربا وعلى تصريحه بأن آية البقرة آخر ما نزل يعني من آيات الاحكام وانه ﷺ توفي ولم يقل لهم فيها شيئاً غير ما كانوا يعلمونه من ربا الجاهلية ، ومن وضعه وإبطاله ﷺ يوم فتح مكة، وقوله فدعوا الربا والريبة ـ تراه على هـذا قد قال فيما رواه عنه ابن أبي شيبة لقد خفت أن نكون قد زدنا في الربا عشرة أضعافه بمخافته ،ولقد صدق (رض) فكل من جاوز حد شيء وقع في ضده .

(فصل مهم في إلحاق الفقهاء ذرائع الربا وشبهاته بالربا القطعي بالنص)

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآيات : وانما حرمت المخابرة وهي المزارعة ببعض مايخرج من الارض والمزابنة وهي اشتراء الرطب في رءوس النخل بالتمر على وجه الارض، والمحاقلة وهي اشتراء الحب في سنبله في الحقل بالحب على وجه الارض — انما حرمت هذه الاشياء وما شاكلها حسما لمادة الربا لانه لا يعلم التساوي بين الشيئين قبل الجفاف ، ومن هذا حرموا أشياء بما فهموا من تضييق المسالك المفضية الى الربا والوسائل الموصلة اليه، وتفاوت نظرهم بحسب ما وهب الله لكل منهم من العلم ، وقد قال الله تعالى (وفوق كل ذي علم عليم) وباب الربا من أشكل الابواب على كثير من أهل العلم . وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ عهـد الينا فيهن عهـداً ننتهي اليه : الجد ، والكلالة ، وأبواب من الربا . يعني بذلك بعض المسائل التي فيها شائبة الربا . والشريعة شاهدة بأن كل حرام فالوسيلة اليه مثله لأن ما أفضى الى الحرام حرام،

كما أن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب اه كلام ابن كثير وأورد بعده حديث النعمان في الحلال والحرام والشبهات وهو معروف وسيأتي البحث فيه

أقول ان العماد ابن كثير رحمه الله تعالى قد فطن لما غفل عنه جمهور العلماء أو قصروا في بيانه في هذه المسألة الخطيرة ولكنه لم يسلم من مجاراتهم في بعض ما أخطأوا فيه بل اقرهم عليه واحتج لهم بمالا حجة فيه ، ويؤخذ منه ومما قدمناه عليه أمور يجب تدبرها لتحرير هذه المسألة المشكلة فنقول :

(١) اذا كان عمر أمير المؤمنين (الذي قال فيه عبدالله بن مسعود من أكبر علماء الصحابة انه قد مات بموته تسعة أعشار العلم) قد خشي أن يكون مسلمو عصره قد زادوا في الربا عشرة أضعافه من شدة خوفهم من الوقوع في شيء منه، فان من بعدهم قد زادوا عليهم أضعاف ما وقعوا فيه من باب الاحتياط واتقاء الشبهات، فانهم عدوا منه مانهي عنه من البيوع مهما تكن صفة النهي ومهما يكن سببه ، وعدوا منه البيوع الفاسدة عندهم ، وإن يكن سبب ماقالوه في فسادها رأي لبعضهم ماأنزل الله به قرآنا ، ولا ذكر الرسول ﷺ فيه بيانا ، وصارت هذه الانواع التي لاتكاد تحصى مقرونة في أذهان الجم بذلك الوعيد الشديد في كتاب الله تعالى وفي الاحاديث الصحيحة وكذا الضعيفة والمنكرة والشاذة والموضوعة التي رووها في ذلك ، ويقل في المسلمين في هذه الاعصار من يميز بين مايصح منها ومالا يصح فأوقعوا المسلمين في أشد الحرج المنفي بنص كتاب الله تعالى الحكم عن دينه

(٢) إن قولهم الذي جعلوه أصلا تتدلى منه فروع لا تحصى في الربا وهو « ان الجهل بالمماثلة كحقيقة المفاضلة » غير مسلم فالجهل ليس كالعلم ولا يصح أن يجعل دليلا على التحريم الذي تقدم ان السلف الصالحين لم يكونوا يقولون به إلا بنص قطعي الرواية والدلالة بل نقل الامام ابو يوسف عنهم اشتراط وروده في كتاب الله تعالى بنص جلي لا يحتاج إلى تفسير . وقد علمنا ان الله تعالى لم يحرم في كتابه إلا ربا النسيئة الذي هو أخذ الزيادة في المال لأجل تأخير مافي الذمة منه الذي من شأنه أن يتضاعف ويكون مخربا للبيوت ومفسداً للعمران ، ومبطلا لفضائل التراحم والتعاون بين الناس . ومن الغريب أن ينوه العماد رحمه الله تعالى بعلم

هؤلاء الذين قال فيهم انهم « حرموا أشياء بما فهموا من تضييق المسالك المفضية الى الربا» وغفل عن كونهم انما ضيقوا ماوسعه الله تعالى وعسروا مايسره مخالفين في ذلك لنص كتابه ولسنة رسوله الذي أمر أصحابه وعماله وأمته بالتيسير ونهاهم عن التعسير كما هو ثابت في أحاديث الصحاح والسنن المشهورة

(٣) قوله في توجيه مسلكهم إن الشريعة شاهدة بأن كل حرام فالوسيلة اليه مثله لأن ماأفضى الى الحرام حرام — فيه نظر من ثلاثة وجوه (أحدها) ان الوسائل ليست كالمقاصد في نفسها بل هي دونها في الخير والشر والنفع والضر والحلال والحرام كما يظهر من الامثلة التي ذكرنا آنفا (في ص ٣٩) ان النصوص وردت في النهي عنها لانها ذريعة الى الحرام القطعي

(ثانيها) ان تحديد الوسائل في المسائل ودرجة إفضائها الى المقاصد من أشق الامور فاذا لم تكن منصوصة اختلفت باختلاف الافهام والآراء

(ثالثها) جهة الدلالة فيها فان من أحكام المقاصد ما لايثبت الا بالنص القطعي كأصل العبادة والتحريم الديني فالوسيلة له أولى بذلك ، ومنها ما يثبت بالدليل الظني . واعتبر ذلك بقوله تعالى في الزواج (فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لاتعولوا) فقد أوجب تعالى على من خاف على نفسه عدم العدل بين الزوجتين او الازواج أن يتزوج واحدة لان التعدد وسيلة للعول وهو الظلم المحرم لذاته . وكون تعدد الزوجات وسيلة اليه عند أكثر المعددين في هذه الازمنة مشاهد، ويدل عليه من النص قوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) الآية ومع هذا لم يقل أحد من هؤلاء الفقهاء بتحريم التعدد وعدم ثبوت الزوجية ومايترتب عليها من الاحكام به

(٤) استدل العماد على القاعدة الكلية التي ذكرها بحديث النعمان بن بشير مرفوعا « ان الحلال بين وان الحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا وان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله محارمه » الحديث وهو في الصحيحين وهذا اللفظ هو

الذي اختاره النووي في الأربعين. وقد روي عن غير النعمان بألفاظ تختلف بعض الاختلاف . وهو لا يدل على تلك القاعدة الكلية لاجماع المسلمين على أن من رعى سائمته او دابته حول حمى وأمكنه اجتناب الوقوع فيه لا يكون رعيه حراما كالرعي في الحمى وان اتقاء الرعي حول الحمى إنما يطلب تورعا واحتياطاً . وللعلماء في تفسير « ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام » تفصيل لانه إما أن يكون من الكثيرين الذين لا يعلمونهن وإما أن يكون ممن يعلمون الحكم ولا يشتبهون فيه ، فان كان ممن يعلمون ان هذا المشتبه فيه لخفاء في وجه حله أو حرمته حلال فانه لا يأثم به وان كان ممن يعلمون انه حرام فانه يأثم . وأما من يقع في المشتبه مع اشتباهه عليه فانه لا يأمن ان يكون الحرام فكأنه تجرأ على الحرام ، وكذا من علم أنه ذريعة الى الحرام كالذي يتزوج على امرأته وهو لا يثق من نفسه بالعدل لكراهته للاولى وحبه للثانية فانه لا يلبث أن يظلم ، فهذان محلان للحكم بوقوعه في الحرام وليس المعنى ان نفس المشتبه فيه حرام لانه يخرج بهذا عن كونه مشتبها فيه

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث من فتح الباري : واختلف في حكم الشبهات فقيل التحريم وهو مردود ، وقيل الكراهة ، وقيل الوقف، كالخلاف فيما قبل الشرع . وحاصل ما فسر به العلماء الشبهات أربعة أشياء (أحدها) تعارض الادلة كما تقدم (ثانيها) اختلاف العلماء وهي منتزعة من الاولى (ثالثها) ان المراد بها مسمى المكروه لانه يجتذبه جانبا الفعل والترك (رابعها) ان المراد بها المباح . ولا يمكن قائل هذا أن يحمله على متساوي الطرفين من كل وجه بل يمكن حمله على ما يكون من قسم خلاف الاولى بأن يكون متساوي الطرفين باعتبار ذاته راجح الفعل أو الترك باعتبار أمر خارج الخ

ومن ألفاظ الحديث ما هو صريح في ان الوقوع في الشبهات مدرجة للوقوع في الحرام لا وقوع فيه كحديث ابن عمر «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات فمن اتقاها كان أنزه لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات أو شك أن يقع في الحرام »

وقال الحافظ ابن رجب في شرح الحديث : وقد فسر الامام أحمد الشبهة بأنها منزلة بين الحلال والحرام – يعني الحلال المحض والحرام المحض –

وفسرها تارة باختلاط الحلال والحرام . وذكر ان أصحابهم الحنابلة اختلفوا فيه هل هو مكروه أو محرم؟ على وجهين وان منهم من حمل ذلك على الورع

وذكر هو وابن مفلح في الآداب الشرعية آثاراً عن كبار علماء السلف في ذلك : (منها) مارواه الحارث عن علي (رض) انه قال في جوائز السلطان لا بأس بها مايعطيكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام (ومنها) كان النبي ﷺ وأصحابه يعاملون المشركين وأهل الكتاب مع علمهم بأنهم لايجتنبون الحرام كله .

قال الحافظ ابن رجب: وان اشتبه الامر فهو شبهة والورع تركه. قال سفيان لايعجبني ذلك وتركه أعجب إليّ . وقال الزهري ومكحول لابأس أن يؤكل منه مالم يعرف انه حرام بعينه ، فان لم يعرف في ماله حرام بعينه ولكن علم ان فيه شبهة فلا بأس بالاكل منه . نص عليه أحمد في رواية حنبل . وذهب إسحق ابن راهويه الى ماروي عن ابن مسعود وسلمان (رض) وغيرهما من الرخصة — والى ماروي عن الحسن وابن سيرين في إباحة الاخذ بما يقضي(؟) من الربا والقمار ، ونقله عنه ابن منصور. وقال الامام أحمد في المال المشتبه حلاله بحرامه إن كان المال كثيراً أخرج منه قدر الحرام وتصرف في الباقي، وان كان المال قليلا اجتنبه كله. وهذا لأن القليل إذا تناول منه شيئاً فانه يتعذر معه السلامة من الحرام بخلاف الكثير

ثم قال : ومن أصحابنا من حمل ذلك على الورع دون التحريم ، وأباح التصرف في القليل والكثير بعد إخراج قدر الحرام منه وهو قول الحنفية وغيرهم وأخذ به قوم من أهل الورع منهم بشر الحافي . ورخص قوم من السلف فى الاكل ممن يعلم في ماله حرام مالم يعلم انه من الحرام بعينه كما تقدم عن مكحول والزهري وروي مثله عن الفضيل بن عياض ، وروي في ذلك آثار عن السلف فصح عن ابن مسعود أنه سئل عمن له جار يأكل الربا علانية لا يتحرج من مال خبيث يأخذه يدعوه إلى طعام ؟ قال أجيبوه فانما المهنأ (او المهنأة) لكم والوزر عليه اه المراد منه

فعلم بهذا كله أن من الجهل المبين أن يعد مايشتبه في أمره ولا يتبين وجه الحل والحرمة فيه من الحرام المحض ولو من الصغائر ، فكيف يجوز أن يعد

من أكبر الكبائر التي أنذر الله مرتكبها باشد الوعد ولعنه رسوله ﷺ ، وإنما يكثر مثله في كلام المقلدين الذين يأخذون بالتسليم كل مايرونه في كتب من قبلهم ولا سيما علماء مذاهبهم ، ولا يعنون بالنظر في أدلتهم، بل يأخذونها بالتسليم على علاتها . وعلى من ينظر في الادلة أن يستقصي ماقاله أهلها المستقلون ويتحرى في البحث عن غيرها وينصب الميزان المستقيم لترجيح بعضها على بعض ، لا كما فعل أخونا المفتي الهندي في مسألة الربا

إذا تمهد هذا ظهر به ان الحق في الربا الذي نهى الله تعالى عنه في كتابه وتوعد فاعله بما لم يتوعد بمثله على ذنب آخر أنه ربا النسيئة الذي كان معروفا في الجاهلية كما قال من ذكرنا عباراتهم من أعلام العلماء المستقلين والتابعين لبعض الأئمة في النظر والاستدلال ، لا لمجرد التقيد بالآراء والاقوال

وإمام هؤلاء القائلين بذلك حبر الامة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما . ونعيد القول ونكرره بانه هو مايؤخذ من المال لاجل تأخير الدين المستحق في الذمة إلى أجل آخر مهما يكن أصل ذلك الدين من بيع او قرض أو غيرهما ، وهذا النوع هو الذي كان يتضاعف بعجز المدين عن القضاء مرة بعد أخرى حتى يصير اضعافا مضاعفة ويستهلك جميع مايملكه المدين في كثير من الاحيان

وبهذا تظهر حكمة العليم الحكيم في ذلك الوعيد الشديد عليه وفي تسميته ظلما ، ولا يظهر هذا في كل قرض جر نفعا ، ولا في بيع أحد الاجناس الستة بمثله متفاضلا نقداً أو نسيئة ، فضلا عن تثمير الاموال بالشركات التجارية التي لا تلتزم شروط الفقهاء فيها كما يأتي بعد. وإنما يظهر من سبب النهي عن هذه البيوع انه سد لذريعة الربا المحرم القطعي، وهذه الذريعة مظنونة لاقطعية ، وقد ذكرنا آنفا بعض امثالها في الشريعة من الأمثلة ، ومن المنهيات في الاحاديث ماهو محرم وما هو مكروه او خلاف الاولى ، وما هو لمحض الارشاد لا للتشريع الديني ، وإنما يكون التمييز بين هذه الانواع بالادلة الخاصة أو القواعد العامة او التعارض بين النصوص وترجيح الاقوى كالنهي عن أكل لحوم سباع الوحش والطير مع حصر نصوص القرآن لمحرمات الطعام في الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به . وقد حققنا أن

النهي فيه للكراهة وفاقا لمذهب مالك جمعاً بينه و بين نصوص القرآن القطعية الرواية والدلالة بصيغتي الحصر . وبينا فيه ان التعبير في بعض الروايات بالتحريم قد يكون رواية بالمعنى لفهم الراوي ان المراد من النهي التحريم .

وكذلك يقال في النهي عن بيع النقدين وأصول الاغذية المذكورة في حديث عبادة الايدابيد مثلا بمثل إذا اتحد الجنس ، والا كتفاء بالتقابض إذا اختلف

ومما يدل على أن هذا النهي غير مقصود بالذات ما صح في إباحة بيع العرايا والحيلة في بيع الكثير من التمر الرديء بالقليل من التمر الجيد بان يجعل العقد على بيع كل منها بالثمن . وهذا أصل من أصول أدلة من جوزوا الحيلة في الشرع ولكن لايصح هذا الاستدلال إلا في المسائل التي لاتضيع فيها علة الحكم وتذهب حكمة الشارع فيه كمسألة بيع التمر بالتمر التي أفتى فيها النبي ﷺ وسنعقد لهذا البحث فصلا خاصا إتماما لتحقيق مسألة الربا العامة من كل وجه

فتاوى المجلد الحادي والثلاثين

حكم قراءة الجرائد والمجلات

(س ١) من صاحب الامضاء في دبي - خليج فارس

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد الاجل مفتي الامة ، وبحر العلوم ، وعلامة الزمان ، وترجمان القرآن ، قامع المبتدعين ، البحر الزاخر ، والصارم الباتر ، السيد محمد رشيد رضا رضي الله عنه وأرضاه

السلام ورحمة الله وبركاته. أما بعد فالمرجو من فضيلتكم الجواب عن هذا السؤال وهو أنه قد حصل في بلدتنا خلاف بين طلبة العلم فان فريقامنهم يعترض على فريق آخر بسبب انكبابهم على قراءة الجرائد والمجلات الاسبوعية واليومية ويشمل ذلك الجرائد المصورة فالواجب أن تصرفوا أوقاتكم في مطالعة كتب السنة والتفاسير والفقه لان بها سعادة الدارين ، وهذه الجرائد من لهو الحديث

المشار اليه في الآية، والدليل في عدم الفائدة منها أن هذه مصر الجرائد والمجلات بها مذ عهد بعيد ولم تنتفع ولم تتخلص من الرق ، وهذه الامة العربية جند الامام ابن السعود أيده الله بنهوضهم في هذه المدة القريبة حصل خير كثير والمستقبل يبشر بالخير مع أنهم لم يطالعوا جرائد ولا مجلات

ويقول الفريق الآخر هل الخير إلا في الجرائد وهي تذكي الذهن وتحرك الافكار وتفيد عن تطور العالم وهي من أنعم الله الكبار

فالرجاء من فضيلتكم الايضاح والتخطئة والتصويب لانه حصلت مشاحنة تكدر الخاطر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته احمد بن حسن

(ج) إن الجرائد والمجلات التي توصف بالدورية مثل الرسائل والكتب في القصص والادب والتاريخ والعلوم منها الضار والنافع، وفيها الحق والباطل ، فلكل من مادحيها وذاميها وجه ، ويختلف حكم قراءتها باختلاف موضوعاتها واستعداد قارئيها في العلم ورسوخ العقيدة الصحيحة ، والآداب الشرعية القويمة ، فان في بعضها ماهو كفر صريح وصد عن الدين، بضروب من الشبهة والتأويل ، وفي بعضها تزيين للشهوات المحرمة وغير ذلك من المعاصي ، كما أن في هذه وغيرها كثيراً من المسائل العلمية والتاريخية وأخبار السياسة التي تفيد صاحبها عبرة وخبرة وتثقيفاً ، وانني أعلم أن كثيراً من قرائها قد فسدت عقائدهم او آدابهم، ولا بد أن تكونوا رأيتم في المنار ردوداً على بعضها بالتعيين تارة وبالابهام تارة ، وان كثيراً من قرائها لايحملهم عليها إلا التلذذ والتسلي بما فيها من الغرائب،دون ما يزعمون من الفوائد ، وناهيك بالمصورة التي تعنى بصور النساء العاريات والمتبرجات، واخبار العاشقين والمعشوقات . والمدار في نفع ذلك وضره منوط بحسن الاختيار وسوء الاختيار

فمن الجرائد المصرية التي يحسن اختيارها في قطر إسلامي كبلادكم جريدة كوكب الشرق اليومية والفتح والشورى والمصلح الاسبوعيات ، ومن المجلات المصرية مجلة مكارم الاخلاق والزهراء والهداية ومجلة الشبان المسلمين ، ومن الجرائد السورية العهد الجديد والنداء اليوميتان والنذير الاسبوعية من جرائد

بيروت وجريدتا الحياة والجامعة العربية من جرائد فلسطين والهداية البغدادية والحلبية، وام القرى الحجازية

ومن المجلات مجلة الكشاف البيروتية والاصلاح الحجازية ومجلة الكويت

فمن كان يريد قراءة الصحف من أهل بلادكم الاسلامية العربية لما فيها من الفوائد العلمية والادبية والسياسية مع الامن من المفاسد الدينية ونزعات الالحاد، وإباحة الفسق والفساد، فليخير لنفسه بعض هذه الجرائد والمجلات ، ومن رغب عنها إلى الصحف التي ينشرها بعض الملاحدة أو الكفرة لافساد عقائد المسلمين وأخلاقهم وتفريق كلمتهم ويجذبون الشبان إلى قراءتها بصور النساء العاريات وغير ذلك من مثارات الشهوات فهم يجنون على انفسهم وعلى أمتهم وبلادهم من حيث لا يشعرون

﴿ تفسير آية ماننسخ ﴾

(س ٢) من صاحب الامضاء (الطلفون — الدار البيضاء بالمغرب)

صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل السيد رشيد رضا دامت معاليه ، تحية وسلاما لائقين بمقامكم الشريف ، هذا وانهي لسماحتكم سؤال أرجو الجواب عنه وهو قوله تعالى (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ؟) ملخص السؤال المعروض لفضيلتكم هو قوله تعالى (ماننسخ من آية او ننسها) هنا قد ظهر لي ان ماننسخ من توراة وإنجيل أو ننسي اليهود في التوراة وننسي النصارى في الانجيل .لا كما قال بعض المفسرين ان عشرين آية نسخت ويستدلون بالآية ، وأستدل على رأيي بان الآية السابقة قوله تعالى (مايود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم)وأي خير أفضل من القرآن؟

هذا واني ملتمس من فضيلتكم ان تمنحوني عفواً والكريم من عذر من اعتذر ، وأقال عثرة من عثر ،إن وقع غلط في فهمي الآية، مع اتم الرجاء ان تلهموني الى الصواب ، وتبدي نظركم السديد ، وأسأله سبحانه ان يسدد اعمالنا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه ،ودمتم محروسين بعنايته ، والسلام ختام السيد محمد اليعقوبي

(ج) جمهور المفسرين والفقهاء على ان النسخ المراد من هذه الآية هو نسخ آيات الاحكام الشرعية فعلى هذا القول يظهر لفهمكم في الآية وجه وجيه بقرينة الآية التي قبلها . وللآخذين برأيهم ان يقولوا ان هذه القرينة لا تقتضي الحصر فالآية تدل على ما ينسخه الله تعالى من التوراة والانجيل وما ينسخه من القرآن او ينسيه منهما سواء في كونه يأتي بخير منه او مثله، ولكن هذا لا يدل على ان في القرآن عشرين آية منسوخة وهو العدد الذي اعتمده السيوطي في الاتقان ولا على ما قال بعضهم من أن المنسوخ بضع آيات فقط، فالعدد لا يدخل في مفهوم الآية من باب ولا من طاق

وفي الآية وجه آخر وهو ان لفظ (آية) فيها معناه الآية الكونية أي المعجزة التي يؤيد الله بها الرسل عليهم السلام اذ كان الكفار يطالبونه عليه السلام بآية من تلك الآيات ولا سيما آيات موسى (ع م) اذ (قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى) ويؤيده قوله تعالى بعدها (أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) وهو الذي اختاره شيخنا وتجدونه مفصلا في تفسيرها من الجزء الاول من تفسيرنا

﴿حبوط أعمال المشركين بالشرك﴾

(س٣) من صاحب الامضاء في البترون (لبنان)

حضرة الاستاذ الجليل، إمام المسلمين، ومحيي شريعة سيد المرسلين، الشيخ رشيد افندي رضا المحترم

السلام عليكم وبعد فقد قرأت في العدد الرابع من المجلد الثلاثين في مجلتكم الغراء ما يأتي : بعد ما ذكر الله في كتابه ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا هم أعظم درجة وأسمى مقاما من الذين يسقون الحاج ويخدمون البيت . قلتم في تفسير هذه الآية التي تؤدي هذا المعنى: لا مراء في كون هذين العملين من أعمال البر التي يكون لصاحبها درجة عند الله إذا فعلا ما يرضي الله ولذلك أقرهما الاسلام دون غيرهما من وظائف الجاهلية ولكن الشرك يحبطها ويحبط غيرها من أعمال البر التي كانوا يفعلونها كما تقدم اهـ

فالعجب كيف يحبط الشرك الاعمال التي هي بحد ذاتها حسنة خيرية والله لايضيع للانسان مثقال ذرة من خير أو شر كما جاء في قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وعدل الله أجل من أن يجعل المشرك الذي يفسد في الارض كالمشرك الذي يعمل الاعمال الخيرية . ومعلومكم أن كلمة (من) عامة كما هو معلوم من علم الاصول تعم المؤمن والمشرك . فلرجا نشر الجواب على صفحات مجلتكم الغراء ودمتم مدير مدرسة البترون الاسلامية

محمد فؤاد اشراقية ، من طرابلس الشام

(ج) أما الدليل على الحبوط فآيات صريحة في القرآن منها قوله تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك* ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون* ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين* فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وأما وجهه المعقول فهو ان الشرك بالله والكفر بأصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر يفسد الأنفس البشرية ويدنسها دنساً لاتؤثر معه الاعمال البدنية في إزالته وتزكية الأنفس منه بل تكون كقليل من الماء أو نقط من المطر تلقى في مجتمع القذر من الكنيف لايكون لها أدنى تأثير في تطهيره، فضلا عن تطييبه

وأما قوله (فمن يعمل مثقال ذرة) الخ فيجيب عنه العلماء بأنه عام مخصوص بغير المشركين والكافرين وقالوا انهم يجزون في الدنيا على أعمالهم الحسنة ولكن موضوع النص ان كل احد يعرض عليه يوم الجزاء ما عمل من خير فيراه في الحساب الذي يترتب عليه الجزاء فاذا وزنت اعمال المشرك الحسنة مع شركه وما له من سوء التأثير في تدنيس نفسه بالخرافات والسيئات تطيش كفة تلك الحسنات فيكون معنى حبوط عمله انه لايرى له تأثيراً في النجاة من العذاب ودخول الجنة ، فكأنه لاوجود له الا أن يكون في كون عذابه يكون دون عذاب من لم يعمل تلك الاعمال وبهذا تنتفي المساواة بين المشركين المنافية للعدل، وقد بينا في الكلام على الجزاء أن عذاب الكفار في النار يتفاوت بحسب أعمالهم وما كان لها من التأثير في أنفسهم كفرهم إلا أنها لا تبلغ درجة اقل المؤمنين عملا صالحا، وقد ورد في أصحاب المعاصي من المسلمين ان أصحاب الحقوق عليهم من العباد يأخذون من حسناتهم بقدر حقوقهم عليهم فاذا لم تف بها

حملوا من أوزارهم بقدر ما بقي منها ، وورد في الحديث تسمية هؤلاء بالمفلسين . ولكن من مات على الايمان الصحيح لابد أن تكون عقبته الخروج من النار إذا عذب فيها بمعاصيه ثم يدخل الجنة

(أسئلة من صاحب الامضاء في بيروت)

(س ٤ - ٦)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد افندي رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني أرفع لفضيلتكم ما يأتي ، راجياً التفضل بالاجابة عليه :

١ — هل يجوز لجمعية اسلامية أسست لخدمة الدين وأبناء الامة الاسلامية كجمعية المقاصد الاسلامية في بيروت وغيرها أن تدخل في مدارسها معلمين غير مسلمين لتعليم اولاد الامة الذين هم مطمح انظارها في نشر الدين وتقويته مع وجود معلمين مسلمين فيهم الكفاءة التامة لما عساه أن ينشأ عن غير المسلمين امور تنافي ديننا الاسلامي سواء بالمقال كبث بذور الفساد في النفوس ، أو بالحال ككونهم بصفات لاتلائم مبادىء الدين مما تتشرب به النفوس الساذجة لان التلاميذ مرآة معلميهم ، وفيهم قابلية انطباع ما يصدر عنهم من صلاح او فساد ، هل ذلك يجوز أم لا؟

٢ — ماقول السادة علماء الدين الاسلامي الحنيف فيمن لايصوم ولا يصلي خوفا من تجعيد ثيابه كالبنطلون وغيره فهل هو مسلم أم لا ؟ وما هي الضرورة التي يباح فيها عدم الصوم والصلاة ؟

ارجو من فضيلتكم أن تبينوا لنا جميع اسماء مؤلفاتكم لاننا نريد اقتناءها وأن تكرموا بالجواب الكافي عن ذلك كله ولكم من الله تعالى عظيم الاجر والثواب

مصطفى أحمد شهاب — بيروت

﴿ أجوبة المنار ﴾

(٤) حكم جعل غير المسلم معلما لاولاد المسلمين

يجوز للافراد وللجمعيات استئجار غير المسلم لتعليم أولاد المسلمين ما يحتاجون اليه من العلوم الدنيوية النافعة كالحساب والاقتصاد مثلا اذا كان متقنا لذلك ولا يخشى على الاولاد ضرر منه في دينهم ولا في تربيتهم القومية والملية ولا يجوز مع خشية الضرر مطلقا مهما يكن نوعه واذا وجد معلمان سيان في ذلك العلم وفي فن التعليم أحدهما مسلم والآخر غير مسلم فاسلام المسلم كاف في ترجيحه كما ان المسلم التقي الحسن الآداب يرجح على من دونه في التقوى والادب لا على الفاسق فقط ورب كافر أقل ضرراً في التربية من فاسق فالعبرة بدرء المفسدة أولا ثم بتحقق المصلحة

(٥) ترك الصيام والصلاة لغير عذر شرعي

لا يترك الصلاة مسلم صحيح الايمان خوفا من تجعيد ثيابه ، ولا لما هو فوق ذلك تشعيثا لهيئته وهندامه ، ففاعل ذلك ليس له من الاسلام نصيب إلا لقبه الموروث عن آبائه ، وانما الاسلام الاذعان العملي الذي يقتضيه الايمان الصحيح بما جاء به الرسول ﷺ والمراد أن ترك الصلاة في مثل هذا مسبب عن عدم الاسلام لا سبب له في الغالب كما فصلناه في تفسير قوله تعالى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) فراجعه . ولا عذر يبيح ترك الصلاة إلا سقوط التكاليف مطلقا كالجنون او موقتا بنوم أو إغماء أو نسيان مثلا . وأما الصيام فيباح تركه في المرض والسفر على أن يقضي ما فاته بعد الشفاء والاقامة ويجوز كذلك للحامل والمرضع ان تفطر في رمضان إذا خافت على نفسها او ولدها ومن عجز عن الصيام لهرم أو مرض لا يرجى برؤه أفطر وأطعم مسكينا عن كل يوم من رمضان كما هو مفصل في كتب الفقه فمن كان غير عالم بذلك فعليه أن يسأل عنه أهل العلم ولا تتسع هذه الفتاوى لتفصيله كما سألنا عنه.

(٩) مؤلفاتنا المطبوعة

(١) تفسير القرآن الحكيم وقد تم منه تسعة اجزاء (٢) تفسير الفاتحة وقد طبع معه مقالات في التفسير وغيره للاستاذ الامام (٣) خلاصة السيرة المحمدية وكليات الاسلام (٤) الوحدة الاسلامية وفيه مقالات المصلح والمقلد (٥) يسر الاسلام والتشريع العام (٦) شبهات النصارى وحجج الاسلام (٧) نظرة في عقيدة الصلب والفداء عند النصارى (٨) الخلافة او الامامة الكبرى، وتجدون أسماء هذه الكتب وغيرها مع بيان أثمانها في غلاف المنار أحيانا

أسئلة من صاحب الامضاء في زنجبار

(س ٧ — ١٢) لصاحب الامضاء

حضرة العلامة صاحب المنار الاغر السيد محمد رشيد رضا

١ — نقدم إلى فضيلتكم السؤال الآتي اتجاوبوا عنه في مجلتكم الشريفة

سيدي من هم المحققون من علماء الاسلام فهل يطلق هذا اللقب على علماء معينين أو لكل فن من فنون علوم الدين ووسائلها محققون فان كان يطلق على معينين فاسردوا لنا أسماء بعضهم وان كان لكل فن محققون فاسردوا لنا أيضاً أسماء بعض من محققي التفسير ولكم من الله الاجر الجزيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢ — ماقولكم في الترضي على الخلفاء الراشدين وبقية العشرة والدعاء لسلطان البلد في الخطب كخطبة الجمعة او العيدين أو الخسوفين أو الاستسقاء وحقيقة أنه جار من عهد سيدنا عمر رضي الله عنه ام لا .

٣ — هل الاذان الثاني يوم الجمعة بين يدي الخطيب تحت المنبر كان في عهد رسول الله ﷺ أم لا

٤ — هل مايفعله المؤذنون على مأذنة المساجد قبل أذان صلاة الصبح ويوم الجمعة من الاذكار والادعية والصلاة على رسول الله بصوت نكر واجب

٥ — هل من وقف أو أوصى بان يصنع يوم موته أو بعده طعام أو إعطاء دراهم معدودة لمن يتلو القرآن العظيم أو يسبح أو يهلل أو يصلي على النبي ﷺ

أو يصلي نوافل ويهدي ذلك الى روح الموصي أو من يريده هل تكون وصيته ووقفه صحيحين أم لا ؟

٦ — هل كان في عهد رسول الله ﷺ او الخلفاء الراشدين التهليل أو أي ذكر مع تشييع الجنائز؟ فان قلتم لا ، هل يجوز ، أم بدعة ، أيحسن عملها أم لا

سيدي الرجاء من فضيلتكم فيما تثبتون إبتداعه أسماء المبدعين وإماتتهم به الدين ولكم الاجر الجزيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد عبدالله قرنح

أجوبة المنار

(٧) العلماء المحققون

في علماء كل علم وفن محققون كالأئمة الواضعين لها والمجتهدين فيها ، ونقلة مقلدون لهم ، والمؤلفون يطلقون لقب المحقق على من يعجبهم بحثه واستدلاله ، وقد اشتهر بلقب المحقق أفراد من العلماء عند أكثر المؤلفين كالسعد التفتازاني في العلوم النظرية وابن القيم في العلوم الشرعية من الكتاب والسنة والكمال بن الهمام في فقه الحنفية والنووي في فقه الشافعية .. وابن هشام في النحو . وأما التفسير فللعلماء فيه مسالك لا نعرف أحداً محققا فيها كلها ولكن الامام الطبري اجمعهم للروايات والمعاني الفقهية والتاريخية ، والحافظ ابن كثير أمثلهم في تحقيق التفسير المأثور والزمخشري أدقهم في تحرير المعاني اللغوية للالفاظ متناً ونحواً وبيانا الا ما يؤيد به مذهب جماعته المعتزلة ومثله البيضاوي من مفسري الاشعرية في المسائل الكلامية والفقهية والعربية والخفاجي محشيه في العلوم العربية وأبو السعود في نكت البلاغة

(٨) الترضي عن الصحابة والدعاء للسلاطين

الترضي عن الخلفاء الراشدين وسائر العشرة من الصحابة المبشرين بالجنة (رض) حسن وقد شرع الله لنا أن ندعو لانفسنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وهؤلاء العشرة خيارهم ، ولا ينبغي أن يلتزم دائما لئلا يظن العوام أنه واجب

وإذا كان ملتزما في بلد وخشي من سوء تأثير تركه في العامة فينبغي للخطيب أن يتقي سوء هذا التأثير بأن يذكر على المنبر ان هذا دعاء مستحب على إطلاقه ولم يطلبه الشرع في الخطبة فهو ليس من أركانها ولا من سننها . وإلا بقي مواظباً عليه وكذلك الدعاء لولي أمر المسلمين أو لاولياء أمورهم ويراعى فيه أن لايكون متضمنا لمنكر كاقرار الظلم أو الفسق ومدح أهلهما ، ولا لالفاظ من الاطراء في المدح والتعظيم الذي لا يليق أن يوجه إلى الله تعالى . وأما الدعاء للسلطان المعين باسمه فهو بدعة استحسنها بعض المؤلفين بشرطها

قال الامام النووي في المجموع أي شرح المهذب: وأما الدعاء للسلطان فاتفق أصحابنا على أنه لايجب ولا يستحب وظاهر كلام المصنف وغيره أنه بدعة إما مكروه وإما خلاف الاولى . هذا إذا دعا له بعينه فاما الدعاء لأئمة المسلمين وولاة أمورهم بالصلاح والاعانة على الحق والقيام بالعدل ونحو ذلك ولجيوش الاسلام فمستحب بالاتفاق . والمختار أنه لا بأس بالدعاء للسلطان بعينه إذا لم يكن مجازفة في وصفه والله أعلم اه

وقد صرح بعض الفقهاء بان مايجب من الانصات عند إلقاء خطبة الجمعة يستثنى منه الانصات وقت الدعاء للسلاطين وخاصة الظلمة والفساق منهم . وقد بينا هذا في مواضع لا أذكر منها الآن إلا ما في المجلد التاسع من المنار (سنة ١٣٢٤) (الموافق ١٩٠٦ م) ، ونقلنا هنا لك عبارة من شرح الاحياء للز بيدي نعيدها هنا مع ماقبلها مما قاله في الدعاء للخلفاء والصحابة وهو :

وينبغي أن تكون (الخطبة) الثانية هكذا : الحمد لله نحمده ونستعينه الخ لان هذا هو الثانية التي كان يخطب بها رسول الله ﷺ وذكر الخلفاء الراشدين عموما والعمين والسبطين وأمهما وجدتهما مستحسن ، وان احتاج إلى ذكر الاربعة الخلفاء على الخصوص بان كان في بلد فيه الرافضة فلا بأس أن يطيل بذكرهم كل واحد باسمه مع الاوصاف اللائقة بهم ثم يعطف عليهم بالباقين من العشرة . ومما يكره للخطيب المجازفة في أوصاف السلاطين بالدعاء لهم فاما أصل الدعاء للسلطان فقد ذكر صاحب المهذب وغيره أنه مكروه والاختيار أنه لابأس به إذا لم يكن

فيه مجازفة في وصفه ولا نحو ذلك فانه يستحب الدعاء بصلاح ولاة الامر والآن صار واجبا لانه مأمور به من السلطان

هذا ماذكره عن فقهاء الشافعية وهو معنى ماتقدم عن المجموع الا قوله الاخير بوجوبه فلم أره في كتبهم ثم أورد جملة مما قاله علماء مذهبه الحنفية فقال :

وكرهوا الاطناب في مدح الجائرين من الملوك بأن يصفه عادلا وهو ظالم أو يصفه بالغازي وهو لم يوجف على العدو بخيل ولا ركاب ، ولكن مطلق الدعاء لهم بالصلاح لابأس به وكذا لاباس بان يصفه ببعض الالقاب اللائقة بحاله فان تعظيم الملوك شعار أهل الاسلام (١) وفيه ارهاب على الاعداء (٢) وقد اتفق ان الملك الظاهر بيبرس رحمه الله تعالى لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أبدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها إلى مدح السلطان وأطنب فيه فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال مع كونه تركيا ماهذا الخطيب يقول في خطبته السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا ، وأمر به أن يضرب بالمقارع فتشفع له الحاضرون . هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه فما خلص إلا بعد الجهد الشديد . واتفق مثل هذا لبعض أمراء مصر في زماننا لما صلى الجمعة في أحد جوامع مصر وكان مغروراً بدولته مستبداً برأيه وربما نازعته نفسه في خلافه على مولانا السلطان نصره الله تعالى فأطنب الخطيب في مدحه بعد أن ذكر اسمه بعد اسم السلطان فلما فرغ من صلاته أمر بضرب ذلك الخطيب واهانته ونفيه عن مصر إلى بعض القرى . فهذا وأمثال ذلك ينفي للخطباء أن يلتمسوا سخط الله تعالى برضا الناس فان ذلك موجب لسخط الله تعالى والمقت الابدي نسأل الله العفو منه آمين اه

(٩) أذان الجمعة

انه لم يكن في عهد النبي ﷺ إلا اذان واحد لصلاة الجمعة وهو الاذان بين يدي الخطيب لان كل المؤمنين الموجودين في المدينة كانوا يجتمعون في المسجد ويتسابقون

---

(١) هذه دعوى باطلة لان زمن التشريع والاحكام الدينية ولا سيما الشعائر لم يكن فيه شيء من ذلك بل لم يكن فيه ملوك مفتونون بالتعظيم

(٢) وهذا باطل ايضا فان اعداءنا يحتقروننا بشدة اطرائنا وتذللنا للسلاطين

إلى التبكير اليه . وحدث الاذان الآخر في عهد عثمان رضي الله عنه للحاجة اليه بكثرة الناس وذلك معروف في كتب الصحاح والسنن المشهورة، وقد بيناه من قبل

(١٠) الزيادة في الاذان

مايفعله المؤذنون في كثير من البلاد من الاذكار وغيرها قبل أذان الصبح وأذان الجمعة على المنارة كله بدع وكذلك الصلاة على النبي ﷺ بعد الاذان متصلا به مع رفع الصوت ، ولا يدخل ذلك في عموم الذكر والصلاة عليه ﷺ الواردة في الاحاديث المطلقة لانه يجب علينا التزام ما كان عليه المسلمون في الصدر الاول من إطلاق وتقييد ولا سيما شعائر الاسلام كالاذان والاقامة فلا نزيد فيهما ولا ننقص منهما ، وقد شرحنا هذه المسألة مرارا، ولو قلت لمن يفعلون ذلك ولمن يقرونهم عليه هل لنا أن نزيد في إقامة الصلاة ذكراً أو صلاة على النبي ﷺ لقالوا لايجوز ذلك لانه من الشعائر التي يجب فيه التزام المأثور الذي كان عليه المسلمون في عهده ﷺ فقل أوليس الاذان كذلك ؟ وكذلك المدائح الشعرية التي يتغنى بها المؤذنون يوم الجمعة قبل الاذان بدعة ومنهم من كان يفعلها قبل الخطبة أيضا وقد كثر في عصرنا من أنكرها من أنصار السنة في ديار مصر والشام فتركت في كثير من المساجد وستترك في باقيها إن شاء الله تعالى

(١١) الوصية والوقف في اهداء العبادة للميت

الذي أعتقده ان العبادات البدنية لاتنفع إلا من عبد الله تعالى بها مخلصاً له فيها ، وان فاعلها لا يملك إهداءها الى غيره ولاينتفع بها من تهدى اليه وعلى هذا لا يصح أن يوصى لفاعلها بمال لاجل إهدائها للموصي ولا الوقف لاجل ذلك ،

ولكن بعض الفقهاء يرون أن ثواب قراءة القرآن يصل إلى الميت الذي يقرأ لاجله ويهدى ثوابه اليه كالصدقة لا الصلاة ويجيزون الوصية به والوقف عليه . فالمسألة مما تنازع فيه العلماء فوجب ردها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن كان أهلا لمعرفة أدلتها منهما وجب عليه اتباع ماظهر له من دلائلهما

بنفسه وإلا فبارشاد بعض العلماء بهما وقد بينت أدلة ذلك بالتفصيل في تفسير آخر سورة الانعام (ص ٢٥٦ ج ٨ تفسير)

(١٢) الذكر برفع الصوت في الجنائز

ان ما اعتاده بعض أهل الطرق وغيرهم من الذكر في حال تشييع الجنازة برفع الصوت وزيادة بعضهم قراءة أبيات من البردة كله من البدع ، وقد ورد النهي عن رفع الصوت في الجنازة مرفوعا وفي عمل الصحابة . قال ابن مفلح في الفروع ويسن الذكر والقراءة سراً وإلا الصمت ، ويكره رفع الصوت ولو بالقراءة اتفاقا قاله شيخنا وحرمه جماعة من الحنفية وغيرهم . وقال الشيخ الموفق في المغني :

ويكره رفع الصوت عند الجنازة لنهي النبي ﷺ أن تتبع الجنازة بصوت ، قال ابن المنذر روينا عن قيس بن عباس أنه قال ، كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند ثلاث : عند الجنائز ، وعند الذكر ، وعند القتال ، وذكر الحسن عن أصحاب رسول الله ﷺ ، أنهم كانوا يستحبون خفض الصوت عند ثلاث فذكر نحوه . وكره سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن والنخعي وإمامنا (اي احمد) وإسحاق قول القائل خلف الجنازة : استغفروا له ، وقال الاوزاعي بدعة وقال عطاء محدثة وقال سعيد بن المسيب في مرضه إياي وحاديهم هذا الذي يحدو لهم يقول استغفروا له غفر الله لكم ، فقال ابن عمر لاغفر الله لك ، رواهما سعيد ، قال احمد : ولا يقول خلف الجنازة سلم رحمك الله فانه بدعة ولكن يقول بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ، ويذكر الله إذا تناول السرير اه

(تصحيح وتنقيح في تفسير هذا الجزء)

سقط من السطر ١٨ ص ١٢ بعد كلمة شفاعته ما يأتي : والدعاء مشروع دون أخذ المال به أو عليه ، والرجاء باستجابته حسن ، واعتقاده بالجزم جهل .

ورمج (شطب) منه قولنا في السطر ٢٢ منها : لان قضاء الحاجات — إلى : أمثالهم .

وزيد في السطر الاول من ص ٢٤ بعد كلمة الخواص : الذين ليس لهم عيال — ووضع في س ١٢ منها : كلمة أفراد بدل جماعات ونهاهم عنه (ص) وقد طبع هذا في التفسير المستقل

مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات

— ١٢ —

الشبهات على حق المساواة في الميراث

كتب الدكتور فخري ميخائيل الكاثوليكي في محاضرته كل ما قاله الدكتور عزمي اللاديني في مناظرته ، وما أيدته به الآنسة هانم محمد — والظاهر أنها على عقيدته — من الشبهات على وجوب مساواة المرأة للرجل في الميراث ، وزاد شبهاتهما ايضاحا وشرحا ،إذ كان أوسع منهما وقتاً ،وانفرد عزمي دونه بزعم واحد ، وهو ان نظام الارث وضع في الاسلام للاستدراك على مافي أحكام الارث من جمود تقتضي أطوار الزمان الخروج عنه، فالمسلمون يتركون بعض أحكام الميراث بوقف أموالهم على من يريدون إعطاءهم من مال مورثهم فوق ما تعطيهم تلك الآيات .
هذا مافهمته من كلامه في هذا الزعم فأبدأ بالتصريح ببطلانه، ثم أنقل كلام الدكتور فخري بنصه وأفنده بالدليل العقلي فيتم الرد على الجميع

ألا فليعلم مفتجر هذا الزعم ان الوقف على الذرية بما يخالف الفريضة الشرعية ليس فيه نص من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ يرتقي في قطعيته الى أن يكون مخصصاً لكتاب الله تعالى ، بل هو من توسع بعض الفقهاء المختلف فيه بينهم وحجة من يقول ببطلان هذا الوقف وحظره ، أقوى من حجة من يقول بجوازه وصحته ، ومن القائلين ببطلانه المحققون من الحنابلة وقد صرحوا ببطلان قاعدة الحنفية: ان شرط الواقف كنص الشارع ، وانما الوقف الصحيح هو مايحبس على أعمال البر قربة لله تعالى ، وكل شرط خالف كتاب الله تعالى فهو باطل بنص الحديث الصحيح الذي لاخلاف في صحته ، وقد بينا هذا في المنار من قبل ،ولا محل له في هذا البحث،

ثم ان الذين ينتقصون من بعض أحكام الشريعة في الميراث انما يخالفونها في توريث البنات غالباً فيحبسون أملاكهم على الذكور وحدهم ، فالتطور الذي يحتج به طلاب المساواة بين المرأة والرجل في الارث يقتضي حرمانها منه البتة لا

مساواتها للرجل فيه ، فان الذين يقفون أطيانهم ودورهم على أبنائهم يرون أن بناتهم لسن أهلا لارث شيء منها لانهن صرن أو سيصرن أرومات لأسر (عائلات) أخرى غير أسرة أبيهن ، ومن ثم كانوا فاسقين عن شرع الله العدل المبني على أساس الحكمة والرحمة

وأما ما كتبه الدكتور فخري في بحث الواجب المالي للامومة على المرأة المقتضي للمساواة عنده فهذا نصه السقيم بحروفه

« على المرأة واجبات مالية للامومة لانها ــ رغم قيام الرجل بمصروفاتها وأطفالها ــ مكلفة بحالة عجز زوجها عن القيام بواجباته المادية نحو العائلة بالعناية بأطفالها وبنفسها على الاقل ، هذا إذا لم تفكر ــ بعطفها المعروف عنها كامرأة تحب ــ في العناية بزوجها في حالة عجزه . فاذا كان لها موارد ثروة خاصة فانها ستصرف على العائلة ، ولذلك طالبنا بتعليم الفتاة حتى العلوم العالية أو الفنية التي تليق بها لترجع الى هذه المعارف إذا اضطرتها الظروف المعيشية الى الجهاد للحياة ، فتكون أسلحة الجهاد الشريف بين يديها . ومن هذا ترون أن المرأة عليها واجبات مالية للامومة رغم عناية الزوج بهذه الواجبات . وفي حالة قيام الزوج بكل واجبات العائلة المالية ثروة الزوجة تختزن للظروف ولتحسين حالة أبنائها وبناتها من بعدها سواء بسواء كما لو كانت الزوجة غنية وزوجها فقير فانهما سيصرفان على قدر ثروة الزوج إذا كان أبياً وسيخزنان ثروة الزوجة للاولاد . وأما إذا قبل الزوج الصرف من مال زوجته فستكون مورد رزق العائلة

«هذا من جهة المرأة وواجبها نحو الامومة المتزوجة فما بالك في أمومة مترملة أو أمومة مطلقة أو أمومة غير شرعية ... ؟ هي هي كل شيء في القيام بحمل الصرف المالي على هذه الامومة ، ومن هذا ترون حضراتكم أن المرأة معرضة في حياتها لحمل عبء الامومة حملا تاما كالرجل ، فلست أدري لماذا يريد الرجل أن يعطيها نصف حقه في الميراث وهي انسانة مثله لها الحق في التمتع بميراثها كأخيها الرجل وعليها واجبات نحو أمومتها لا تقل عن واجباته نحو زوجته أهمية

« وان كان حق الميراث ناتج عن البنوة فهي أكثر منه عطفا على والديها وهي

أكثر منه براً بهما في شيخوختهما وفي مرضهما وفي ساعات بؤسهما وشقائهما»

هذا نص ما كتبه الدكتور فخري بعد قدح زناد الفكر، وطول التروي في الامر، ثم ألقاه في قاعة الخطابة من المدرسة الجامعة الاميركانية التبشيرية ، كتبه بعد هذيان كثير في شأن المرأة وظلم الرجل لها وقفي عليه بما تقدم تفنيده في المقالة الماضية من التحكك بالشريعة الاسلامية. وهو يفرض بل يزعم أن أحكام الشريعة من تحكم الرجال وظلمهم للنساء

واني أفند هذه الشبهات الواهية بصريح من القول لا أدعمه بشيء من المسلمات الخطابية، ولا أزينه بشيء من التخيلات الشعرية ، ولا أشينه بشيء من الافك والبهتان، ولا من مكابرة الحس والوجدان، كما فعل فخري، وسبقه إلى مثله سلامه موسى وعزمي ، وأبني التفنيد على رد كلامه وأقصد به الرد على جميع هؤلاء الدعاة الى فوضى الالحاد فأقول

يعترف هؤلاء الذين يوجبون بأهوائهم مساواة المرأة للرجل في الميراث بأن الرجل هو الذي ينفق على المرأة وعلى أولادها منه، ويعلمون ان هذا واجب لها عليه في الشريعة الاسلامية لها حق المطالبة به ، وان القاضي الشرعي يحكم لها به ويكره الرجل عليه في حال الامتناع ، وان لها أن تقترض عليه ، ولا تكلف أن تشترى لنفسها رغيفاً ولا ثوباً ، وان كانت أغنى من (هدى شعراوي) ولعلهم لا يجهلون أيضاً انه اذا امتنع أو عجز عن النفقة كان لها حق فسخ عقد الزوجية، وكان على القاضي أن يحكم بذلك اذا طلبته منه وثبت عنده الامتناع ثم هم يعرفون بانها اذا انفقت شيئاً في دارها على نفسها أو اولادها فانما تكون في حكم الشريعة متبرعة متفضلة، وان قال الدكتور فخري انها «واجبات مالية للامومة» فانه لا يفهم المعاني الصحيحة للالفاظ التي يكتبها وان كانت اقرب الى لغته العامية منها الى العربية الفصيحة، الا ترى انه لا يميز بين ما للامومة وما عليها ؟

ثم انه يصرح بأنه في حال قيام الزوج بكل ما يجب للعائلة من الحقوق المالية « تختزن ثروة الزوجة للظروف ولتحسين حالة أبنائها وبناتها من بعدها » يعني انها تكون مالا احتياطيا للعائلة يخزن في الصندوق الى وقت الحاجة اليه ولو بعد الموت

فليخبرنا هؤلاء الجناة على الشريعة الحق العادلة ، وعلى أفضل النظم لقوام العائلة ، أي عقل وأي قانون مالي في العالم يجعل المال الاحتياطي الذي يدخر

للحاجة العارضة في المستقبل مساويا للمال المعد في الميزانية لجميع النفقات الواجبة التي لايمكن تأخير شيء منها ؟

نقول هذا وهو برهان لايمكن رده على بطلان قولهم — على تقدير صحة زعمهم ان مال الزوجة المكنوز احتياطي مدخر للعائلة ، وهو لايصح على اطلاقه بالاطراد كما هو مشاهد في هذا الزمان ، وسيصير شاذا اذا تفاقم خطب هذه الفوضى في حرية النسوان ، التي يسرف فيها دعاة الخروج على الشريعة والفسوق من هداية الاديان

والحجة عليهم أظهر فيما ظنوا ان الحجة لهم فيه وهو ماعبر عنه الدكتور فخري بقوله « فما بالك في أمومة أرملة أو أمومة مطلقة ، أو أمومة غير شرعية » وهو يعلم من فساد هذه الأمومات الآن مالا يعلمه أكثر الناس ونقول قبل البحث فيها ان المطلقة الرجعية زوجة تجب لها النفقة ، فاذا لم يراجعها الزوج قبل انقضاء عدتها بانت منه وصارت كالارملة ، وكثيراً ماتتزوج المرأة منهن وتنفق جل ما كانت تدخره في سبيل الزوج الجديد إن لم تنفقه كله ، ومنهن من تقف أملاكها عليه وعلى أولاده منها دون أولادها من مطلقها ، وقد وقع في هذه الايام ان امرأة وقفت عقارها على زوجها وعلى أولاده من غيرها !

هذا مايقع كثيراً ممن عندهن بقية من الدين ، وأما اللائي قضت حرية الاباحة على عصمتهن الدينية فهن ينفقن ماادخرن من الثروة في سبل اتخاذ الاخدان ، والتمتع بالفسوق والعصيان ، ومن أغرب ماسمعته من أخبارهن في هذا العهد ان الوطنيات منهن يفضلن الاجانب من الاخدان على الوطنيين وينفقن عليهم الألوف الكثيرة من الجنيهات ، وان بعض الوطنيين سأل بعضهن عن سبب هذا الاختيار والتفضيل قائلا : ألسنا نحن أولى بكن من «الخواجات» فكان الجواب إنكم أنتم كثيرو الكلام دون الخواجات . وأخبرنا بعض المحامين ان أرملة من هؤلاء الارامل الغنيات ورثت من زوجها مالا كثيرا ولم يعجبها قصر أبيها الغني بعد أن أقامت فيه مدة قليلة فاستأجرت لنفسها داراً واسعة زينتها بأحسن الاثاث والرياش والماعون واتخذت فيها الخدم الكثيرين ، وكان مما عابته من دار أبيها ان الثلج يأتي إليها متأخرا ! !   للمقالات بقية

باب الانتقاد على المنار

﴿ انشقاق القمر . هم يوسف بامرأة العزيز . التأويل لدفع الشبهات ﴾

جاءت الرسالة التالية من البصرة بعد طبع جزء ذي الحجة فنشرناها في هذا الجزء وإن كانت على خلاف شرطنا والشرط العرفي عند أرباب الصحف وهو أن لا ينشر واشيئا لمن يكتم اسمه عنهم وهي

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الكريم المصلح الكبير والعالم الشهير السيد محمد رشيد رضا حفظه الله وبارك له في سعيه وسدده في كل ما يأتي وما يذر آمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد استفدت من الجزء الاخير في المنار الاغر ميلكم إلى عدم انشقاق القمر معجزة للنبي ﷺ معللين ذلك بما يأتي ولرجائي أن أكون معكم من المتعاونين على البر والتقوى سأبدي رأيي راجيا العفو عما أتقدم به : ان أحاديث الانشقاق أتت في عامة الامهات لاسيما الصحيحين على ما فيها من حسن وصحيح ومرسل ومسند وأثبته التاريخ العربي والعجمي ، واظهر من ذلك أن الآية في الانشقاق قد كانت تتلى بمحضر المسلم والكافر فلم نسمع بمنكر مع أن الضد بالمرصاد ومضى على ذلك القرون الكثيرة ما بين ناقل لذلك ومقر عليه .

واختلاف الاحاديث فيه مع ورودها على معنى واحد وهو الاثبات لا يوجب الرد ، واتفاق آية (سبحان) مع آية الانشقاق سهل يسير وهو ان آية سبحان دلت على منع الاقتراح المعين وآية الانشقاق أتت بغير اقتراح أو باقتراح لم يعين ، هذا ما دلت عليه الاحاديث المعتمدة ، وأما مجيء آية الانشقاق باقتراح معين فلا يصح كما بينتموه وفرق بين حصول الآية باقتراح معين وحصولها بغير اقتراح أو باقتراح لم يعين ، القسم الاول يعقبه الهلاك لانه جاءهم عين ما طلبوا فلم تبق لهم شبهة ، وأما القسمان الاخيران فلهم شبهة تدرأ نزول العذاب بكون الآية لم تقنعهم ،

وأما تفسيركم الآية بان الانشقاق كناية عن ظهور الامر واتضاحه واستشهادكم عليه من اللغة فلا ريب أن العرب تقول انشق الصبح بمعنى ظهر وبان ، وأما انشق القمر بمعنى ظهر الحق وبان فلا نسلم ان العرب تستعمل مثل ذلك ويكاد أن يكون لغزاً لا يتفق مع بيان القرآن

وقد ذكرني ذلك تفسيركم لهم يوسف بامرأة العزيز بالضرب وكلا التفسيرين بالنفس منهما شيء فقوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) دليل على أن المتقدم أمر لا يليق بمنصبه الشريف والهم عارض لامستقر ولا هو بوسع الانسان وإذا دفعه بعد رؤية البرهان فهو من الكمال ولا يمس منصب النبوة بسوء

ومما يناسب ذكره قولكم جوابا لرسالة عالم القصيم عبد الرحمن السعدي «قد يكون التأويل هو المنقذ الوحيد في الرد على» الخ وهذا لا يتفق مع جهادكم الجهمية وأمثالهم وليس في القرآن ولا السنة ما ظاهره يحتاج للتأويل على شرط أن يؤخذ الحكم من مجموع السياق لا من مفرداته

وأما قولكم لا علاقة بين الانشقاق ودعوى النبوة حتى يكون علامة عليها فله علاقة لاصقة وهي انه لما أخبر الله باقتراب الساعة التي هي خراب العالم أجمع وكانت قريش تنكر ذلك أراهم الله آية محسوسة وهي شق القمر فرقتين فالقادر على تخريب هذا الجرم الكبير واعادته كما كان قادر على إيجاد الساعة التي أخبر بها الرسول ﷺ والآية بعدها تثبته ، وأما تصدير الجملة بالشرط فهو يفيد انهم سيكذبون بكل آية يأتي بها الرسول ﷺ ليس التكذيب مختصاً بهذه المعجزة وإن رغبتم الوقوف على كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في الانشقاق فهو في نمرة ٥٥ من الجزء الاول من الجواب الصحيح وبالختام أرجو الله أن يكون معكم وفي عونكم كما اننا نسأله أن يجعلكم مؤثرين للحق ، وقد علمت من بعض الاخوان محبتهم لمبادلتكم الافكار في شيء من البحوث بيد انهم يخشون عدم رغبتكم فهذا رأيي الضعيف ، والمرجو أن عفوكم يسع ما تقدمت به حضرتكم

صديق نجدي

﴿ تعليق المنار ﴾

رغبتنا في انتقاد المجددين

لقد كان أخونا الكاتب في غنى عن الاعتذار وطلب العفو في أول رسالته وآخرها ، فانما يكون الاعتذار وطلب العفو عما كان ذنباً وان في العرف ، ونحن نسر بالانتقاد ونعده إحسانا الينا وإلى قراء مجلتنا لانه من أسباب تمحيص الحقائق، ولاسيما انتقاد طالب الحق المخلص فيه ، بخلاف مريد النيل من المنتقد عليه ، أومريد إظهار علمه إعجابا به . وقد سبق لنا أن نشرنا لبعض المنتقدين مافيه تصريح بتجهيلنا بل مايتضمن تكفيرنا لئلا يتوهموا اننا تركنا نشره كراهة لاظهار علمهم أولاجل إخفاء جهلنا ، ومنه مالامنا كثير من فضلاء القراء على إضاعة وقتنا ووقتهم به

وكأن سبب ما ذكر من حب بعض الاخوان لمبادلتنا الافكار وخشيتهم عدم رغبتنا في ذلك أنهم لم يروا في فواتح مجلدات المنار أو خواتيمها دعوة القراء إلى أن يكتبوا لنا مايرونه فيه مخالفا للحق أو لمصلحة الامة

وأزيدهم انني كنت منذ سنين كثيرة أتمنى لو يطلع علماء نجد على المنار ويكتبون الينا بما يرونه فيه منتقداً لما نرجو أن نستفيد منهم ويستفيدوا منا ، أما الاول فلأنهم لشدة اعتصامهم بالسنة ومقتهم للبدع والمعاصي وقلة وجودها في بلادهم وقلة قراءتهم للكتب التي يكثر فيها تأويل بعض البدع وعدها مشروعة يكون لهم دقة نظر في نزغات الشرك الخفية والمشتبهات بين الحلال والحرام والتأويلات المنكرة وسائر ما يخالف طريق السلف مما قد يخفى علينا بعضه أو يفوتنا إنكاره لكثرته وألفته بكثرة أهله وكثرة كتبهم — وأما الثاني فلأنه يخشى أن يكون من لوازم التشدد في الدين وقوع بعضهم في الغلو المنهي عنه بعد بعض المباحات المستحدثة من البدع المنكرة، اوماليس من الشرك الجلي منه، أوتحريم مالم يحرمه الله ورسوله ، ويدخل في هذا بعض العلوم والفنون والصناعات الحادثة التي تقوم الدلائل على ندبها أو وجوبها لمافيها من المصالح العامة في قوة الامة والدولة الحربية والمالية

وقد كنت كتبت إلى إمام نجد منذ بضع عشرة سنة كتابا ذكرت له فيه انني أرغب في إطلاع علماء نجد على المنار ومطالبتهم بأن يكتبوا إلي بما يرونه فيه منتقداً بالادلة الشرعية لاجل نشره وفتح باب المناظرة بيني وبينهم فيه وانني سأرسل اليه عشر نسخ من كل جزء لاجل توزيعها على كبارهم هدية مني، وقد ظللت أرسل هذه النسخ من طريق البحرين عدة سنين ولكن لم يصل إلي ما يدل على وصولها فلا أدري مافعل الله بها ، ولكن علمت أن عمال البريد البريطاني الذي ينقل الرسائل والمطبوعات إلى بلاد العرب من طريق الهند كانوا يمنعون بعض مالا يحبون وصوله الى أهله من المطبوعات حتى إذا كانت الحرب العامة اشتدت المراقبة عندهم وفي جميع مكاتب البريد الدولية ، وكثر اختزال كل ما يرونه ضاراً بسياستهم ولو بالشبهة البعيدة

ولما صار يسهل على النجديين الاطلاع على المنار في الحجاز لم يبلغني عن أحد منهم انتقاد على شيء مما ينشر فيه ولو في أحاديثهم مع بعض الناس إلا ونشرته وبينت ما عندي فيه الا أن يكون شيئا سخيفا يعد نشره إهانة لقائله ولا يفيد أحداً

بعد هذا التمهيد المقصود لذاته في باب الانتقاد على المنار أقول :

مسألة انشقاق القمر

(١) ان شراح دواوين السنة ولاسيما فتح الباري شرح صحيح البخاري وبعض المفسرين قد ذكروا أن بعض الناس أنكروا هذه القصة وان بعضهم استشكلوها من عدة وجوه منها انها مما تتوفر الدواعي على نقل الامم لها بالتواتر ولم تنقل كذلك فمن المستغرب أن يدعي المنتقد إثبات تواريخ الامم لها وأن جميع الناس تلقوها بالقبول

(٢) ذكرنا ان الاشكال الاكبر عليها عندنا هو التعارض بين الحديث والآيات الكثيرة في مسألة التحدي بالقرآن ولا حاجة إلى شرحه هنا، ولم أر أحداً من العلماء ذكره وأجاب عنه كما ذكروا غيره من الاشكالات وأجابوا عنها ، وليس التعارض بين آية الانشقاق وآية الاسراء وحدها بل هنالك آيات متعددة ذكرنا بعضها في بحثنا ، فمن كان يرى أن لا تعارض في المسألة كالمنتقد فلا إشكال عنده فيها وها نحن أولاء قد ذكرنا دليله على عدم التعارض ونود أن يقبله جميع الناس، ولهذا لا نرد على

مانرى فيه من ضعف ، فانه لا غرض لنا من البحث كله إلا أن يكون القرآن في الافق الأعلى من توجيه أي اعتراض عليه فيتضاءل دون وصوله اليه ، إلا اننا نقول ان صح فرضه ان الآية وقعت بدون اقتراح زول هذا الاشكال من أصله

والفرق بيننا وبين من يكتبون لتأييد مذهب كلامي أو فقهي ان هؤلاء على اختلاف صفاتهم لا يقبلون ما يخالف مذاهبهم . وأما نحن فلا نلتزم مذهب امام معين فنجعله أصلا ترد اليه نصوص الكتاب والسنة بل كلام الله ثم كلام رسوله عندنا فوق كل مذهب وكل امام فكل ما وافقهما فهو مقبول عندنا وكل ما خالفهما فهو مردود ، فان تعارضا ولم نهتد إلى الجمع بين المتعارضين ببحثنا ولا بارشاد غيرنا لم يكن لنا مندوحة عن ترجيح كلام الله تعالى وهو القاعدة المتفق عليها عند سلفنا الصالح وأئمة السنة. وأهون من ذلك أن يكون التعارض بين نص كلام الله أو كلام رسوله وبين أقوال مروية عن بعض الصحابة في بيانهم لشيء منهما كحديث انشقاق القمر فانه لم يروه أحد مرفوعا إلى النبي ﷺ

(٣) قوله : وأما تفسيركم لانشقاق القمر الخ يدل على انه تفسير انفردنا به لم يسبقنا اليه أحد ، وليس الامر كذلك وانما نقلناه عن غيرنا واخترناه على تقدير ماظهر لنا في الرواية . وعدم تسليمه إياه ليس حجة على الذين قالوا به وهم أعلم منه ومنا بهذه اللغة وناهيك بالراغب صاحب كتاب مفردات القرآن الذي لا نعرف أحداً من علماء اللغة يحدد معاني الكلمات العربية مثله . ولا تتوقف صحته على سبق نطق العرب به فالقرآن حجة على العرب وغيرهم وكم له من تعبير مبتكر لم يعلم نطق العرب به بل يعجزون عنه. وقد نقله شارح القاموس عن الراغب وأقره ولم يقل ان اللغة العربية تتبرأ منه ولا انه لا يفهم ويصح أن يعد من الالغاز . ولعله لو لم ينقل عن العرب قولهم انشق الفجر والبرق لعده المنتقد مما لا يفهم أيضاً

(٤) ماذكره من العلاقة بين دعوى النبوة وانشقاق القمر بصرف النظر عن الحديث فيه وهو إثبات قدرة الله على البعث غريب جداً ولا حاجة بنا إلى المناقشة فيه ولا سيما دلالته وانما نذكره بأنه يخرج بالحديث عن موضوعه وعن كونه تفسيراً للآية ، وبان العرب لم تكن تنكر قدرة الله تعالى وما كل مايقدر تعالى عليه يفعله

(٥) ما كتبه شيخ الاسلام في المسألة قد اطلعنا عليه من قبل وهو مبني على المشهور المسلم من أن القمر قد انشق جرمه بالفعل وأن المنكرين لذلك من المخالفين فيه انما ينكرونه لأنه معارض عندهم بعقولهم وبقول علماء الهيئة المتقدمين ان الفلك لا يقبل الخرق والالتئام ويرد عليهم كغيره بقدرة الله على ذلك .

وقد بينا أن مسألة الافلاك واستحالة عروض الخرق والالتئام لها نظرية يونانية سخيفة أجمع علماء الفلك في هذا العصر على بطلانها ، ولو فكر شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في مسألة معارضة الآيات لحديث اقتراح كفار قريش على النبي ﷺ آية على صدقه وكون القمر قد انشق إجابة لهم إلى هذا الاقتراح كما جرى عليه هو وغيره أخذاً بحديث أنس المرسل وكون المعارضة من وجهين أحدهما الاكتفاء بالقرآن في إقامة الحجة على رسالته ﷺ ، وثانيهما كون إعطاء الآية باقتراح الكفار يقتضي وقوع العذاب كالذي وقع على الاولين ، وثم وجه ثالث مصرح به في بعض الآيات وهو عدم الفائدة في إجابتهم اليها ـ نعم لو فكر وأجال قلمه السيال في هذا لرأينا من تحقيقه فيها مالا يدع مجالا لقائل ، كدأبه في أكثر مايحققه من المسائل ، ولكن شغله عن التفكر في هذا توجيه همته كلها إلى الرد على أولئك الفلاسفة والمبتدعة الذين يردون كل ما يخالف نظرياتهم وآراءهم . وهذا الفقير على اعترافه بل افتخاره بأنه استفاد من كتب شيخ الاسلام قدس الله روحه ما كان أعظم مثبت لقلبه ومقو لحجته في مذهب السلف الصالح يصرح بأنه على إعجابه بتحقيقه لا يقلده في شيء من أقواله تقليداً ، بل يعده ممن يدخل في عموم قاعدة الامام مالك (رض) كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر ـــ يعني النبي ﷺ ، ومن المعلوم ان له كأمثاله من المجتهدين عدة مسائل انفرد بها أو اختارها على ماهو أقوى منها في مذهب الامام احمد لا يوافقه جمهور الحنابلة عليها كلها ومنهم علماء نجد المتأخرون

مسألة هم يوسف وامرأة العزيز

استدل الاخ المنتقد على رد ما اخترناه في تفسير قوله تعالى (ولقد همت به وهمّ بها) بأن قوله بعده (لولا أن رأى برهان ربه) يدل على أن موضوع الهم لا يليق بمنصب يوسف الشريف (ع.م) وهو غفلة منه عن كون همه بمثل ماهمت به من الانتقام

بالضرب لا يليق بمنصبه الشريف أيضاً ، وإذا كان الضرب الخفيف من المعاصي الصغائر في نفسه فهو في مثل هذه الحال قد يفضي إلى القتل أو الى مايقرب منه كما وقع لموسى عليه السلام إذ وكز القبطي دفاعاً عن الاسرائيلي فقتله

وليعلم الاخ المنتقد أني مااخترت هذا القول لأجل موافقة الآية لقول من قال من المتكلمين بعصمة الانبياء عليهم السلام قبل النبوة وبعدها من كل ذنب ، فالقرآن عندي فوق المتكلمين وغيرهم ، بل فوق كل علم وكل شيء خلقه الله . واني اقول ان آدم قد عصى ربه حقيقة كما قال الله تعالى بغير تأويل ، وانما اخترت ذلك القول في الهم لانه المتبادر من استعمال اللغة والموافق للمعهود من طباع البشر والمؤيد بما بعده مما بينته في محله ، وقد قال به بعض العلماء قبلي

مسألة التأويل

ماقاله المنتقد في مسألة التأويل مجمل وهو يدل على انه لم ير في المنار ولا في تفسيره شيئاً مما كتبته في هذا الموضوع مراراً وملخصه أن ماأدين الله تعالى به في صفات الله تعالى واخبار عالم الغيب وغيرهما من كل ما كان عليه السلف من أمر الدين هو اتباع جمهورهم في اثبات ماأثبته الله تعالى ورسوله ونفي مانفياه من غير تعطيل ولا تأويل . وانني ان ذكرت لبعض الآيات في ذلك تأويلا فانما أذكره لما أعلم بالاختبار من أن من الناس من لا يقتنع بحقية النص بدونه مع العلم بان علماء السنة قد صرحوا في القديم والحديث بان من خالف ظواهر النصوص متأولا لا يكفر . وان انقاذ كثير من الناس من الكفر بضرب من التأويل الذي ينافيه أمر عظيم و « لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم »

وأما قوله انه ليس في الكتاب ولا في السنة مايحتاج الى التأويل الخ ان أراد به تأويل غلاة المبتدعة كالباطنية وقدماء الجهمية المعطلين المخرج للكلام عن مدلولات اللغة فهو حق وهذا لا يجوز بحال من الاحوال ولا هو بالذي يعد عذراً للمتأول — وان أراد به مايشمل صرف الكلام عن ظاهر مدلوله اللغوي الذي يسمى حقيقة لغوية إلى مجاز أو كناية أو تمثيل فقد قضى على بلاغة القرآن وسعة علومه قضاء لا يقوم عليه دليل بل يقوم الدليل على خلافه وقد صح في الاحاديث المرفوعة تأويل بعض الآيات كما يرى في

تفسير (يوم يحمى عليها في نار جهنم) من هذا الجزء. ومجال القول في تأويل الاحاديث أوسع لان أكثرها منقول بالمعنى ولم يتواتر باللفظ إلا قليل منها كما صرحوا به. وماذا يقول المنتقد في حديث خروج النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى فوق السماء السابعة؟ ومنابع هذين النهرين وغيرهما في الارض معروفة بمساحتها ومجاريها يستطيع أن يراها كل أحد ولاسيما النيل، أفلا يحتاج هذا الحديث إلى تأويل؟ ولا يتسع هذا التعليق لأكثر من هذه الكلمة الموجزة فيه وفي أصل التأويل، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

أنباء العالم الإسلامي

أحوال مسلمي روسية

جاءنا الخطاب الآتي مطبوعا فنشرناه مع تصحيح قليل وحذف بعض المكرر منه

إلى العالم الاسلامي

عالمَ الاسلام! هل تعرف كيف يعيش إخوانك المسلمون في روسيا؟ هل تتصور كيف يتألمون من الظلم هناك؟ هل تشعر كيف ينال الثلاثين مليون مسلم حرب دينية لم يسبق لها مثيل في التاريخ؟ لا، لاتعرف ذلك ولا ترى ولا تشعر بذلك. أنت لاتسمع العويل من هذا الرق. فلو تصورت دماء المسلمين المراقة هناك منذ ١٢ سنة والدموع السائلة، والزفرات الصاعدة، ما كنت ترضى بها دون أن تقوم ضدها. ولو نظرت إلى الآلام التي يصاب بها المسلمون لأنهم مسلمون ما كنت تحافظ على قلة اهتمامك حتى الآن.

عالم الاسلام! انظر إلى الاحوال هناك!

يعيش في روسيا في الاصقاع المختلفة مثل قريم والقوقاس والتوركستان والولغا واورال ٣٠ مليون مسلم لم يهاجروا إلى تلك البلاد من بلاد أخرى بل هم أهلها الاصليون. وقد وقعت بلادهم الغنية الجميلة في أيدي الروس المتعصبين الذين لايعرفون احترام الاديان الاخرى وصاروا رعيتهم. وبذلك اضطروا

إلى مقاومة الظلم الروسي منذ عصور ، الذي (كان) يرمي إلى تنصيرهم وجعلهم روسا بالقوة . وليس من النادر أن ماتوا في الحرب من أجل دينهم المحترم المحبوب موتة فظاعة وشهادة . وهم أبوا إجابة طلب ظالمهم أن يخونوا مدنيتهم التي جاوروها واتصلوا بها عصوراً طويلة ويتخذوا مدنية غريبة . وقد تحملوا لثباتهم ضحيات كبيرة جداً وبالرغم من الظلم قد دافعوا عن عقيدتهم حتى الآن ، وإذ لم يستطع الروس تنصيرهم فقد استطاعوا محو أكثر معالم مدنيتهم .

والآن (صارت) الامة الروسية متهافتة على شيوعية متعصبة كما كانت متهافتة على نصرانية متعصبة . وهي تفكر في جعل روسيا الواسعة شيوعية وفي إدخال الثلاثين مليون مسلم في الدين الجديد اللينيني ، وتريد قطعهم عن دينهم ذي الالف سنة وعن عاداتهم الاسلامية وهكذا تخرب الجماعات الاسلامية التي تعيش هناك وتهدم المدنية الاسلامية .

عالم الاسلام ! ان الاصقاع الاسلامية سواء كانت حرة سياسية أو تحت حكم حكومات أوربية لم تر ظلما مثل ما في روسيا . اسمعوا ماذا يحدث هناك : في مدن وقرى هؤلاء الثلاثين مليون مسلم أغلقوا المدارس التي يدرس فيها الدين . واليوم لا يوجد ولا مدرسة تعلم الامة القديمة الاسلامية الاسلام ، والتي تخرج لهذه الامة الامام ، والمؤذن ، والخطيب والواعظ . هذه المدارس صارت معسكرات (كومونيستية) وليس هناك حرية لاعادة المدارس ثانية . كانت تطبع من قديم لسد حاجة الثلاثين مليون مسلم في مطابع اسلامية ملايين من نسخ القرآن والكتب الاسلامية . وكان هناك ٤٠ — ٥٠ مطبعة وآلاف من المكاتب التي لم تنشر هذه الكتب بين المسلمين في روسيا فقط بل كانت ترسلها إلى عالم الاسلام أجمع . الآن لا يوجد شيء من هذا ، فحكومة موسكو امتلكت المطابع كافة . فبدلا من القرآن والكتب الاخرى تطبع الآن المقالات الشيوعية . والمكاتب الاسلامية ومحتوياتها أخذت من طرف الحكومة البولشفية ونهبت ، ومنذ تحكم البولشفية في بلادنا لم يطبع القرآن ولا كتاب ديني ، لان طبع وتوزيع أي كتاب ديني ممنوع ، واستجلاب الكتب الدينية من الخارج مستحيل وفاعله يعاقب

عالم المحمديين ! انت حر في احترام دينك اينما تعيش في وطنك أو في أوربا أو في افريقيا لايمنعك عن ذلك أحد ، ويمكنك أن تقوم في كل وقت بصلواتك وصيامك . ويمكنك أن تعيد أعيادك في بلدان أوربا الكبرى كبرلين ولندرة وباريس وروميه كما تحب ، وان الاوربي والاميريكي يحترم دينك وصلاتك ، ولكن الحال في روسيا الكومونيستية الحالية غير ذلك . هناك تعد الصلاة والدعاء والصيام والذهاب إلى الجامع جريمة . والموظف يضيع وظيفته إذا صلى وصام . وإذا ماعقد زوجان شابان زواجهما على يد إمام يطردان من وظيفتهما ، وإذا رؤي عامل في الجامع وجب عليه ترك شغله . وفي أيام العيد الاسلامية تقام مظاهرات بالموسيقى والابواق أثناء صلاة العيد لجرح عواطف المسلمين ، وهؤلاء المظاهرون يدورون صارخين حول الجامع ليشاغبوا على المصلين في صلاتهم وسكوتهم ، ويرمون المصلين بالاقذار ، ويقذفون الاسلام ونبينا محمداً ﷺ بأقبح الكلام ، ويغنون أغاني قذرة على قديسي الاسلام ، وفي عيد الاضحى يأتي هؤلاء المظاهرون ببعض الخنازير ويدعوها تصيح أثناء الصلاة ، ويذبحوها قرب الجامع وهم يسمونها ضحية ، وأولاد المسلمين الذين هم تلاميذ يضطرونهم لأكل طعام الضحية من الخنزير ، وكل هذه المسائل تحسب من ذنوب الحكومة الشيوعية ، وبمساعدة الحكومة يقوم عسكر وموظفون ودرك في مثل هذه الاعياد الاسلامية بهذه الفظائع التي تثقل الضمير الاسلامي .

عالم الاسلام ! ان المؤمنين الشجعان يذهبون لنجاة أرواحهم كل سنة آلافا مؤلفة إلى البلاد المقدسة ويحجون إلى الكعبة المقدسة ، ويمسون بوجوههم القبر المقدس للنبي عليه السلام ، ويطلبون رحمة القديسين (١) وهم يرجعون فرحين مؤمنين إلى أوطانهم . وقد كان مسلمو الروسيا يزورون في السابق

(١) المنار : القبر الشريف لايمسه أحد من الزائرين بل قلما يراه أحد لانه في الحجرة النبوية الشريفة وانما يقف الزائرون امام الحجرة ويسلمون على النبي (ص) وعلى صاحبيه رضي الله عنهما . ويدعون الله تعالى وحده ويطلبون رحمته لا رحمة القديسين ، ويعني بهم الكاتب الصالحين ، والتعبير بالقديسين اصطلاح نصراني

أيضا البلاد المقدسة ، وهناك يقابلون المسلمين من أقطار أخرى ، ويتزودون بحديثهم تجارب دينية ، فكان يذهب لا أقل من عشرة آلاف حاج إلى البلاد المقدسة ، أما اليوم فلا نراهم ولا نسمعهم هناك أحد ولم ير منذ اثني عشر عاما حاج واحد من روسيا لأن السيادة الشيوعية تمنع الحج (١)

عالم الاسلام : في كل مكان حيث أنت موجود يمكنك أن تسير على القوانين الاسلامية وتتبعها . وأئمتك ومؤذنوك ومدرسوك وجميع وكلاء الدين الآخرين محترمون وقد كان الامر في بلادنا أيضا كذلك .

أما الآن فمنذ وقعت بلادنا تحت الحكم البولشفي فان أئمتنا وخطباءنا ووعاظنا ومؤذنينا ليسوا محترمين . وأنهم خارجون عن كافة الحقوق الانسانية حسب القوانين الكومونيستية ، ولا يمكنهم أن يتقلدوا وظائف دنيوية أو معنوية ولا يمكنهم ان ينتخبوا او يُنتخبوا ولا ان يشتركوا بالرأي والمشورة عقلياً . بل هم تماما بلا حقوق . وقد وضع عليهم بصفتهم من طبقة دينية خاصة ضريبة . وهي أن يدفعوا ٤٠ ـ ٥٠ في المئة بل ١٠٠ في المئة أكثر مما يدفع سائر الناس من الضرائب واذا لم يستطيعوا الدفع لفقرهم فان الحكومة البولشيفية تصادر دورهم وأملاكهم وترسلهم إلى سيبيريا .

أيها المسلمون : كان عندنا قريب ٢٥٠٠٠ جامع وهذه كانت تبنى منذ ألف سنة من الجماعات الاسلامية وقد اشتريت لها من دراهم المسلمين سجاجيد وماشابهها وأسست خزائن مخصوصة للمحافظة على هذه الجوامع ، وهذا كله مالنا وارثنا من آبائنا ، ولكن بعد أن وقعت بلادنا في أيدي الكومونيست أعلنوا ان هذه الجوامع وخزائنها هي أميرية اي ملك الروس السكاو . وقد نهبت السجاجيد والاشياء الثمينة التي في الجوامع وصودرت السجادة التي وهبها الخليفة السلطان محمد رشاد سنة ١٩١٧ للجامع بطرسبورغ (اليوم لينينغراد) ويطلبون للصلاة في الجامع ضريبة خاصة ، وهذه الضريبة عالية فوق الطاقة . وان الجوامع التي لا تدفع جماعاتها ضرائبه

(١) منذ خمس سنين حج بعض مسلمي روسية وحضروا المؤتمر الاسلامي بمكة المكرمة وما سمعنا ان أحداً منهم حج بعد ذلك

تغلق أو تجعل أندية عامة أو صالات رقص ولعب او مدارس غير دينية ، او إلى حانات حمراء . وكثير من الجوامع التاريخية القيمة تخرب وتهدم ، وأما في وطننا (إيدل أورال) (ولغا أورال) — وهي مركز الادارة العليا للمسلمين في روسيا — فان حرب الاديان في منتهى الشدة . وفي سنة ١٩٢٩ تأسست في (ايدل اورال ، قازان استراخان ، اوفا ، أورينبورغ) بمساعدة الحكومة جمعيات لادينية من العسكر والموظفين لهدم كافة الجوامع ، وهؤلاء يغلقون الجوامع بالقوة ، وينهبون من المقابر الاسلامية الاحجار التاريخية والشبابيك من قبور القديسين ويخربونها .

وقد أغلق في السنين الاخيرة في باشكيرستان قسم من (ايدل اورال) عدد كبير من الجوامع ، وقيل كثير من الروحيين من وظائفهم ، نأخذ هذا كله من الجريدة الكومونيستية الرسمية (ينا اول) وان عدد الذين استقالوا مضطرين : ٥٠٢ من الائمة و ٣٦٣ مؤذنا وأغلق ١٠٣ من الجوامع

نحن ننظر الى هذه المظالم في المسلمين في الروسيا ونعطي هذه التفاصيل كمحاربين لاستقلال منطقة (ايدل اورال) ونرجو المساعدة منكم ومن باقي اخواننا في العقيدة ، أفق ياعالم الاسلام ولا تدع عقيدتك تدنس بايد وسخة ، ولا تسمح بان يداس اخوانك بارجل الظلم ، فاستيقظ ! اهـ (ختم الجمعية)

[المنار] جاءتنا هذه الرسالة في البريد مطبوعة مختومة بختم المركز العام لجمعية استقلال (ايدل اورال) فنشرناها انتصاراً لاخواننا المسلمين المظلومين في البلاد الروسية الذين انتقلوا من ظلم القياصرة الى ظلم الشيوعيين الذي يفوقه في القسوة والاستبداد أضعافا مضاعفة ، والعجب من غفلة هؤلاء الاشقياء كيف يطمعون في نشر نفوذهم في الاقطار الاسلامية حتى العربية منها مع هذا الاضطهاد الذي يسومون به مسلمي بلادهم سوء العذاب . ان الشعوب الاسلامية قد ضاقت صدورها من عدوان الدول الرأسمالية المستعمرة واستبدادهم ولكنهم لا يرجحون عليها دولة كافرة معطلة تعادي الاديان ، وتكفر بالرحمن ، وتحتقر وجدان الانسان ، ولو لم تقهر الدولة البولشفية الناس وتكرههم على ترك دينهم لكثر أنصارها في كل مكان .

ان احتجاج الصحف وحده لا يرد هؤلاء البغاة عن بغيهم ، واننا نذكر اخواننا

المسلمين الذين يرون بعض دعاة البولشفية في بلادهم بأنه يجب عليهم أن يبينوا لهم سوء تأثير اضطهادهم لأبناء دينهم في بلادهم، وتقترح على كل حكومة إسلامية عندها سفير أو مادون السفير من المعتمدين السياسيين أن تخاطبه في ذلك وتفعل مافعلت دول أوربة في الاحتجاج على اضطهاد النصارى ، وأولى الحكومات الاسلامية بهذا حكومتا اليمن والحجاز ونجد ، لانهما دينيتان يلقب رئيس كل منهما بامام المسلمين

هذا وان في قطر آخر من الاقطار الاسلامية اضطهاداً لشعب إسلامي كبير ومحاولة منظمة لرد أولادهم عن دينهم بتعميم التربية والتعليم الاجباريين وهذا لا يقل خطره عن اضطهاد دولة الروس البلشفية لمسلمي بلادها، بل ربما كان هذا الخطر المادي، المنظم أشد وعاقبته أسوأ ، والواقع عليهم يرون أنهم لايستطيعون التظلم والشكوى ،لان كل من اعترض منهم يسام سوء العذاب ،والحق أنهم يجب عليهم ذلك وان مايقع عليهم من العقاب لا يكون أشد مما هم صائرون اليه في الدنيا ثم في الآخرة ، ولكن لابد لذلك من نظام ، ليكون له قوة الرأي العام

رسالة مهمة من الصين في حال من فيها من المسلمين

إلى منشيء المنار وناظر دار الدعوة والارشاد بمصر مولانا رئيس أهل السنة والجماعة محمد رشيد رضا

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فيا مولانا إني رجل من معلمي العلوم الاسلامية في بلد (القواندن) ياسيدي ان دين الاسلام في الصين داخل في الضعف والخمود يوما فيوما كأنه على شفا جرف هار لاحول ولا قوة إلا بالله تعالى سببه أن مسلمي الصين أكثرهم قليلو الديانة وجاهلون العلوم الاسلامية والقرآن والحديث وتاركو الصلاة والفرائض ، بل أكثرهم لايعلمون حقيقة الايمان وهم مقلدون . وأكثرهم ما كان لهم علم واسع ولا ديانة . يشتغلون بقراءة القرآن عن الغير عن تعليم العلوم الاسلامية ونظر الكتب الدينية وتبليغ الشرع

وان الفقير (أنا) تحسر على غربة الدين في الصين ووضع هو واخوانه مجلة الاسلامية الدينية العلمية المترجمة بالصينية . ويرتجي الآن أن يستعين على

هذا الخطاب الخطير من جنابكم، وانه استمع (أن) مجلة المنار كأنها شمس ولم يروجها الجيل ، وترجى أن يشتري نصيبا منها كل شهر وترجمه وشاعه (كذا والمراد ترجمة هذا النصيب واشاعته في الصين) ولكن لم يدر محلة مجلتكم الشريفة. فالمرجو من كرمكم أن تخبروني محلة مجلتكم وكيفية الشراء وثمن الجرائد المنارية كم هو لارسل الى جنابكم الثمن والسلام ﻫ في أوائل شهر المحرم الحرام

الداعي أحقر خادم الطلبة ومبلغ الدين الاسلامي ومدير المجلة الاسلامية في القواندن عثمان بن الحاج نور الحق الصيني الحنفي

الجواب

(المنار) لبيك لبيك ، والسلام عليك وعلى من لديك ورحمة الله وبركاته؛ ومجلة المنار ترسل اليك هدية مع هدايا أخرى ، واعلم أن صاحب المنار ليس رئيسا لأهل السنة والجماعة بل خادما ضعيفا مخلصا ، بل ليس لاهل السنة والجماعة رئيس عام ، يعني بشؤون الاسلام ، والذنب في ذلك عليهم فانهم فوضى ، ولكن يرجى ان يتجدد لهم في هذا العصر شيء من النظام

الدين قبل كل شيء

إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك الاسلامي الغيور على دينه فؤاد الاول نصره الله . ثم إلى دولة رئيس الوزراء وأصحاب المعالي الوزراء ثم إلى مجلسي شيوخنا الاجلاء ونوابنا المحترمين

نبث آلاما أحاطت بنا حتى كدنا نموت أسفا وحزنا على ماحل بديننا الحنيف في هذا القطر . ذلك القطر العربي الاسلامي العظيم وبه الازهر الذي هو أكبر جامعة إسلامية ومن مواد الدستور المصري أن دين الدولة الرسمي هو الاسلام ومع هذا فقد راعنا أن معالم الدين الآن آخذة في الاضمحلال والفناء ، والاخلاق انهارت وتدهورت ، والرذيلة سادت الفضيلة ، وحشرات الالحاد برزت إلى حيز الوجود ترفع رأسها غير آبهة ، وصحفنا اليومية تمحضت للسياسة

إلا قليلا جداً وتركت معاول التضليل تهدم في صرح دين الدولة المصرية الرسمي حتى أفسدت أخلاق الشبيبة . وبالجملة فالامر جد خطير وأملنا وطيد في رجال حكومتنا الذين لانشك في إخلاصهم للوطن وحبهم لرفعته أن يأخذوا بناصر الدين ويضربوا على أيدي الملحدين والمفسدين ، وأن يمطوا لتلك المادة القائلة بان دين الدولة الرسمي هو الاسلام حقيقتها ومدلولها وإلا كانت اسمية فقط ، وتتلخص فيما يلي

(١) أن يدخل التعليم الديني في المدارس الحكومية وغيرها دخولا يكون معها مادة أصلية أساسية لا اضافية حتى يخرج النشء عارفا بدينه نافعا لامته

(٢) أن يقرر بجميع المدارس الالزامية قسم لحفظ القرآن الكريم جميعه

(٣) منع البغاء الرسمي في الدولة المصرية المسلمة

(٤) تحريم الخمر الرسمي في الدولة المصرية المسلمة

(٥) عقاب تارك الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وبتعميمها في أفراد الامة المصرية يستتب الامن ويقل الاشرار وتتلاشى الجرائم وتستريح الحكومة

(٦) عقاب من يتجاهر بالفطر في نهار رمضان

(٧) مما لامراء فيه أن الدين الاسلامي ليس كغيره من الاديان بل هو صالح لكل زمان ومكان ولذا ختم الله به الدين وجعله عاما للخلق اجمعين ، ولا يعجز حكومتنا الاسلامية رسما أن تكون اسلامية فعلا بالعمل بقواطع الدين وتخصيص لجنة لذلك من هيئة كبار العلماء المفكرين ، لازلتم للدين الحنيف ناصرين ، وللواء الفضيلة رافعين ، آمين

أهالي برنبال مركز فوه مديرية الغربية

عنهم ابراهيم عريقات

رسالة من مؤلف كتاب (حياة محمد) في باريس

الحمد لله وحده

الى سيدي مدير مجلة (المنار) الغراء

تحية وسلاما وبعد فاني قرأت في مجلتكم مقالا للسيد اليزيدي على كتابي (حياة محمد) أنا لا اريد هنا مناقشة مطولة مع صاحب المقال فيكفي القاريء ان يراجع كتابي نفسه

فيجد فيه الاجوبة لاعتراضاته التي لم تأت بشيء جديد ، ولكن يجب علي ان اعلمكم ان فكري قد حرف تحريفا كاملا فان صاحب المقال لم يفهم شيئا مما قلته

الله شاهد علي أن ليس لي المقاصد التي أعارنيها ، وحقيقة قصدي في نشر (حياة محمد) هو البحث الحق الذي هو من أسماء الله تعالى وعاملت القرآن مثل معاملتي التوراة والانجيل وأظهرت في كل حين ميلي للرسول ﷺ وعطفي الى الاسلام دين الغزالي وابن العربي وابن الفارض وابن رشد وابن سينا وابن خلدون رضي الله عنهم ورجال أكابر الدين ، انما فهموا مقصدي وفكري لو انهم قرأوا كتابي (؟) ان الشيخ الأكبر قال ولله دره

إذا علم الله الكريم سريرتي فلست أبالي من سواه إذا سخط

وليت علماء مسلمين قرأوا كتابي ودرسوه بمثل الانصاف والميل اللذين كتبته بهما ، وقد عاق عليه بعضهم منهم السيد بلا فرج في (الفتح) ومكاتب (فتى العرب) اللذان ان لم يكونا في الكل من فكري علما صدق ضميري ، واني اطلب من لطافتكم ايها المدير ان تنشروا في مجلتكم هذه الكلمات لتقويم ما علق على كتابي في مجلتكم ، وفي الختام اقبلوا تحياتي واحترامي والسلام اميل درمنغام

(نفثة حزن ، لعالم دفن)

للاستاذ عبد الله بك الانصاري استاذ العلوم العربية في المدرسة التوفيقية (كان) :

يادار أحمد تيمور أتيناك فأين ربك غوث اللاجيء الشاكي
يادار أحمد دار العلم آهلة بالفاضلين وأهل المذهب الذاكي
يامسدي الفضل والاحسان في ترف الملوك عزاً وفي أخلاق أملاك
دين بدون رياء في شمائره وفي العلوم خبير جد دراك
ما كنت أحسب أن الموت يفجعنا فيه سريعاً فيخلو منه مثواك
ياروضة العلم تلك الكتب ناطقة بما تجمع في حجرات مغناك
لم يأل جهداً ولم يبخل بدرهمه في وفرة العلم أو في رحمة الباكي

له فضائل ليس العد يحصرها ودون أيسرها قد يعجز الحاكي

فحسبه من ثناء الناس ما اجتمعت عليه ألسنهم في صدق إدراك

واحسرتاه على ذاك العظيم ومن سمت به نفسه في غير محراك

نادى الفضائل فانحازت لدعوته وحاد عن كل كفار وأفاك

كانت مجالسه بالعلم زاهية نقية لم يشبها أي إشراك

ونفسه نفس حر لا يمازجها كبر الغني ولا إعجاب ملاك

عليه رحمة ربي في معارجه إلى منازل أبرار ونساك

وأفرغ الخير والصبر الجميل على نجليه في طول عمر طيب زاكي

﴿معاملة البنوك استدراك على ترجمة تيمور﴾

أقامت جمعية الهداية الاسلامية حفلة تأبين للفقيد رحمه الله ومما ذكره بعض المؤبنين انه كان يعامل بنك الكريدي ليونيه خلافا لما كنا نسمعه من انه كان لا يودع نقوده في المصارف المالية حتى لا يعينها على استغلاله بالربا ، ولكن ياليت شعري هل كان يأخذ هو ربحا على نقوده أم لا ؟ المشهور ان كثيراً من المسلمين يودعون الاموال الكثيرة في المصارف الاوربية ولا يقبلون أخذ شيء من الربح عليها فينفعون بها الاجانب ولا ينتفعون منهم من حيث يأخذ آخرون الربح منهم ولا يعدونه من الربا المحرم، وبعضهم لا يبالي أن يكون منه، واستحسن بعض الباحثين أخذه وانفاقه في المصالح الخيرية التي ترقي الامة ـ فماذا كان يفعل فقيدنا وهو المتفقه في دينه ، المتصم به في عمله ؟ لعل نجلي الفقيد أو بعض بطانته يخبرنا بالحقيقة

﴿تنقيح آخر في تفسير هذا الجزء﴾

في السطرين ١٠ و ١١ ص ٢٥ عبارة تنقح هكذا : وأهون منه ارادة كون الدرهم أو الدينار الواحد قد يكثره كثير من الناس بالتداول، وقد يقال انهم يكونون بها بالتناوب ، وفي معناه ايرادهم على اعادة الاعيان أن جسد الانسان الواحد يتجدد وفي السطر ٣ ص ٢٦ جملة تنقح هكذا : وبه يبطل كل ايراد ويزول كل اشكال وفي س ٣ ص ٣٠ تقوى في المؤمنين — بدل فيهم — وفي س ٤ منها صيامه بدل الصيام ـ وفي س ٩ منها وشرع بدل وجعل ـ وفي س ١٤ ص ٣١ ذكر بدل أورد — وفي س ٢٦ ص ٣٢ أخطأ بدل خطأ

وسبب هذا وذاك اننا كتبنا التفسير في وقت ضيق وحال اضطراب فكر ولم نتمكن من تصحيحه

﴿ تهنئة للمنار بالعام الجديد ﴾

سيدي الكريم وأستاذي العظيم حجة الاسلام السيد الامام حفظه الله تعالى

أهدي اليكم سلام المخلص لذاتكم ، المعجب بفضلكم ، الداعي لكم بالثبات في طريقكم ، والاستزادة من صالح أعمالكم .

أما بعد فيسرني في هذا العام الهجري الجديد وقد هل هلاله ان أهنئكم وأهنىء نفسي والمسلمين بما متعكم الله من صحة وعافية ، ووفقكم اليه من جهاد في سبيله ، تنيرون السبيل للناس بمناركم ، وتدفعون الاباطيل بسديد آرائكم وقوي حججكم . ولقد أصبحت حياتكم مرتبطة بحياة الحق والمسلمين ، ومناركم مصدراً للنور الذي به يهتدون ، فان يكن الناس لايزالون في غيهم يعمهون ، وعن الحق عمين ، فلأن عملكم لا يزال بعيداً عن الغاية ، وانه لا بد لكم من متابعة السير سنوات وسنوات حتى يتم لكم النصر إن شاء الله في النهاية ، والله نصير العاملين، وولي المؤمنين .

ان نفسي لتكاد تذوب حسرة من هذه الحال ، فلقد انحطت الاخلاق ، وقل العمل بالدين في نفوس المسلمين بقدر ماتقدموا في العلوم العصرية ، ونبغوا في مظاهر المدنية الغربية ، فكثرت الاعتداءات ، واغتيلت الحقوق ، وضاعت الامانات ، وضعفت شوكة الحكومات ، ولا غرو فلا يمكن حكم القلوب بغير سلطان الدين (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

في مجاهل هذه الحال ترفعون صوتكم ولا يلقى من يردد صداه ، وبين هذه الظلمات المتكاثفة تنشرون مناركم ولا نور في تجديد الدعوة على وجهها سواه، فاثبتوا وفقكم الله فسيظهر الله دينه ولو تأخر النصر ، وسيهزم عدوه مهما عظمت شوكته واستفحل الشر، واعلموا أن هناك نفوساً تحن اليكم، وقلوباً تحف بكم، ستجتمع حولكم، لشد ازركم ، متى جد العمل، وقوي الامل (وما كان الله ليضيع إيمانكم*وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته نجيب

(المنار) نشكر لأخينا المهنيء حسن ظنه وإخلاصه فيما لا نستحق من إطرائه ، وكان في كل سنة يهنئنا فنشكره بكتاب خاص، وقد آن لنا إعلان شكره على صفحات المنار



قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صُوًى «ومنارا» كمنار الطريق

(ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ آخر برج الأسد سنة ١٣٠٩ هـ ش ٢٤ أغسطس سنة ١٩٣٠)

فتاوى المنار

وصف كلامه تعالى بالقديم، وبحادث الآحاد قديم النوع، وهل هما مبتدعان

وما حكم القائل بهما ؟ ونذر زيارة قبر الوالد والصالح

(س١٣ـ١٥) من امام الحاج محمد جابر في كفوغ صوك هاتي (سمبس - برنيو)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدي ومولاي العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر رزقه الله عمراً مديدا ونفع بعلومه المسلمين جميعا .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أرفع إليكم هذه الاسئلة الآتية راجياً التفضل بجوابها في صفحات مناركم الغراء وهي :

(١) قال في كتاب (تنبيه ذوي الالباب السليمة) من الكتب النجدية صفحة ٣٠ ان لفظ القديم إذا وصف به كلامه سبحانه وتعالى فهو من الالفاظ المبتدعة حيث قال : فقوله * كلامه سبحانه قديم * هو من جنس ما قبله من الالفاظ المبتدعة المخترعة التي لم ينطق بها سلف الأمة وأئمتها اهـ مع ان علماء الكلام نطقوا بلفظ القديم فهذه كتبهم بين ظهرانينا مذكورة فيها أقوالهم بأنهم عرفوا ووصفوا كلامه جل وعلا بالقديم ، ويعتقدون قدمه . وقال الشيخ حسين والي في كتابه كلمة التوحيد صفحة ٥٧ «ويجل مقام أحمد بن حنبل وأضرابه أن يعتقدوا قدم القرآن المقروء» ولا أسيء الظن بهم انهم يعتقدون شيئا ويمتنعون أن يقولوا به في مثل هذه القضية . ـ ومعلوم ان القرآن هو كلام الله . قال صاحب الهداية السنية النجدية صفحة ١٠٦ (ونعتقد أن القرآن هو كلام الله الخ) وما رأيكم في قول صاحب كتاب التنبيه المذكور ؟ هل هو صحيح في عده الواصفين بلفظ القديم من أهل البدع كما يدل عليه مفهوم قوله الآتي ، أم لا ؟ فان كان صحيحا ، فهل يأثم الواصف به أم لا ؟

(٢) وقال أيضاً (والذي عليه أهل السنة والجماعة المخالفون لاهل البدع ان كلام الله سبحانه وتعالى حادث الآحاد قديم النوع . الخ فهل قوله « حادث

الآحاد وقديم النوع» من الالفاظ المبتدعة أم لا ؛ وهل وردت هاتان الكلمتان في السنة أو في كلام سلف الأمة ؟ فان وردتا فيهما فذاك وإلا فهما من الالفاظ المبتدعة أيضا – وإني لم أقف في كتاب من كتب أهل السنة على نص بوصف فيه كلامه تبارك وتعالى بهما أو ينقل فيه قول من أقوال سلف الامة يقولون بهما، ولم أسمع أحداً من المشايخ يصف بهما كلامه تعالى. أليستا من الالفاظ التي توهم التشبيه؟ واني أرجو أن تحرروا مع الجواب معناهما ومرادهما وبينوا لنا ذلك بيانا شافيا فاني لم أزل في وهم واشكال وأرى انكم من أقدر الناس في هذا العصر على حل المشكلات

(٣) أذا نذر المريض وقال (ان شفى الله مرضي فعلي زيارة قبر فلان أو قبر والدي مثلا لاعتقاده ان لصاحب القبر كرامة ومزية ولا يعتقد انه مؤثر في ذلك ومن المعلوم ان زيارة القبور من القربات . فهل يجوز ذلك ويصح نذره ، أم لا؟ واذا قلتم بعدم الجواز فهل الناذر يكون مشركا بسبب ذلك الاعتقاد أو آثما فقط ، أم لا ؟ افتونا ولكم من الله الأجر والثواب .

﴿ جواب المنار مرتبا على عدد الفتاوى فيه ﴾

(١٣) وصف كلام الله بالقديم ومن قال انه مبتدع

قول من قال ان وصف كلام الله تعالى بالقديم من الالفاظ المبتدعة صحيح ، ومثله قول لآخر ان كلام الله تعالى حادث الآحاد قديم النوع ، كلاهما لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في أقوال رسوله (ص) ولا في أقوال الصحابة (رض) ولكن ليس كل من يستعمل لفظا محدثا يكون من أهل البدع المخالفين لاهل السنة والجماعة ، فجميع أئمة الامصار من مدوني علوم الشرع في الاصول والفروع قد استعملوا ألفاظا اصطلاحية لم تستعمل في القرآن ولا في أقوال النبي (ص) وأصحابه ، والذين تصدوا من أهل السنة للرد على المبتدعة لم يسلموا من استعمال بعض الالفاظ الاصطلاحية المبتدعة ، ومنها قولهم ان كلامه تعالى قديم بقدم ذاته وهذا من أسباب وقوع الخلاف بين المسلمين في مسألة كلام الله تعالى وكذا غيرها من صفاته ؛ ولم يسلم من ذلك أئمة الحديث والفقه منهم ؛ وقد اشتهر ما وقع من الخلاف في ذلك بين

البخاري والذهلي من أئمتهم . بل أتباع إمام الائمة أحمد بن حنبل المنسوبين الى مذهبه في العقائد والفروع قد وقع بينهم الخلاف في هذه المسألة . فلا يصح أن يقال في كل من استعمل لفظا محدثا في ذلك ولا كل من خالف أحمد أو جمهور السلف في مسألة من دقائق هذه المسائل انه من المبتدعة المخالفين لاهل السنة والجماعة . وقد ذكر الحافظ ابن حجر في شرح كتاب التوحيد من البخاري بعض أقوال اهل السنة من المحدثين واتباع المذاهب الاربعة واقوال المبتدعة في مسألة القرآن في مواضع وقال بعدها كلمة كررها بعد ذكر الخلاف بينهم وهي : والمحفوظ عن جمهور السلف ترك الخوض في ذلك والتعمق فيه والاقتصار على القول بأن القرآن كلام الله وانه غير مخلوق ، ثم السكوت عما وراء ذلك اه وهذا الذي ينبغي لكل مسلم إلا ان من كان في قلبه اضطراب من هذا الخلاف ولم يطمئن بهذا التسليم فله أن يراجع كلام المحققين الجامعين بين المعقول والمنقول وينظر فيه باستقلال فكر واخلاص قلب، فانه حينئذ يصل الى ما يطمئن به قلبه أن شاء الله تعالى

وكنت أخرت الجواب عن هذه الاسئلة راجيا أن أجد وقتا واسعا أكتب فيه خلاصة هذا البحث المضطرب الامواج ، ولما أجد الوقت التي يتسع له، ولكنني سأشرع ان شاء الله تعالى قريبا في طبع عدة فتاوى في ذلك لشيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية، وأشهد بالله إنني لم أجد في كتب أحد من علماء هذه الملة من أحاط بما أحاط به من حفظ النصوص وأقوال الناس من المحدثين والمتكلمين والفلاسفة والمبتدعة في هذه المسألة وأمثالها، والوقوف على أدلتهم وتمحيصها وتحرير الحق الذي كان عليه سلف الأمة واقامة الحجة عليه، فلينتظر ذلك السائل وغيره ممن يهمهم تحقيق هذه المباحث وهي ستطبع في كتاب مستقل وربما تنشر بعضها في المنار

وأما وصف كلام الله تعالى بالقديم فهو صحيح في نفسه وأثبته علماء السنة وفي المراد منه عند السلفيين وعند غيرهم بحث مفصل في مباحث شيخ الاسلام

(١٤) من قال ان كلامه تعالى حادث الآحاد قديم النوع

ان قول من قال ان كلامه تعالى حادث الآحاد قول مبتدع مبهم موهم، وله وجه يظهر انه هو مراده منه، وهو ماقاله بعضهم في تفسير قوله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم

محدث) وقد جعل البخاري هذه الآية ترجمة لاحد أبواب كتاب التوحيد من صحيحه مع آية (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) وقال عقبها : وان حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) يعني ان كونه محدثا لا يقتضي كونه مخلوقا . فهو كقول السلف من أهل الحديث وغيرهم: له يد لا كأيدينا واستواء لا كاستوائنا ، وان كلامه الموحى الى رسله بصوت لا كصوتنا . ومن القائلين بهذا الامام احمد رحمه الله تعالى . وهو يقول كغيره من أئمة السلف ان القرآن المقروء بالالسنة المكتوب في المصاحف كلام الله غير مخلوق، وهم يصرحون بأن القارىء مخلوق وقراءته وكتابته مخلوقتان ، وانما يتقون في هذا المقام ما يتضمن الايهام. فما قاله الشيخ حسين والي وغيره من إجلال الامام أن يقول كذا مبني على الاقتناع بنظرية المتكلمين في المسألة وبكون الامام احمد كان من أئمة الهدى والسنة ومقتضاه عنده انه لا يخالفها . وليس مبنيا على النقل عنه . وكان شيخنا الاستاذ الامام ذكر مثل هذا في رسالة التوحيد وعند قراءته لهذا البحث منها في الازهر صرح بانه رجع عنه وبأنه سيحذف هذه الجملة في الطبعة الثانية للرسالة وكتب ذلك في حاشية نسخة الدرس ، ولذلك حذفناها من كل طبعاتنا لها

وقد استدلت المعتزلة بالآية على خلق القرآن والتحقيق ان المراد منها محدث اتيانه ونزوله. قال اسحاق بن راهويه من شيوخ البخاري واقران احمد وقد سأله عن الآية حرب الكرماني مانصه: قديم من رب العزة محدث الى الارض.إهـ وراجع سائر الاقوال في الآية وفي المسألة من فتح الباري

(١٥) نذر زيارة قبر الوالد الصالح

لاريب في أن زيارة القبور مستحبة بالنية التي أرشد اليها الحديث الوارد في الاذن بها بعد النهي وهي تذكر الآخرة، وانما هي مستحبة بهذه النية وإلا فان الاصل في الاذن بالشيء بعد النهي عنه الاباحة ، وما كان من نية صالحة أخرى في الزيارة تزيد هذا الاستحباب تأكيداً كزيارة قبر أحد الوالدين أو كليهما ، فانها تعد من بقايا برهما وتذكرهما، الذي يترتب عليه ما أمرنا الله به من الدعاء لهما ، وكذلك زيارة

قبر الرجل الصالح اذا كان لذكرى صلاحه ورجاء في قوة الاقتداء به، لا لطلب نفع أو كشف ضر منه ، ولم يكن فيها شيء من البدع ولا من اقرارها — ويصح نذر مثل هذه الزيارة المشروعة . ولا وجه للقول بعدم جوازها فضلا عن القول بإثم فاعله أو رميه بالشرك والعياذ بالله تعالى . فان الشرك لا يثبت إلا بدليل قطعي لا مجال فيه للتأويل ، ولكن بعض الغلاة في مذاهبهم يرتكبون من مخالفة الشرع في الطعن على مخالفيهم ما هو أكبر اثما مما ينكرونه عليهم إن كان منكراً أعاذنا الله من ذلك .

(الجمع بين الصلاتين في الحضر واشتراط الطهارة في الصلاة)

وصلاة مكشوف الرأس

(س ١٦—١٨) من صاحب الامضاء في (بيا — من الوجه القبلي)

حضرة صاحب الفضيلة العالم الكبير والاستاذ المحقق السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد : فقد سمعت منذ سنوات عديدة ممن أثق به (توفي رحمه الله) في أحاديثه الخاصة معي ان النبي ﷺ جمع في صلاته بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء جمع تأخير بلا عذر ، وانه لا حرج على المصلي اذا كان بثوبه أو بدنه شيء من النجاسات وأنه لا كراهة في الصلاة ورأس الانسان عار بل ربما كان ذلك أفضل لان هذا المظهر أقرب الى التذلل والخضوع والعبودية

ولأمر خاص بي أريد التثبت من ذلك ولثقتي بفضيلتكم بعثت بهذا اليكم فأرجو إفتائي على ما تقدم والله تعالى يتولى مثوبتكم بفضله .   المخلص

وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام   سيد أحمد عابدين

[جواب المنار]

(١٦) أما جمع النبي ﷺ بين الصلاتين في المدينة المنورة فقد ثبت من حديث ابن عباس (رض) في سنن الشافعي وصحيح مسلم وغيرهما من كتب السنن ، وقد تأول ذلك فقهاء المذاهب المعروفة بتكلف وظاهر قول ابن عباس فيه : لئلا يحرج أمته – يدل على انه رخصة ، وبهذا أخذ بعض فقهاء الحديث وهو ما نعتقده ،

ولا يخفى ان الرخصة تؤتى عند الحاجة لا دائما ، ولولا أن سبق لنا بيان هذه المسألة ونص الحديث فيها من قبل لبسطت الكلام فيها وذكرت لفظ الحديث وتأويلات من تأوله

(١٧) وأما قول ذلك الثقة عندكم بأنه لا حرج على المصلي اذا كان في ثوبه وبدنه شيء من النجاسات فهو مخالف لقول أكثر علماء الأمة بان طهارة الثوب والبدن شرط في صحة الصلاة ، وعن مالك انها واجبة وليست بشرط لصحة الصلاة . فالمسألة اجتهادية والاحتياط تحري الطهارة في الصلاة لانها اذا كانت واجبة في غيرها فهي فيها أوجب ، نعم ان الوجوب لا يقتضي الشرطية وقد أطال الشوكاني في الرد على من قال بها ، ولأن تكون صلاتك صحيحة بالاجماع خير من أن تكون مختلفا فيها ، ولك الأخذ بالقول الآخر عند تعسر الطهارة وفي ترك القضاء اذا علمت بعد الصلاة انه كان في ثوبك أو بدنك نجاسة

(١٨) وأما قول ذلك الثقة انه لا كراهة في الصلاة مع كشف الرأس فهذا قد يظهر فيمن يصلي في بيته منفردا اذا لم يلتزمه متعمدا . وأما التزامه أو فعله مع الجماعة المستوري الرءوس أو في المسجد بحضرة من يستنكرونه ويكون مدعاة للخوض في ذم فاعله فالقول فيه بالكراهة واضح . أما الاول فلانه التزام لا دليل في الشرع عليه بل هو مخالف لما جرى عليه العمل الغالب من صدر الاسلام وأما الثاني فلمخالفته للجماعة وهو منهي عنه ، وأما الثالث فلما ذكرناه في صفته من كونه سبباً لوقوع الناس في الاثم ولانه من الشهرة المذمومة

واما قوله ان ذلك ربما كان افضل وتعليله بما علله به فهو قول بالرأي المحض في مسألة تعبدية ، ومعارض بانه تشبه بالنصارى وغيرهم ممن يلتزمون كشف رءوسهم في الصلاة وقد نهينا عن التشبه بهم حتى في العادات . ومعارض أيضا بان العرف عندنا في هيئة الكمال التي نقابل بها الملوك والامراء وكبار العلماء والصلحاء والرؤساء أن يكون على رءوسنا ماجرت به عادتنا من عمامة أو كمة أو طربوش او غيرها وانما يتساهل في ترك ذلك بين الاقران والاصدقاء — والعرف عندهم خلاف ذلك

(النسخ والاحاديث المشكلة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوسل)

(س ١٩ — ٢٣) لصاحب الامضاء في صنبو (من الوجه القبلي)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد الفاضل ، والاستاذ الكامل ، من جعله الله للشريعة موئلا وللدين ملجأ ، المهدي الرشيد ، السيد محمد رشيد

سلاما وتحية واحتراما ، وبعد فاني أرجوك للاجابة عن هذه الاسئلة التي طالما ترددت في خاطري ، فتفضل بذلك ولك مني الشكر ومن الله جل وعلا الأجر

(١) في القرآن الكريم ناسخ ومنسوخ ولكن العلماء فيهما مختلفون فما القول الفصل الذي يرتاح اليه المسلمون في ذلك ؟

(٢) في كتب الحديث مئات الاحاديث الحاضة على فضائل الاعمال ولكنها رتبت على فعلها ثوابا لا يتناسب معها ، فهل يصح العمل بها ؟

(٣) ماهو الحد الذي إذا بلغه المؤمن سقطت عنه تبعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا سيا في هذا الزمن الذي عمت شروره ، وطمت من الفساد بحوره ؟

(٤) كيف يستطاع جمع الزكاة على الطريقة الشرعية لتصرف في مصارفها في هذا العصر العصيب ؟

(٥) ما الحق في مسألة التوسل التي لا تزال تشغل قلوب جمهور المسلمين ؟ وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي مصطفى أحمد الرفاعي

الاستاذ بمدرسة ميخائيل فلتس بصنبو

[أجوبة المنار]

(١٩) الناسخ والمنسوخ

قد فصلنا القول في هذه المسألة في تفسير قوله تعالى (مانسخ من آية) من سورة البقرة وهي الآية ١٠٦ من سورة البقرة فراجعوه في ص ٤١٤ من جزء التفسير الاول ، وذهب السيوطي في الاتقان الى أن الآيات المنسوخة

عشرون آية . وقال الشوكاني بعده بل هي بضع آيات . وأنكر النسخ أبو مسلم الاصفهاني في تفسيره ووضح رأيه الطبيب البحاثة محمد توفيق صدقي ونشرنا بحثه في المجلد الثامن من المنار وطبع في ضمن كتاب له . ولا يتسع وقتنا لاعادة الكلام في هذا الموضوع وليس باب الفتاوى بمحل له . وكثيراً مايسألنا السائلون عن تحقيق مسائل لايمكن تحقيقها إلا في سفر كبير ، وجملة القول ان النسخ بالمعنى المعروف عند السلف ثابت ونحن نحقق ماقيل إنه منه في كل آية عند تفسيرنا لها

(٢٠) العمل بأحاديث فضائل الاعمال وشرطه

الاعمال الدينية مبنية على قاعدتين (احداهما) انه لايعبد إلا الله (والثانية) أن يعبد بما شرعه . والمشروع قسمان: قسم مطلق وقسم مقيد بأقوال مخصوصة وأفعال مخصوصة وصفات مخصوصة وأوقات مخصوصة واعداد معينة ، فما ورد في الشرع مقيداً بشيء من هذه القيود وجب التزام قيوده بلا زيادة ولا نقصان ومنه شعائر الاسلام كلها كالأذان والاقامة والصلاة والجماعة والجمعة ومناسك الحج الخ

والمطلق يجري على اطلاقه في دائرة النصوص العامة كصلاة النفل غير الراتبة وذات السبب فان هيأتها كسائر الصلوات ولكن لايجوز لأحد أن يقيدها بزمان ولا مكان ولا عدد ولا صفة بحيث تلتزم هذه القيود فيها كقيود الشرع ولذلك قال الفقهاء ان صلاة الرغائب وصلاة ليلة نصف شعبان اللتين قيدهما بعض العباد بالعدد والزمان وغيرهما انهما بدعتان قبيحتان مذمومتان . وذلك انه لايصح ماورد فيهما مع كونهما بصفة مقيدة بقيود لاتثبت إلا بنص الشارع وقد ذكر من ثوابهما نحو مما تستشكلونه في السؤال

وان من علامات وضع الحديث أن يذكر فيه ثواب كبير جدا على عمل صغير جداً في نفسه وفي أدائه وفي فائدته - أو عقاب عظيم جدا على عمل لا ضرر فيه في الدين ولا في النفس ولا في العقل ولا في العرض ولا في المال

هذا وانه لايجوز لاحد أن يعتمد على كل مايراه من الاحاديث في الكتب ولا على كل مايسمعه من الخطباء من غير تخريج له عن حفاظ السنة بما يبين مرتبته

من الصحة وعدمها. واذا تحرى الانسان الاحاديث الصحيحة يرى أنه قلما يوجد فيها ماذكره السائل من الاشكال.

وأما الاحاديث الضعيفة فقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي انه لايجوز العمل بها مطلقا، وقال الجمهور يجوز العمل بها في فضائل الاعمال كالذكر وصلاة النفل المعتادة وصيام التطوع واشترطوا لذلك شروطا بيناها من قبل ملخصها ألا يكون الحديث شديد الضعف وألا يعتقد العامل بالحديث منها صحته لئلا ينسب الى النبي ﷺ مالم يقله وأن يكون معناه مندرجا تحت أصل عام في الشريعة

(٢١) الحد الذي تسقط به فرضية الامر والنهي

قد اختلف العلماء في هذه المسألة مابين مشدد ومخفف وينبغي لكل أحد أن يحاسب نفسه في هذا وأمثاله، واذا كانت المنكرات في زماننا أكثر منها في أزمنة أولئك العلماء كالغزالي والشاطبي وابن تيمية فان في زماننا من حرية القول في مثل هذه البلاد مالم يكن في أزمنتهم. واننا نرى سفهاء الجرائد يطعنون أشد الطعن وأقذعه في الامراء والوزراء والعلماء ولا يصيبهم أذى فأجدر بمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالنزاهة والادب وحسن النية ألا يصيبه أذى.

ولا خلاف بين العلماء في سقوط الفريضة عمن يخاف على نفسه أذى كبيرا ورخص بعضهم في الترك لمن يعتقد ان أمره ونهيه لايفيد، ولكن استفت قلبك وما أنا ممن يستطيع أن يضع لك حدا، ولا ينبغي أن تنسى ان هذه الفريضة هي سياج الدين فلولا ترك القيام بها لما فشت المنكرات الى هذا الحد

(٢٢) جمع أموال الزكاة وصرفها في مصارفها

ان هذا العمل غير مستطاع في زماننا في بلادنا وانما الشأن فيه للحكومة الاسلامية التي تقيم الشرع، والمسلمون في جزيرة العرب يؤدون زكاة المواشي والزروع الى أئمتهم وحكامهم، وزكاة النقدين الى الفقراء والمساكين، وينبغي في مثل بلادنا أن تؤلف جمعية اسلامية من رجال يوثق بهم تقنع أهل الدين باداء الزكاة الى رجالها بعد أن تبين في نظامها كيف تنفق ماتجمعه في مصارفه الشرعية

(٣٣) التوسل الشاغل للمسلمين

التوسل المشروع ليس فيه مايشغل قلب أحد فهو التقرب الى الله تعالى بما شرعه من علم وعمل على القاعدتين اللتين في الفتوى آنفا (ص١٢٧) وأما التقرب اليه تعالى بأشخاص الصالحين من الانبياء فمن دونهم الذي تعنونه بالتوسل — فهو غير مشروع في الاسلام بل هو أصل الوثنية فان الوثنيين هم الذين يعتمدون في نجاتهم من عذاب الآخرة ومن مصائب الدنيا وفي نيل الخير والسعادة في الدارين على أشخاص رجال الدين فيهم ، وأما أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام فامر الثواب والعقاب عندهم منوط بالعقائد والاعمال التي تزكى بها أنفسهم وتصلح ، أو تدسى وتفسد ، وآيات القرآن صريحة في ذلك ، وأمر منافع الدنيا ومضارها منوط بالاسباب المشروعة التي يعرفها الناس بالعلم والتجربة كطرق الكسب والتداوي من المرض مثلا . وقد سمي الناس منذ القرون الوسطى ماشافهم باتباع سنن من قبلهم في الاعتماد من أشخاص الانبياء والصالحين في جلب النفع ودفع الضر توسلا ، وبنوا عليه بدعا كثيرة تنافي التوحيد المجرد والاخلاص في العبادة ، كدعاء الموتى والنذر لهم والاستغاثة بهم مع العلم بأن الدعاء هو العبادة أو مخ العبادة كما ورد في الحديث وفي مثل قوله تعالى (فلا تدعو مع الله أحدا) وليس لما يعملون شبهة من كتاب الله ولا من سنة رسوله ولا من عمل السلف الصالح ، وخرافيون من سدنة قبور الصالحين وغيرهم يأتون على ذلك بشبهات ضعيفة الرواية أو الدلالة او باطلة أمثلها حديث الاعمى الذي طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد له بصره فأمره بان يدعو بدعاء فيه لفظ التوسل والاستشفاع به فدعا ودعا له ﷺ فالتوسل هنا انما كان بالدعاء منه ومن النبي ﷺ والدعاء مشروع وطلبه مشروع فهو غير خارج عن قاعدتي عبادة الله وحده بما شرعه . فلا يدل على التوسل بالشخص والذات من غير عمل ، ولا على طلب الدعاء من الاموات ، فضلا عن طلب قضاء الحاجات فيما لا يطلب الا من الله عز وجل وهو ماوراء الاسباب .

وقد شرحنا هذا في مواضع كثيرة من المنار والتفسير فلهذا نختصره هنا ، ولشيخ الاسلام ابن تيمية كتاب مستقل في هذه المسألة طبع المرة بعد المرة باسم (التوسل والوسيلة) فان شئتم الاحاطة بها من كل وجه فعليكم بمطالعته وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر

نقض أساس مذهب داروين

هذا المذهب قائم على أساس من النظريات القابلة في نفسها للثبوت وللنقض ، ولم تصل في يوم من الايام الى درجة الحقائق القطعية عند الآخذين بها . تفضيلا لها على كل ما كتب في موضوعها ، إلا بعض المقلدين من ملاحدتنا الذين يجعلون أضعف ما فيها من الاحتمالات ، في درجة الحسيات أو الضروريات ، ويدافعون عنها في جملتها وتفصيلها . والحق فيها أنه إذا كان فيها بعض التعليلات المعقولة المقبولة بادي الرأي ، فان فيها تعليلات أخرى لم تتجاوز حيز الوهم ، وإذا صح أن نظام الكون قائم بسنن حكيمة مطردة سواء عرفت كلها أو لم تعرف كما أثبته الكتاب الكريم ، فلن يصح أن تكون هذه السنن الحكيمة من بنات الضرورة ولا من نبات المصادفة ، بل المعقول أن تكون من تقدير العزيز العليم ، كما قال الكتاب الحكيم ، وإذا صح أن تكون هذه السنن لا تبديل لها في الطبيعة ولا تحويل كما قال تعالى (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) فلن يصح ان يكون الخالق المقدر لها والمدبر لامرها مقيداً بها ، بحيث لا يستطيع إبداع شيء غيرها . فان هذا النفي لا يقدم على القول به عاقل ، وقد حدث في الوجود من الآيات البينات ، والمعجزات الخارقة لسنن العادات ، ما تواتر خبره وصار من القطعيات ، فالتكذيب به أو التأويل البعيد عن قياس المنطق له ليوافق تلك النظريات المادية ، ليس بأولى في نظر العقل السليم من عده منتظما في سلك سنن أخرى مما وراء المادة . ولا يزال العقلاء والحكماء يرون من آيات الله في أنفسهم ما هو إبداع محض لا يتفق مع سنن المادة في شيء ، وآخرهم العلامة الشهير اينيشتين الالماني قد ناط بهذا الابداع كل ما امتاز به من تحقيق علمي وفلسفي

الكلام في فساد مذهب داروين يوجه الى أساسه لا إلى فروعه وجزئياته كطبقات الارض وتشابه الانواع وتعليل الاعضاء الاثرية ، وأساسه الفاسد هو ان ما علم من السنن في نظام الكون هو دليل على ان ما لم يعلم منها مثله في كونه لا بد أن يكون حصوله بالتطور التدريجي . ومقتضاه انه ما وجد ولن يوجد كائن مبدع مبتدأ ، ولا آية خارقة للعادة ، وغايته انه ليس للكون رب قادر مريد يفعل ما يشاء . والدلائل الوجودية والاخبار المتواترة القطعية تنقض هذه القاعدة وتبطل اطرادها .

كان هذا المذهب هدفا لسهام النقد في كل عصر ، وقد فوق له في هذا العهد سهم جديد أقصده وكاد أن يقضي عليه ، وهو ما نترجم لك خبره في المقال التالي

احتضار مذهب علمي

نشر العلامة ليون دوديه Léon Daudet صاحب صحيفة الأكسيون فرنسيز L'action Française بعدد صحيفته المؤرخ ١١ يونيه سنة ١٩٣٠ ما يأتي تحت هذا العنوان:

من المفيد جداً أن يعمل على اسقاط أحد تلك المذاهب « المادية » التي انتشرت في القرن الماضي، تلك العقائد التي حملتني على تسميتها « بالسخافة »

لما أذعت سنة ١٩٢٢ مؤلفي المعنون بهذا الاسم (السخافة) قامت ضجة شعواء عند الجامدين على الاعتقاد بالتطور والتحول الذاتي، وتكوين اللغات، والنوبات العصبية (الهستريا) والجمهورية (الدمقراطية) وعلى كثير من ضروب العبث بالقول في علوم الحياة والسياسة. ولا غرو فليس من الهين أن تنتزع من مخيلتك تلك الخزعبلات التي صحبتك ثلاثين او أربعين سنة. أما احتجاجات تلك الضجة التي كنت عولت على عدم اعارتها أي اهتمام فلم تؤثر في نفسي لأني أعلم أن الزمن سينقضي ويظهر ان الحق بجانبي كظهور استعداد الالمان للحرب الاوربية العظمى.

وقد كنت بناء على ذلك كتبت منذ ثماني سنوات في الكتاب الذي أسميته « سخائف القرن التاسع عشر » ما يلي:

ان المبدأ الاساسي لمذهب التطور والتحول الذاتي هو أن الطبيعة لا طفرة فيها ولا خلل، فلا محل فيها اذاً للمعجزات. فان المعجزة هي الظاهرة الفجائية غير المنتظرة الخارجة عن القوانين المعروفة

هذا هو الشرط الاساسي في تخيلات « بالتبيوس هيكل » القصصي في روايته التي تبتدىء من تكوين الهلام البحري (*) وتنتهي بتكوين الانسان بتنويع تدريجي بطيء يحدث داخل الخلايا والانسجة تحت تأثير مضاعف لنوع من القوة الرافعة الداخلة (لم يبرهنوا عليها) وتأثير عوامل خارجة عدوها حسب اهوائهم

(*) الهلام البحري هو الخلايا النباتية الاولى التي دبت فيها الحياة في أول الخليقة على شواطىء البحار فتدرجت منها الحياة بتكاثر تلك الخلايا وتكيفها تدريجا

ويلاحظ دائماً ان في الحياة خواص قابلة للتغير وهي نواة التحول الذاتي وأخرى لاتقبل التغير وهي الثابتة وهذا مايدعو الى الاعتقاد باننا تحت تأثير أنواع كثيرة من القوى الكامنة التي تارة تعمل فينا في ظروف خاصة، وطوراً لاتعمل في ظروف أخرى،ونحن نجهل السبب في كلتا الحالتين

وأما هذه الذبذبة بين الاصل المولد (الخلية) والانواع المتولدة وكذا الانتقال من بساطة التكوين الى اوج النمو، فسر يرجع الى نظام أرقى

ثم ان سلسلة الاجناس تتجدد حلقاتها بانعدام بعضها كما زاد الجنس نمواء واذا سلمنا بصحة هذه النظرية تعين علينا القول بأن عالم الاحياء سائر في طريق التقدم المستمر،وان بقاء الاجناس الدنيا اناهو للدلالة على حصول هذه التقلبات المتعاقبة المستمرة مع انعدام بعض الاجناس الوسيطة المؤقتة التي هي في الغالب أعظمها أهمية

ولما كانت هذه السلسلة ينقصها الحلقة التي تصل القرد بالانسان بحثوا مدة ستين عاما للعثور على الجنس الوسيط فأكدوا حينا ما انهم وجدوه ثم كذبوا هذا الخبر . على انهم تنبهوا اليوم الى أن معضلة أصل الانواع وخصوصاً ما يتعلق منها بالجنس البشري مازالت معقدة ومضطربة كما كانت قبل داروين Darwin ولامارك Lamarck وان مذهب القائلين بالتشابه الخارجي والتشريحي الخ ليس بجواب عن هذا السؤال يحسن السكوت عليه، فان مذهب المشابهات التشريحية والفسيولوجية لايلقي إلا نوراً ضئيلا على مسألة تخصص الحياة وتشخصها

ان الحياة مازالت حافظة لقابليتها للانفجار والالتهاب ولما فيها من الخواص الوراثية لتغير الاعضاء تغيراً فجائيا اننا نجد منها خواص تنتقل وتقبل التغير بالتبدل ، وخواص أخرى لاتنتقل ولا تقبل تعديلا ، فيستنتج مما تقدم اننا في آن واحد خاضعون لتأثير قوى غيبية خفية تفعل فينا فعلها ولا نعرف كنهها كما اننا من هذه القوى في بعض أحوال خاصة لاندريها أيضا ، وان هذا التغير من الشخصي الى النوعي ومن التخصيص الى التعميم خاضع هو أيضاً الى نظام أسمى . وهلم جرا

ان مذهب التحول الذاتي الذي سيطر على علم الكائنات الحية مدة ستين عاما انما هو مظهر موضعي بل أحقر المظاهر لحل قضية الحياة ، بل هو رد على السؤال بسؤال آخر اهـ .

اني قد أشرت بخط تحت الفقرة الخاصة بالقوات الخفية ثم قلت في الكتاب المذكور في محل آخر ما يأتي :

« ان المذهب المضاد لمذهب التحول الذاتي لم يأت بعد بالعالم الذي يستحقه على انما في انتظاره بإيمان وثيق » وها هو ذا قد أتى هذا العالم فعلا فان المسيو فيالتون Vialleton نشر في سنة ١٩٢٩ كتابا بحث فيه عن اصل الانواع الحية تحت عنوان « اوهام التحولين » أورد فيه من الدلائل المقنعة ما يقضي على مذهبي داروين ولامارك القضاء المبرم .

ولا بد أن يكون عالقا باذهان القراء ما كتبنا هنا من التعليق على كتاب المسيو فيالتون العظيم الشأن غير ان الصحف العلمية والفلسفية لم تعلق اهمية كبيرة على نقض هذا الاستاذ العالم. الا ان جريدة الطان tenps نشرت في عددها الصادر في ٨ يونيه سنة ١٩٣٠ مقالا في الموضوع بقلم المسيو لويس لافل Lauis Lavelle جاء فيه ما يأتي :

« . . . . وردت في كتاب المسيو فيالتون فكرة ثانية يظهر لنا انها أشد خصوبة ، وهي ان في داخل الاشكال الاساسية غير المنفصلة عن المظاهر الاولية للحياة يمكن تصور وجود « جراثيم او براعيم الانتظار »[1] وهي غير مرئية وتبقى

(١) المنار: مثل هذا عندهم ثندوة الرجل هي مستعدة لافراز اللبن كثدي المرأة اذا وجدت الداعية الطبيعية لذلك ويقال ان هذا وقع بالفعل لرجل ماتت امرأته وتركت له طفلا رضيعا ولم يوجد هنالك مرضع له ولا لبن بقرة او غيرها يمكن تغذيته به فكان من تأثير حنانه الوالدي أن صارت ثندوته كثدي الام في افراز اللبن له وهكذا يوجد في سائر الاحياء جراثيم او براعم مستعدة لظهور وظيفة فجائية تنافي مذهب التطور التدريجي البطيء الذي هو اساس مذهب داروين ولامارك

منتظرة لتفرخ في اللحظة الملائمة ، اعني اللحظة التي تكون فيها شروط البيئة قاضية بخروجها من القوة والاستعداد الى الفعل ، واذا ضربنا صفحا عن التوسع في بحث طبيعة هذه الجراثيم يمكننا اعتبار انها قوات مستترة لاتفعل فعلها إلا تحت تاثير الظروف المناسبة ولا يظهر فيها مظهر الحياة إلا اذا اخذت اشكالا قياسية خاصة . فنفهم من ذلك الاسباب التي حدت بالمسيو فيالتون لان يكون من خصماء معتنق مذهب التحول الذاتي الذي هو شرح للتطور باسباب آلية

فالتطور في نظره هو تطور يدبره مدبر ، وهو يتمارض مع مذهب لمارك القائل بأن الكائن يتكيف بالوسط الذي يعيش فيه وان هذا التكيف يتأصل فيه بالتدريج حتى يورثه نسله . ويتعارض ايضاً مع مذهب داروين القائل بأن في الكائن المولود تغيرات عرضية بعضها نافع له وكافل له الفوز في معترك الحياة وبعضها مؤذ وقاض عليه القضاء المبرم » اه

وهكذا كان إدراك (فهم) القوات الخفيـة التي أشار اليها المسيو فيالتون يتصل بادراك (فهم) القوات الخفيـة المنوه عنها في (سخافات القرن التاسع عشر)

غير ان المسيو فيالتون يرى ان الضغط الخارجي هو الذي يساعد على تجلي هذه القوات في عالم الظهور مع اني في كتابي قد نسبت ذلك الى عوامل باطنية عرضية . ومهما يكن الامر فان التبدل الذي نحن بصدده انما هو انقلاب أو تحول فجائي وليس تطوراً أو تكيفا ،

على ان القوات الخفيـة موجودة في مظاهر العالم بأجمعها ، فان الراديوم قبل اكتشافه كان قوة مستترة ، والموجات الفضائية كانت كذلك قبل اكتشافها ، وكذلك مايحصل في الدم من الاستعدادات البطيئة لمرض السل والسرطان التي أشار اليها في هذه السنوات الاخيرة الطبيبان فانييه وروا Vanniet ARoy هي أيضا قوات مستترة لاشكال مرضية

والآن قد فتح أمامنا عالم جديد للمعرفة واسع المجال إلا أن النور الساطع فيه مازال ضئيلا كنور الفجر الذي لايكفي إلا لتمييز الاشياء بعضها من بعض اه

مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات

—١٣—

﴿ الشبهات على حق المساواة في الميراث ﴾

وجملة القول أن الشرع الاسلامي قد عظم أمر الزوجية والامومة الشرعية ففرض على الرجل القيام بجميع ماتحتاجه الزوجة والام لتتفرغ المرأة للقيام بما تقتضيه هاتان الوظيفتان التي قضت الفطرة بان تكون الاولى منهن وسيلة والثانية مقصداً ، فان عجز الرجل عن النفقة أو مات كان على غيره من الاقارب القيام بها وإلا فبيت المال ، ولن تقوى المرأة على القيام بما تقتضيه الفطرة ودين الفطرة من الاستعداد للحمل والوضع والرضاعة والحضانة والتربية للاطفال وجعل الدار لهن خير مدرسة ومأوى ومطعم ومصح إلا اذا كان الرجل يكفيها مؤنة الكسب وتثمير الاموال بنفسها في الزراعة والصناعة والتجارة واستخراج الكنوز والمعادن وغير ذلك مما هو أقدر عليه منها ، وكذا مؤنة أمور الدولة العامة والدفاع عن الوطن بالخدمة العسكرية بأنواعها

وكان مقتضى هذا بادي الرأي أن لاترث المرأة شيئاً من المال والعقار لان الشرع كفل لها رزقها على كل حال، وهذا ماكان يحتج به العرب في الجاهلية على عدم توريث النساء مع انهم لم يكفلوا لهن رزقهن كما كفله الاسلام، إذ جعله حقاً على الرجال بوازع الوجدان والايمان ، وكفالة الشريعة والسلطان

ولكن دين العدل والرحمة راعى في أمر النساء سائر الاحوال التي وراء حال الزوجية والامومة ففرض لهن من الارث نصف مافرض للرجال ، ومن أحسن مايوجه به هذا الفرض أن يقال انه من قبيل الاحتياط ومراعاة شواذ الحياة الاجتماعية ، ولولا أنه فرض إلهي لكان لقائل أن يقول ان النصف كثير لأن الامر يؤول فيه إلى أن يكون مال المرأة أكثر من مال الرجل لانه لايفرض عليها من النفقة حتى على نفسها في عهد الزواج مايفرض على الرجل ، أو يفضي

إلى اضعاف الثروة العامة إذ ليس المرأة من القدرة على ادارة المال وتثميره ولا من التفرغ لاستغلاله من جميع الطرق الاقتصادية مثل ما للرجل

وأما الامهات الفواجر غير الشرعيات فلا يفرض لهن الشرع الالهي وجوداً يقتضي حقوقا مالية وغير مالية ، بل يفرض عليهن عقابا شديداً يقتضي ارهابا يمنع وجودهن إلا على سبيل الندور الذي لا يراعى في القواعد التشريعية المنزلة ولا الموضوعة ، ومن ثم كان دعاة الفوضى النسائية والاباحة الذين رزئت هذه البلاد بهم يقترحون أصلا للتشريع ينسخ شرع الله تعالى ويبطله مبنياً على اقرار أمومة السفاح ، فترى الدكتور فخري يقول بغير خجل ولا حياء من الجهل ومكابرة الحس والعقل : إن المرأة « هي هي كل شيء في القيام بحمل الصرف المالي على هذه الامومة » وإنه لا يدري « لماذا يريد الرجل أن يعطيها نصف حقها في الميراث »

نعم انه لا يدري لأنه لا يريد أن يدري ، أو لا يعترف بما يدري ، فانه يخاطب المسلمين بقوله « هي هي كل شيء ... » وهي عندهم ليست بشيء من ذلك ، أما الامومة السفاحية فلا وجود لها في شريعتهم كما قلنا آنفاً . ولا وجود لها في الخارج أيضاً ، فان اللائي يلدن من حمل السفاح يلقين بالطفل المولود في أحد الشوارع ليلا على حين غفلة من المارين ليحمله رجال الشرطة أو غيرهم إلى معاهد اللقطاء ان لم يخنقنه عند الوضع ويدفنه حيث لا يعلم به إلا الله

وأما الام التي يطلقها زوجها فلها من النفقة مدة العدة ومدة الحضانة ما هو معروف للعامة والخاصة من الناس . ومن المطلقات المعتدات بالقروء من تنكر حيضها وتدعي امتداد أجل عدتها بحيث تمتد بالسنين ، ويجبر القضاء بمذهب الحنفية الرجل على النفقة عليها حتى تعترف بمرور الثلاثة القروء عليها وقلما تعترف بذلك في ظل القضاء الحنفي إلا اذا أرادت الزواج

فأما الام التي يموت زوجها فترث هي وولدها كل ما ترك إن لم يكن له زوج أخرى أو أولاد من غيرها أو أبوان وهو الغالب ، وكثيراً ما يترك الابوان نصيبها لولد ولدهما اذا كانا موسرين ، واذا هو لم يترك ما لا يكفي أولاده وجبت

نفقتهم على من قدر عليها من أولي القربى أيهم أقرب كما تجب نفقتهم هي أيضاً على أولي قرباها بالتفصيل المفصل في كتب الفقه

وما أظن أن جميع دعاة الاباحة الالحادية يوافقون الدكتور فخري على جعل أمومة العهر موجبة لمساواة المرأة بالرجل في الميراث لما تقتضيه من انفرادها بالنفقة على نفسها وعلى أولادها غير الشرعيين اذا لم تكن ذات فراش تفتري هذا البهتان على صاحبه ، وتلصق هؤلاء الاولاد بنسبه ، ولعل أكثرهم يتعجبون مع أهل الدين والصيانة من اقتراح مثله لهذا الرجس من التشريع وهو من أعلم الناس بقبح الفاحشة وأمراضها الخبيثة المعدية لانه من أطبائها الاخصائيين العاملين الطامين على ذلك ، فكان الواجب عليه أن يقترح مايقلل هذا الفساد اذا لم يمكن إزالته، لامايمكن المسافحات (البغايا) ومتخذات الاخدان (المرافقات) من تكوين بيوت جهرية لأولاد الزنا يعرف كل واحد منهم أمه ولا يعرف له أبا ، إلا أن تتبع الحكومة فيهم ماحكي عن التشريع البلشفي من الاخذ بقول المرأة في إلحاق كل ولد بالرجل الذي تدعي أنها علقت به منه ، فتلزمه الحكومة النفقة عليه [1] وحينئذ يمكن أن يكون لكل أم من هؤلاء الامهات غير الشرعيات بضعة أولاد لبضعة رجال تتقاضى من كل واحد منهم نفقة رضاعته وحضانته وتربيته !! إلى أن تتولى الحكومة أمر رزقه اذا صارت بلشفية خالصة !! لان التشريع من بعض جوانب الشيء يفضي به إلى سائر الجوانب، ولولا استباحة الزنا وكثرته لما اقترح الدكتور فخري مااقترحه . بيد أن الفواجر لايعترفن بمن يضعن من أولاد السفاح في هذه البلاد بل يلقينه ليلا في بعض الشوارع ليوضع في ملاجيء اللقطاء، ومنهن من تقتل الطفل عند وضعه وتدفنه سراً اذا لم تكن ذات فراش تفتريه على بعلها فيه كما قلنا آنفاً ، ولا يصدها عن إلقائه أو خنقه أن تكون ذات مال تكفله به، فانها انما تفعل ذلك فراراً من عار الفاحشة ، لا لأجل العجز عن

---

(١) بعد نشر هذه المقالة في جريدة كوكب الشرق كتب الينا الامير شكيب أن البلشفيك ليس فيه هذا . ونحن نقلناه عن بعض الصحف معزواً الى كاتب من اوربا

النفقة ، فساواتها لأخيها في الارث لايهون عليها احتمال العار والاحتقار اللذين يلصقان بها من الامومة غير الشرعية ، فهي لن ترضاها لنفسها إلا أن يهبط تجديد الالحاد والاباحة بالامة كلها إلى حضيض المساواة بين حصانة الزوجية وإباحة الفاحشة في عد كل منهما حسناً شريفاً لاعار فيه، فان هبطت دعاية هذا التجديد بالامة إلى هذه الدركة السفلى من المساواة بين الفضيلة والرذيلة لاسمح الله فانه لايبقى بين دعاته وبين المساواة في الارث وغيره اسلام يتبع ، ولا قرآن يتعبد به ، ولا توراة ولا انجيل أيضاً، وحينئذ يكونون هم أصحاب الرأى النافذ في الحكومة البلشفية التجديدية فانه ليس في الارض اجدمنها، وان لم يتجرؤا (على ذمهم لكل قديم ومدحهم لكل جديد) على التصريح بها ، كما ظنوا اننا لانتجرأ على التصريح بطلب تنفيذ الشريعة الاسلامية كلها، وهانحن أولاء نصرح به لانه حق ومصلحة ، فنحن الشجعان لاننا نجهر باعتقادنا كله، وهم الجبناء لانهم لايجرأون على التصريح بكل مايستحسونه

أقول هذا لانه من لوازم هذه الدعاية الحمقاء ، ولا أجزم بان افكارهم القصيرة الخطى الكثيرة الخطا قد وصلت اليه ، او قصدت اركاس الامة فيه ، وانما أرجح انهم يطلبون المال والجاه والزعامة الادبية لهم ولمن يرتبط بهم بتحويل أفكار النابتة الجديدة من المسلمين وقلوب النساء عن هداية الاسلام وتشريعه ، إذ لايمكن لزعنفة قليلة ان تتبوأ مقام الزعامة والقيادة في امة كبيرة هم اعداء الا كثرية الساحقة الماحقة منها في كل ماتعتقد حقيته، وقداسته من أدب وتشريع ، ومنافع هذه الزعنفة من سامة الاجانب ومبشري دينهم رهينة بتأثير كلامهم في هذين الصنفين من المسلمين - أعني الشبان والنسوان، وجل الظلم والخسران في هذا كله واقع على أكتاد هؤلاء النسوان كما سنبينه في خاتمة هذه المقالات ان شاء الله تعالى

هذا وان الدكتور فخري ختم احتجاجه على وجوب مساواة المرأة للرجل بانها انسانة مثله وأخت له — وأعاد ذكر واجبات الامومة — ثم قال : وان كان حق الميراث ناتج (كذا) عن البنوة فهي أكثر منه عطفاً على والديها وهي أكثر منه براً بهما في شيخوختهما وفي مرضهما وفي ساعات بؤسهما وشقائهما اه

ونقول في تفنيده ان الانسانية ليست مناطا للارث ولا سبباً لتحديد درجات الوارثين فذكرها في هذا البحث لغو . وأما كون الوارثة أختاً للوارث ممها وبنتاً لمورثهما فهي إنما تقتضي المساواة بينهما في نفقة الوالدين عليهما وفي عطفهما واكرامهما لها وهذا حق قررته الشريعة الاسلامية فلا يجوز للوالدين تفضيل بعض أولادهما على بعض فيما تتساوى حاجتهم فيه عرفا لانه ظلم وسبب للتحاسد والتعادي بينهم، والواقع بالفعل انهما ينفقان على البنت أكثر مما ينفقان على الابن في الغالب لانها تحتاج من الحلي والحلل الحريرية وغيرها مايفوق ثمنه ماينفق على ملابس أخيها ،والذي أعرفه في بيوتنا وتربيتنا الاسلامية أننا نكرم البنات ونخصهن بعطف زائد على عطفنا على البنين ،فلا أذكر ان أحداً من رجالنا ضرب بنتاً ضرب التأديب الذي لايسلم منه أحد من البنين وقد كنت في بيت أبي أضرب اخوتي الصغار واوبخهم وأنهرهم بغليظ القول،ولم اضرب اختاً من اخواتي قط، ولااذكر انني اغلظت على احداهن في القول . ولو شئت لذكرت ماهو أبلغ من ذلك في تربيتنا الاسلامية ولله الحمد

ثم ان الوالد يجهز البنت عند تزويجها بأضعاف ماقد يدفعه مهراً لزوج الابن إذا لم يدفعه هذا من كسبه وقد اعتاد المسلمون المغالاة في هذا التجهيز حتى صاروا يبذلون فوق ماتسمح لهم به ثروتهم ،فيقترضون بالربا ولو فاحشاً أو يبيعون الارض والعقار باقل من ثمن المثل لاجله ،ولا يستحيي هؤلاء المفتاتون على المسلمين في شريعتهم وبيوتهم من عيبهم بالتقصير مع الاناث وهضم حقوقهن وهم يعلمون كل هذا

واما الارث فلا يناط بدرجة القرابة وعاطفتها بل هو ركن من أركان تكوين الاسرة ومصالح الامة الاقتصادية ، وكل منهما يقتضي أن يكون جل الثروة في أيدي « الجنس القوي النشيط » لانه أقدر على جميع أنواع التثمير والاستغلال والقيام بشؤون النفقات المنزلية (العائلية) والقومية والدولية،والذي يقعد « بالجنس اللطيف الضعيف » عن مجاراته في الامرين (الاستغلال والانفاق) هو وظيفة الامومة الامومة التي عكس الدكتور فخري القضية وخالف مقتضى الفطرة فجعلها سبباً للمساواة

وجملة القول ان الاسلام خالف جميع الشعوب وشرائعها بما شرعه من العناية بالنساء واعطائهن أكمل حقوق الزوجية التي تقتضيها سنن الفطرة السليمة، ومنحهن في الارث نصف ثروة الاسرة من جميع وجوه القرابة النسبية والزوجية ولم يضع عليهن من الواجبات المالية نصف ماوضعه على الرجال، فقد ترث المرأة المتزوجة أباها وأمها وبعض اخوتها وأخواتها وعمومتها وهي في حجر زوجها ينفق عليها وعلى أولادها ولا يكلفها الشرع أن تنفق من ذلك شيئاً على نفسها ولا على أولادها فضلا عن زوجها ، إلا أن تتفضل بالتبرع بذلك فتكون لها المنة. وأما أخوها الذي يشاركها في هذا الارث كله فيأخذ منه مثلي ماتأخذه فهو مكلف أن ينفق على زوجة أو أكثر وعلى أولاد قد يكونون كثيرين، فأيهما يكون أكثر مالا ، وأحسن حالا ، وأضمن مآلا ؟

إذا تيسر للمرأة استغلال ماترثه كما يستغله أخوها او أحسن إما بنفسها عند توفر الوسائل وانتفاء الموانع الزوجية والوالدية، واما باستخدام اولي الكفاية من الرجال فان ثروتها تزيد على ثروة أخيها المثقل بنفقات الزوجية والابوة أضعافاً ولو شئنا لوضعنا لذلك مثلا حسابية تتجلى بها تفاصيل هذه المسألة المدهشة، وذلك مما يتيسر لكل من يعرف علم الحساب على تفاوت الناس فيه

وأراني قد أتيت في هذه المسألة بما قامت به حجة الاسلام تتبختر اتضاحا، ودحضت شبهة الالحاد والاباحة تتضاءل افتضاحا . وأرجو من قراء الكوكب المنير أن يمنحوني إجازة في الخمسة الايام الباقية من رمضان وأسبوع العيد أعادهم الله تعالى عليهم وعلى سائر الامة بالخير والنعمة وكشف كل غمة وسأشرح لهم بعدها سائر الحقوق إن شاء الله تعالى

[المنار]

عرض لنا في أسبوع العيد وعكة تجددت لنا بعدها شواغل فوق الاعمال المعتادة فأخرنا بقية مسائل الموضوع ، ثم عرض بعد ذلك الانقلاب المعروف في سياسة الحكومة ، وكان من نتائجه تعطيل جريدة كوكب الشرق ، وسننشر بقية المقالات في المنار ، وبعد اتمامها ستصدر في كتاب مستقل ان شاء الله تعالى

الاتفاق بين دولة الحجاز ونجد السعودية

(ودولتي ايران وبولونية)

(وعدنا في الجزء الأخير من المجلد الثلاثين بنشر اعتراف دولة بولونية بالمملكة) السعودية وسبب ذلك أنه قد زار مصر صاحب الفضيلة مفتي المسلمين في بولونية وزعيمهم الديني (الشيخ يعقوب شنكفتش) في طريقه الى الحجاز فلقي من تكريم فضلاء المسلمين وجمعية شبانهم ومن جمعية الرابطة الشرقية ما يليق بزعامته وشخصه الكريم ، وقد ألقى في نادي الخطابة من دار جمعية الشبان المسلمين محاضرة في بيان حال المسلمين في بولونية وما لهم فيها من حرية الدين المطلقة ومن مساعدة الحكومة البولونية الكاثوليكية لهم ما كان موضع الاعجاب والعجب من كل من سمعه لانه فوق المعهود من الدول الاوربية وسببه الحقيقي عندنا أن تدين بولونية أمتها وحكومتها بالنصرانية تدين عقيدة واخلاص فهو لا ينافي الاتفاق مع المسلمين وأما تدين دول الاستعمار والدعاية فهو تدين سياسة وتجارة وبذلك كان مثار الشرور . ثم سافر المفتي الى الحجاز وحظي مع الوفد البولوني المؤلف برياسة المعتمد السياسي الجديد لدولته لدى ملك المملكة الحجازية النجدية بلقاء ملكها في مدينة جدة واحتفل فيها بتبادل خطبتي الاتفاق بين الدولتين بما هو صريح في اعتراف حكومة بولونية وشعبها بمزايا الشعب العربي الاسلامي والرغبة الصادقة في مودته باسلوب لم يعهد مثله من الدول الاوربية في روحه ومغزاه — وكان جواب الملك السعودي زعيم العرب و الاسلام له بمثال هذه الروح الشريفة — لهذا أحببنا نشر ذلك في المنار للتنويه به

وقد اتفق ان جريدة أم القرى الحجازية الغراء نشرت تفصيل الاحتفال بالوفد والمعتمد البولوني عقب تفصيل الاحتفال بالمعتمد الايراني وكنا نوهنا في المنار بالاتفاق بين الدولتين السعودية والبهلوية الايرانية في المنار وأظهرنا السرور به ولكننا رأينا في خطبة المعتمد الايراني وجواب الملك السعودي له ما ضاعف

سرورنا بأصل الاتفاق بين هاتين الدولتين الاسلاميتين المستقلتين، وهو التصريح فيهما بالجامع الأقوى والأعلى بينهما وهو الرابطة الاسلامية وتعزيز الاسلام، وقد أكبرنا هذا التصريح الذي يعبق منه شذى الصدق والاخلاص لانه وقع بعد سعاية خبيثة لايقاع الشقاق بينهما احياء وتجديدا لشر المصائب والرزايا القديمة التي أضعفت الاسلام والمسلمين وهي العداوة بين أهل السنة والشيعة . وبعد ماوقع من شيعة العراق من اظهار العداوة والبغضاء لاهل السنة النجديين وتكفيرهم، ومن شيعة سورية من نشر أحد شيوخ علمائهم لكتاب خبيث في الطعن في دين الوهابية يتضمن الطعن في السنة وأئمتها وحفاظها ومن تأليف عالم آخر منهم لكتاب آخر في دعاية الرفض والطعن في أهل السنة – وتصدي مجلتهم العرفان لنشر هذه الدعاية

فهذا الاتفاق بين الدولة المقيمة للسنة على أصولها الصحيحة والدولة الممثلة لفريق الشيعة الامامية وبناؤه على ما صرح به في الخطبتين من جعل الشعور الاسلامي والوحدة الاسلامية أساسا للمودة والاتفاق والتعاون يعد مبدأ إصلاح اسلامي عظيم تعب دعاة الاصلاح في سبيله تعبا عظيما ولم يفوزوا بما كانوا يرجون منه، وناهيك بما قام به حكيما نهضتنا الاسلامية منذ نصف قرن من السعي الحميد لذلك . وهما السيد جمال الدين الحسيني الافغاني والشيخ محمد عبده المصري

واننا نبدأ بنشر خطبتي هذا الاتفاق وننشر عقبه خطبتي الاتفاق الآخر

خطاب الممثل الايرانى

(وهو صاحب السعادة حبيب الله خان هويدا)

ياصاحب الجلالة

ان مولاي المعظم صاحب الجلالة شاهنشاه ايران خلد الله ملكه أولاني أسمى شرف ، وأعظم فخر ، وأغلى ثقة ، بتعييني ممثلا في بلاط جلالتكم ، لأقوم بكل قواي على إحكام روابط المحبة والوداد الموجودة لحسن الحظ بين الدولتين الصديقتين الاسلاميتين

ان اطمئناني ياصاحب الجلالة على وجود الصداقة الخالصة المتينة بين الحكومتين المعظمتين واعتمادي وثقتي على العواطف السامية الملوكانية التي شملتموني بها عند مثولي بين يدي جلالتكم في الدفعات الماضية ، وشعوري على مابين الامتين من روابط الاخاء والولاء يشدد ساعدي في تأدية الواجب، ويقوي عزمي على القيام بمهمتي ياصاحب الجلالة

ان بين الشعبين صلة أكيدة قوامها الدين المبين، وأواصر إخاء وثيقة عمادها الاتحاد والغاية في النزعة القومية ، لان الامتين استناروا من نور واحد أشرق من افق البطحاء واستفاضوا من منبع فيض واحد كان ينبوعها هذه الاراضى المقدسة فأي ضمان اثبت على دوام المحبة وأحفظ على تبادل الولاء الصادق من الاتفاق في شعائر الدين والتقاليد القومية. واني ياصاحب الجلالة اراني في هذه الساعة محاطا بروح الشرف والفخار بتشرفي بالمثول بين يدي جلالتكم لتقديم أوراق اعتمادي الكتاب الكريم المرسل من لدن صاحب الجلالة شاهنشاه بهلوي متبوعي المعظم مليك ايران لجلالتكم بتعييني ممثلا للدولة الامبراطورية في بلاط جلالتكم مليك الحجاز ونجد وملحقاتها ، فأغتنم هذه الفرصة الثمينة ياصاحب الجلالة المعظم لأعرب عن المودة الصادقة الاكيدة التي يبديها مليكي المعظم في تمنياته لذاتكم الملوكانية بالفوز والتأييد ، ولأسرتكم الملكية الكريمة بالعظمة والاقبال ، ولأمتكم المجيدة بالسعادة والرفاه كما ان حكومة جلالة مولاي المعظم والامة الفارسية لترجو بأن يكون عهد توليتكم شؤون الدولة وتبوئكم عرش المملكة فاتحة واطرادا للرقي والتقدم ، ويعود على الامة العربية بالعز والرفاهية ، ويزيد الصلات الودية الموجودة بين الشعبين: الفارسي والعربي متانة وإحكاما . مولاي

الجواب الملوكي

وقد تلاه أمين السر لصاحب الجلالة السعودية الاستاذ الشيخ يوسف ياسين

يا جناب الممثل

انه لمن دواعي سرورنا العظيم أن نتقبل ممثل صديقنا العزيز جلالة شاهنشاه أيران في بلادنا ليكون واسطة في تأييد أواصر الصداقة — القائمة ولله الحمد — وتمتين حسن الصلات بين البلادين اللذين يرتبطان بصلات الجوار والحس المشترك في الشعور الاسلامي العام

وانه ليسر شعب هذه البلاد المقدسة ان يروا هذه الصلات الحسنة مستمرة على الدوام مع سائر الشعوب التي تنتسب للاسلام ليكون هذا عونا على ارتباط المسلمين جميعاً للتعاضد على العمل الذي كان منشؤه كما ذكرتم هذه البلاد المقدسة ليسطع نور الاسلام في سائر الآفاق ويكون من آثار سطوعه تعاضد المسلمين على ماينفعهم في دينهم ودنياهم

ولقد كان من دواعي سرورنا أن يقع اختيار جلالة صديقنا العزيز لجنابكم لتمثلوه لدينا لما عرفناه في شخصكم من القدم في السعي والحرص في تأييد أواصر الصداقة بين البلادين . تلك المساعي التي أنتجت ولله الحمد هذا المصر السعيد من الوئام والاتحاد بيننا وبين الجارة الصديقة

لذلك نتقبل بسرور أوراق اعتمادكم التي حملتموها من لدن جلالته

ونحب أن تكونوا على ثقة يا جناب الممثل من انكم ستلقون منا ومن رجال حكومتنا كل مساعدة وتأييد لتتمكنوا من القيام بمهمتكم التي أسندت إليكم خير قيام ، وإنا لنتمنى لكم توفيقا ونجاحا في جميع ما تسعون اليه من أعمالكم المفيدة . والسلام

اعتراف حكومة بولونيا بالحكومة السعودية

منقول من جريدة أم القرى الغراء بحروفه

في الساعة الحادية عشرة من اليوم المذكور تشرف الكونت ادوارد راشينسكي والدكتور يعقوب شنكفتش مفتي مسلمي بولونيا أعضاء الوفد البولوني الذي ذكرنا نبأ وصوله في العدد الماضي بمقابلة صاحب الجلالة الملك المعظم ، وقد استقبل الوفد بالمراسم المعتادة ولقي من جلالة الملك كل عطف ورعاية

ثم ألقى الكونت ادوارد راشينسكي أمام جلالة الملك خطابا نشرنا صورته فيما يلي وعقبه الشيخ يوسف يس فألقى الخطاب الجوابي الملوكي

﴿ خطاب الكونت أدوارد ﴾

ياصاحب الجلالة

أتشرف بأن أقدم الى جلالتكم رسالة حضرة صاحب الفخامة رئيس جمهورية بولونيا الفتية الناهضة وباسم فخامته أعرض على جلالتكم تمنيات صحتكم ودوام ملككم لرفاه الامم المتحدة تحت لوائكم المنصور

ان مملكة بولونيا تعرف جيداً الامة العربية الجسورة وفروسيتها ، وتقدرها حق قدرها ،وقد اشتهرت في العالم بحبها للحرية حتى بلغت شهرتها إلى بولونيا ، فتغنى شعراؤها منذ العصور بفروسية هذه الأمة الكريمة

ان الامة البولونية تقدر هذه الفروسية وهذا الحب للحرية لأنها هي أيضا قاتلت متفانية لنيل استقلالها وتحملت آلاما ومتاعب كثيرة لبلوغ غايتها من الحرية المنشودة ، وقد كانت حياتها في خطر ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى وكرمه استطاعت ان تحافظ على كيانها حتى اصبحت مملكة قوية يتمنى العالم كله هدوءها وسكونها للمحافظة بسببها على السلام العام

أقدم هذا التقدير وهذه الممنونية التي تحفظها الامة البولونية نحو الامة العربية الكريمة ونحو جلالتكم الذي جمعتم هذه الامة العربية وكونتم مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها العظيمة على يدكم المنصورة بسعيكم النادر وحكمتكم النافذة ، وشجاعتكم الشخصية التي هي أكبر ماتقدرها الامة البولونية

ان شهرة جلالتكم كأتقى ملك وأكثرهم دفاعاً عن الدين تزداد انتشاراً يوما فيوما بين اخوانكم المسلمين في بولونيا الذين توطنوا بلاد الشمال البعيدة منذ قرون عديدة ، وقوبلوا من الامة البولونية كأخوة لشهرتهم بالتخلق بالاخلاق الحسنة والفروسية والتفاني في الدفاع عن الوطن مع اخوانهم البولونيين حين هجوم الاعداء على بلادهم ، وقد حضر اليوم معي الى هنا ممثلهم ورئيس ديانتهم المحترم المفتي الاكبر يعقوب شنكفيتش ليرتبط بمنبع ديانتهم ارتباطا وثيقا ويهنيء جلالتكم بالصعود على عرش البلاد المقدسة والدفاع عنها

انني لا أشك من أن وفدنا الذي أتشرف بأن اكون رئيسه ليستطيع أن يضع الاساس الاول لارتباط الامتين الكريمتين الامة العربية والامة البولونية برباط الصداقة القلبية المتينة لمنفعة هاتين الامتين اللتين يمكنهما أن تنتفعا من بعضها انتفاعاً عظيما فتظهر هذه المنفعة جلياً في ميدان الاقتصاد لان بلادنا محشودة بثروات طبيعية وصناعات تتقدم بسرعة مدهشة فيمكن أن تستفيد هاتان المملكتان البعيدتان من بعضها فائدة عظيمة بسبب تبادل محصولاتها الطبيعية والصناعية

بعد أن تشرفت بتقديم احساسات وتمنيات حضرة فخامة رئيس الجمهورية البولونية الفتية وحضرة القائد المنصور المارشال جوزيف بيلسودسكي وباسم الحكومة البولونية والامة البولونية كلها ألتمس السماح لي بأن أتشرف بتقديم تمنياتي واحساساتي الشخصية مع احساسات وتمنيات زميلي المحترم وأرجو وألتمس من جلالتكم التنازل بقبولها وتعطفوا علينا بمعونتكم في إنهاء مهمتنا التي تشرفنا بتحملها لانها مع معاونة جلالتكم »

الجواب الملوكى

يا جناب المندوب

اننا نتقبل بسرور رسالة حضرة صاحب الفخامة رئيس جمهورية بولونيا الفتية الناهضة ونتقبل بامتنان التمنيات الطيبة التي نقلتموها لنا عن فخامته كما اننا نفاخر بما ذكرتم مما هو معروف في بلادكم عن مزايا أمتنا العربية التي نراها تشابه في كثير من الحالات حالة الامة البولونيــة في مراميها ومزاياها من الشجاعة والاقدام

وان الامة العربية لتنظر للبراعة التي ظهرت في الامة البولونية وعلى الاخص في الايام الاخيرة بعين التقدير والاحترام ، ولقد سرنا ما ذكرتم لنا عن الذين ينتسبون للاسلام ويتفيئون ظلاله ، وإنا لنتمنى لهم هناء وراحة وتوفيقا في إقامة شعائر دينهم ونجاحا في السير على ماجاء به الاسلام الذي كان منشؤه هذه الديار المقدسة التي تسر باستقبالكم فيها ، وإنا لنرحب بحضرة ممثل المسلمين في ديار بولونيا وسيلقى منا ومن رجال حكومتنا كل مساعدة في سبيل تأييد الصلات مع أولئك المسلمين الذين نهتم بأمرهم كل الاهتمام

وإنا لواثقون من انه سيكون لوفدكم الكريم أحسن الاثر في العلاقات الاقتصادية بين بلادنا وبلاد الامة البولونية النجيبة

ونرجوكم أن تقدموا بالنيابة عنا لحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية البولونيــة ولحضرة القائد المنصور المارشال جوزيف بيلسودسكي تمنياتنا بدوام صحتهما ورفاهيتهما ، كما نرجو إبلاغ الامة البولونية النجيبة تمنياتنا لسعادتها وسؤددها كما نتمنى لجنابكم ولرفيقكم الموقر كل هناء وصحة وعافية ، ونأمل أن يبدأ في القريب العاجل عهد علاقات ودية واقتصادية بين البلادين تكون مفتاح هذه العلاقات والسلام .

وبعد الانتهــاء من الخطب أبلغ الدكتور اداورد راشنسكي جلالة الملك اعتراف حكومة بولونيا بارتقاء جلالته على عرش مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها فشكر جلالته الحكومة البولونية على صنيعها هذا . اهـ

الفتح الاوربي والفتح الاسلامي

(والاستعمار البريطاني والفرنسي)

ياحسرة على المسلمين جهلوا تاريخهم وجهلوا دينهم فجهلوا أنفسهم، فهم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم الظالمين المستذلين لهم ، شغلهم الفاتحون لبلادهم عن أنفسهم وعن مقومات أمتهم من دين قيم، وتشريع عادل، وتاريخ مجيد، وأدب رائع ، بزخرف من زينة حضارتهم، ودعاوى كاذبة عن عدالتهم، وتهاويل مرعبة من مظاهر قوتهم ، فرضي كثير منهم بأن يكونوا أعوانا لهم على استعبادهم واستذلالهم ، ثم لم يرض الفاتح منهم بسلب المال، وتنكيس رءوس الرجال، حتى عمد الى سلبهم مالهم من الرجاء في سعادة الآخرة بتحويلهم عن الاسلام بعد أن سلبهم سعادة الدنيا .

كان المسلمون يفتحون المصر من الأمصار والقطر من الأقطار فيرضون من أهله بقليل من المال يسمى الجزية يجعلون لهم بها حق حمايتهم والدفاع عنهم، مع حريتهم المطلقة في عقائدهم وعباداتهم وأنفسهم وأموالهم واعراضهم، ويسمحون لهم بتلقي العلوم معهم في مساجدهم ومدارسهم كأبنائهم، وبجميع الاعمال التي يقدرون عليها لترقية أنفسهم . ومن اختار منهم الدخول في الاسلام كان أخا للمسلمين في الامور الروحية ، فوق ما كان له من مساواتهم في الحقوق المدنية، وترفع عنه الجزية التي قلما كانت تزيد على دينار في السنة من البالغ الحر القادر على الاداء

وأما هؤلاء المستعمرون من الافرنج فهم يسلبون من أهل البلاد التي يستولون عليها أكثر ثمرات كسبهم، ويجعلونهم أذل من عير الحي والوتد في بلادهم، ومن لم يرض مع الذل والعبودية بخيانة أمته ووطنه والخدمة الصادقة لهم يسومونه سوء العذاب، ولا يساوون أحداً منهم بأبناء جنسهم، وإن هو دخل في دينهم . وأشدهم إسرافا في هذه الخطة الدولة الفرنسية، وقد كان رجال سياستها يسخرون من الانكليز إذ يرونهم يسمحون لبعض الناس في البلاد التي يتغلبون عليها بأن يكونوا أصحاب ثروة واسعة، وأن يعلموا أولادهم بعض العلوم العالية ، ويتركون لهم شيئا من الوجاهة وحرية

الدين التي لا تعارض السلطة، ويكتفون في سبيل تحويلهم عن دينهم ونعرتهم القومية والوطنية بالتعليم والتربية المدرسية ودعاية المبشرين بالنصرانية معتذرين عن دعايتهم بأنه مقتضى الحرية الدينية العامة لا خروج عنها .

كان الدكتور غوستاف لوبون فيلسوف فرنسة يفضل في كتبه سيرة انكلترة في مستعمراتها على سيرة دولته (فرنسة) وكان ساستها يسخرون من فلسفته ومن السياسة الانكليزية الاستعمارية ، ولما قامت مصر والهند بعد الحرب تطلبان الاستقلال، وتبذلان في سبيله الاموال، اقتنعت انكلترة بأن فرنسة أحذق منها في استعباد البشر إذ لا تدع لهم سبيلا الى الثروة ولا الى العلم الذي يجمع الكلمة ، ولكنها لا تستطيع ان تكون مثلها ، فان حاولت ذلك كان خسارها أكبر من ربحها

ان جميع الحكومات الأوربية تتعمد افساد أخلاق أهالي البلاد التي تستولي عليها باي اسم من أسماء الاستيلاء حتى الحماية والمساعدة والانتداب ، وتلقي بين المختلفين من أهلها في الدين أو المذهب أو الجنس الشقاق والبغضاء، اما إفساد الاخلاق وكذا صحة الأبدان فباباحة الفواحش والمنكرات كالخمور والمخدرات بانواعها ونشرها باسم الحرية الشخصية وحرية التجارة، واما إلقاء العداوة والبغضاء والتفريق بين الاهالي فباسم حماية حقوق الاقليات . والغرض الذي يتوخونه من كل ذلك أن لا توجد في البلاد وحدة تجمع كلمة أهلها على المطالبة باستقلالها . ولا فضائل تؤلف بين الافراد وتنهض بهممهم الى القيام بشؤون الاصلاح فيها، وانما يكون هم كل واحد منهم التمتع بشهواته الحيوانية، وهم كل فريق يجمعه دين أو مذهب أو جنس معاداة من يخالفه فيه من أهل بلاده

وأما المسلمون فكانوا على اطلاقهم الحرية للمخالفين لهم في الدين يمنعونهم من الفواحش والمنكرات التي تفسد أخلاقهم وتجني على صحتهم، كما يمنعون منها المسلمين أنفسهم ، لان الله تعالى لما أذن لهم بالقتال دفاعا عن أنفسهم ودينهم عند تمكنهم منه كان مما أوجبه عليهم اذا صاروا أصحاب السيادة في الارض أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، فلا تبيح الحكومة الاسلامية الصحيحة لغير المتدينين بدينها من المنكر عندها إلا ما تبيحه لهم دياناتهم كشرب الخمر مثلا اذا كان فيما بينهم بصفة لا يضر غيرهم

وقد رأينا بعد الحرب الكبرى من ظلم الدول المستعمرة للمسلمين وتعديها على دينهم ودنياهم ماتفاقم شره بعد سقوط الدولة العثمانية ، وقيام حكومة تركية من انقاضها أعلنت الالحاد ونبذت الشريعة الاسلامية وراء ظهرها، وأبطلت محاكمها ومدارسها وأوقافها، وأكرهت رعيتها على ترك لغتها وهي العربية، وعلى كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية ، وترجمت لها القرآن المجيد باللغة التركية ترجمة لايثق بها مسلم لتكتبه بالحروف اللاتينية، تمهيداً لمحوه من البلاد التركية . ولم يمكن الشعب التركي الذي يدين سواده الاعظم بالاسلام وتعد الملاحدة فيه كالنقطة السوداء في الثور الابيض أن يصد حكومته العسكرية القاهرة عن هذا الالحاد لضعفه بالفقر والحروب الطويلة التي انهكت قواه ، وقد حاول اغتيال رئيس جمهوريته الالحادية (اللاييك) مراراً فلم يظفر به، فهو ينتظر الفرج من الله تعالى بانقلاب آخر

فهذا الحدث الفاحش أطمع الدول المستعمرة للبلاد الاسلامية في إخراج المسلمين من دينهم بالقوة القاهرة . وقد كانت دولة فرنسة مهد السبل من قبل لاخراج شعب البربر الاسلامي القوي الشكيمة من الاسلام إلى النصرانية او الالحاد، ثم تجرأت في هذا العهد على تنفيذ ذلك بالقوة العسكرية في المغرب الاقصى، واستعانت على ذلك بحيلة صورية ، أرادت أن تجعل بها هذه الفعلة ذات صبغة رسمية أو شرعية، فطلبت من سلطان المغرب السابق أن يصدر لها ظهيراً (مرسوما سلطانيا) يهبها به ما كان له من الرياسة الدينية والحق الشرعي الديني على شعب البربر ويجرد نفسه منه، فيكون لها به حق التصرف المطلق في أمور هذا الشعب الدينية من قضائية وتعليمية ظنا منها أن السلطان الذي يملك حق الولاية الدينية على هذا الشعب الاسلامي يملك أن يتركه لسلطة غير اسلامية ، ويجعل لها حق التصرف في دين هذا الشعب فتردّه عن الاسلام بكل الوسائل التي تقدر عليها - فامتنع أن يصدره على شدة التهديد في زمن الحرب الكبرى، وهم يزعمون انه أصدره، ولكنها لم تنشر نصه ولم تكتف به، بل عادت بعد موته الى ولده الشاب الذي نصبته بعده واستصدرت الظهير في هذا العام بنفوذ رئيس حكومة المخزن (الطيب المقري) ، وشرعت في إخراج البربر بالفعل من دين الاسلام بتعليم أولادهم الديانة النصرانية باللغة الفرنسية ومنعهم من تعلم القرآن

واللغة العربية وبوضع قانون جاهلي للاحكام الشخصية من زواج وطلاق وإرث وغيره يحل محل الشريعة الاسلامية ، في محاكم بربرية تنشأ بدلا من المحاكم الشرعية

أما الحق الشرعي في هذه الوسيلة فهو أن السلطان لايملك أن يعطيها هذا الحق، كما انه لايملك أن يغير نصا من أحكام الشرع ، كأحكام الزوجية والطلاق والارث ، وهي منصوصة في القرآن ، بل لم يكن للرسول الاعظم حق في مخالفة القرآن في حكم من أحكامه وقد قال الله تعالى (١٠: ١٥ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي، إن أتبع إلا مايوحى إلي، إني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) فأي مسلم اعتقد أن له الحق في أن يغير حكما من أحكام القرآن أو غيرها من أحكام الاسلام المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة يحكم بارتداده عن الاسلام وقتله وعدم دفنه في مقابر المسلمين الخ و كذا من استحل أن يفعل ذلك او ان يسمح لغيره بفعله فهو كافر مراق الدم ، واذا كان من يجحد مثل هذه الاحكام جحوداً يحكم بكفره ويجب قتله أيضا فكيف بمن ينفذ إبطال هذه الاحكام بالفعل أو يسمح لغيره بتنفيذها واخراج بعض المسلمين من دينهم؟ قال صاحب عقيدة جوهرة التوحيد

ومن لمعلوم ضرورة جحد   من ديننا يقتل كفراً ليس حد

ولما شرعت حكومة المغرب الفرنسية في تحويل البربر عن دينهم بالفعل ، تجرأ مسلمو المغرب الاقصى على مقاومة السلطة الفرنسية بالفعل، وكان قد استحوذ عليهم الخوف والجبن ،وسنبين في الجزء الآتي ما كان من تأثير هذه الفتنة هنالك ثم ما كان وما سيكون من تأثيرها في العالم الاسلامي كله، مع البحث في آراء ساسة فرنسة فيما يجب أن تعامل به المسلمين فانهم مختلفون في ذلك ولم يبلغنا عن أحد منهم قبل الحرب الكبرى انه يجب عليها إكراههم على ترك الاسلام بل هذا رأي حديث سنبين انه رأي أفين ، ونرد على ماأقاموا عليه من الدليل ، ونبين الرأي المعقول الجامع بين مصلحة فرنسة ومصلحة المسلمين، ومصلحة البشر أجمعين

المعاهدة الجديدة

﴿ بين انكلترة والعراق ﴾

ان في العراق حزبا عراقياً انكليزيا، كما أن في مصر حزبا مصريا انكليزيا، وأعني بكونه انكليزيا ان ساسة الانكليز يثقون بزعمائه ويعدونهم أصدقاء أو غير أعداء لهم. وإن من أركان الحزب العراقي الانكليزي: نوري باشا السعيد، وجعفر باشا العسكري. ولما تعذر الاتفاق بين الانكليز في العراق وبين الوزارات كلها عهد جلالة الملك فيصل برياسة الوزارة إلى نوري باشا السعيد فلم يلبث أن اتفق مع الانكليز على عقد معاهدة سياسية عسكرية يلغى بها ما يسمى الانتداب ويجعل شؤون العراق بين الدولتين بدون وساطة جمعية الأمم، بل تساعد الدولة الانكليزية العراق بمقتضاها على أن تكون عضواً في جمعية الامم كسائر الممالك الداخلة في دائرة الامبراطورية البريطانية المرنة التي يسمى ساسة لندن لجعل الشرق كله في جوفها

وقد كانت الدعاية التي تقدمت هذه المعاهدة والتي أعلنت فيها بالاجمال قبل التفصيل متقنة كل الاتقان فلم يعلم الناس بما فيها من الخطر على العراق بل على الأمة العربية كلها إلا بعد نشرها برمتها. وقد كنت ممن ظنوا ان أكبر غوائلها بقاء حظائر الطيارات البريطانية فيها. ثم ظهر انها معاهدة عسكرية تقرر فيها جعل بلاد العراق وكل ما فيها من القوى وطرق المواصلات تحت تصرف الانكليز العسكري إذا وقع بينهم وبين أحد حرب كما تقرر فيها مساعدة الانكليز للعراق بقواها العسكرية حالة وقوع حرب بينها وبين دولة أخرى، بل تقرر فيها أن تكون قوة العراق العسكرية وأسلحتها في تصرف الانكليز

ومن المعلوم بالبداهة عند جميع المشتغلين بالسياسة أن الدولة البريطانية موجهة براعتها السياسية إلى استعباد الامة العربية وجعل جميع بلادها العامرة تحت سلطانها من مصر الراسخة تحت نير احتلالها العسكري الى العراق فالكويت فعمان أي إلى آخر حدود جزيرة العرب والتمهيد بذلك إلى جعل الحجاز ونجد تحت سيطرتها، وبهذا تقطع الطريق على الشعوب العربية دون الاتفاق والاتحاد والاستقلال

ومن المعلوم بالاختبار الصحيح وتاريخ الفتح أو الاستعمار الانكليزي في الهند ثم في مصر والسودان ان الانكليز يضربون الامم الجاهلة أو المتخاذلة بعضها ببعض فيفتحونها بأيدي أهلها وبأموالهم ، فان ماينفقونه من المال في أول الامر يستوفونه بعد ذلك مع ربح فاحش جداً ، هكذا فعلوا في الهند وهكذا فعلوا في مصر والسودان ، وهكذا يفعلون اليوم في البلاد العربية بداراً أن تجمع كلمتها وتوحد نهضتها وتؤلف الدولة أو الدول المتحدة أو المتحالفة التي يسعى اليها أهل اليقظة والرأي من أبنائها .

نصبوا أولاد الشريف حسين ملوكا وأمراء على حدود الحجاز ونجد لعلمهم بما تأرّث بينهم وبين ابن السعود من سعير العداوة والبغضاء ، فهم يخوفون به ملك العراق وأمير شرق الاردن ويستعينون بنفوذهما وبرجال البلاد ومالها على إقامة الحصون والمعاقل تجاه نجد والحجاز ، ويخوفون ملك الحجاز ونجد بأنه اذا اشتد عن رغبتهم ، فانهم يقاتلونه بأيدي امته العربية وبما وراءها من قوتهم ، لعلمهم أن قوة العراق وشرق الاردن دون قوته الآن ، على انهم يظهرون الصداقة له ولجيرانه معاً كما كانوا يفعلون في الهند سواء . وسنأتي بالشواهد التاريخية على هذا في الجزء التالي ان شاء الله تعالى

عبد العزيز آل سعود رجل مسلم قوي الايمان ، عربي صادق العربية ، لامطمع له في بلاد شرق الاردن ولا العراق ، وهو لم يزحف على الحجاز ويستولي عليه الا مضطراً الى ذلك بما أحرجه الملك حسين حتى جعل مقاتلته ضربة لازب توجبها الشرع الاسلامي ومصلحة نجد والعرب والمسلمين ، وهو يرى حمل الحجاز ثقيلا عليه لما يحتاج اليه من أنواع الاصلاح الكثيرة من دينية ومدنية ، وناهيك بتقريب مسافة الخلف بين تربية أهله وشؤونهم الدينية والمعاشية وتربية أهل نجد وشؤونهم ، فهو لامطمع له فيما وراء ذلك ولا ينوي أن يعتدي على أحد من جيرانه في الجنوب ولا في الشمال وكلهم من قومه وأهل ملته ــ

فأي حاجة مع هذا الى إقامة الحصون والمعاقل على حدوده إذا لم تكن استعداداً لما ذكرنا من قطع الطريق على الوحدة العربية قبل أن تتمهد سبيلها ؟ وأي حاجة بالعراق الى مجاراة الانكليز على هذه السياسة بمعاهدة حربية وهم يعلمون أن جيرانها الآخرين من الترك والايرانيين لا يمكن أن يتصدوا لفتحها لان لهم

في انفسهم شغلا عن ذلك ، على علمهم بأن الدولة البريطانية لاتنوي ترك العراق لأهله، وان أعمالها العسكرية ولا سيما المطارات والمعاقل والحصون والسكك الحديدية التي تصل العراق بحيفا قبل انتهاء الخمس السنين التي ضربتها المعاهدة أمداً لخروج الجيوش الانكليزية من العراق - وما في النية إحداثه من السكة الحديدية العسكرية التي تصل العراق بالبحر الاحمر - كل ذلك وسائل لرسوخ قدمها في هذه البلاد وتأسيس امبراطورية بريطانية جديدة فيها في هذا الوقت الذي تتداعى فيه أركان امبراطورية الهند الكبرى التي لولاها لم تكن انجلترة من الدول العظمى وستستقل الهند بيقظة زعمائها وعلمهم وإخلاصهم ، بل في الوقت الذي يتحدث فيه بعض ساسة أوربة بقرب أجل هذه الدولة ويتوقع فيه سقوطها في الحرب الآتية التي لابد منها

ان أعظم ضباط العراق وطنية عربية ومعرفة بقيمة الاستقلال قد أقسموا أغلظ الايمان لجمعية عربية غايتها استقلال البلاد العربية استقلالا تاما بجميع معانيه الحقوقية والسياسية، وجعل الامة العربية به في مصاف الامم الحية ، فماذا فعلوا بيمينهم هذه؟ ومنهم بعض أعضاء هذه الوزارة التي عقدت هذه المحالفة وهي الآن تبذل نفوذها لتأليف مجلس نيابي يجعل استعباد انكلترة العسكري للعراق شرعيا بالاعتراف لها بأنه من طرق مواصلاتها الامبراطورية، وبان لها الحق في استخدام جميع قواته لمصلحتها العسكرية ، وفي جعل تأليف قواته العسكرية وسلاحه وسائر شؤونه بيد الانكليز يتصرفون فيها كما تصرفوا في قوات مصر، ولم يكن لهم من الامة المصرية مثل هذه المعاهدة ولا هذا الاعتراف،

ان تأليف مجلس نيابي يبرم هذه المعاهدة على علاتها ليس له معنى الا بيع العراق للانكليز بيعا شرعيا لا يمكن الرجوع فيه ، وانما يبقى أمام العراق طريق واحد للحرية والاستقلال وهو الثورة العامة لاخراجهم بالقوة ، ولكنها ستقطع هذا الطريق عليهم بأيديهم . وقد شرعت في ذلك ببث الاحقاد المذهبية بين أهل السنة والشيعة من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، والعصبيات الجنسية بين العرب والكرد والاشوريين ، وبالفاجرات ثم الالحاد والاباحة وحرية الفسق التي لا يمكن أن تقوم لأمة معها قائمة ، وستنزع السلاح من جميع القبائل بقوة الجيش العراقي الذي ستنظمه لخدمتها . وللعراقيين كبر عبرة بسيرتهم في مصر والسودان، ومن لم تؤدبه الحوادث، أدبته الكوارث

باب تقريظ المطبوعات الجديدة

(نور الاسلام) « مجلة دينية علمية أخلاقية تاريخية حكمية . تصدرها مشيخة الازهر الشريف أول كل شهر عربي [1] مدير إدارة المجلة عبد العزيز (بك) محمد من أعضاء مجلس الازهر الاعلى . رئيس التحرير السيد محمد الخضر حسين من علماء الازهر . قيمة الاشتراك السنوي داخل القطر المصري ٤٠ ق لطلبة المعاهد والمدارس ٢٠ – خارج القطر المصري ٥٠ »

هذا تعريف ادارة المجلة بها ، ولقد كان وجود مجلة لمعهد الجامع الازهر أمنية قديمة لنا ولكثير من مفكري المسلمين ومحبي الاصلاح ونشر الاسلام والدفاع عنه . وقد بين رئيس التحرير هذا في فاتحة العدد الاول وذكر سبب حصول هذه الامنية وأصحاب الفضل فيه وبيان الخطة التي رسمتها المجلة لنفسها ، واننا نشكر ذلك لما لنا من العناية الخاصة والاهتمام بأمر هذه المجلة بعد أن سلخنا ثلث قرن في الاشتغال بنشر مجلة المنار والقيام فيها بأهم فروض الكفاية التي اشتدت الحاجة اليها في هذا العصر الذي فشا فيه الالحاد ، ونشر شبهاته والدعوة اليه في جميع البلاد ، ونشط دعاة النصرانية في محاولة تنصير المسلمين في جميع الاقطار بمساعدة دولهم وأغنيائهم ، وقد دخلنا في سن الشيخوخة ولم نوفق لتربية أحد نرجو أن يقوم بعدنا باصدار المنار كما اننا لم نجد مجلة اسلامية تقوم بما يقوم به ، وهكذا كل عمل يقوم به الافراد يزول بزوالهم في الغالب . لهذا نسر ونهنئ بانشاء المعهد الاسلامي الاكبر لمجلة إسلامية يرجى دوامها بدوامه إن شاء الله تعالى ، ولهذا نطيل في تقريظها مالم نطله في تقريظ مجلة أخرى ومالم تطله الصحف الأخرى بتقريظها ، وهذا نص ماجاء في فاتحتها :

« احس الناس شدة الحاجة إلى هذه الصحيفة ووثقوا بأن سيكون لها في إنارة السبيل والذب عن حوزة الدين موقف خطير ، وهذا الاحساس الشريف هو الذي بعث حضرة صاحب العزة عبد العزيز محمد بك مدير هذه المجلة أن اقترح على المجلس الأعلى للمعاهد الدينية في جلسته المنعقدة في ٣ جمادى الثانية (٢)

---

(١) قد سبق الى انشاء مجلة دينية بهذا الاسم المرحوم الشيخ أمين أبو يوسف المحامي

سنة ١٣٤٥ الموافق ٨ ديسمبر سـنة ١٩٢٦ أن يدرج في ميزانية المعاهد مبلغاً يقوم بانشاء مجلة إسلاميـة ، فعهد اليه المجلس بوضع تقرير في مشروع هذه المجلة على أن يعرضه عليه في جلسته المقبلة . وفي يوم ٨ محرم (?) سنة ١٣٤٦ — الموافق ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٧ عرض حضرته هذا التقرير على المجلس فكان من المجلس أن قرر تأليف لجنة من حضرات أصحاب الفضيلة الاساتذة : المدير العام للمعاهد الدينية المرحوم الشيـخ أحمد هارون . وشيـخ معهد الاسـكندرية لذلك العهد الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجـامع الازهر . وشيخ معهد طنطا المرحوم الشيخ عبد الغني محمود، وعهد اليها ببحث ما احتواه التقرير من الاقتراحات فنظرت اللجنة في التقرير وقدمت نتيجة بحثها إلى المجلس . وحينما أخذ ينظر في ميزانية سنة ١٩٢٩ أدرج فيها مبلغاً للانفاق على المجلة . إذ وثق بأنها عمل صالح وفاتحة نهضة مباركة

« ولمـا أسندت مشيخة الازهر إلى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الاحمدي الظواهري كان من أول ما توجهت اليه عنايته مشروع هذه المجلة، فأخذ يدبره بجد وحكمة حتى لانت صعابه ، وتهيأت بتأييد الله أسبابه

« وفضل هذا المشروع الاسلامي الجليل عائد في الحقيقة إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا ملك مصر المعظم أحمد فؤاد الاول حرسه الله ، فان جلالته سار على سنن أسلافه الاماجد ، فأقبل يرفع صروح العلم ويحوط العلماء بالرعاية حتى نال الازهر الشريف وعلماؤه من هذه الرعاية أوفر نصيب

« فاقبال جلالته على هذا المعهد الاسلامي بعناية ضافية قد وطد في نفوس رجال العلم الامل في أن تكون دعوتهم إلى سبيل الخير ناجحة ، وجعل الازهر بمكان القادر على أن يصرع كل ضلالة وينهض بكل صالحة

«خرجت هذه المجلة وهي تحمل سريرة طيبة ، لاتنوي أن تهاجم ديننا بالطعن ، ولا أن تتعرض لرجال الاديان بمكروه من القول ، إذ لايعزب عنها مايحدث عن مثل هذا القصد من الفتن وبواعث التفرقة بين سكان الوطن الواحد وهم في حاجة إلى السكينة والتعاون على المصالح فردية كانت أو اجتماعية

«خرجت هذه المجلة بعد أن رسمت لنفسها خطة لاتمس السياسة في شأن ،

وقصارى مجهودها أن تعمل على نشر آداب الاسلام وإظهار حقائقه نقية من كل لبس ، وتكشف عما ألصق بالدين من بدع ومحدثات ، وتنبه على مادس في السنة من أحاديث موضوعة ، وتدفع الشبه التي يحوم بها مرضى القلوب على أصل من أصول الشريعة ، وتعنى بعد هذا بسير العظماء من رجال الاسلام ، وان في سيرهم لتذكرة لقوم يفقهون ، ويضاف الى هذا ما تدعو فائدته إلى نشره من المباحث القيمة علمية كانت أو أدبية . وسترى هذه المقاصد إن شاء الله مودعة في الابواب المفصلة على ما يأتي : التفسير . السنة . السيرة النبوية . أصول الدين . دفع الشبه . أصول الفقه . الفتاوى والاحكام . العلوم والآداب . آراء الباحثين . التاريخ . السير والتراجم ، أنباء العالم الاسلامي . الطرف والملح

«تتناول المجلة من مباحث هذه العلوم والفنون مايدعو الحال إلى نشره ، ولا تحكي رأيا خارجا عن نهج الصواب إلا أن تقرنه بما يكشف عن كنهه ، وستتحرى بتوفيق الله تعالى الطريقة التي تتجلى بها سماحة الدين في بهاء طلعتها وصفاء ديباجتها ، وتراعي في تحريرها الاساليب التي تألفها أذواق القراء ، ويجتلون فيها صور المعاني ماثلة أمامهم لا لبس فيها ولا التواء

« تناقش المجلة الاشخاص أو الجماعات الذين يقولون في الدين غير الحق ، مقتدية في مناقشتها بأدب قوله تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وإذا كان هذا أدبها مع قوم هم عن الحق غافلون ، فأحرى بها أن تأخذ به في مناقشة آراء العلماء إذا رأت في بعضها انحرافا عما تقتضيه نصوص الشريعة او أصولها الثابتة الواضحة . نذكر هذا ليلحظه الذين يرغبون في مراسلة المجلة ببعض منشآتهم الموافقة لمنهجها

« ومن أجل أن يكون جهاد هذه المجلة متصلا بالحركة الفكرية في البلاد الاوربية أنشيء في إدارة المجلة قسم لترجمة مايجيء في الصحف الاجنبية من مباحث علمية أو مقالات يتحدث فيها عن الاسلام ، غير اننا لا نضع أمام القراء مقالة في الاسلام صدرت من غير منصف إلا أن نصلها بما يستبين بها خطأ كاتبها ناقلا كان او مدعيا

« هذا غرض المجلة وهو بلا ريب غرض نبيل ، وهذه خطتها وهي كما ء ، فت خطة

من يمشي على سواء السبيل ، وما توفيقنا الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل » اهـ

[المنار] علمنا من هذا البيان المنقول من المجلة أنها مجلة رسمية تابعة لمشيخة الازهر ، فهي المسؤلة عنها ، ويعد كل ماينشر فيها من أقلام محرريها ومديرها صادراً عن المشيخة نفسها ، وتعد هي مقرة له ومعترفة به ، وكذا ماينشر فيها من الرسائل المنشأة لغيرهم او المترجمة إذا سكتت المجلة عليه ولم تتعقبه بنقد ولا تصحيح ، وهذه مزية لها تجعل تبعتها على المشيخة عظيمة ، وتكون ثقة الناس بصحة مافيها بقدر ثقتهم بالمشيخة في جملتها ، كأنه فتاوى صادرة عنها

وقد كان من موانع إنشاء المشيخة لمجلة اسلامية علمية في السنين الخالية ما كان من البعد الشاسع بين تعليم الازهر الديني واللغوي الانشائي وما تجدد من حاج العصر فقلما كان يوجد في الازهر من يستطيع أن يكتب في بيان عقائد الدين وآدابه وحكمة تشريعه والدفاع عنه ماتقبله عقول غير طلاب الازهر وترجى استفادتهم منه ، وكان أول من أرشدهم وأرشد غيرهم في هذا القطر الى الانشاء العصري في أساليبه وموضوعاته السيد جمال الدين الافغاني ، ولكنهم ناوؤه وناوؤا تلاميذه ومريديه ، وكانوا يعدون الاعتراف بحاجتهم الى أي علم من العلوم غير مايتداولونه بينهم أو الى أي اصلاح لمنهاج التعليم اقراراً بنقص الازهر ونقص أهله، ووضعا من عظمة قدره وشهرته

لهذا أعد أول مأثرة للمشيخة الحاضرة ولفضيلة رئيسها الشيخ محمد الاحمدي في هذا الطور الجديد أنه ناط الاعمال الرئيسية في المجلة الازهرية برجال من غير خريجي الازهر وهي ادارة المجلة ورياسة تحريرها وكتابة أهم مباحثها وأعلاها وأشدها توقفا على فنون اللغة وعلوم الشرع وهي مباحث التفسير والحديث – فالمدير العام للمجلة والمقترح لها هو صاحب العزة عبد العزيز بك محمد من خريجي مدرسة الحقوق وقضاة المحاكم الاهلية وقد جعل عضواً في مجلس الازهر الاعلى هو وآخرون من أمثاله من قبل الحكومة بناء على نظرية حاجة الازهر الى رجال من غير أهله لاصلاح شأنه وتنفيذ قانونه، وهو كفؤ لهذا وذاك – ورئيس التحرير صاحب الفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين من علماء تونس وأدبائها وقد أعطي لقب عالم في الازهر بامتحان خاص وصفة استثنائية وجعله الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر السابق مدرسا في قسم التخصص من الازهر بعناية خاصة

استثنائية أيضاء وهو كفؤ لهذا وذاك ، ولكنني عجبت له كيف لم يذكر اسم الشيخ محمد مصطفى المراغي في الخلاصة التاريخية التي كتبها لهذه المجلة في فاتحة العدد الاول مع علمه بأنه هو الذي وضع مشروع المجلة في قانون الازهر الجديد وفي ميزانية هذه السنة وخصص لها هذا المبلغ العظيم (ستة آلاف جنيه) وانه هو الذي بذل جهده لاقرار الحكومة هذه الميزانية، فله الفضل الاول في تنفيذ هذا المشروع كما ان له الفضل عليه نفسه، وإن لم يكن من أعضاء جمعيته أوحزبه، ويجب أن يكون الدين والتاريخ فوق الاحزاب والجمعيات (ولا تبخسوا الناس أشياءهم)

وأما كاتب التفسير والحديث في المجلة الاستاذ الشيخ حسن منصور فهو من خريجي مدرسة دار العلوم الاميرية ولكنه كان يحضر دروس التفسير معنا على الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهذا مرجح له على غيره ممن لم يحضر تلك الدروس العالية من علماء الازهر وفيهم من كان يحضرها . ثم ان من المحررين الموظفين للمجلة صاحبي الفضيلة الشيخ يوسف الدجوي والشيخ ابراهيم الجبالي وكلاهما من هيئة كبار علماء الازهر

اني أستقبل هذه المجلة بالترحيب والترجيب والتحبيب ولا أرى أن أذكر الآن رأيي في تحريرها ومسلكها في موضوعاتها، وقد كنت كتبته قبل صدورها في تقرير قدمته الى الاستاذ المراغي بطلبه، وانما اقترح على المشيخة الجليلة اقتراحين، وأذكرها برأيي في أمرين، أراهما من الواجب علي الآن

(الاقتراح الاول) ان لا يذكر في المجلة حديث نبوي إلا مقرونا بتخريجه وبيان درجته من الصحة ومايقابلها، وأن يتولى ذلك من يعنون بعلم الحديث في الازهر. وقد رأيت المدير الفاضل يعنى بهذا ولكنه لا يستقصيه، وقد أورد في ترجمته للفصل العاشر من السيرة النبوية التي كتبها بالفرنسية المرحوم (اتيين دنييه) الفرنسي المهتدي وسليمان بن ابراهيم الجزائري هذه العبارة : «وقد حصل في فرنسة وفي بلاد أخرى من أوربة وافريقية وآسية دخول أشخاص في الاسلام فرادى وربما كان ذلك مصداقا لهذا الحديث النبوي الذي معناه « قد يؤيد الله هذا الدين بالغرباء منه » وقد وضع المدير لهذا الحديث حاشية هذا نصها : لا يعرف حديث بهذا المعنى بل الاسلام صلة ولحمة بين جميع المسلمين مهما اختلفت أجناسهم وتباعدت أوطانهم (انما المؤمنون اخوة) اهو لكن

الحديث مروي في الصحيحين كليهما وفي غيرهما . ولفظه فيهما « أن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر »وفي الطبراني«أن الله ليؤيد الاسلام برجال ماهم من أهله »

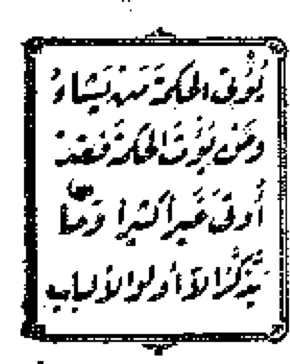
(الاقتراح الثاني) أن ترغب أصحاب العلم والرأي والقلم من أهل الازهر في التحرير في المجلة بتعيين مكافأة مالية لمن يجيد كتابة موضوع تتجوده المشيخة ، فان هذا أمر معهود في المجلات الفنية التي يصدرها الافراد ، فأحر بمجلة غنية لمصلحة كبيرة خصص لها ألوف الجنيهات من الاوقاف أن تفعل ذلك

وأما الرأي الذي أذكرها به فهو أن تنصلها من السياسة أن تمسها في أي شأن من شؤونها هو تضييق على نفسها وحرمان لمحرريها من حرية خدمة الاسلام والدفاع عنه بالسكوت عن أمور كثيرة يجب بيانها غير سياسة الحكومة الداخلية والخارجية وأحزاب الامة كالسياسة العامة والدفاع عما يصيب مسلمي مصر وغيرهم من رزاياها ومصائبها فالاسلام دين سياسة وسيادة وتشريع يشمل جميع شؤون البشر فلماذا يحظر رجال الدين على أنفسهم بعض ما يجب عليهم بيانه منها مما لا يوجد في الكتب المدونة لانه مما تجدد في هذا العصر . واذا لم يوجد في المجلة إلا ما هو في الكتب استغني بالكتب عنها ؟

ومثل هذا قولها انها « لاتنوي أن تهاجم دينا بالطعن ، ولا أن تتعرض لرجال الاديان بمكروه من القول » أنا لا أرضى لمجلة علمائنا أن تطعن في الأديان بالبذاء والسفاهة كطعن المبشرين في بعض مجلاتهم وكتبهم على الاسلام ولكنها لن تستطيع أن تقوم بالواجب من الرد على دعاة النصرانية المهاجمين للاسلام في مصر وغيرها مع تجنب كل مايكرهونه من قول . والله تعالى يقول (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر) الآية . فاذا كان العلماء لا يستطيعون القتال بالسلاح فهم يستطيعون الجهاد بالقلم واللسان ، ومجادلتهم بالتي هي أحسن وإن كرهوها ، وأما تعليلها لذلك فهو غير مسلم من وجهين (أحدهما) ان هذا الذي تخشاه من الفتن والتفرقة في الوطن غير مخشي في مصر التي اعتادت الحرية وسماع المناقشات الخارجة عن قانون الأدب فكيف تخشى ذلك من مجلة تلتزم فيها كل الأدب ؟ (ثانيهما) ان هذه المجلة تجب أن تكون للاسلام ولجميع الاوطان الاسلامية لا لمصر وحدها .

بشر عبادِ الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

(ربيع الآخر سنة ١٣٤٩ هـ ٢٩ السنبلة سنة ١٣٠٩ هـ ش ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٠)

فتاوى المنار

أسئلة من جاوة

(س ٢٤ — ٢٦) من صاحب الامضاء

الحمد لله وحده

إلى مدير مجلة المنار الغراء السيد محمد رشيد رضا ادام الله سلامته

سلاما واحتراما . وبعد فبما سمعنا بفضلكم وغيرتكم على الدين الاسلامي حتى انكم خصصتم فصلا من فصول مجلتكم لاقناع المستفهمين حررت هذه الاسئلة الثلاثة راجيا من حضرتكم أن تجيبوني عليهن ولكم عني وعن الاسلام أحسن جزاء ، ولتمام النفع أختار أن ينشرن على صفحات مجلتكم . وهذه هي

(١) ماحكم عبيد حضرموت، هل هم عبيد حقيقيون أي تمشي عليهم أحكام العبيد في الاسلام ؟ مع العلم أن العبيد في الشريعة هم أسرى الكفار لاغير . والذين نحن بصددهم خلاف ذلك ، ولا أخالكم تجهلون الطريقة في استعبادهم

(٢) ما حكم الدعاء بعد صلاة التراويح والوتر وهل ورد عنه ﷺ أو عن احد صحابته رضوان الله عليهم فعل ذلك ؟ وما هي سنته ﷺ فيها [التراويح] اجيبوا بإيضاح

(٣) ماحكم شرب الدخان [السجارة] في نهار رمضان هل هو من مفطرات الصائم وما الدليل الواضح في ذلك ؟ أجيبونا مأجورين ودمتم في حرز الله والسلام

سعيدكم في الاصلاح

عبد الله بن عبد الله بن نبهان ـ بانفيل (جاوة)

[جواب المنار]

(٢٤) حكم عبيد حضرموت

الحق انني ليس عندي علم خاص بطريقة استعباد الناس في حضرموت ، وقد بينت في المنار من قبل أن المعروف من طرق الاسترقاق للسودانيين في افريقية

والبيض في بلاد القوقاس وغيرها كله غير شرعي فان الرق الشرعي المعروف لا مجال له في تلك البلاد ولا في حضرموت قطعاً فليس هنالك حرب دينية ولا إمام يسترق السبايا إذا وجد ذلك من المصلحة العامة، وانما قد يتصور على بعد أن يوجد رقيق موروث بالتوالد فان كان يوجد عند المستعبدين لهؤلاء الاحرار فيما نعتقد حجة على استرقاقهم لا نعلمها أو رقيق موروث فليبينوا ذلك لنا لرفع التهم الكثيرة عنهم

(٢٥) صلاة التراويح والوتر ، والدعاء بعدهما

المراد بصلاة التراويح صلاة الليل بالجماعة في رمضان خاصة ، وصلاة الليل مشروعة في كل الشهور وهي تتأكد في رمضان كسائر الطاعات فيه لفضله . واصلاتها بالجماعة أصل في السنة ففي حديث عائشة المتفق عليه ان النبي ﷺ صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى الثانية فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة او الرابعة فلم يخرج اليهم رسول الله ﷺ فلما اصبح قال « رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج اليكم الا اني خشيت أن تفترض عليكم » وذلك في رمضان اه وفيه رواية اخرى مفصلة عند الامام أحمد، وحديث بمعناه عن جبير ابن مطعم عند أحمد وأصحاب السنن الاربعة

أما عدد الركعات التي كان يصليها النبي ﷺ في ليالي رمضان فقد روى البخاري عن عائشة [رض] انه ما كان يزيد في رمضان ولا غيره عن احدى عشرة ركعة . وفي صحيح ابن حبان من حديث جابر [رض] انه ﷺ صلى بهم ثمان ركعات ثم اوتر . فعلم أن تهجده ثمان ووتره ثلاث فتلك إحدى عشرة

وأما اجتماع الناس لهذه الصلاة جماعة في المساجد فقد كان في عهد عمر [رض] فانه دخل المسجد فرأى الناس أوزاعاً متفرقين هذا يصلي وحده وهذا برهط يؤمهم ، فكره تفرقهم ـ وهو مكروه بالاجماع ـ فقال أني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل . ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب . ولما رآهم في ليلة اخرى يصلون جماعة ... حدة قال : نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ... رواه البخاري . ويعني عمر ان صلاة التهجد في آخر الليل التي ينام عنها هؤلاء أفضل من هذه الصلاة التي يصلونها في اوله

لأنها هي المراد بالتهجد الموافق للسنة بمواظبة النبي ﷺ وكان مفروضاً عليه ﷺ ومراده بتسميتها بدعة انها بهذا الشكل والوقت والالتزام لم يفعلها النبي ﷺ ولم يأمر بها وان كان صلاها جماعة في بعض الليالي · ولعل عمر (رض) كان يعلم انه لو نهاهم عن فعلها بهذه الصفة وأمرهم بأن يجعلوا قيامهم بعد النوم لمن ينام وفي جوف الليل أو آخره لمن لم ينم وان يكون في بيوتهم وهو الموافق للسنة المطردة من كل وجه ـ انهم يتركونها فان لم يتركوها كلهم كسلا تركها بعضهم ونام عنها آخرون فتعارض عنده هذا الذي قال انه خير مما جمعهم عليه مع ترك هذه السنة المؤكدة ولو من البعض أو فعلها في المسجد مع التفرق المذموم في الشرع كما رآهم أول مرة فاختار ما هو وسط بين المكروه وهو التفرق وبين الافضل ·

وأما الدعاء بعدها أو بعد غيرها من الصلوات كما يفعل الناس في المساجد بالاجتماع ورفع الايدي ورفع الامام أو المؤذن صوته به وتأمين الآخرين فهو بدعة من هذه الوجوه كلها ، ولكل أحد أن يدعو الله بما يشاء بعد الصلاة كسائر الاوقات ولكن تخصيص العبادة بالاجتماع والصفة والوقت يجعلها من الشعائر التي تتوقف على اذن الشارع . وليس لاحد أن يبتدع مثل هذا بالقياس على فعل عمر فان عمر لم يبتدع عبادة جديدة ولا هيئة فيها ولا شعاراً لا أصل له ، فان النبي ﷺ صلى بالناس جماعة في بعض ليالي رمضان ولكن الناس ابتدعوا بعده في هذا القيام فنظمهم عمر وكان ما حملهم عليه اجتهاداً وترجيح أقوى المدلين المتعارضين على الآخر، والاجتماع للدعاء ليس مثله إن صح أن يقاس على الاجتهاد ، ثم ان عمر من الخلفاء لراشدين الذين جعل النبي ﷺ سنتهم كسنته في حديث العرباض بن سارية إذ يقول «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح. وهو صريح في ان سنة الخلفاء الراشدين كسنته لا تعد بدعة ، وناهيك بما وافق عمر عليه الصحابة (رض) وأقروه وقد روى أحمد والترمذي من حديث حذيفة (رض) قال كنا عند النبي ﷺ جلوسا فقال « اني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي ـ وأشار الى أبي بكر وعمر ـ وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم به ابن مسعود فصدقوه »

ومع هذا نرى الائمة قد اختلفوا في الافضل في قيام رمضان فقال مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية الافضل فعلها فرادى في البيت . وذهب الجمهور الى ان الافضل صلاتها جماعة عملا باجتهاد عمر الذي أقره عليه الصحابة وجرى عليه العمل سلفا وخلفا . ولا يعد عمل المتاخرين بالاجتماع للدعاء بعد صلاة التراويح ولا مايفعله بعض الجماعات من الاناشيد والاذكار ومدح الخلفاء الراشدين وغيرهم من أهل البيت والصحابة (رض) من ذلك، بل هو من بدع المتاخرين المقلدين ، والذي يظهر ان هذه البدع مانعة من كون حضورها والموافقة عليها أفضل من صلاتها فرادى في البيت أو جماعة في أي مكان آخر مع التزام السنة . وان بعض المحافظين على السنة من اخواننا يصلونها جماعة ولا يزيدون على ما ثبت عنه ﷺ في حديث عائشة المتقدم ولا يأتون معها ولا بعدها ببدعة قط

وقد ذكر العلامة الشاطبي في الاعتصام ما يأتيه الناس من الاذكار والدعاء في أدبار صلاة الجماعات في قسم البدعة التي عبر عنها بالاضافية وهي ما كان الابتداع في صفتها أو الاجتماع لها أو محوذلك لا في أصلها . وذكر خلاف علماء بلادهم الاندلس فيها ، وما حققه من كونها بدعة دينية غير جائزة شرعا هو الحق ، وشبهة الذين استحسنوها ضعيفة وهي ان أصل الذكر والدعاء مشروع فلا يضر جعله بصفة غير مشروعة كالاجتماع والتوقيت ورفع الصوت . وحسبك من بطلانها الاعتراف بأن صفتها غير مشروعة ، وان العمل بها واقرارها يجعلها كالشعائر المشروعة وان العامة تعتقد به انها مشروعة حتى انهم ينكرون على تاركها ولاسيما اذا أنكر مشروعيتها ـ فيكون ذلك اعتقاد شرع لم يأذن به الله ، ويعد من الافتراء على الله .

(٢٦) شرب الدخان في رمضان

ما علمت ان أحداً من فقهاء المسلمين قال ان شرب هذا الدخان غير مفطر للصائم ولذلك استغربت هذا السؤال ولا شك في ان مادة هذا الدخان تدخل في الجوف وانها تؤثر في شاربه تأثيراً ينافي الصيام وحكمته ولذلك اتفق جميع الناس على تسمية التدخين شربا . فشرب الدخان مبطل للصيام قطعا

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن الحكيم

(تقريظ العالم العامل، والقاضي الفاضل، خادم السنة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر)

القرآن كتاب الله الى خلقه يرسم لهم فيه طريق الهدى والسعادة . او هو كما وصفه به سبحانه وتعالى (بلاغ للناس ولينذروا به) ونعم البلاغ

نزل هذا الكتاب المقدس في أمة كانت تتقاذفها الاهواء والعصبية . وتعمها الجهالة العمياء . فما أسرع ماوضعهم على المحجة الواضحة والطريق السوي، فصاروا أمة على قلب رجل واحد ، كلمتهم واحدة ، وهم يد على من سواهم . وبعد أن كانوا مستضعفين يخافون جيرانهم من الفرس والروم وغيرهم ، ولايحميهم منهم إلا بيداؤهم المحرقة - : غزوا أعداءهم وفتحوا بلادهم واستنزلوهم عن ملكهم ، فصاروا سادة الارض ، كل هذا في بضع عشرات من السنين ، وكل هذا بهداية الله لهم أن تبعوا أوامره واستمعوا لكلامه .

ثم هذا القرآن أعلى أنواع التشريع في الارض ، وأرقى ضروب الحكمة ، فلما اهتدوا به، ومرنت نفوسهم وعقولهم على حكمته، كانوا سادة بعقولهم وقلوبهم، قبل أن يكونوا سادة بقوتهم وأنفتهم وجمع كلمتهم .

وهو الذي قرر حقوق الانسان في الارض ، من عدل وحرية ومساواة بين الناس ، لافضل لاحد على أحد إلا باتباعه في خاصة نفسه وفي معاملاته مع غيره وفي كل حالاته .

ثم مرت عصور وأزمان . واذا المسلمون متفرقون ، واذا هم مستعبدون ، واذا لهم قوانين وتشريع أخذوه عن أعدائهم السابقين ، واذا هم لايخجلون أن يقلدوا من كانوا في الحضيض إذ هم في الذروة ، واذا هم يهجرون القرآن

ولقد صدق الله سبحانه حين أخبرنا تحذيراً لنا من أن نعرض عن كتابه - بأن الرسول الاعظم سيد الخلق عليه السلام سيشكونا إلى ربه (وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) .

تالله لو أن المسلمين رجعوا إلى هداية ربهم وعملوا بكتابه وسنة نبيه ﷺ - إذ أمره ربه بتبيين الكتاب لهم - لما كانوا على مانرى من ضعف واستكانة وذلة، ولما امتلأت قلوبهم رهبة لأعدائهم ، ونفوسهم حاجة اليهم

أخذ الصدر الاول والسلف الصالح رضي الله عنهم يتعلمون القرآن ويعلمونه للناس ، ويرجعون اليه فيما يعرض لهم من شؤون وحوادث ، لايرضون حكما في دينهم ودنياهم الا مادل عليه القرآن او جاء عن السنة المطهرة المفسرة له ، نزولا على حكم الله ، فكان علماؤهم جميعا عن هذا الصدر الواضح النقي يصدرون ، وكانوا كلهم بهذا مجتهدين .

ثم ضعفت النفوس والهمم، فظن بعضهم - عفا الله عنهم - أنهم يعجزون عن أخذ الاحكام من مصدرها الاول ومن منبعها الصحيح ، فصار بعض العلماء يقلد من سبقه من أئمة الهدى وأعلام الاسلام ، عن غير أمر منهم أو مشورة ، بل مع نهيهم رضي الله عنهم عن التقليد .

فكان هذا بدء الضعف . ثم توالت العصور فاذا المقلد مقلد ، واذا الامر فوضى ، واذا هم فرق وشيع ، وبلغ بهم الامر الى التناحر بالسيوف نصراً لعصبية المذاهب .

وأمامك تاريخ المسلمين ، فسترى فيه توالي الارزاء والمحن ، فكلما بعدوا عن كتاب ربهم أبعد الله عنهم العز والنصر ، وهكذا كان ميزان رقيهم وانحطاطهم

ولما ضعفت السليقة العربية في المتكلمين بهذه اللغة أنشأ علماء الاسلام يفسرون لهم كتاب الله، وكل على قدر همته ، فكثرت أنواع التفاسير للسلف والخلف ، متقدمين ومتأخرين ، وتراجم العلماء والائمة بين أيدينا - أو أكثرها وقد يندر جداً أن نجد منهم من لم يؤلف كتابا في التفسير ، فلم تعن أمة بكتابها من الوجهة العلمية بمثل ماعنيت الامة الاسلامية بالقرآن ، ولم تفرط أمة في حفظ

ما كتب شرحا لكتابها بمثل مافرطنا . فأين هذه التفاسير الجليلة للأئمة المتقدمين؟ ذهب أكثرها حتى لم نجد تفسيراً لرجل من الأئمة المجتهدين إلا تفسير ابي جعفر الطبري المتوفى سنة ٣١٠ ، وما بقي بعده فهو لمؤلفين ممن سموا أنفسهم مقلدين.

وقد كان المتقدمون يعنون في أكثر أمرهم بتفسير القرآن بما ورد من أحاديث مرفوعة، وآثار موقوفة، وباستنباط أحكام الفقه منه ، تعليما للناس كيف يفهمون وكيف يصلون الى الاجتهاد .

ثم ترك المتأخرون ذلك ولم يكن همهم الا الاطالة في أبحاث لفظية لاجدوى لها ولا فائدة الا في النادر والشذوذ .

حتى ان كتب التفسير التي بقيت مشتهرة فيهم وكثيرة بين أيديهم لايطمئن الباحث المحقق الى فهم معنى آية منها ، ولا الى استنباط حكم ، بل ولا الى الثقة بالنقل ، فقد ملأ بعضهم تفسيره بقصص مكذوبة مفتراة ، وبأحاديث موضوعة، من غير تحر في الرواية ، ولا استعمال لموهبة العقل السليم .

وبالله . لقد أدركنا الازهر ـ وهو المدرسة الاسلامية الفذة في هذا البلد ـ يجعل التفسير علما لا يؤبه له ، وآية ذلك أنهم كانوا يجيزون الطالب بشهادة (العالمية) وان كان لايفقه في التفسير شيئا ، ماعرف كيف ينبغ في المماحكات اللفظية

ولقد قيض الله الاسلام إماما من أئمته ، وعلما من أعلام الهدى ، وهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله ، فأرشد الامة الاسلامية الى الاستمساك بهدى كتابها ، ودلها على الطريق القويم في فهمه وتفسيره ، وكان مناراً يهتدى به في هذه السبيل ، وألقى في الازهر دروسا عالية في التفسير ، وكان ـ فيما أظن ـ يرمي بذلك الى أن يسترشد علماء الازهر بذلك ، فينهجوا نهجه ، ويسيروا على رسمه ، ولكنهم لم يأبهوا له إلا قليلا ، ولم ينتفع بما سمع منه الا أفراد أفذاذ ، وبقي دهماؤهم على ما كانوا عليه .

ونبغ من تلاميذه والمستفيدين منه ابنه وخريجه أستاذنا العلامة الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » فلخص للناس دروس الاستاذ الامام، وزادها وضوحا وبيانا ، ونشرها في مجلته الزاهرة المنيرة ، وجمعها في أجزاء على أجزاء

القرآن الكريم ، ومضى لطيته بعد انتقال الامام الى جوار ربه ، فكأنه ألهم من روحه ، لم يكل ولم يضعف ، وهاهو الآن قد أتم منه أجزاء تسعة، وكثيراً من العاشر

فكان تفسير أستاذنا الجليل خير تفسير طبع على الاطلاق ، ولا أستثني ، فانه هو التفسير الاوحد الذي يبين للناس أوجه الاهتداء بهدى القرآن على النحو الصحيح الواضح - اذ هو كتاب هداية عامة للبشر - لايترك شيئا من الدقائق التي تخفى على كثير من العلماء والمفسرين .

ثم هو يظهر الناس على الاحكام التي تؤخذ من الكتاب والسنة ، غير مقلد ولا متعصب ، بل على سنن العلماء السابقين : كتاب الله وسنة رسوله . ولقد أوتي الاستاذ من الاطلاع على السنة ومعرفة عللها وتمييز الصحيح من الضعيف منها : — ماجعله حجة وثقة في هذا المقام ، وأرشده الى فهم القرآن حق فهمه.

ثم لاتجد مسألة من المسائل العمرانية او الآيات الكونية الا وأبان حكمة الله فيها ،وأرشد الى الموعظة بها . وكبت الملحدين والمعترضين بأسرارها . وأعلن حجة الله على الناس .

فهو يسهب في إزالة كل شبهة تعرض للباحث من أبناء هذا العصر ، ممن اطلعوا على أقوال الماديين وطعونهم في الاديان السماوية ، ويدفع عن الدين مايعرض لاذهانهم الغافلة عنه ، ويظهرهم على حقائقه الناصعة البيضاء ، مع البلاغة العالية ، والقوة النادرة . لله دره !

وأما الرد على النصارى واليهود فانه قد بلغ فيه الغاية ، وكأنه لم يترك بعده قولا لقائل ، وذلك لسعة اطلاعه على أقوالهم وكتبهم ومفترياتهم . وهذا قيام بواجب قصر فيه أكثر المسلمين، في الوقت الذي تقوم فيه أوربة بحرب المسلمين حربا صليبية — قولا وعملا — وتحاول سلخ المسلمين عن دينهم وإن لم يدخلوا في دينها ، وها نحن أولاء نرى الجرأة العظمى بمحاولة تنصير أمة اسلامية قديمة متعصبة للاسلام ، وهي أمة البربر المجيدة . وان قيام أستاذنا بالرد عليهم بهذه الهمة من أجلّ الاعمال عند الله ثم عند المسلمين

ولقد عرض لكثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية التي عرضت في

شؤون المسلمين فأفسدت على كثير من شبابهم هداهم ودينهم ، فحللها تحليلا دقيقا وأظهر الداء ووصف الدواء من القرآن والسنة ، وأقام الحجة القاطعة على أن الاسلام دين الفطرة، وأنه دين كل أمة في كل عصر . ونفى عن الاسلام كثيرا مما ألصقه به الجاهلون، أو دسه المنافقون، من خرافات وأكاذيب كانت تصد فئة من أبنائه عن سبيله . وكان أعداؤه يجعلونها مثالب يلعبون بسببها بعقول الناشئة ليضموهم الى صفوفهم، وينزعوهم من أحضان أمتهم .

وإنه لكتاب العصر الحاضر، يفيد منه العالم والجاهل، والرجعي والمجدد . بل هو الدفاع الحقيقي عن الدين .

وأنا أرى من الواجب على كل من عرف حقائق هذا التفسير أن يحض اخوانه من الشبان على مطالعته ، والاستفادة منه، وبث ما فيه من علم نافع ، أمل الله أن يجعل منهم نواة صالحة لاعادة مجد الاسلام ، وأن ينير به قلوبا أظلمت من مائها بالجهالات المتكررة

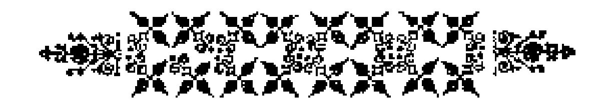
ولو كانت حكومتنا حكومة إسلامية حقيقة لطلبنا منها أن يدرس في مدارسها ومعاهدها حق الدرس ، ولكننا نعلم أنها لاتاتي للدين بالا ، بل لاتدفع عنه من أراد به عدوانا ، والطامة الكبرى أنها تحمي من يعتدي عليه بقوانينها الوضعية،

فلم يبق للمسلمين رجاء إلا أن يعملوا أفراداً وجماعات في سبيل الدفاع عنه، وإظهار محاسنه للناشئة التي تكاد تند عنه ، وهم عماد الأمم .

ولعلي أوفق قريبا الى بيان بعض الابحاث الفذة النفيسة من هذا التفسير مما لم يشف فيها الصدر أحد من الكاتبين قبله، أولم يكن في عصورهم مايثير البحث فيها ، وذلك بحول الله وقوته .

أحمد محمد شاكر

القاضي الشرعي



آفة الشرق أمراؤه المستبدون
وزعماؤه المترفون
ومرشدوه الجاهلون

(خاتمة المقصد الثاني من الباب الخامس من تاريخ الاستاذ الامام)

نختم الكلام في خدمة الامامين الحكيمين للاسلام والشرق فيما فاضت به حكمة الاول على بلاغة الثاني في جريدة العروة الوثقى بهذه الحقيقة التي وضعنا لها هذا العنوان، فلقد كان الناس غافلين عنها فبيناها لهم أبلغ البيان، وشر مفاسد هؤلاء الامراء والزعماء في هذا العصر غرورهم بالاجانب الطامعين في بلادهم، ولو عقلوها لتمكنت حقيقتها من عقولهم ، ولو فقهوها لرسخت عبرتها في قلوبهم ، ولما تكررت في مشرق العالم الاسلامي ومغربه تلك الرزايا التي انتزعت ما ملكوه من أيديهم ، ومن العجائب انها لاتزال تتجدد ، ولا يزال مدعو الايمان يلدغون من الجحر الواحد مراراً كثيرة . وقد قال رسولهم فيما صح عنه « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » رواه البخاري ومسلم

فلا عجب إذاً فيما يصدر عن ملاحدة المسلمين الذين لاحظ لهم من حكمة الاسلام وهدايته الصادتين عن هذا الفساد، ورضاهم بأن يكونوا أعوانا للاجانب على استعمار البلاد ، وهذا ما لانزال نشاهده في كل عام (أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون)؟

طرقت العروة كل باب من أبواب هذا الموضوع ففتح لها ودخلت منه فلم تدع في زواياه خبيئة إلا واستخرجتها

أنشأت له مقالات خاصة ، وجعلته مضرب الامثال في المقالات العامة . وقد ورد فيما أثبتنا من الشواهد بعض هذه المثل والاشارة الى بعض تلك المقالات ، ونأتي في هذه الخاتمة بشواهد ومثل اخرى وهي

المثال الاول

﴿ استيلاء الانكليز على ممالك الهند بمساعدة أمرائها ﴾

(قال من مقالة افتتح بها العدد الثامن من العروة الوثقى موضوعها طرد الانكليز للجيش المصري وتاليف جيش صغير تولوا قيادته)

دمر الانكليز (دخلوا بلا استئذان) على الهنديين في أراضيهم ، وأبثوا بينهم ، فتمكنوا من تفريق كلمة الامراء ، وإغراء كل نواب أوراجا بالاستقلال ، والانفصال عن السلطة التيمورية ، فتمزقت المملكة الى ممالك صغيرة ، ثم أغروا كل امير بآخر يطلب قهره والتغلب على ملكه ، فصارت الاراضي الهندية الواسعة ميادين القتال ، واضطر كل نواب اوراجا الى النقود والجنود ليدافع بها عن حقه ، او يتغلب بها على عدوه ، فعند ذلك تقدم الانكليز بسعة الصدر وانبساط النفس ومدوا ايديهم لمساعدة كل من المتنازعين ، وبسطوا لهم احدى الراحتين ببدر الذهب ، وقبضوا بالاخرى على سيف الغلب . بدأوا قبل كل عمل بتصغير اولئك الملوك الصغار من عساكرهم الاهلية ، ورموها بالضعف والجبن والخيانة والاختلال ، ثم أخذوا في تعظيم شأن جيوشهم الانكليزية وقوادها ، وماهم عليه من القوة والبسالة والنظام ، حتى اقتنع كل نواب اوراجا أن لا ناصر له على مغالبيه إلا بالجنود الانكليزية . فأقبل الانكليز على اولئك السذج يضمنون لكل صيانة ملكه وفوزه بالتغلب على غيره بجنود منتظمة تحت قيادة قواد من الانكليز ، ويكون بعض الجنود من الهنديين ، وبعضها من البريطانيين ، وماعلى الحاكم الا ان يؤدي نفقتها

ثم خلبوا عقول اولئك الامراء بدهائهم وبهرجة وعودهم ولين مقالهم حتى ارضوهم بأن يكون على القرب من عاصمة كل حاكم فرقة من العساكر لتدفع شر بعضهم عن بعض . وصار الانكليز بذلك اولياء المتباغضين ، وسموا كل فرقة من تلك الجنود باسم يلائم مشرب الحكومة التي اعدوها للحماية عنها ، ففرقة سموها (عمرية) وأخرى سموها (جعفرية) وغيرها سموها (كشتية) إرضاء لاهل السنة والشيعة والوثنيين

ولما فرغت خزائن الحكام وقصرت بهم الثروة عن أداء النفقات العسكرية

فتح الانكليز خزائنهم وتساهلوا مع أولئك الحكام في القرض ، وأظهروا غاية السماحة ، فبعضهم يقرضون بفائدة قليلة ، وبعضهم بدون فائدة ، وينتظرون به الميسرة ، حتى ظن كل أمير أن الله قد أمده بأعوان من السماء . وبعد مضي زمان كانوا يومئون الى طلب ديونهم بغاية الرفق ، ويشيرون الى المطالبة بنفقات العساكر مع نهاية اللطف ، فاذا عجز الامير عن الاداء قالوا إنا نعلم أن وفاء الديون والقيام بنفقات الجنود يصعب عليكم ، ونحن ننصحكم أن تفوضوا الينا العمل في قطعة كذا من الارض نستغلها ونستوفي منها ديوننا ، وننفق من غلاتها على الجيوش التي أقمناها لكم ، ثم الارض أرضكم نردها اليكم عند الاستيفاء والاستغناء ، وانما نحن خادمون لكم ، فيضعون أيديهم على غضروات الاراضي وفيحائها ، وفي أثناء استغلالها يؤسسون بها قلاعا حصينة ، وحصونا منيعة ، كما يفعلون ذلك في ثكن [أماكن إقامة العساكر] عساكرهم على أبواب العواصم الهندية (١)

وفي خلال هذا يفتحون للامراء أبوابا من الاسراف والتبذير ، ويقرضونهم ويقتضون قرضهم بالقيام على أراض أخرى يضمونها الى الاولى ، ثم يحضون نار العداوة بين الحكام لتنشب بينهم حروب فيتدخلون في أمر الصلح ، فيجبرون أحد المتحاربين على التنازل للآخر عن جزء من أملاكه ليتنازل لهم الثاني عن قطعة من أراضيه ، وهم في جميع أعمالهم موسومون بالخادم الصادق والناصح الامين ، الكل من المتغالبين ،

وبعد هذا فلهم شؤون لا يهملونها في إيقاع الشقاق بين سائر الاهالي لتضعف قوة الوحدة الداخلية ، ويخرب بعضهم بيوت بعض ، حتى إذا بلغ السير نهايته ، واضمحلت جميع القوى من الحاكم والمحكوم ، وغلت الايدي فلا يستطيع أحد حراكا ، ساقوا الحاكم الى المجزرة بسيوف تلك العساكر التي كانت حامية له واقية لبلاده ، وكانت تشحذ لجز عنقه من سنين طويلة وينفق على صقالها من ماله ، ثم خلفوه على ملكه

وكانوا يميلون بقوتهم الى أحد أعضاء العائلة المالكة ليطالب الملك ، فيخلعون المالك ويولون الطالب ، على شريطة ان يقطعهم أرضا أو يمنحهم امتيازاً ، فيحولون

(١) وكذا يفعلون الآن في البلاد العربية التي يريدون أن تكون هنداً ثانية

الملك من الاب للابن ومن الاخ لاخيه ، ومن العم لابن أخيه، وفي الكل هم الرابحون.
هذا سيرهم في الهند وهو على بعد من مراقبة اوربا . مافاجؤا أحداً بحرب، وما اختطفوا ملكا بقوة مغالبة ، بل ما أعلنوا اسيادتهم على مملكة صغيرة ولا كبيرة إلا بعد ماأيقنوا أن لاقوة لحاكمها ولا أهليها ، ولا بما تطرف به أجفانهم

أولئك الانكليز باقعة العالم ، وأحبال الحيل ، يريدون اليوم طرد العساكر المصرية ، وأرض مصر لاتحرسها الملائكة ، فلاتستغني عن حامية، فان تم لهم ماأرادوا زينوا لبعض ذوي السلطة في مصر أن يطلب منهم جنداً انكليزيا يكون خادما له وحافظا لملكه ، فان لم يقبل داروا بحياتهم تحت استار التمويه على كل من له حق في الولاية على تلك البلاد يعرضونها عليه، حتى يظفروا بمن يقبل نصحهم أو غشهم ذهولا عن حقيقة القصد ، فيقيمونه حاكما خالفا لمن لم تسمح ذمته بالقبول ، وتكون رغبة المغرور حجة لهم عند أوربا. هذا سر انقلاب الانكليز على الجند الوطني وقدحهم في سيرته بعد الثناء على حسن استعداده ، وسعيهم الى طرده بالادلة الواهية ، والعلل الواهنة

المثال الثاني

استعباد الاجانب للامم بقوة رؤسائها (*

ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار

كيف يمكن لقوة أجنبية تصول على أمة من الامم أن تسود عليها، وتستعبدها وتذللها للعمل في منافعها ، مع التخالف في الطباع والعوائد والافكار ووجود المقاومة الطبيعية ، فضلا عن الارادية ؟ ان الوحشة المتمكنة في نفس كل واحد من الامة ، وظن كل فرد أنه في خطر على روحه وماله اذا غلبه الغالبون، تحمله على المدافعة عن أمته ، كما يدافع عن بيته وحريمه ، فلايتسنى للقوة المغيرة أن تذل الامة إلا بافنائها عن آخرها ، أو افناء الاغلب حتى لايبقى إلا العجزة والزمنى ، هذا

*) مقالة نشرت في العدد العاشر من العروة الوثقى بعنوان الآية

أمر طبيعي وحكم بديهي متى كانت الغارة على الامة

نعم يسهل للقوة الاجنبية أن تتغلب على أمة عظيمة بدون تناحر إن كان لهذه الامة حاكم أو رئيس روحاني تجتمع عليه قلوبها، وتدين له رقابها ، لمنزلة له في أفئدة أبنائها ، ولمكان آبائه من الكرامة في نفوسهم، فلا تحتاج القوة الغالبة إلا الى ايقاع الرعب في قلبه، فيجبن ويقبل ماتحكم به . أو نصب حبالة الحيل له فتخدعه بالاماني والآمال فيذعن لما تقضي به . فاذا خضع للقوة الغريبة خضعت الامة تبعاً له . ولهذا ترى طلاب الفتح وبغاة الغلب ينصبون قبل سوق الجيوش وقود الجنود على قلوب الامراء وأرباب السيادة في الامة التي يريدون التغلب عليها ، فيخلعونها بالتهديد والتخويف ، أو يملكونها بالخدعة وتزيين الاماني ، فينالون بغيتهم ويأخذون أراضي الأمم .

وهذا الطريق هو الذي سلكه الانكليز مع السلطان التيموري في الهند ، ولولا ما كان للهنديين من عقدة الارتباط بسلطانهم التيموري وقبض الانكليز أول الامر على تلك العقدة لما تيسر للبريطانيين أن يخضعوا الامم الهندية في أحقاب طويلة.

هذه قبائل الافغان عند ما انحلت ثقتها بأميرها وصار الامر الى الامة قامت كل عشيرة بل كل فرد للدفاع عن نفسه بعدما تمكنت عساكر الانكليز في قلاعهم وحصونهم ، واستولت على قاعدة ملكهم، وفتكوا بالعساكر الانكليزية وهزموا قوتها وأجلوها عن بلادهم ، وهي ستون ألفاً من الجيوش المنتظمة مسلحة بالاسلحة الجديدة ، واضطر الانكليز أن يتركوا تلك البلاد لاهلها

لاريب انه يسهل على الانسان أن يأخذ شخصاً واحداً أو اشخاصاً محصورين بالترغيب والتهديد ، ويتيسر له أن يقف على طباعهم ، ويدخل عليهم من مواقع أهوائهم ، ويأتيهم من ابواب رغائبهم، لكن يتعسر بل يتعذر عليه ان يأخذ أمة بتمامها وعقولها مختلفة عليه ، ونفوسها في وحشة منه اللهم إلا بالابادة والتدمير

من هذا تجد الملوك العظام لا يرهبون الاشتباك في حرب مع أقتالهم[1] بل ومن هو أشد منهم قوة ، ولكنهم يفرقون[2] بل تذهب افئدتهم هواء إذا احسوا بميل

١) أي امثالهم (٢) يفرقون يخافون فهو كيرهبون وزنا ومعنى

الامة عنهم، وماهذا الا لان قوة المغالبين داخلة تحت الضبط ، وأما آحاد الامم وقواها فلا تضبط ولا تستطاع مقاومتها، إذا تماصت وشحت بنفسها عن الذل لسواها

ان الامراء كما يكونون في دور من ادوار الامة قوى فعالة لنموها وعلوها وعظمها واشتداد عضدها ، كذلك يكونون في بعض اطوارها علة فاعلة في سقوطها وهبوطها وانحلالها . وإنا نخاف — ولاحول ولاقوة إلا بالله — أن يكون امراؤنا والاعلون منا آلة في اضمحلالنا وفنائنا ، لما غلب عليهم من الترف والانهماك في اللذائذ والانكباب على الشهوات، مع سقوط الهمة وتغلب الجبن والحرص والطمع على طباعهم ، فانا لله وإنا اليه راجعون اه

المثال الثالث

رأي العروة الوثقى في معاقبة الامم للامراء والرؤساء الذين يكونون أعوانا للاجنبي عليها

(قال في آخر مقالة وجيزة موضوعها الامة وسلطة الحاكم المستبد وصف فيها حال الامة مع الحاكم المستبد المصلح الحكيم ، وحالها مع المستبد الجاهل الاحمق المتبع للهوى — مانصه)

عند ذلك ان كان في الامة رمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها ، وأراد الله بها خيراً ، اجتمع اهل الرأي وأرباب الهمة من افرادها وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة واستئصال جذورها ، قبل ان تنشر الرياح بزورها وأجزاءها السامة القاتلة بين جميع الامة فتميتها ، وينقطع الامل من العلاج . وبادروا الى قطع هذا العضو المجذوم قبل ان يسري فساده الى جميع البدن فيمزقه . وغرسوا لهم شجرة طيبة (اصلها ثابت وفرعها في السماء) وجددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات ، — استبدلوا الخبيث بالطيب — وان انحطت الامة عن هذه الدرجة وتركت شؤونها بيد الحاكم الابله الغاشم يصرفها كيف يشاء . فانذرها بعضض العبودية ، وعناء الذلة ، ووصمة العار بين الامم . جزاء على مافرطوا في أمورهم . (وما ربك بظلام للعبيد) اه

[المؤلف] خلاصة هذا الارشاد ان الامم لاترجى لها سيادة ولا سعادة ولا حرية ولا استقلال إلا اذا عرفت نفسها ، وجمعت كلمتها ، وكان أمرها بيدها ، وكان حكامها خدما لها ، فمن أحسن خدمة أمته بالنصيحة والاخلاص كافأته ، ومن خانها أو أساء اليها عاقبته، ويجب عليها ألا تولي شيئا من أعمالها لأحد من المفتونين بحب الرياسة على قاعدة الاسلام : طالب الولاية لايولى(١) وقال الخليفة الاول (رض) في أول خطبة خطبها بعد مبايعته : وليت عليكم واست بخيركم فاذا استقمت فأعينوني ، واذا زغت فقوموني »

كانت هذه الحقائق مجهولة عند قراء العربية قبل بيان العروة الوثقى لها بأفصح العبارات وأقواها تأثيرا ، ثم رأوا مصداقها في مصر وتونس ثم في المغرب الاقصى، ثم في البلاد العربية الاسيوية ، فآفة الشعوب الجاهلة المتفرقة أمراؤها ورؤساؤها وزعماؤها، ويليهم من دونهم من المتفرنجين الذين يتخذ منهم الاجنبي السالب لاستقلالها صغار العمال لكل مايحتاج اليه من عمل في إدارة حكومتها، مما لايليق بالاجنبي أو لايوجد في أفراده من يكفي للقيام به ، ومن قواعد سياسة الاجانب انهم لايستخدمون في حكومة البلاد التي ترزأ بسيطرتهم عليها إلا من يعلمون بالاختبار الدقيق أنه مخلص لهم ولو في خيانة بلاده ، وقد سبق في العروة الوثقى ان الانكليز لو وجدوا في بلاد الافغان عند ما دخلوها محاربين واحتلوا عاصمتها (كابل) أمثال هؤلاء الرجال الذين يعرفون لغتهم، وقد فتنوا ببهرج مدنيتهم ، لما خرجوا أو يخرجوا من الهند، ولكنهم وجدواهم وغيرهم في بلاد أخرى من أبناء البلاد ولا يزالون يجدون من لولاهم لم يستقر لهم قدم ، ولم يرفع لهم علم ، وأين من يعقل ويفهم؟؟

(١) روى أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث أبي بردة عن أبي موسى (رض) ان رجلين من قومه (الاشعريين) سألا النبي (ص) أن يؤمرهما فقال « إنا لانولي هذا من سأله ولا من حرص عليه » هذا لفظ البخاري في كتاب الاحكام وله في استتابة المرتدين انه قال « لانستعمل على عملنا من أراده»

نداء الى ملوك الاسلام

وشعوبه جميعا (*)

والى علماء الحرمين الشريفين، ورجال المعاهد الاسلامية من اعلام الازهر وملحقاته في المملكة الاسلامية، وجامع الزيتونة في تونس، وجامع القرويين في فاس، ومعهد ديوبند في الهند، ومعهد النجف في العراق، والى الجمعيات الاسلامية في انحاء الارض، ولا سيما جمعيات الهند : جمعية الخلافة في بومباي، وجمعية العلماء في دهلى، وجمعية اهل الحديث في دهلى . وجمعيات اندونسيا : اتحاد الاسلام في سومطرا، وشركة اسلام في جاوة، والجمعية المحمدية في جكجاكرتا ـ والى المجلس الاسلامي الاعلى في القدس، والمجلس الاسلامي الاعلى في بيروت، والى جمعيه ترقي الاسلام في الصين، والى الصحف الشرقيه على اختلاف لغاتها ولهجاتها :

ان أمة البربر التي اهتدت بالاسلام منذ العصر الاول، والتي طالما اعتمد عليها الاسلام في فتوحه وانتشاره، وطالما استند اليها مستنجدا أو مدافعا في خطوبه العظمى

هذه الامة التي سارت مع طارق الى اسبانيا، ثم مع عبد الرحمن الغافقي الى فرنسا، ومع اسد بن الفرات الى صقلية

هذه الامة التي كانت منها دولتا المرابطين والموحدين، فكانت لها في تاريخ الاسلام أيام غراء مجيدة

هذه الامة التي ظهر منها العلماء الاعلام، والقادة العظام، والتي لرجالها في المكتبة الاسلامية المؤلفات الخالدة إلى يوم الدين

---

(١) وضع هذا النداء في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وبعد البحث فيه وتنقيحه أمضاه من نذكر أسماءهم في آخره ووكلوا الى مجلس ادارة الجمعية نشره

هذه الامة التي تبلغ في المغرب الاقصى وحده أكثر من سبعة ملايين نسمة (١) تريد دولة فرنسا الآن اخراجها برمتها من حظيرة الاسلام بنظام غريب تقوم به سلطة عسكرية قاهرة ممتهنة به حرية الوجدان ، ومعتدية على قدسية الايمان ، بما لم يعهد له نظير في التاريخ

لقد وردت على مصر كتب من الثقات في المغرب الاقصى تذكر أن فرنسا قد استصدرت ظهيراً سلطانياً تاريخه ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٨ (١٦ مايو سنة ١٩٣٠) ونشرته الجريدة الرسمية في المغرب بعددها رقم ٩١٩ تنازل فيه سلطان المغرب لها عن الاشراف على الامور الدينية لامة البربر ، وان فرنسا قد بدأت بالفعل في تنفيذ ذلك الظهير ، فقامت السلطة العسكرية في المغرب الاقصى تحول بين ثلاثة أرباع السكان وبين القرآن الذي كانت به حياتهم مدة ثلاثة عشر قرنا ، فابطلوا المدارس القرآنية ووضعوا قلوب أطفال هذه الملايين وعقولهم في أيدي أكثر من ألف مبشر كاثوليكي بين رهبان وراهبات ، يديرون مدارس تبشيرية للبنين والبنات . واقفلوا جميع المحاكم الشرعية التي كانت في تلك الديار ، وأجبروا هذه الملايين من المسلمين على ان يتحاكموا في انكحتهم ومواريثهم وسائر أحوالهم الشخصية الى قانون جديد سنوه لهم ، أخذوه من عادات البربر التي كانت لهم في جاهليتهم ، وهي عادات لا تتفق مع الحضارة ولا تلائم مستوى الانسانية ، وحسبنا مثلا على انحطاطها وقبحها أنها تعتبر الزوجة متاعا يعار ويباع ، وتورث ولا ترث ، وأنها تجيز للرجل ان يتزوج ما شاء كيف شاء ولو اخته فمن عداها في عقد واحد ، وان قانوناً كهذا القانون يسن للمسلمين مخالفا للإسلام يعد من رضي به مرتداً عن الاسلام باجماع علماء المسلمين

ان فرنسا التي تبث الدعاية في امم الارض بأنها امة الحرية قد اجبرت رجال حكومة المغرب المسلمين على أن يتركوا دينهم بتنازلهم عما للسلطان من الحق في إقامة احكام الشرع الاسلامي بين رعاياه من قبائل البربر وجماهيرهم ، والاعتراف لحكومة الحماية الفرنسية بأنها صارت صاحبة التصرف في دينهم وامورهم التشريعية

(١) هذا تقدير تقريبي اذ لا احصاء هناك للقبائل

والتهذيبية ، وهو مالا تملك تلك الحكومة الحق في التنازل عنه . ومنذ استصدر الفرنسيون ظهيراً (مرسوما) من سلطان المغرب بهذا التنازل اعتبروا جميع المدارس القرآنية ملغاة ، وجميع العبادات الاسلامية معطلة ، ووكلوا أمر تعليم أطفال المسلمين الى الرهبان توطئة لتنصير هذه الامة عقيدة وعبادة وعملا ، وحالوا بين جميع مناطق البربر وبين علماء المسلمين ورؤسائهم فلا يتصل بها احدمنهم

أيها المسلمون

قد اجمع علماؤكم من جميع المذاهب على ان من رضي بارتداد مسلم عن دينه يكون مرتداً برضاه عن ذلك ، فيجب على جماعات المسلمين وطوائفهم وجمعياتهم وافرادهم أن يرفعوا أصواتهم بالاحتجاج على هذا العمل المنكر الفظيع ، بكل ما في وسعهم ، كل بحسب مايليق به ، فإذا لم ينفع الاحتجاج فكر المسلمون في الوسائل المجدية . وان في وسعكم أيها المسلمون أن تجبروا دولة فرنسا على احترام اسلام هذا الشعب الكبير وتركه يتمتع بحريته الدينية والوجدانية ، لان حرية الدين والوجدان حق من حقوق الانسان يجب على الانسانية حمايته من عبث العابثين ، واعتداء المعتدين

لقد سلكت دولة فرنسا مع اخواننا مسلمي المغرب سبيلا غير سبيل الرفق والنصح ، فجردتهم من وسائل النهوض ، وحالت بينهم وبين التعليم الصحيح ، وأنفقت أموال أوقافهم الاسلامية في ضد ما وقفت له ، واختصتهم بشر النصيبين من كل ما تتصل به مصالح الوطنيين والاجانب . وان في المسلمين من كان يعرف هذا ويتغاضى عنه الى حين ، رجاء أن يجعل الله لاهل المغرب فرجاً من عنده . ولكن امتداد يد السلطة القاهرة في المغرب إلى دين الاسلام ، واعتداءها على حرية العقيدة والعبادة ، قد أوصل هذا العدوان إلى الحد الذي ليس بعده حد ، فحق على كل مسلم أن يبادر الى انكار هذا المنكر بكل وسيلة يستطيعها

يجب أن تعلم فرنسا أن الاسلام لم يمت ، وان المسلمين قد استيقظوا ، وصار بعضهم يشعر بما يصيب البعض الآخر من اضطهاد في دينه ودنياه ، وان بناء مسجد في باريس يؤخذ باسمه ملايين الفرنكات من أوقاف الحرمين

الشريفين وملايين اخرى من الاعانات الجبرية من جميع مسلمي أفريقية مع اعانات أخرى من سائر العالم الاسلامي ، لايمكن لفرنسة أن تجعله حجة على حرية الاسلام ومودة المسلمين في مملكتها ــ التي تسميها أحيانا اسلامية ــ مع هذا الجرم الفظيع الذي شرعت فيه أخيراً وظنت أنها تنتزع به بضعة ملايين من حظيرة الاسلام بنظام تنفذه قوة عسكرية قاهرة

ان فرنسة اذا لم ترجع عن هذه الجريمة فان العالم الاسلامي يعتبر ذلك مجاهرة منها بعداوته ، وسيعلن ذلك على منابر المساجد ، وعلى صفحات المجلات والجرائد ، وفي حلقات الدروس الدينية ، وفي نظم الجمعيات الاسلامية

لقد حان حين امتحان أحرار اوربا فيما يدعو به من الانتصار لحرية العقيدة والوجدان ، حتى لقد رضوا بكثير من المنكرات التي يعترفون أنها منكرات ، وذلك حرصاً منهم على بقاء الحرية طليقة من قيودها ، وان أقدس الحريات حرية الوجدان والاعتقاد ، وأسوأ ما أصيبت به هذه الحرية في هذا العصر محاولة فرنسا ان تحول المغرب الاقصى عن اسلامه الى النصرانية أو ماشاءت أن تحوله اليه

لقد سمعنا صوت اوربا حكوماتها وشعوبها يرتفع عالياً باستنكار ما فعلته روسيا البولشفية من اقفالها بعض المعابد ، مع ان يد البولشفيك الحديدية انما امتدت الى الحجارة والطوب ، ولم تمتد الى النفوس والقلوب(١) فالعالم الاسلامي ينتظر من أوربا التي احتجت على عمل السوفييت في الكنائس أن تقول لفرنسا كلمتها الصريحة في عدوانها على دين الاسلام في المغرب الاقصى ومنعها سبعة ملايين من البشر منعاً رسميا مؤيداً بالسياسة والجيش من أن يسكنوا الى دينهم وان يتصلوا باخوانهم المسلمين اتصالا روحيا يطمئنون اليه ويرتاحون له

فيا أيها المسلمون ان دينكم مهدد بالزوال من الارض فان فرنسة اذا أمكنها تنفيذ مشروعها هذا في المغرب ، فستحذو حذوها جميع دول أوربة

«١» المراد انها تعدت على المعابد ولم تكره المتدينين على تغيير العقائد ، ولكن بعض الناس يتهمونها بهذا أيضا

في المشرق . وقد وجب عليكم في هذه الحال بذل أنفسكم وأموالكم في سبيل الدفاع عن دينكم، فما الذي يمنعكم عن الدفاع عنه والله يقول (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) ويقول (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ويقول (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ويقول (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)

محمد شاكر وكيل مشيخة الازهر
سابقا

عبد الحميد سعيد
الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين

محمد رشيد رضا
منشيء مجلة المنار

خليل الخالدي
رئيس الاستئناف الشرعي بفلسطين

أبو بكر يحيى باشا
المستشار بمحكمة الاستئناف سابقا

علي جلال الحسيني بك
المستشار بمحكمة الاستئناف سابقا

على سرور الزنكلوني
من علماء الأزهر الشريف

محمود ابو العيون
من علماء الازهر الشريف

محمود شلتوت
من علماء الأزهر الشريف

ميرزا مهدي رفيع مشكي

محمد عبد اللطيف دراز
من علماء الأزهر الشريف

محمود الغمراوي
من علماء الأزهر الشريف

عبد المجيد الربيعي
من العلماء

الدكتور يحيى احمد الدرديري
المراقب العام لجمعية الشبان المسلمين

محب الدين الخطيب
منشيء مجلتي الزهراء والفتح

صالح جودت بك
المحامي

طنطاوي جوهري

عبد الصمد شرف الدين الهندي

محمد الهياوي

محمود يونس الاندونسي
خريج دار العلوم

الفاروقي

السيد محمد عفيفي
المحامي

[المنار] اجتمع أصحاب هذه التواقيع في نادي جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وبحثوا في المكتوبات التي وردت من المغرب الاقصى في شأن شعب البربر فيه وأجمعوا على اصدار هذا النداء ووقعوه بأيديهم كما ترى، وقرروا أن تسعى ادارة

جمعية الشبان المسلمين لعرضه على بعض علماء المذاهب في الجامع الازهر ووجهاء المسلمين لامضائه ، وبالقيام بتبليغه لمن هو موجه اليهم في العالم الاسلامي كله - وبتأليف وفد من رئيس الجمعية والسيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي ليذهب الى الاسكندرية ويرفعه قبل كل شيء الى صاحب الجلالة ملك مصر ويرجو صاحب الدولة وكيل ديوانه السامي أن يبلغ جلالته آمل واضعي النداء في غيرته الاسلامية - وبالقيام بتبليغه الى رئيس جمهورية فرنسة وجمعية الأمم وبعض الصحف الاوربية الشهيرة .

وقد شرعت الجمعية في تنفيذ ماعهد اليها لانها تعده أقدس الواجبات عليها، فذهب الوفد الى الاسكندرية وانضم اليه فيها فضيلة الاستاذ الشيخ محمد تاج الدين مراقب التعليم في معهد الاسكندرية الديني من قبل جمعية الشبان المسلمين فيها فذهب الثلاثة الى قصر رأس التين ورفعوا النداء الى دولة رئيس الديوان الملكي وبلغوه ما كلفوا أن يبلغوه إياه وكلموا معالي رئيس الامناء ورجاله في الموضوع أيضا .فقابلهم جميع رجال القصر أحسن المقابلة الدالة على العناية بالموضوع . وعرض النداء على صاحب الفضيلة الشيخ محمد الاحمدي الظواهري شيخ الازهر ليمضيه فأبى ولم يصدر نداء ولا إنكاراً غيره ، فاستنكر منه هذا كل من عرفه من المسلمين أولي الغيرة وخاضت فيه الجرائد وكان أشد مانشر فيها انكاراً وتثريبا عليه كتاب مفتوح بامضاء عبد الحميد بك سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين ومقالة بامضاء مسلم نشرت في جريدة (العلم المصري) وانكار جريدة المؤيد الجديد ولا نستحسن نشر شيء من ذلك في المنار . ولكن أمضى النداء كثير من العلماء وسائر الطبقات الراقية، وتوالت علينا وعلى جميع الصحف ولا سيما الاسلامية الاحتجاجات بالطعن في الدولة الفرنسية والتحريض على عداوتها ومقاطعتها، بعضها من الجمعيات المنظمة وبعضها من الجماعات التي اجتمعت لأجل ذلك في مدن القطر المصري وفلسطين، وقد نشر كثير من ذلك ولا يزال ينشر في الجرائد اليومية إذ هي التي تتسع له

ولم يتصد للدفاع عن فرنسة في هذا العمل المنكر الا جريدة الاهرام فكذبت الخبر وهي تعلم صدقه ، وطعنت في واضعيه بدون ادب ، فردت عليها الصحف

الاسلامية ردوداً شديدة ووصفوها بالتعصب الفرنسي والمسيحي وكراهة الاسلام، وردت عليها جمعية الشبان المسلمين رداً أدبياً نزيهاً لم تر بداً من نشره، ومما ردت به عليها الجمعية وغيرها ان حكومة فرنسة لم تكذب الخبر وكان وزيرها المفوض بمصر أحق بتكذيبه لو لم يكن حقا، وعلى أثر ذلك نشرت الاهرام ثم غيرها البلاغ التالي من قبل المفوضية الفرنسية بمصر :

مسألة قبائل البربر

بيان المفوضية الفرنسية بترجمة الأهرام

ترى المفوضية الفرنساوية أن من المفيد نشر البيان التالي بناء على ماتلقته من طلبات الاستفهام العديدة عن موضوع نظام الاحوال الشخصية لقبائل البربر في بلاد المغرب ففي ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ أصدر سيدي محمد سلطان المغرب ظهيراً يجعل لبلاد البربر نظاما مشروعا في المشاكل القضائية

فهذا القرار الذي يشرك السلطان وفرنسة في خدمة العدالة نحو قبائل البربر دون مساس بعقيدتهم الدينية الاسلامية هو التتمة المنطقية لظهير سابق صادر من المأسوف عليه السلطان مولاي يوسف بتاريخ ١١ سبتمبر سنة ١٩١٤ وفيه التسليم للبربر بنظامهم الخاص المبني على التقاليد وعلى حقهم بان يحتفظوا بنظامهم ، الامر الذي لم يجادل فيه أي مسلم حتى أشد العلماء تدينا

والست عشرة سنة التي مرت بين صدور الظهيرين بالدرس والتفكير أظهرت اظهاراً كافيا أن عمل فرنسة في المغرب لا يتطرق اليه شك بالتسرع والخفة والنص الجديد لايزيد فوق ماتقدم على أن يجعل الواقع المتبع منذ القديم أمراً مشروعا . فليس هناك اذن قرار تحكمي ولا ابتداع بل تقرير مشروعية حالة موجودة ومرعية منذ أبد الدهور ومعترف بها في الظهير الصادر في سنة ١٩١٤ وذلك بالتوفيق بين هذه الحالة والضرورات الحاضرة للقضاء والادارة

ويتناول الظهير ثلاثة أمور :

الاول — اختصاص القانون المعترف به بين البربر والجهات الاخرى أيضا ضمن حدوده ذاتها

الثاني — الاختصاص القانوني للجماعة المتبع في جميع الاعمال المدنية والتجارية وفي الثوابت والمنقولات ونظام الارث والاحوال الشخصية

الثالث — ادخال قاض فرنساوي بين العدول الوطنيين في المسائل الجنائية فقط

ولا شك بان هذا الظهير يتفق مع أماني البربر المغاربة كما تدل الرسائل العديدة التي وصلت الى رباط بشكر السلطان، والسلطان لا يجد في ذلك انتقاصا من سلطته لان القضاء في بلاد البربر يصدر بعد اليوم باسمه والقضاة يعينون بقرارات وزارية

وأقوى سلاطين المغرب وأشدهم تدينا احترموا دائما عادات وتقاليد البربر المختلفة عن قواعد الشرع. فلم يكن بوسع فرنسا أن تفعل غير ذلك، لاسيما أن المبدأ الاساسي للحماية هو عدم التدخل في المسائل الدينية

ويجب أن يكون جميع المسلمين واثقين من الحياد الفرنساوي التام في المسائل الدينية الصرفة، والبربر مسلمون وسيظلون مسلمين

وقد قدمت فرنسا في الجزائر من الادلة على احترام الحرية مايكفي حتى لاتتهم بانها تعمل خفية في الغرب مالم تعمله أبداً في الشرق

وفوق ماتقدم أليس تشجيعها، وبفضل تنظيم المالية المغربية على بديهها، ترمم الآن المساجد المتهدمة والمدارس التي كانت مقفرة ؟

[تعليق المنار على هذا البلاغ]

في هذا البلاغ مايرى القراء من الابهام والايهام المعهودين في البلاغات السياسية، وهو مع هذا يدل على صدق الانباء التي جاءت من عدة مدائن من المغرب الاقصى في مسألة البربر فكانت سبب اصدار البيان العام المتقدم، وعلى بطلان تكذيب الاهرام لها، فهو يعترف بالظهير السلطاني الذي بنت عليه فرنسة وضع نظام مبتدع للقضاء في البربر دون سائر المسلمين ولكنه يدعي ان هذا النظام خدمة للعدالة يشترك فيها السلطان مع فرنسة كأن الشريعة الاسلامية غير عادلة. والسلطان لا يعتقد عدم عدالة الشرع، ولكنه مكره بالطبع. ودعوى البلاغ ان والد هذا السلطان الشاب كان أصدر ظهيراً قبل هذا في أول مدة الحرب لاتعد حجة على حقية الظهير الثاني لان مابني على الباطل باطل ولو كان كل منهما اختيارياً،

فكيف وهو غير اختياري كما لا يخفى ؟

وأما قول سعادة الوزير : ان هذه الخدمة لا تمس عقيدة البربر الدينية ، فهو مغالطة لا تروج في مصر بلد العلم الاسلامي ، ونختصر في ردنا عليه بأن الاحكام القضائية اذا كانت من قسم الاعمال الاسلامية لا من قسم العقائد فان من أصول العقائد الايمان بوجوب العمل بكل ما هو منصوص في القرآن وبكل ما أجمع عليه المسلمون منها ، ومن استحل ترك العمل بنصوص القرآن القطعية يعد مرتداً عن الاسلام اذا كان يعلم ذلك ، ويجب على أولي الامر من المسلمين كسلطان المغرب ورجال حكومته أن يعلموا الجاهل لا أن يقروه على جهله بضروريات الدين ويشرعوا له قوانين ينسخون بها قانون الشرع

فان كان سلطان المغرب السابق أو اللاحق (فرضا) قد جعل تقاليد بعض بدو البربر المخالفة لنصوص الشريعة القطعية المعلومة من الدين بالضرورة حقا ثابتا لهم جاحداً لتلك النصوص أو مستحلا لتركها فقد صار بذلك كافراً مرتداً عن الاسلام ، وبطل حكمه وسقط سلطانه شرعا ، اذ الواجب عليه ارجاعهم عن تلك التقاليد بالتعليم والاقناع ، والا فبالقوة ان استطاع ، ولعل السلطان يعذر نفسه أو يعذره المنافقون من الحكام وعلماء السوء بأنه مكره على ذلك بقوة فرنسة المسيطرة على بلاده لا مختار ، وقد قال الله (من كفر بالله من بعد إيمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) الآية وهو يعلم كما يعلم غيره ان فرنسة قادرة على اخراجه من السلطنة كما أخرجت السلطان عبد الحفيظ — وهذه شبهة ولكنها باطلة ، فان التهديد بالعزل من السلطنة ليس عذراً يبيح لصاحبه نقض أحكام الشريعة القطعية . فمن لا يستطيع أن يكون سلطانا الا بجعل نفسه آلة للكفار مساعداً لهم على اخراج المسلمين من دينهم أو مادون ذلك من المعاصي فلا يجوز له قبول السلطنة بهذا الشرط ، وقبولها لا يعد عذرا كعذر من هدد بالقتل على قول كلمة الكفر بلسانه دون قلبه حتى ينجو من مهدده كما وقع لعمار بن ياسر (رض) فكان سببا لنزول الآية في الرخصة

وأما قول البلاغ ان أشد العلماء تدينا لم يجادل في ذلك فهو غير مسلم على اطلاقه في إجماله . ولا ثقة لمسلم بمن تعدله فرنسة في اسلامه وعلمه كابن غبريط ولا الكتاني

ان صح مانقل عنه؛ و كالذين رضوا من مسلمي تونس الجغرافيين (المنافقين) بمساعدة مؤتمر المبشرين (الافخارستي) وغيرهم من حملة شارات الشرف الفرنسية

نعم قد يعذر بعض جهلة بدو البربر في بعض التقاليد والعادات المخالفة للشرع اذا كان عن جهل بها بشرطه المعروف في الفقه، ولكن السلطان وغيره من أولي الأمر لايعذرون باقرارهم على هذا الجهل فضلا عن جعله تشريعاً يبطل به شرع الله . ومثل أولئك الجاهلين من بدو البربر كمثل الجاهلين من بدو العرب الذين كانوا يستبيحون قتل الحجاج وسلب أموالهم وغير ذلك من مخالفتهم للشريعة، وكانت الحكومات الحجازية قبل حكومة ابن السعود مقصرة في تأديبهم، ولكن ذلك التقصير لايعد احتراما من السلاطين وأمراء الحجاز والعلماء لتلك العادات ولاإقراراً لها ، وكذلك يقال في سلاطين المغرب .

وأما كون الاحكام الجديدة تصدر باسم السلطان الذي لم تبق له فرنسة من الحكم إلا الاسم فهو مؤيد لخروج هذه الاحكام عن الشرع الاسلامي لان فرنسة تعده هو الشارع لها وانما شارع الاسلام هو الله تعالى وباسمه تصدر أحكامه ،

وأما قول البلاغ إن البربر مسلمون وسيبقون مسلمين، فالجملة الاولى منه من قبيل: السماء فوقنا ، والثانية خبر عن المستقبل وكلاهما لا يقال في البلاغات الرسمية .

وأما الامور الثلاثة التي أشار البلاغ الى اشتمال الظهير عليها فهي مؤيدة للتهمة لامبرئة منها ، واننا نطالب الدولة الفرنسية بنشر نص الظهيرين الاول والثاني واطلاع الرأي العام الاسلامي عليهما وعلى القانون الذي بني عليهما.

وأما ماجاء من شكر بعض البربر للسلطان على عمله هذا فلا ينقض من التهمة شيئا - إن صح - لجواز أن يكون هؤلاء الشاكرون من الجهلة بأمور الدين أو من المحمولين على الشكر بالاكراه والقهر، كما وردت به الاخبار من هناك، فهو كما قال الشاعر :

ولم أر ظلما مثل هضم ينالنا يساء الينا ثم نؤمر بالشكر

ونحن نعلم من الروايات الصادقة أن من البربر وغير البربر من أنكر ذلك بقدر مافي امكانه مع فقد الحرية هنالك فعوقبوا

وأما دعوى البلاغ الخاص بمعاملتها لمسلمي الجزائر فهو ضد الواقع ولا محل

هنا لتقضه بالشواهد ، وأما مافيه من ذكر ترميم المساجد في المغرب فهو إيهام. الحق ان فرنسة جعلت جميع أوقاف المساجد وغيرها تحت سيطرتها واستولت على أموالها وجعلت التعليم الديني في أضيق من جحر الضب مع المراقبة على العلماء كما فعلت في الجزائر من قبل . فهل لها ان تمن على المسلمين مع هذا ان سمحت بترميم قليل من المساجد المتداعية ارضاء لعلماء الآثار من قومها مثلا ؟؟ ألا انها منة عليهم كمنة فرعون على موسى بتربيته مع استعباده لقومه فأجابه كما حكى الله عنه (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) نكتفي بهذا الرد على البيان لنحكي رد غيرنا عليه فيما يلي:

رأي شيخ الازهر في البلاغ

جاء في المقطم أن أحد مندوبيه في الاسكندرية قد تحدث الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في صدد هذا البلاغ فأفضى اليه فضيلته بما يأتي : —

« لقد ارتحت الى ماتضمنه بيان المفوضية من ان فرنسا واقفة في المسائل الدينية على الحياد ، وأن البربر مسلمون وسيبقون مسلمين . وانه بتشجيعها رممت مساجد كثيرة في بلاد المغرب الاقصى

« ولكني لم أرفيه مايكشف الحقيقة من جميع وجوهها ولا مايرد على كل تلك التفاصيل التي وردت بها الانباء وكانت سببا في هياج الرأي العام الاسلامي، فهو لم يتعرض لما قيل من ارسال نحو الف راهب الى تلك النواحي لتشجيع التبشير المسيحي، ولا الى ماقيل من إلغاء المكاتب القرآنية والمحاكم الشرعية، ولم يبين ماهو نظام الارث الذي أقر الآن لامة البربر ، ولا ماهي الاحكام الشخصية التي أقروا عليها الآن أيضا مع أنهم ماداموا مسلمين لا يجوز شرعا أن يكون لهم نظام ارث غير نظام الارث الشرعي ولا نظام أحوال شخصية غير النظام الاسلامي ، وتلك هي النتيجة المنطقية لانهم مسلمون وسيبقون مسلمين

« وان المسلمين فيما يوجهونه من الاحتجاجات موقفهم دفاعي محض ولا يقصدون أكثر من ابقاء الامور على ماكانت عليه قبل حماية فرنسا ولا يرضيهم جعل العادات القديمة لبعض القبائل نظاما مشروعا مادام في ذلك مساس بالمسائل والشعائر الدينية

«وفي أفريقية عادات متبعة منذ القدم وهي استرقاق الاحرار والاتجار بهم ولم يقل أحد ان مثل هـذا الاسترقاق ينبغي أن يكون مشروعا مادام موجوداً، وان المعروف عن فرنسة وغيرها من جماعة الامم أنها تعمل على توطيد دعائم السلم وابعاد دواعي الاضطرابات

« فالمأمول منها بناء على ذلك أن تستأصل الداء من مكامنه الخفيـة فلا تساعد ولا تقر المبشرين على اعمالهم في البلاد الاسلامية فان ذلك مكمن عظيم من مكامن الخطر، وعليها أن تفصل بين نشر الثقافة والتبشير

وإني بصفتي الدينية - التي أعمل بها على توطيد دعائم السلم ومعاملة الاجانب من أي دين أو جنس بالحسنى وبالتسامح آمل من القائمين بالامر ألا يساعدوا ما يثير حفائظ النفوس وأن يعملوا على اعادة الاطمئنان الى تلك البلاد الاسلامية »

(المنار) أحسن ما في هذا البيان الذي كان الفضل في إظهاره لمندوب المقطم ما قاله الشيخ في مسألة الرق، ولا يوافقه أحد من المسلمين على قوله: انهم لا يقصدون أكثر من إبقاء الامور في المغرب كما كانت قبل الحماية الفرنسية بل يطلبون إصلاح ما كان من خلل وجهل كما أشرنا اليه، ولا يوافقونه أيضا على كلمته في الثقافة والتبشير على ما فيها من إجمال، وقد انتقدت الجرائد الاسلامية منه أموراً أخرى

﴿ رد جمعية الشبان المسلمين على بيان المفوضية الفرنسية ﴾

نشرت المفوضية الفرنسوية في مصر بيانا في مسألة مسلمي البربر بالمغرب الاقصى فيه اعتراف صريح بأن ظهيراً سلطانيا قد صدر في ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ يشرك فرنسا مع السلطان في الاشراف على الاحوال الشخصية للبربر المسلمين ويجعل القانون في هذه الاحوال الشخصية هو العرف والتقاليـد البربرية القديمة وبأن هـذا العرف وهذه التقاليـد تخالف قواعد الشرع الاسـلامي وان تنفيذ ذلك في مناطق البربر منوط بالقواد

يعترف البيان بهـذا ويحاول مع ذلك أن يفهم المسلمين أن الظهير لا يمس «العقيـدة الاسـلاميـة» كما ترجمه المقطم ويطلب الى جميع المسلمين أن يثقوا بحياد فرنسا (في المسائل الدينية الصرفة) حسب ترجمة الاهرام أو (في تلك المسائل المصطبغة بصبغة دينية محضة) حسب ترجمة المقطم ولا يمكن

التوفيق بين ذلك الاعتراف وبين هذا الطلب الا على اساس أن مصدر البيان، لايفهم ما الاسلام أوانه يظن أن المسلمين لايفهمون

ان أخص خصائص الاسلام في الحياة الاجتماعية للفرد والمجموع هو أحكامه في الارث والاحوال الشخصية ، ونظامه في ذلك هو النظام الواحد الباقي قائما الي الآن من نظم الاسلام المدنية والاجتماعية ، فزواله من أي قطر أو اقليم اسلامي معناه زوال البقية الباقية فيه من الاسلام في المجتمع وفي البيت ، من قلب الفرد ومن بين الناس . ولم يتهم أحد فرنسا بتهمة أكبر مما يدل عليه بيان مفوضيتها صراحة من انها تخرج قبائل البربر بقوة القانون من الاسلام عن طريق حملهم في الارث واحوالهم الشخصية على العرف البربري القديم .

أما اعتذار البيان عن هذه الفعلة الشنعاء بأن العرف البربري كان قائما قبل الآن معترفا به من أقوى السلاطين حولا وتدينا فغير صحيح ولامعقول، لان معناه اذا صح على وجه يستقيم به الاعتذار أن البربر لم يكونوا مسلمين قط ، والبيان نفسه يقول انهم مسلمون وسيظلون مسلمين . ان الذي كان معترفا به من عرفهم في بعض قبائلهم هو مالم يناقض أصول الشرع وصريح القرآن والا فما حاجة فرنسا الي أن تحمل السلطان يوسف منذ ستة عشر عاما كما يزعم البيان علي التسليم بذلك العرف أولا في ظهير لتجيء هذا العام — بعد أن مضت الحرب وأمنت أو ظنت أنها أمنت أثر هذا التغيير في الناس ـ فتحمل ابنه الذي لم يبلغ بعد عشرين عاما على جعل ذلك العرف قانونا في ظهير آخر مقابل اصدار الاحكام باسمه في مناطق البربر منذ الآن؟ لو كان العرف البربري قائما معمولا به بين مسلمي البربر في الارث والاحوال الشخصية لماتدرجت فرنسا في الامر ولما استصدرت من سلطان المغرب هذا الظهير

على اننا اذا سايرنا البيان الى أقصى حد وسلمنا جدلا بان بعض مسلمي البربر كان يسير في أحواله الشخصية علي العرف المخالف لاحكام الشرع فالبعض الآخر الكثير كان من غير شك يسير في احواله الشخصية على أحكام الشرع . والمحاكم على أي حال لم تكن تحكم إلا بأحكام الشرع ، وفرنسا قد

قلبت هذا الآن رأسا على عقب، فجعلت الحاكم تحكم في الاحوال الشخصية بما يناقض الشرع وقهرت على ذلك مسلمي البربر أجمعين، من كان جدلا يسير على العرف منهم ومن كان يسير على أحكام الدين

ان هناك ملايين من مسلمي البربر قد اخرجتهم فرنسا بهذه الفعلة عن الاسلام، وهذا ما ينكره عليها المسلمون

على أن البيان قد اقتصر على مسألة الاحوال الشخصية وسكت عن الامور الخطيرة الاخرى التي جاءت الاخبار الوثيقة من المغرب بأن فرنسا ترتكبها هناك كمنع تعليم القرآن واللغة العربية بين البربر، واخراج العلماء وحملة القرآن من بينهم، ووضع اطفالهم بين ايدي الراهبات والرهبان يعلمونهم النصرانية باللغة الفرنسية . وقد اعترف البيان صراحة بصدق تلك الاخبار في مسألة الاحوال الشخصية . فسكوته عن الامور الخطيرة الاخرى يعتبر اعترافا ضمنيا بها حتى تصدر المفوضية الفرنسية بيانا آخر في الموضوع

أما رسائل الشكر العديدة التي يزعم البيان انها جاءت الى السلطان تشكره علي الظهير فهي — ان صحت — لعبة تلعبها السياسة في كل مكان.

واذا كان هناك رسائل شكر عديدة فهناك أيضاً هياج كبير واحتجاجات كثيرة سكت عنها البيان .وهناك ضرب وجلد وحبس في سبيل تنفيذ الظهير

وأما استشهاد المفوضية بما تسميه احترام الحرية في الجزائر فان الحرية الدينية التي نحن الآن بصددها قد أصيبت في الجزائر بما لا تشرف به فرنسة. ففرنسا مثلا مستولية هناك على الاوقاف الاسلامية وأوقاف الحرمين الشريفين والعالم المسلم لا يستطيع أن يقرأ درسا في مسجد الا تحت الرقابة الشديدة ، والمسلم ليس له حق تمثيل بلاده في الهيئات النيابية الا اذا قبل القانون الفرنسي حتى في الاحوال الشخصية . أي ان فرنسا تحرم المسلم الجزائري من كل حقوقه السياسية إلا إذا خرج عن دينه في الاحوال الشخصية من زواج وارث، فهي تعمل على إخراج المسلم من دينه في الجزائر كما تعمل على إخراج المسلم من دينه في المغرب وان اختلف طريق العمل في القطرين ﴿ رئيس الجمعية العام — عبد الحميد سعيد

آراء ساسة فرنسة في سياستها الاسلامية

(وامكان الاتفاق على ماهو خير منها لها وللانسانية)

لقد آن للعالم الاسلامي أن يعلم ماتكيده له دول الاستعمار في دينه ودنياه، وأن يبذل مايستطيع من حول وقوة للدفاع عن نفسه من حيث هو أمة واحدة كما قال الله، وكل شعب من شعوبه وكل فرد من أفراده كعضو لجسد واحد كما قال رسول الله ﷺ وأقله تنظيم الدعاية والمقاطعة العامة الاقتصادية، وأكبره الثورة العامة المدنية فالدموية، (وقد جمعت بينهما الهند) وآن لهذه الدول أن تعلم ان هذه الشعوب قد تنبهت أو هبت من رقادها وشعرت بآلامها، فلم تعد تطيق ما كانت تسام به من إرهاق واستذلال، فضلا عما تحاوله هذه الدول من الزيادة عليه، وأن تعلم مع هذا أنه يوجد في عقلاء المسلمين من يود الاهتداء بالبحث معها الى الاتفاق على معاملة مشتركة تكون خيراً للانسانية في ترقيها وتوقيها أسباب الحروب الساحقة الماحقة، وحل الاشكال يكون جامعاً بين الممكن من مصلحة المستعمرين ومصلحتها

وبهذا القصد نشرنا ما نشرنا في مسألة المغرب الاسلامي وما تفعله فرنسة فيه لتعلم هي وكل من يقرؤه اننا لانبغي به التشهير بسيآتها تشفيا منها وتحريضا على عداوتها ومقاطعة المسلمين لها، إلا بعد اليأس من انصافها، وقد سبق لي السعي لمثل هذا الجمع بين المصلحتين في معاملتها للسوريين في حديث طويل ألقيته إلى مسيو روبير دوكيه في بيروت (إذ قابلني بالنيابة عن الجنرال غورو في أوائل مارس سنة ١٩٢٠) فقال بعد المناقشة الطويلة فيه: انه رأي يمكن تنفيذه وليس بخيال، ولكن يجب درسه وتمحيصه والاتفاق على طريقة تنفيذه بين الفريقين، ثم حاولت مثل هذا السعي في (جنيف) مع مندوب فرنسة في عصبة الامم موسيو هانوتو الشهير فلم يتح لي ذلك، وقد فصلت هذا وذاك في المنار كما يعلم القراء

ولكن أحرار فرنسة الذين لايهمهم الا مصلحتها العامة قلما ينظرون في أمثال هذه الآراء الحرة، فان تقاليد وزارة الخارجية الفرنسية السياسية الدينية (لا كليركية)

والعسكرية، أرسخ من تقاليد العجائز في تقاليدهن الدينية والمنزلية، وقد خرجت بها عن حد المعقول والمعتاد عند الحكماء والعقلاء الذين يتحرون الاستفادة مما ينتقد عليهم، فإن هؤلاء السياسيين إذا رأوا انتقاداً موجها إلى دولتهم يدفعونه بغير تأمل ويعذرون أنفسهم او يعتذرون عنها بانه كلام عدو، وقد يكون كلام صديق، او ناصح لمصلحة له في النصيحة، وقد قال الشاعر العربي الحكيم في ذم الاعداء:

عداتي لهم فضل عليَّ ومنة فلا أذهب الرحمن عني الاعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فا كتسبت المعاليا

ولكن رجال السياسة الاستعمارية في فرنسة لا يحبون اجتناب زلاتهم، وإن عرفوها من أنفسهم وأصدقائهم، وانما ينكرون ويتأولون كما فعلوا في مسألة البربر

قد ابتلي مسلمو الجزائر فتونس فمراكش بالدولة الفرنسية فكانت سيرتها فيهم أشد استبداداً واستعباداً وظلما من استعمار انكلترة وهولندة أضعافا مضاعفة وقد وجد من عقلاء الشعب الفرنسي ومن عقلاء المسلمين من حاولوا اقناع هذه الدولة بانصاف هؤلاء المسلمين ولا يزال يوجد في المسلمين من يحب هذا ويريده إن كانت هذه الدولة تقدره قدره وتريده

ولكن، متى تريد وبين يدي أولي الأمر في عاصمتها عدة مصنفات جديدة قد عني مصنفوها باقناعها فيها بأنه لا يمكن خضوع مسلمي افريقية بالاخلاص لها إلا اذا ارتدوا عن الاسلام وصاروا نصارى أو ملاحدة، وبأن ردهم عنه ممكن؟ فبعضهم يختار فيه إكراههم على النصرانية بالقوة القاهرة كما فعلت اسبانية في الاندلس، وبعضهم يختار إكراههم على تربية أولادهم وتعليمهم في المدارس التبشيرية والالحادية مايحول بينهم وبين الاسلام ولغته، وسياسة كبارهم بالشدة والقهر، وإفساد أمرائهم وزعمائهم بالاصطناع والتمكين من الشهوات المفسدة للاخلاق، والاستعانة بهم على كل مايريدون من الاستيلاء على ثروة الامة وتحويلها عن شريعتها وآدابها الخ

إن كتاب (الاسلام في المستعمرات الفرنسية) الذي ألفه الضابط موسيو (جول سيكار) أحد الموظفين الفرنسيين في مراكش يعد معتدلا بين تلك الكتب التي تغري فرنسة باخراج مسلمي افريقية من دينهم، ولما انتقدناه في

مجلد العام الماضي تعجب قراء المنار من كنود هذه الدولة التي سفكت مغاربة المسلمين دماء مئات الالوف منهم في الدفاع عنها ثم يجدونها تعدهم أعداء غير مخلصين لها في الباطن، وتحاول إهلاكهم في الآخرة بالكفر والالحاد، كما أهلكتهم في الدنيا بالفقر والاذلال، فكيف لو قرأ هؤلاء تلك الكتب التي تحضها على حرمانهم من كل علم نافع وإكراههم على ترك دينهم بالقوة كما فعلت اسبانية بسلفهم من مسلمي الاندلس ؟

عثرت صحيفة الفتح أخيراً على نسخة من كتاب (السياسة الصريحة) للضابط الفرنسي (الكابتن أدينو) وقد ترجم وطبع بالعربية سنة ١٣٤٧ فلم تلبث حكومة الاستعمار أن جمعت نسخه ومنعت نشره لانه صرح فيه بسياستها السرية لاعتقاده انها أنفع لها من الرياء الذي تحاول اخفاءها به وهو لا بد أن يشف أو يتمزق فتظهر الحقيقة في وقت غير ملائم

وقد نشرت الفتح الغراء منه جملا نختار منها الآن مانصه:

« أنترك المغرب على ما هو عليه من طول سباته الذي تتوارد عليه جميع الحوادث السياسية أم لا ؟ بلى ، ولكن لا نعطيهم من العلم والمعارف إلا مايكون لهم كافيا ليرضوا بمقامنا إلى جانبهم الى الابد . هذا والاجدر بفرنسا أن تحترم مبادىء قوانينها بالمغرب، وذلك انا كثيراً ما نقول اننا ماجئنا المغرب إلا لنمدن أهله ونسعى في ترقيته بدون فتور ولا انقطاع حسب الدرجة التي يكون قابلا لها وتوافق فكرة المسلمين . وما نسعى فيه من تكثير عدد المسلمين بمعالجة أمراضهم امر يضيق لنا الفضاء الرحب المعد هنا لفرنسا

« لا. لا نسعى في هذا الامر أبداً ، واذا فعلنا وبالغنا في تعليمهم فانما نحن جالبون على انفسنا خطراً عظيما يقف بوجه مهمتنا هنا

« الاسلام تهديد لفرنسة وخطر عظيم على نفسها ، لانه لو انحاز المسلمون عن جانب فرنسا لكان في ذلك الضرر الكبير على قوتنا

« أليس من الواجب علينا إذن أن نقلل من درجة قوتهم وديانتهم الزاهرة التي تود صعوداً وانتشاراً ؟ وإنا ليشتد خوفنا من اجتماع طوائفهم المختلفة يوما ما على كلمة واحدة واتفاقهم عليها

« الى الغافلين الذين لايحتاطون لهذه الحالة أقدم كلمتي ، وهي ان لا يسعوا في

تحديد شوكة [إرهاف حربة] يصابون بها يوما ما ، ولا خشية لنا في ذلك لانني ماعثرت قط في التواريخ على ان فرنسة حاربت انكلترا لتمنعها من هدم مستعمراتها (١) والا فاني أرغب من اولئك العادلين الذين يودون تقديس عادات الامة وحياتها أن لا يقوموا بمحاربة من لم يرض بسلطتنا عليه ، لان وجودنا بأرض المغرب هو معلوم لقصد فائدتنا الشخصية من ارضه ، واذا كانت الفائدة هي التي تقود زمام أمة فكل شيء لديها مباح والحرب اكبر دليل عليه

«وما هي أيضا حاجتنا بأرض المغرب اذا كنا نسعى لامر ليس هو بالهين، في جلب عاقبة ليست بمحمودة النتيجة ، او عملنا لمنافع امة لا تكون لنا مخلصة الود ، او لمجرد نفع غيرنا من الامم . وبعبارة أخرى اقول: انه لا فائدة لنا فيما نتحمله في هذا القطر باضاعة أموالنا وصرفها

« قال لي أحد الضباط في يوم من الايام : إن تعجب من بقاء بلاد الجزائر تحت سلطتنا فذلك لسبب انقراض جيل من اجيالها (٢) وصدقا قال

« واني لآتي هنا بمثال الاب فوكول تاييداً للفكر قال:

---

(١) ينبه هذا الفرنسي قومه الى اجتناب كل مايقوي شوكة المسلمين من علوم اسلامية أو اوربية ، ويقول انا اذا اضطهدنا المغرب لانخشى ان تعارضنا دولة اخرى كالانكليز لانا لم يسبق لنا في التاريخ محاربة لانكليز عندما يهدمون مستعمراتهم اهـ والمنار يذكره بان انكلترة طردت فرنسة من الهند ثم من مصر وحاربتها لاجل الاستعمار واذلتها باعتقال اعظم امبراطور سياسي حربي تولى امرها وهو نابليون الاول، ثم يذكره بتحرش المانية بفرنسة في اغادير ، ويذكره اخيراً بان الحرب العامة لم يكن سببها الا التنازع على الاستعمار وبان فرنسة اذا هوجمت مرة اخرى فلن تجد من اسباب الدفاع عنها بعض ما وجدته فيها من مستعمراتها ومن امم الارض حتى الولايات المتحدة!! (٢) يريد الجيل الذي كان يعرف ذكريات جهاد الامير عبد القادر ، وكان في قلوبه رجاء باستئناف الجهاد اهـ ويستدرك المنار على هذا بان الجيل الآتي في جميع افريقية سيحارب فرنسة بنظام علمي اوربي يكون اقوى من حرب ذلك الجيل بالسلاح اذا هي أصرت على ظلمها وسياستها الحاضرة ، فهل تطمع في سوق مليون جندي منه الى أوربة لقتال المانية أو ايطالية ؟ كلا ثم كلا

لا يكون لكم المغرب ملكا ما دام فيه المسلمون

« أقول هذا ويقيني بأنني ولو كنت عالما بأن المسلمين سيطلعون على مقالي هذا ما غيرت من لهجته (١)

« ماذا يطلب منا المسلمون ؟ إنهم لا يطلبون منا إلا أن نخبرهم بكل صدق وحقيقة ليتخذوا احتياطاتهم . وأنا كذلك لا أحب تلك السياسة المموهة الخادعة الكذابة التي لا تريد أن تغضب أحداً من الناس ، بحديثها العذب اللين اللهجة مع جميع الناس ، وعند النتيجة يوم يكشف عن حقيقة سرها لا تحترم أحداً

« خلاف هذه الفكرة ابغي ، أود أن نعامل المسلمين بالسياسة الصريحة اللهجة فنصرح لهم : هل بودنا أن ندعهم سائرين على أثرنا عفواً من أنفسهم ؟ أم سنرغمهم عليه قوة منا ؟ لا نواري عنهم بأن سياستنا غير مرتبطة في شيء مع حالة الإسلام

« لماذا نقاسم المسلمين الجزائريين حقوقنا ؟ ونحمي المغاربة حماية ، على حين نقف مع الأمة التركية قرنا تجاه قرن وهم منتمون إلى دين واحد (٢)

« إذا تولت أمة مقاليد أمة ثانية - ولو ضعيفة - فإنه لا بد من وقوع امتزاج واندماج فيما بين الفريقين . وفرنسا هنا بالمغرب لا يمكن أن تندمج في الإسلام كما أن الإسلام لا يقبل منها شيئا خارجا عن تقاليده ، ولكن غاية الرجاء عندنا أن يكون المسلمون فيما بعد مظللين بجنسيتها كما عليه البروتستانيون والاسرائيليون اليوم

---

(١) المنار : نشكر له هذا التصريح ونصارحه بأن فرنسة تعجز عن إبادة المسلمين من المغرب إن فرضنا أنها تجد من يعمره لها من غيرهم ، وهي عن إخراجهم من الإسلام أعجز ، وأن إخراجهم منه إن أمكن ولو إلى النصرانية يكون أشد خطرا عليها ما دامت مصرة على أثرتها وظلمها لأنهم يجدون من مساعدة دول النصرانية حينئذ عليها ما لا يجدون اليوم ولا سيما أمثال الأب فوكول خليفة الأب بطرس الناسك

(٢) يتساءل هذا السياسي الفرنسي : كيف يجوز أن تتبع فرنسة سياسة صليبية مع تركيا في القرون الماضية كلها لأنها كانت دولة مسلمة ثم يعترفون للجزائريين بحقوق ولأهل المغرب الأقصى بحماية مع أن الجميع أبناء دين واحد ؟

وبهذا يمكن لهم ان يعيشوا معنا جنبا لجنب (١)

« انا لا اتصور كيف يمكن لفرنسا مع المغرب ان يعيشا معا وكل منهما على ملازمة احواله وعوائده القديمة الممتازة وأفكاره المتباينة . وقد تدوم هذه الحالة اذا ايدتها القوة ، والقوة امر لا بد من اضمحلاله ، وستحتاج فرنسة يوما ما الى جنود للمدافعة عنها فاذا يكون عملها يومئذ؟ لماذا لا نحتاط لهذه الاسباب منذ اليوم؟

« لكن بقي علينا أن نقول: هل في امكاننا ان نستولي على قلوب المسلمين ونجلبها لجانبنا؟ اه

[المنار] نشكر لهذا الكاتب صدقه وصراحته اللتين يقل مثلهما في قومه ؟ وهو لم يجب عن سؤاله الأخير لان الاستفهام فيه انكاري لا حقيقي ، يريد انه لا سبيل الى ذلك

ونحن نقول ان هذا في الامكان اذا كانت فرنسة تترك غرور الضباط واغواء الاب فوكول وأمثاله من الآباء في سياستها الصليبية ، كما تركته في إدارتها وسياستها الداخلية ، وتتبع سياسة الحق والعدل والانسانية ، أو ماجعلته شعارها رياء وخداعا وهو العدل والمساواة والحرية ، وذلك بأن تترك لهم حريتهم الدينية والادبية والاجتماعية ، وتساعدهم على عمران البلاد بترقية الزراعة والصناعة والتجارة بنظام يكفل لها الربح العظيم والثروة الواسعة ، وتعقد معهم محالفة عسكرية توجب عليهم إمدادها بالجند والمال اذا هي اصطلت نار حرب لم تكن فيها معتدية كما يوجبه عهد عصبة الأمم ، والمسلمون أشد أهل الملل وفاء وصدقا ، واذا كانوا قد استبسلوا في دفاعهم عنها في الحرب الاخيرة على شدة اساءتها اليهم في دينهم ودنياهم ، فكيف يكون شأنهم معها اذا هي أحسنت اليهم احسانا حقيقيا لا يرتابون فيه ؟ وأما الذين يضربون لها المثل بخروج الهنديين والمصريين على انكلترة مع احسانها في معاملتهم فهم خادعون فان انكلترة لم تكن محسنة لهؤلاء بل مسيئة ، وقصارى الأمر أن اساءتها اليهم دون اساءة فرنسة لمسلمي أفريقية ، وأما الاحسان الحقيقي فلا يكفره المسلم وهو يؤمن بقول الله تعالى (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ؟)

---

(١) المنار: والمسلمون يصارحونه بأنه لا جنسية لهم في غير دينهم فهم لا يقبلون الجنسية الفرنسية لانها تخرجهم منه فيخسرون الآخرة مع الدنيا لان فرنسة لا تساويهم بابناء جلدتها الاوربيين في كل شيء وإن تجنسوا بجنسيتها كما علم بالتجربة

ثم نذكره بأن أهل أمريكة قد أخرجوا الانكليز من بلادهم بالقوة الحربية وهم متحدون معهم في اللغة والدين والمذهب وكذا في الجنس الغالب .

ان هذا الضابط يهدد مسلمي المغرب بقوة دولته العسكرية القاهرة التي لا يعقل في العالم غيرها ، ولكن الامم اذا عرفت نفسها وشعرت بوحدتها تعذرت سياستها وادارتها بالقوة العسكرية ، وما القوة الا تهاويل وأراجيف من الوهم تزول بأول ثورة تهب بها الامة على المقاومة كما وقع في بلاد كثيرة وظهرت بوادره في المغرب الاقصى ذلك اخضاع المستعمرين للشعوب بالتماثيل الآلية التي ينصبونها لها باسم سلطان ملك أو أمير أو باي أو رئيس ، ومن يستخدمونه باسمائها من وزير ومدير ومفت غير ذلك ، قد آن لزمنه أن يولي مشيعا باللعن ولرجاله ان ينبذوا موسوسين بالخيانة .

كيف تريد فرنسا القضاء على الاسلام في المغرب الاقصى ؟

(جاءتنا هذه الرسالة الممتعة من جماعة شبان المغرب في باريس وكان قد تم تحرير هذا الجزء من المنار وجمع حروفه فأخرنا طبع آخره وتصديره ونشرناها فيه جمعها للحقائق في المسألة التي نحن بصددها ولاسيما بيان هؤلاء الشبان لمطالب مسلمي المغرب من حكومة بلادهم التي لا يرضون بدونها . وهذا نصها)

استغربنا ما كتبته جريدة « الاهرام » في أحد أعدادها من تكذيبها ماتسعى اليه فرنسة من هدم الديانة الاسلامية في المغرب الاقصى . وحجة الاهرام في ذلك أن علماء المغرب الاقصى أكبر علماء الاسلام ، ولا ندري أتريد بذلك تهكما مقصوداً ؟ أم هي تنطق بلسان الحق ؟ ثم حجتها الاخرى هي كون فرنسة الدولة اللادينية الوحيدة في اوربة : كأنها تجهل كلمة غامبتا « ان اللادينية بضاعة لا تصدر الى خارج فرنسة » وكأنه غاب عن الاهرام ان فرنسة سمحت منذ ثلاثة أشهر للمؤتمر الافخارستي الذي ينظر في مسائل التبشير بان يعقد في تونس واشتركت في المؤتمر رسميا يمثلها مندوبها السامي في تونس الذي حضر في جلسات ذلك المؤتمر ، ومنحت ملايين من أموال المسلمين لاعضائه ، وسمحت لابناء المدارس الفرنسيين في تونس

أن يتجولوا في الشوارع مرتدين لباس الصليبيين الذين أتوا فيما مضى لفتح تونس مع القديس لويس!! فهل تستطيع الاهرام مع هذا أن تصف فرنسة بأنها «لادينية»(١)

اما قضية المغرب الكبرى التي تقيم اليوم العالم الاسلامي وتقعده - نعني القضية البربرية - فهي ليست بنت اليوم، بل خاض فيها من قبل كثير من الساسة والكتاب الفرنسيين، بل الموظفين الفرنسيين في الحكومة المغربية، نخص بالذكر منهم لوجلي في كتابه (فرنسا وتعليم البربر) ومارتجافي كتابه (مغرب البربر) وسيكار في كتابه (الاسلام في الممتلكات الفرنسية) وأزار في مقالاته العديدة، وسوردون في كتبه عن (عوائد البربر) ولويس برينو في ابحاثه عن (مسألة التعليم في المغرب) ونزيد عليهم عضو الأكاديمية الفرنسية الكبرى لويس برطران في كثير من كتبه وعلى رأسها كتابه (أمام الاسلام) الذي نال فيه من كرامة مصر وسب فيه اخواننا المصريين سبا بذيئا

اتفق رأي هؤلاء كلهم ووراءهم جيش عظيم من القسيسين والمبشرين ، على ان اسلام البربر المغاربة انما هو إسلام سطحي، وانه لا سلطة له على أرواحهم ، وانهم أعداء ألداء للعرب والشريعة الاسلامية، وان ذكريات النصرانية لا تزال حية في نفوسهم، وأنهم لا يزالون يذكرون الحكم الروماني وسيادة القياصرة ، وأن عصيان البربر في العصر الاخير لملوك المغرب ليس له من سبب إلا تخوفهم من سلطة الشريعة الاسلامية

ولا يخفى ما في هذه النظرية السيئة السريرة من كذب وبهتان، وتحامل بعثته أهواء دنيئة تتعصب للمسيحية والاستعمار تعصباً شنيعاً . كأن أصحابها يرون أن تاريخ المغرب ينحصر في ولاية السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحفيظ ، التي كانت مضطربة أشد الاضطراب (٢) وينسون أو يتناسون أيام المغرب الزاهرة

(١) المنار : لتعلم جماعة شبان المغاربة وسائر المسلمين ان رئيس تحرير الاهرام يعلم كل ماذكروه من محاربة فرنسا الاسلام ويعلم اكثر منه ولكنه مغرور بجهل جمهور قراء الاهرام المسلمين فهو يحارب دينهم بقلمه مساعدة لفرنسة ولغير فرنسة، ويخدع اغرارهم بنشر مدايح بعض منافقيهم له جزاء مدحه لهم ، ولكن سريرته قد ظهرت في هذا العهد (٢) المنار : كان لفرنسة تأثير عظيم في هذا الاضطراب

تحت دول البربر ، كالمرابطين والموحدين ، فهاتان الدولتان العظيمتان لم تكتفيا بتعضيد الاسلام ونشر شريعته في المغرب فقط ، بل ذهبتا لنشره وتعضيده في اسبانية والسنغال وأفريقية الشمالية كلها ، ويتناسون أيضاً ان الدولة المرينية هي التي شيدت أجمل مدارس العلم وأفخمها في فاس ومكناس ومراكش وغيرها، وكذلك القصور البديعة التي يندهش السياح أمامها اليوم ، فلماذا لم تقض هذه الدول البربرية - بما كان لها من السلطة والحرية - على الشريعة الاسلامية اذا كان البربر يبغضونها ويخشون سلطتها ؟ بل ان أولئك الفرنسيين المتبعين للهوى المتعبدين للغرض تناسوا ولاية المولى اسماعيل إذ كان المغرب موحداً توحيداً تاماً، وتناسوا ولاية المولى الحسن على قرب عهد الناس بها ، ولكن هي الاغراض تعمي وتصم ، ولو أردنا أن نقيم الأدلة التاريخية على إسلام البربر واخلاصهم للشريعة المحمدية لما وسعها المقام في هذا الرد الموجز

وقد اقترح أصحاب هذه النظرية الموظفون في الحكومة المغربية : عدة اقتراحات عملية بناء على نظريتهم الفاسدة من شأنها أن تبعد البربر من العرب والاسلام، وتبعثهم على الاخلاص لفرنسة والاندماج فيها ، وترجعهم الى المسيحيه «دين اجدادهم قبل الاسلام !!» [١] وهنا نلخص مقترحاتهم فيما يلي :

(١) يجب على فرنسة أن تبعد العربي عن البربري ما أمكن

(٢) يجب أن تفتح مدارس فرنسية بربرية يحظر فيها تعليم الاسلام والعربية

(٣) أن تغلق الكتاتيب القرآنية في القبائل البربرية وتعرقل على رؤساء الطرق الصوفية والوعاظ المسلمين وسائل الوصول الى هذه القبائل

(٤) تشجيع التبشير في القبائل ومنح اعانات مهمة للجمعيات التبشيرية والسعي في تسهيل أعمالها .

وآخر ماوصل اليه تفكير هؤلاء المقترحين اقتراح تأسيس محاكم عرفية لايحكم فيها قضاة الاسلام ولا تطبق فيها الشريعة الاسلامية وانما تعتمد على عادات تكونت عند البربر في مدة ثورتهم على السلطان وخروجهم عن أحكامه ، مع قوانين فرنسية أحدثت في المغرب لمصلحة الاستعمار، ولهذا تتكون ادارة تسمى « ادارة

(١) أي بزعم هؤلاء المضلين والحق انه لم يتنصر منهم في ذلك العهد الا الاقلون

العدلية البربرية » تقابل « وزارة الحقانية الاسلامية » وبهذا تستطيع فرنسة أن تبيد الاسلام من قبائل البربر الابيد الاخير

ماذا كان موقف الحكومة الفرنسية إزاء هذه المقترحات ؟ الواقع انها في أول الأمر لم يكن لها موقف واضح ، بل ان المارشال ليوطي ـ المقيم العام سابقا ـ كان يحبذ في كثير من الاحيان تعريب البربر ، ثم جاء بعده (ستيغ) فاستهوته النظرية البربرية ففتح مدارس فرنسية بربرية يتعلم فيها البربر كل شيء ـ كما قال (لوجلي) ـ إلا اللغة العربية والاسلام » وصارت لغة البربر تكتب فيها بالحروف اللاتينية بعد ما كانت تكتب بالحروف العربية ، ومن المعلوم ان المسيو (ستيغ) بروتستنتي متعصب لمذهبه، فأجاب طلبات المبشرين البروتستانتيين واضطر أن يعين معهم الجمعيات الكاثوليكية ، ودخل بهذا العمل برنامج البربر في طور التنفيذ ، وصار المراقبون الفرنسيون في القبائل البربرية يمنعون تأسيس المساجد، ويعينون على اقامة الكنائس في عقر تلك القبائل التي لا يوجد فيها مسيحي واحد، ومنع فعلا تجول رؤساء الطرق الصوفية في تلك النواحي ، وأبعد منها أصحاب الكتاتيب القرآنية ، وجعلت للعرب ـ سكان المدن وبعض القبائل ـ جوازات خاصة لا يتمكنون من السفر الى القبائل البربرية إلا بعد الحصول عليها بعد جهد جهيد ومشقة عظيمة ، وظلت حكومة فرنسة جادة في عملها وتنفيذ خطتها ضد الاسلام مجردة من كل عاطفة سامية أو شعور شريف ،

وكان المغاربة يعلمون نيتها ويلاحظون أعمالها متألمين من ذلك أشد الألم، غير ان عقلاءهم مطمئنون لاعتقادهم ان البربر سيظلون معتصمين بدينهم، وان علاقاتهم باخوانهم العرب لا يمكن انفصامها . بل مستجملهم يستعربون حتما لان البربري لا يرى في العربي عدوا أجنبيا ـ كما يدعي الفرنسيون ـ بل يرى فيه أخا مخلصاً في الوطنية والدين . يعيش كما يعيش ويفكر كما يفكر . ويُضطهد كما يُضطهد. ويشتركان في عداوة عدو واحد. وهؤلاء العقلاء لا يسلمون ان فرنسة ستعزل البربر بنوع من العزل بل يرون ان البرابرة لا يمكنهم الاخلاص لفرنسة مادامت فرنسة لا بد من أن تفقرهم وتجردهم من كل ما يملكونه من ثروة وأرض ومال، وأن تعاملهم بأشد أنواع القساوة والطغيان

عند ما رأت الحكومة الفرنسية انها أمكنها تنفيذ الفكرة السابقة بدون أن تلقى معارضة قوية من المغاربة ، ظنت ان الوقت مناسب لتنفيذ آخر اقتراح وصل اليه المشتغلون بالقضية البربرية من الفرنسيين ليكون «مسك الختام» في هذه القضية فأعلنت باسم السلطان المعظم أمراً عاليا (ظهير شريف) يقال انه وقع بطرق غير مشروعة يقضي منطوقا ومفهوما بعزل البربر - أكثرية البلاد الساحقة - عن بقية اخوانهم المسلمين، وتجريدهم رسمياً من شريعة القرآن . وبذلك يهدم في هذه البلاد أعظم شطر من الاسلام وهو الشطر التشريعي الاجتماعي الى حين يكمل سعي المبشرين هدم الشطر الآخر (وهو الروحي الاعتقادي) ولا يخفى ما في هذا «الظهير» من العدوان على الشعب المغربي المسلم، والمس بسيادة السلطان التي تحميها العهود الدولية ، وعهد الحماية الذي عقده المولى عبد الحفيظ بنفسه ، وأصدرت الاقامة العامة « دار المندوب السامي » بهذه المناسبة قراراً للصحف الاستعمارية في المغرب تهنيء فيه نفسها بهذا النجاح العظيم، ووصولها الى انقاذ البربر من قانون الاسلام.

هياج المغاربة على فرنسة لاجل البربر ومقاومتهم بالقسوة

شاع هذا الخبر السيء في طول البلاد وعرضها وعم الاستياء في جميع نواحي المغرب، لا فرق بين المدن والقبائل ، أما في المدن فأخذ الناس يتجمهرون في المساجد يتلون صيغة مخصوصة يرددونها جماعات باصوات مرتفعة : انهم لا يرضون أبداً « أن يفرق بينهم وبين اخوانهم البربر » واتخذ الناس من اوقات صلاة الجماعة فرصة للقيام باعلان الاحتجاج والسخط العظيم ضد مشروع التمسيح (التنصير) الفرنسي الذي يريد أن يكتسح الاسلام من قلوب المغاربة المسلمين (١) فأمر ولاة الامور الفرنسيون ان تقفل تلك المساجد التي (أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) وفعلا أقفلت في مراكش وألقي القبض على ثلاثين شخصا في مدينة الدار البيضا، وزجوا في السجون، وعزل مؤذن وامام

(١) المنار : هذه الاخبار اجمال للرسائل التي جاءت من عدة بلاد من المغرب وكانت سبب اصدار البيان الاسلامي العام الذي نشرناه في هذا الجزء . وفيها ان الصيغة التي أعلنوا بها الخبر هي ما اعتادوه في أوقات الشدائد كالأوبئة والحروب من قولهم : يا لطيف الطف بنا فيما جرت به المقادير ، وتكرارها برفع الصوت ألوفا من المرار

مسجد من وظيفتهما في مدينة تطوان لسماحهما للمسلمين بالاجتماع في المسجد وقراءة صيغة الاحتجاج ، والحركة في الرباط وفاس وسلا كانت أقوى وأهم ، فقد وقع اجتماع كبير احتشد فيه ما ينيف على ٧٠٠٠ شخص وألقيت فيه خطب تبين خطر الوقف الحاضر ، ولم تمض وقت يسير حتى زج من كان يخطب في السجن مع المجرمين

ووقع في فاس أعظم اجتماع من أجل هذه القضية انعقد في كلية القرويين (الجامعة الاسلامية الوحيدة في المغرب) وخطب في ذلك الجمع الحاشد خطيب بين المصيبة الكبرى ونتائجها الوخيمة على مستقبل الاسلام . وبعد ذلك خرجت تلك الجموع متجمهرة تتضرع الى الله تعالى وتوجهت الى المشهد الادريسي ضريح مولاي ادريس - حيث ألقيت الخطب الحماسية على الشعب وتليت آي الذكر الحكيم ، ومن هنالك خرج الجمهور متوجها لبيت شيخ الاسلام يطلب رأيه وموقفه في هذه المسألة الكبرى . وكانوا في طريقهم يرفعون أصواتهم هاتفين « لتحي شريعة الاسلام تحت راية الامام » وعند ما وصلوا الى دار الشيخ رجعوا متوجهين الى بيت حاكم المدينة « باشا فاس » وبلغهم وهم في الطريق ان أحد الخطباء ألقي عليه القبض ، ولما انتهوا الى بيت هذا الحاكم ومحكمته أمرهم أن يعينوا من بينهم وفداً خاصا يتقدم اليه ، وأمر المتظاهرين أن يتفرقوا فأبوا ، فأمر عساكره أن يستعملوا العصي في تفريقهم ، وأما الوفد فقد قابله الحاكم بالسب والاهانة ، وأمر بجلد أفراده مئات من الاسواط ، وكل ذلك بمحضر المندوب الفرنسي في المحكمة وبأمره الخاص ، مع أن أعضاء هذا الوفد كلهم من الاشراف والاعيان والتجار والمفكرين . ثم أمر بالقاء القبض على آخرين حتى بلغ عدد المقبوض عليهم ما فوق الخمسين ودون المائة ، ألقوا جميعا في غيابات السجون ، وكان هذا التصرف المرهق من أهم الاسباب لاشتداد الحركة وارتفاع مقياس الحرارة وصار الناس يعلنون ان السلطان - الذي باسمه صدر هذا الامر - قد خالف شروط البيعة التي كان على رأسها « احترام الكتاب والسنة ومناصرة الاسلام » وأصبح مسؤولا عن هذه المخالفة « وقالوا » ان البيعة التي قدمت للسلطان هي باسم الشعب المغربي كله لا فرق بين العرب والبربر ، فمن الواجب على السلطان اذن أن يطبق

شريعة الاسلام في القبائل البربرية كما يجب أن يطبقها على الآخرين ولو بالجبر ماداموا يعترفون بالاسلام ديناً، على أن البربر يطالبون بان يحكم بينهم بالشريعة الاسلامية دون غيرها، ولم يعلنوا في يوم من الايام نفورهم من أحكام الاسلام

وقد أثارت هذه الحادثة في نفوس المغاربة ذكرى مصيبة الاندلس فان عدو الاسلام عند مادخل غرناطة تعهد أن يحترم الاسلام والمسلمين ، ولما استقر له الامر كان أول ماقام به هو القضاء على الاسلام . وأصبحوا يحدثون أنفسهم بأنه إذا كانت أغلبية سكان المغاربة من البربر الذين يراد اجبارهم على مفارقة اخوانهم المسلمين فسيصبح العرب اقلية ضئيلة في هذه البلاد، ولا يبعد أن تجبرهم فرنسة يوما ما على اتباع هذه القوانين التي وضعتها للبربر، والتي تجبر المغاربة جميعا على قبولها اليوم

مخاطبة الوفود للسلطان في مسألة البربر

وأما جلالة السلطان فقد كان مصطافا في فرنسة عندما كانت هذه الحوادث الكبرى تمثل في المغرب ، وكان للبلاد أمل عظيم في اوبته، وبمجرد قدومه اعدت وفود عظيمة فيها أكابر العلماء والاشراف والاعيان تألفت في فاس والرباط وسلا ، واتفقت جميع الوفود على مطالب واحدة تقدم باسم « الشعب المغربي المسلم» وكل مادة منها هي سعي الى استرجاع حقوق ضيعها على المغاربة ولاة فرنسة في المغرب ، وقد كان على رأس الوفد الفاسي أحد علماء المغرب المشاهير وأحد كبار الهيئة العلمية في كلية القرويين الشريف السيد عبد الرحمن بن القرشي وزير الحقانية سابقا . وعند ماتشرف بمقابلة جلالة السلطان خطب خطبة ضافية بصفته رئيساً للوفد ، بين فيها ما كان للبربر من سوابق عظيمة في إعلاء كلمة الاسلام ، والتضحية في سبيل إعزازه ، وبين أن الحكم بينهم كان بالشريعة الاسلامية في كل ادوار التاريخ ، مستنداً في ذلك الى حجج تاريخية مقنعة . فاجابه جلالة السلطان : « انه سيتامل في الامر وينظر في المسالة » وبمجرد ماشاع هذا الرد ورجع الوفد الى فاس من غير نتيجة معينة هاج الشعب هيجانا عظيما وأقفلت الاسواق ووقعت مظاهرات كبرى ، واصطدم البوليس مع الجمهور وسقط كثير في الطرقات والشوارع

وعلى اثر ذلك ألقي القبض على رئيس الوفد (ابن القرشي) وزير الحقانية فيما

قيل . وعلى رئيس الغرفة التجارية (ابن عبد السلام الحلو) احد أعضاء الوفد الكبار ، وظلت الحكومة تقبض وتسجن الى أن بلغ عدد المسجونين بهذه المناسبة نحو مائة وخمسين شخصاً ، كلهم من خاصة الامة وأعيانها . وبعد أن أودعتهم في سجن فاس رأت أنهم يستحقون أن يكونوا في سجن آخر فيه من انواع العذاب ماليس في سجن فاس ، فنقلتهم الى سجن تازة العسكري وحكمت عليهم بالسجن إلى أجل غير مسمى . وقد أشارت حتى الجرائد الفرنسية في باريس الى هذه الحادثة الاخيرة وذكرت بعض اسماء المسجونين

هياج البربر واعلانهم الاعتصام بالاسلام

اما القبائل البربرية نفسها فلا تسأل عما قامت به من الهيجان العظيم ، بل قد اقامت المناحات في كل جهة اظهاراً لاستيائها القوي مما يراد بها ، وتجمعت قبائل كثيرة حول المحاكم التي اقامتها فرنسة هناك وأعلنت الولاة الفرنسيين أنها على الاسلام تحيا وعليه تموت ، ولم تكتف بذلك بل أرسلت وفوداً الى جلالة السلطان تطالبه بارسال القضاة الشرعيين ، واقامة محاكم شرعية اسلامية على أساس متين ، وبينما جلالته يعدهم بارسال القضاة الشرعيين إذا بولاة فرنسة يسجنون جميع الافراد التي جاءت موفدة ، ولا يكتفون بذلك بل يجبرون المديرين لتلك القبائل من المسلمين (العمال) على توقيع رسائل مضمونها شكر فرنسة والامتنان لها من هذا العمل المجيد ، ونحن نعرف أفراداً من هؤلاء امتنعوا من التوقيع على مثل هذه الرسائل فكان عقابهم أن يسجنوا في بيوت الادب (الكنف) وأن تسلط الايدي الفرنسية على وجوههم بالضرب واللطم حتى دميت تلك الوجوه

وهنا نجد الفرصة سانحة لعرض مطالب الشعب المغربي التي قدمتها وفود البلاد بصيغة واحدة وهي وحدها كافية في اطلاع اخواننا من أبناء الشرق على مظالم فرنسة وعدوانها على الاسلام في المغرب ، ففي كل مطلب احتجاج صارخ على عمل قامت به فرنسة ضد ذاك المطلب ، ولا يعقل أن يتجه شعب كامل إلى مطالب بعينها وهو حاصل عليها وانما يطلب ما كان مفقوداً ، ولا تتجه رغبة شعب بأسره إلى هذه الناحية بخصوصها إلا بعد ما رأى أن كيانه ضائع ، وان حياته آئلة الى الفناء . وهي هذه :

مطالب الشعب المغربي المسلم

١ — احترام نفوذ جلالة السلطان بالايالة الشريفة وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية ، وذلك بجعل سائر الولاة المخزنيين (ولاة الدولة) من قضاة وقواد وباشاوات ومحتسبين ونظار وأمناء الاملاك مسئولين أمام الحكومة الشريفية (لا أمام غيرها من الموظفين الاجانب)

٢ — إصدار ظهير شريف بجعل سكان سائر الحواضر والبوادي خاضعين لحكم الشريعة الاسلامية

٣ — تنظيم المحاكم الشريفية وإصلاحها وتولية الاكفاء فيها سواء محاكم القضاة او محاكم الباشاوات والقواد والمحتسبين وتعميمها في سائر القطر المغربي لافرق في ذلك بين حواضره وبواديه

٤ — توحيد برامج التعليم في جميع المدارس التي تؤسس لتعليم الوطنيين في المدن أو في القبائل ، وتعميم اللغة العربية التي هي لغة القرآن ، وتعميم التعليم الديني الاسلامي في كل هذه المدارس

٥ — احترام اللغة العربية — لغة البلاد الدينية والرسمية في جميع الادارات بالايالة الشريفية وكذلك في سائر المحاكم وعدم إعطاء أي لهجة من اللهجات البربرية أي صبغة رسمية ، ومن ذلك عدم كتابتها بالحروف اللاتينية

٦ — ايقاف حركة المبشرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم ، ومنعهم من التجول في القبائل والحضور في أسواقها ومواسمها ، وعدم السماح لهم بنشر أي شيء يمس بكرامة الاسلام وكرامة النبي ﷺ بأي نوع من أنواع النشر

٧ — عدم منح أي اعانة من ميزانية الدولة الشريفية أو اعطاء أي ملك من أملاك المخزن الشريف للجمعيات التبشيرية ، وللساعين في تشييد الكنائس وأندية التبشير في أطراف البلاد المغربية

٨ — عدم السماح للمبشرين باحداث ملاجيء للايتام واللقطاء المسلمين وإحداث مدارس صناعية وعلمية (كما يسمونها) للبنين والبنات ، والانفاق على

ذلك من المال المعد لمصالح العامة وأموال جماعة المسلمين (كما هو مقرر في الشريعة الاسلامية) أما ما سبق تاسيسه من هذا النوع فإما أن تقوم به الحكومة الشريفية وإما أن يقفل ، وعلى كل حال لا ينبغي أن يبقى تحت نفوذ المبشرين

٩ — لا يعين الرهبان والمبشرون مدرسين في مدارس الحكومة الشريفية أو قائمين بادارتها

١٠ — عدم التعرض لفقهاء المكاتب والمشارطين لتعليم (اللغة العربية والقرآن الكريم بالقبائل) وإعطاء الحرية للوعاظ والعلماء وشيوخ الطرق الصوفية للتجول في الأنحاء المغربية بقصد تعليم الناس أحكام دينهم وحثهم على شعائره

١١ — إسقاط جوازات التنقل بداخل الايالة المغربية (وخصوصا فيما بين المدن والقبائل البربرية) والاكتفاء بورقة التعريف الشخصية حتى لا يظل الحضري بعيداً عن أخيه البدوي، ويتعذر بذلك التفقه في الدين

١٢ — اعتبار جميع السكان الموجودين بالبلاد المغربية - ماعدا الاجانب - تحت رعاية مولانا السلطان وسلطته ، خاضعين للمحاكم الشرعية والمخزنية التي تؤسس باسمه الشريف ، وكذلك اعتبار جميع المغاربة مسلمين — ما عدا يهود المغرب — بمعنى أنه لا توجد ملة ثالثة معترف بها للمغاربة الوطنيين

١٣ — منح العفو العام عن جميع المسجونين والمنفيين في هذه القضية البربرية وعدم التعرض بسوء لكل من خاض فيها

وبعد فهذه هي مطالب الشعب المغربي التي يتعذب من أجلها عدد كبير من عظمائه وشيوخه وشبانه في غيابات السجون . وهذا هو الملخص البسيط الذي نقدمه لاخواننا الشرقيين عن حركة المغرب الكبرى التي تثير شعور العالم الاسلامي أجمع ، وعلى رأسه الامة المصرية الكريمة ، وجامعة الازهر الشريف معقل الاسلام وحصنه الحصين ، والجمعيات الاسلامية المخلصة في مصر

فهل لمفوضية فرنسة في مصر أن تكذب هذه الحوادث التي ذكرناها تكذيباً صريحاً ؟ وهل لها أن تقول ان فرنسة لا تأخذ من مالية المسلمين المغاربة ومن أحباسهم (أوقافهم) الاسلامية إعانة مهمة للجمعيات التبشيرية التي تنشرها في كل

أنحاء المغرب ؟ وهل تستطيع أن تنفي أن عدداً من المراقبين الفرنسيين على رأسهم المراقب المدني في قبيلة زمور منع البربر من بناء مسجدهم الاسلامي وأعان المبشرين على إقامة الكنيسة هنالك بدل المسجد ؟ وهل لها أن تكذب أن هذا المراقب نفسه ومراقب قبيلة بني نطير (إحدى القبائل البربرية) خطبا في دائرتي نفوذهما قائلين « ان العرب انما هم غزاة غرباء ، وان فرنسة انما أتت للمغرب رغبة في إنقاذ الشعب البربري من العرب وشريعتهم وسلطانهم » وهل لها ان تقول انه لا يوجد في القبائل البربرية مدارس فرنسية تجبر البرابرة على تسليم أولادهم اليها جبراً وهي خالية من الاسلام ومن العربية بل فيها تبغيض الاسلام للبربر والتنفير من العرب؟

فما قول جريدة الاهرام المحترمة ؟ ومن ورائها مفوضية فرنسة ؟ هل تقول بعد هذا ان ما ينسب الى فرنسة لا يمكن يعتقده الا البسطاء السذج : في معرض ردها على جمعية الشبان المسلمين التي تعرف الحقيقة وتساعد على نشرها لا تبغي من وراء ذلك جزاء ولا شكوراً؟ اللهم ان الحقائق واضحة لا يمكن أن ينكرها إلا من في قلبه مرض ، أو في صدره غرض

واخيراً نتقدم باسم الشعب المغربي الى الامة المصرية الكريمة وعلى رأسها رجال الازهر الشريف والمشتغلون بمسائل التدين والاسلام وقادة تفكير في مصر شاكرين مغتبطين على مشاركتنا الفعلية لنا في احزاننا واحتجاجاتنا ضد الحكومة الفرنسية العاتية، ونود أن يظل الرأي العام المصري واقفاً على الحقيقة الواقعة في المغرب اليوم، وأن يناصر الامة المغربية المسكينة في موقفها الجدي ضد فرنسة التي اعتدت على دينها ووحدتها، كما اعتدت على جميع حرياتها، فليس هنالك أكذب من ظالم ولا اصدق من مظلوم

ونتقدم الى اخواننا من ابناء الشرق الاسلامي وأممه راجين منهم أن يمينونا على نشر هذه الحقائق بين أممهم وأن يساعدونا على رفع احتجاجاتنا الصارخة الى العالم شرقيه وغربيه ، وأن يناصرونا ضد طغيان فرنسة، ويعرفوا جميع الشرقيين بالموقف الحاضر في المغرب الاقصى . ولنا اقوى الامل في اجابتهم هذا الرجاء الصادر من أعماق قلوب شعب مظلوم، وقيامهم بالواجب معنا جنبا لجنب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

الطلبة المغاربة بباريس

تهنئة للمنار ونقد واقتراح

من الاستاذ الفاضل وأحد دعاة الاصلاح بتونس صاحب الامضاء

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الامام العلامة المصلح الكبير الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي الزاهر ، دام فضلكم وأبقاكم بدراً منيراً ، وكوكباً ساطعاً ، ونجما للمسلمين ، ورجماً للملحدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته عدد مايشكركم شاكر ، ويذكر فضلكم ذاكر ، وبعد يسرني أن أتقدم لحضرتكم بغرر التهاني بمناسبة دخول المنار المحبوب الى عامه الجديد ، جعله الله سعيداً عليه وعليكم وعلى الجامعة الاسلامية بالتوفيق والهداية وبلوغ الآمال ، ونجاح الاعمال

نراكم يا سيدي العزيز تقومون بواجب عظيم في محاربة الملحدين الطائشين ، وتقفون لهم في كل سبيل ، فشكراً لكم وألف شكر على هذه العناية والجهاد في سبيل الله ، وان الملحدين لجديرون بأن تصوب اليهم الاقلام ، وتنزل على رءوسهم الصواعق ، فعندنا جريدة تدعو للالحاد ، وملحدون يقول أحدهم « ان محمداً كان رجلا استعماريا » ويندم آخر على مافرط منه في صغره من أداء الصلوات وحفظ القرآن . ويقول آخر ان الدين يلزم أن لا يتعدى المسجد كما فعل م ... لعنه الله

والذي ألفت اليه نظركم السديد هو - وان عددتموه من باب (الانتقاد على المنار) - الاهتمام بحركات الجامدين وجماعات الطرق الذين اتخذهم الغاصب آلة بيده يديرهم كيف شاء ومتى شاء لتشتيت شمل المسلمين ، ونشر دعايات المحتلين ، وما خيانتهم للامير محمد بن عبد الكريم إلا أكبر مثال على مالهؤلاء من اليد الطولى في التفريق وتأييد الظالمين

نعم سيدي ، أولئك جماعات الطرق الذين ينشرون الجهل ، ويبثون فساد الاخلاق ، ويعملون مع النصارى ضد المسلمين ، وأكاد أستغرب سكوت المنار على المؤتمر الافخاريستي الذي انعقد بتونس . وكان جديراً بأمثال المنار أن يؤازر تونس المقهورة ويضم صوته اليها في الاستغاثة من الذين يسعون في تصيير تونس الاسلامية كنيسة مسيحية ، ويؤازر أعمالهم الصادرة من أعماق الكنيسة رجال

السياسة عندنا ورجال الدين أيضاً ، إذ هم قبلوا العضوية وكانوا مع الزمان علينا بدل أن يصيحوا معنا ، ولكن ابتلينا بهم ولا راد لقضاء الله . ولولا ضيق وقتكم وكثرة أشغالكم وسعيي في عدم تفويت ثمين أوقاتكم عليكم لحدثتكم كثيراً عما يختلج بضميري من الحوادث التي تقع عندنا . ورغماً عن منافاتها للدين الحنيف فان رجالا يقرونها بسكوتهم . وكذلك المصائب السياسية التي أمطرنا بها الاستعمار الظالم فانها لا تحصى ويكفي أن تلقي نظرة على أحوالنا فترى ما آل اليه أمرنا و (كبراؤنا) ينظرون ويطربون . وسيأتي يوم . . .

وأختم كلمتي هذه باقتراح نراه مع بساطته نافعاً ان شاء الله وهو أن تصدروا صحيفة أسبوعية مثل الفتح فاننا في حاجة اليها . وقد تزداد الحاجة يوما فيوما . وعسى أن تعملوا بهذا الاقتراح ومثلكم لا يحتاج الى تأكيد

سيدي قد وصلني السلام والثناء من حضرتكم مع الاستاذ طفيش ، فشكراً لكم على عواطفكم وهديتكم المستمرة وأدام فضلكم وكتب لكم الاعانة والسلام

من ابنكم المخلص — مصطفى بن شعبان

[المنار] نشكر لاخينا في الله تهنئته وحسن ظنه ، ونعجب لحضه إيانا على بيان مفاسد الجامدين ، ومشايخ الطريق الدجالين ، ومن ذا الذي سبقنا في العالم الاسلامي الى هذا أو لحقنا في ميدانه ، ولكن لا يمكن أن نحصي في كل جزء ولا في كل مجلد من المنار كل ما في العالم الاسلامي من فساد وإلحاد ، وكل ما يرهقه به أعداؤه من ظلم واضطهاد ، ولعله لم يطلع إلا على المجلدات الاخيرة التي أكثرنا فيها الكلام في ملاحدة المسلمين ، لكثرتهم وإظهار دعايتهم في هذه السنين ، وهم أضر علينا من الخرافيين والمبشرين . وأما المؤتمر الافخارستي فلم يكتب لنا شيء في موضوعه إلا في هذا الشهر ، وأما اقتراحه علينا انشاء جريدة أسبوعية فقد اقترحه علينا غيره من قبله ولكن أوقاتنا لا تتسع له وليس لنا مساعد على أعمالنا الكثيرة . وأكثر محبي الاصلاح من علماء المسلمين وعقلائهم يقترحون علينا ترك كل عمل يعوقنا عن اتمام تفسير كتاب الله تعالى الذي يتضمن كل ما يحتاجون اليه من بيان لحقيقة الدين ودفاع عنه ، ولعلنا نفضل هذا الاقتراح على غيره قريبا والله الموفق .

الشيخ سليمان بن سحمان

وفاته وترجمته من جريدة أم القرى الغراء

نعت الينا أنباء نجد وفاة العالم العلامة المفضال الشيخ سليمان بن سحمان وهو من اكابر علماء نجد الاعلام ، توفاه الله في هذا الشهر عن عمر ناهز الثمانين عاما قضاها في الدرس والتأليف . وقد كان لنعيه رنة أسى وحزن في نجد جميعاً ولدى كل من عرف فضل الاستاذ وما آتاه الله من علم وفصل في الخطاب

ولد المرحوم في قرية (السقا) من أعمال ابها في عسير في الثلث الاخير من القرن الثالث عشر الهجري ، وإلى ذلك يشير في إحدى قصائده :

وأرض بها علي نيطت تمائمي تسمى (السقا) دار الهداة أولي الامر
بلاد بني تمام حيث توطنوا وآل يزيد من صميم ذوي الفخر

وقد نشأ في قريته حتى راهق البلوغ ثم انتقل مع والده إلى بلد الرياض أيام الامام فيصل بن تركي رحمه الله ، وقد كانت حينذاك آهلة بالعلماء الاكابر فأخذ العلم عنهم لاسيما عن الامامين الجليلين : الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، والشيخ حمد بن عتيق . فبرع في كثير من العلوم وعلى الخصوص في علم التوحيد والفقه واللغة

ثم تولى الكتابة للامام عبد الله بن فيصل برهة من الزمن ، ثم استقال وتفرغ للعلم فدرس على علماء وقته امثال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأخيه الشيخ ابراهيم ، وعمهما الشيخ اسحاق بن عبد الرحمن

وكان جميل الخط فاشتغل في نسخ كثير من الكتب الجليلة ، وقد كان هذا وابتعاده عن الناس اكبر مساعد له على الدرس والمطالعة

وكانت عنده كناشة كبيرة يجمع فيها ما يجده أثناء النسخ والمطالعة من المسائل الدقيقة والقضايا العويصة وكان يرجع اليها عند الحاجة . وكان ضليعا في اللغة العربية ، واقفا على اسرارها

وقد كان رحمه الله يميل الى السكون والابتعاد عن الشهرة ، فكان زاهداً تقيا صادعا بالحق ، لاتأخذه في الله لومة لائم . وقد صنف المصنفات العديدة من نثر ونظم ، أكثرها في الرد على أهل الزيغ والالحاد ، منها:

(١) الاسنة الحداد ، في الرد على الحداد (٢) الضياء الشارق ، في رد شبهات الماذق المارق . ويريد به داعية التعطيل في هذا العصر : (جميل) صدقي الزهاوي (٣) تنبيه ذوي الالباب السليمة (٤) الهدية السنية (٥) إقامة الحجة والدليل (٦) تبرئة الشيخين (٧) الصواعق المرسلة (٨) إرشاد الطالب (٩) رسالة في الرد على أناس من الاحساء (١٠) رسالة في الرد على الملجي (١١) كشف غياهب الظلام (١٢) فتاوى

وغيرها من الكتب والردود . وقد جمع ورتب رسائل أستاذه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فبلغت نحو عشرين كراسة سماها (عيون الرسائل ، والاجوبة على المسائل) وكان المرحوم شاعراً بليغا جمع قسما من قصائده وأشعاره في ديوانه المسمى (بعقود الجواهر المنضدة الحسان) وقد طبعت جميع كتبه على نفقة حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم ووزعت على طلاب العلم مجانا

هذا ما اتصل بنا من ترجمة المرحوم الاستاذ رحمه الله تعالى ، وفي الجملة فقد كان رحمه الله من سيوف الله المسلولة على أهل الزندقة والالحاد ، وصاحب الحجة الدامغة في دفع الشبه والريب التي يذيعها أهل المروق من الدين ، والذين كان يغريهم شياطين السياسة من المرتزقة المرذولين . وكان شديد الصراحة فيما يعتقد من الرأي ، لم يعرف المحاباة في رأيه مدة حياته وهو في كل مجالسه حفياً بالسؤال عن كل ما يطبع من الكتب النافعة كما يحرص على اقتنائها . وقد كف بصره في آخر حياته ولكن ذلك لم يمنعه عن المطالعة والتأليف وتفقد الذين يطعنون في الاسلام وفي دين التوحيد الخالص لرد كيدهم الى نحورهم . وبهذا كان رحمه الله ركنا من أركان الدعوة الى الله ، والسيف القاطع لمن يريد ان يصد الناس عن سبيل الله . فنسأل الله ان ينزل عليه غيث رحمته ، وأن يوفق للعمل كي ينشأ كثيرون من طلبة العلم على منوال الشيخ المرحوم فلاتفقد نجد بهجة علمها وعلمائها :

الشيخ أبو بكر خوقير : وفاته وملخص ترجمته

فجأتنا أنباء الحجاز في الشهر الماضي بوفاة صديقنا العالم العامل المصلح الشيخ أبو بكر خوقير تغمده الله تعالى برحمته فننشر للقراء موجزاً من ترجمته كما علمناه من أصدق اخواننا واخوانه ، فنقول

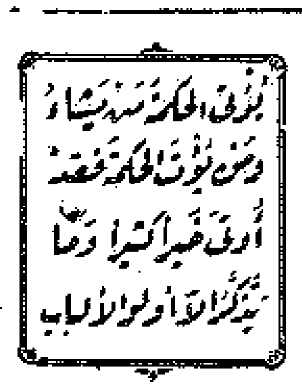
هو أبو بكر بن محمد عارف بن عبد القادر بن محمد علي خوقير . من بيت علم بمكة ولد فيها وتفقه أولا على مذهب الحنفية تبعا لآبائه ثم أن استاذه مفتي مكة الشيخ عبد الرحمن سراج الحنفي اشار عليه وعلى آخرين من طلبة العلم بأن يتفقهوا في المذهب الحنبلي ليكون في علماء الحجاز من يتولى منصب الفتوى في هذا المذهب بدلا من علماء نجد الذين كانوا يتولونه لعدم وجود أحد من علماء الحنابلة في الحجاز ولم يكن هذا مما ترتاح اليه الحكومة العثمانية ولا أمراء الحجاز . فدرس الفقيه المذهب وتمكن فيه وفي مذهب السلف في العقائد . وقد عين مفتيا للحنابلة في أول إمارة الشريف حسين بن علي ولم يلبث ان غضب عليه فعزله وعين بدله أحد الشافعية فكان لا يفتي للحنابلة الا بعد مراجعته والاخذ بما يرشده اليه ، وجعله الشريف حسين عضوا في مجلس الشيوخ ثم عزله بعد سنة لاعتراضه على خوض محرر جريدة القبلة في تفسير القرآن بغير علم ، وكان الشريف نفسه هو الذي يفسر بعض الآيات برأيه في بعض المقالات التي ينشرها في تلك الجريدة وفي بعض بلاغاته الرسمية أيضا .

وقد امتحن وأوذي إيذاء شديداً جزاء له على انكار البدع والخرافات ولا سيما بدع القبوريين والمتصوفين ، حبس أولا ثمانية عشر شهرا ، ثم حبس ثانيا نحواً من سبعين شهراً في عهد الشريف حسين ، وحبس ولده الشيخ عبد القادر في سجن القبو الذي هو شر من سجن الحجاج بن يوسف وقد سبق وصفه في المنار فمات فيه صبراً ، وكان له ابن صغير فمات كمداً وقهراً ، وخرج الشيخ من سجنه لا مال له وانما كان يصيبه قليل من أوقاف الحرمين التي تأتي من الآستانة ومصر والشام والعراق . وكان قد اعتاد الاتجار بالكتب منذ عزله الشريف عون الرفيق من وظائف الحرم الشريف إذ كان غضب على الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي مكة ورئيس العلماء فيها فعزله وعزل جميع رجاله من المفتين والمدرسين . وكان للفقيد منها افتاء الحنابلة وامامة الصلاة في مقام الحنابلة كما كان مدرساً . وكان يدعو للشريف عون بالرحمة لالجائه إلى تجارة الكتب التي تعينه على العلم ، فكان يذهب إلى الهند يحمل اليها من مطبوعات مصر ومكة ويعود منها ببعض مطبوعاتها إلى مكة ، وقد جلست اليه في مكتبته في باب السلام غير مرة ، وكان مهذبا رقيق الطبع حسن المعاشرة على شدته في دينه وامره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، حتى ان مجلسه لا يخلو من دعابة ما في الفاكهة ، ونكت ادبية وتاريخية وكان يحب سماع الاصوات الشجية ولا يرى بها بأسا

(للترجمة بقية)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام　ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

(٣٠ جمادى الاولى سنة ١٣٤٩ هـ ٢٨ الميزان سنة ١٣١٠ هـ ش ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٠)

فتاوى المنار

﴿ أسئلة من قبودان (الصين) لأحد العلماء وأصحاب الصحف ﴾

(س ٢٧ ـ ٣٢)

من أحقر الانام عثمان بن حسين الصيني إلى الاستاذ العلامة محمد رشيد رضا

ياسيدي سلام عليكم ورحمة الله (وبعد) فقد وصل إلى الفقير الجزء الاول من المنار الشريف وأحاط بما فيه وسر سروراً شديداً جزاكم الله تعالى عنا خير الجزاء:

فالمرفوع آنفا ان علماء الصين تنازعوا في بضع مسائل

(١) ان بعضهم قالوا بأن أرض الصين دار إسلام فان المسلمين تولدوا في

الصين ونشؤا وتمكنوا على التدين والعمل بالشرائع فهي دار إسلام فأحكام دار الاسلام كعدم جواز بيع الخمر ووجوب العشر ونحو ذلك جارية فيها، وبعضهم قالوا بكونها دار حرب فان المسلمين داخلون تحت الحكام والقضاة الكفار وليس لهم قاض ولا حاكم مستقل

(٢) ان مسلمي الصين يدعون الامام والمؤذن والقراء الى بيوتهم لقراءة القرآن لاجل موتاهم، وعادتهم ان دعوا مثلا عشرة قراء الى بيوتهم فقرأ كل ثلاثة أجزاء من القرآن معاً أو قرؤا كل جزء الى نصفه اوأقل او اكثر باختيارهم فاطبقوا القرآن فان الداعي يخرج لهم انواع الطعام، ويعطي كل واحد منهم أربعة دراهم او اقل او أكثر بعد الاكل وهذا ديدنهم. فقال بعض العلماء ان هذا مخالف للكتب الفقهية لايجوز وغيروا هذه العادة ثم صار امرهم الى انهم ان قرؤا عن الغير لم يأكلوا ولم يقبلوا الهديات وان اكلوا من طعام الداعي لم يقرؤا لكن نهض بعض اهل العلم والقوم لمعارضتهم وهم الذين قراءة القرآن عند القبور مناط معاشهم ولم يرضوا بتغيير عادة السلف وأخذوا في القيل والقال، فالمرجو من كرمكم يا سيدي اعطاء الجواب الحسن القاطع للنزاع بينهم المفيد على مذهبنا الحنفي فانهم وقعوا في ورطة التفرق والشقاق بهذا السبب

(٣) ان بعض الناس إذا وجع ضرسه اوداد سنه وفسد وضع ضرساً من الذهب اوغيره في موضعه واذا فسد بعض ضرس رصه بالذهب وسده به وأصلحه. هل هذا جائز ام لا؟ هل هو مانع لصحة الغسل أو لا؟ هل وجود الضرورة شرط لجواز الوضع؟ وهل إخراج هذا الضرس الوضعي بعد الموت واجب أم لا؟

(٤) ان بعض نساء المسلمين قطعن ذوائبهن لاقتفاء النساء الافرنج والمشركات ويمضين في الاسواق بغير قنع هل هذا حرام غليظ أم خفيف كيف حكمه على مذهبنا الحنفي؟

(٥) بعض مسلمي الهند لم يتمذهبوا بمذهب من مذاهب الائمة الاربعة رضي الله عنهم وقالوا ان اهل المذاهب خالف بعضهم بعضاً بل خالف رأي بعض الائمة الحديث الشريف وهذا يؤدي الى التشاجر والتقاطع ونحن محمديون نقتدي بالقرآن

و بمحمد المصطفى ﷺ ونعمل بالقرآن والحديث لا نقتدي بهذا ولا بذاك. هل رأيهم هذا صواب أم لا فالرجوا من كرمكم الفتوى واعطاء الجواب على التفصيل على مذهبنا الحنفي سراعا ، جزاكم الله تعالى عنا خير الجزاء فانا كالضفادع في غيابة الجب

(٦) ثم بقية المرام انهم تنازعوا في مسئلة الهلال ودخول شهر رمضان وخروجه وقبول أخبار الآفاق بالرؤية وعدمه وتخالفوا، فالارشاد الارشاد فلله دركم والسلام

الداعي تلميذكم عثمان بن حسين بن نور الحق الحنفي الصيني

﴿ أجوبة المنار على ترتيب عدد باب الفتاوى ﴾

(٢٧) دار الاسلام ودار الحرب

ان دار الاسلام هي البلاد التي تنفذ فيها شريعة الاسلام بالسيادة والحكم من قبل أولي الامر من المسلمين لا كل بلاد يمكن للمسلم فيها أن يصلي ويصوم فاننا إن قلنا بهذا حكمنا بأن جميع ممالك أوربة وأميركة دار إسلام ، إذ لا يمنع أحد فيها من صلاة ولا صيام ، وان المسلمين يصلون الجمعة والعيدين في باريس عاصمة فرنسة ولندن عاصمة الانكليز فهل هما من دار الاسلام؟ كلا. ولا كل بلاد فتحها المسلمون وان زال حكمهم منها دار اسلام ، فاننا إن قلنا بهذا نكون قد حكمنا بأن بلاد الاندلس وجنوب فرنسة دار إسلام . واننا ننقل لهؤلاء المختلفين في هذه المسألة بعض أقوال فقهاء الحنفية الذين ينتمون الى مذهبهم :

قال في الكافي : ودار الاسلام عندهم ما يجري فيه حكم امام المسلمين من البلاد، ودار الحرب ما يجري فيه أمر رئيس الكفار من البلاد . وفي الزاهدي أن دار الاسلام ما غلب فيه المسلمون وكانوا فيه آمنين ، ودار الحرب ما خافوا فيه من الكافرين . ولا خلاف في انه يصير دار الحرب دار الاسلام باجراء بعض أحكام الاسلام فيها . وأما صيرورتها دار الحرب نعوذ بالله تعالى فعنده (١) بشروط (أحدها) اجراء أحكام الكفر اشتهاراً بأن يحكم الحاكم بحكمهم ولا يرجعون الى قضاة المسلمين ، ولا يحكم بحكم من الاسلام كما في الحرة (وثانيها) الاتصال بدار الحرب بحيث لا تكون بينها بلدة من بلاد الاسلام يلحقهم المدد

(١) يعني الامام أبا حنيفة (رح)

منها (وثالثها) زوال الامان أي لم يبق مسلم ولا ذمي آمنا بأمان الاسلام ، ولم يبق الامان الذي كان للمسلم باسلامه ، وللذمي بعقد الذمة كما كان قبل استيلاء الكفرة ، وعندهما (١) لا يشترط الا الشرط الاول اه

هذا وان الصين لم تكن دولة اسلامية تابعة لخليفة من أئمة المسلمين ولا لسلطان من سلاطينهم تنفذ فيها أحكام شريعتهم ويكون مسلمو أهلها آمنين فيها باسلامهم وغير المسلمين آمنين بعقد الذمة مع أولي الامر من المسلمين فتكون دار اسلام ، فلا أدري من أين جاءت الشبهة لبعض متفقهة اخواننا من مسلميها بانها دار اسلام

نعم ان بعض فقهاء الحنفية تساهلوا في شروط ابقاء حكم دار الاسلام في البلاد التي تنفصل من سلطنة امام المسلمين بتغلب الكفار او البغاة عليها فلا يشترطون في صيرورتها دار حرب الشروط الثلاثة التي اشترطها امام المذهب الاعظم ، بل قال بعضهم انها تعد دار الاسلام والمسلمين ببقاء بعض احكام الاسلام فيها ولو حكما واحداً (كما في العمادي وفتاوى عالم كير وفتاوى قاضي خان وغيرها) ولكنهم جعلوا هذا من قبيل الاحتياط كما في جامع الرموز ، والذي نفهمه من الاحتياط انه يجب على أهل هذه البلاد أن يعدوها تابعة لحكومة خليفة الاسلام ويجتهدوا في إزالة ما عرض لهم فيها من العدوان ، كما فعلت بعض البلاد التي استولت عليها جيوش الدول الاوربية وأبطلوا فيها بعض أحكام الاسلام دون بعض . وهذا الاحتياط لا يمنع الامام في دار الاسلام والعدل من التصدي لاعادتها إلى حكمه ولو بالقتال عند الامكان ، ومن هذا القبيل ما ذكرناه من البحث في دار الاسلام الاصلية مما تغلب عليه أهل الحرب من الكفار وقلنا بوجوب سعي المسلمين الى اعادة حكم الاسلام فيها (راجع ص ٥٧٦ و ٥٨٠ من مجلد المنار ٣٠)

ولكن هذا الاحتياط لا يأتي في بلاد الصين فهي دار كفر وحرب من الاصل فيباح لأهلها المسلمين في مذهبهم الحنفي أكل أموال غير المسلمين فيها بالعقود المعروفة فيها كالربا وغيره وبكل وسيلة من وسائل التعامل والتراضي أو ما عدا الغدر والخيانة

(١) يعني الامام أبا يوسف والامام محمد بن الحسن

فان الاسلام لايبيح هذه الرذيلة . ولا ينبغي لمسلم أن يبيع فيها الخمر لشاربها بفتح حانة لها ، لان هذا إعانة على الفحشاء والمنكر والشرور، ولكن له أن يأخذ ثمن الخمر في دين له، وكذا الخمر نفسها وبيعها لهم لا للمسلمين . ولهذا الباب فروع كثيرة لا محل لذكر شيء منها هنا

ولكنني أزيد على هذا الجواب تنبيه قرائه من علماء مسلمي الصين وعقلائهم ما أعتقده من انهم لو أقاموا دينهم كما يجب، ونموا ثروتهم بالطرق العصرية المباحة في مذهبهم ،ونشروا المعارف الاسلامية والاقتصادية بينهم، وعنوا مع ذلك بنشر دعوة الاسلام في الصين كما يعنى دعاة النصرانية لغلب الاسلام في الصين جميع الاديان، وصار دولة اسلامية عزيزة السلطان، باذخة البنيان ، قوية الاركان. وقد كان كثير من ساسة أوربة وعلمائها في القرن الماضي وأوائل هذا القرن يحسبون لهذا الامر كل حساب . وقد صرح به بعضهم ونقلنا بعض أقوالهم في مجلدات المنار الاولى وأولها ما نشرناه في المجلد الاول بتاريخ ربيع الآخر سنة ١٣١٦ وسنعيد نشره كله أو بعضه في جزء آخر ليعتبر مسلمو الصين بتقصيرهم

(٢٨) قراءة القرآن للموتى وأخذ الاجرة عليها

قراءة القرآن عبادة كالدعاء والذكر لا يجوز أخذ أجرة عليها بوجه من الوجوه . واذا كان فقهاء الحنفية منعوا أخذ الاجرة على تعليم القرآن لانه عبادة فمنع أخذها على قراءته أولى بالحظر، لان للاخذ على التعليم وجهاً وقد قال الجمهور بجوازه . وقد بينا هذه المسألة في الفتوى العاشرة من فتاوى مجلد المنار الثلاثين (ص ١٠٨) وأما أصل مسألة القراءة على الموتى فقد فصلنا القول فيها في ١٦ صفحة من جزء التفسير الثامن (صفحة ٢٥٥ — ٢٧٠) وبينا ان التحقيق ان قراءة القرآن للموتى بدعة غير جائزة وذكرنا ادلة مجوزيها مع بيان ضعفها فليراجعها السائل

ولكن هنا مسألة أخرى وهي أن قراءة القرآن في البيوت من الامور التي تقوي إيمان اهل البيت وتزيد أنس أرواحهم وشرح صدورهم بالاسلام سواء فهموا القرآن أو لم يفهموه، فان سماعهم له مع اعتقادهم انه كلام الله تعالى يؤثر في قلوبهم بقدر ايمانهم ، وفائدة من يفهم منهم تكون أعظم . وقد جرت عادة

الموسرين في بلاد مصر أن يجعلوا في كل بيت من بيوتهم حافظا من حفاظ القرآن يتلوه في ليالي رمضان من بعد صلاة العشاء والتراويح الى وقت السحور ، ومنهم من يقرأ القرآن في داره كل يوم ، ويعطون لهؤلاء القراء شيئا معيناً في الشهر من باب الهبة والتبرع ، لا الاجرة التي تثبت بالتعاقد ، وقد فرقت الشريعة بين التعاقد والتبرع الاختياري فثبت في الاحاديث الصحاح استحباب قضاء الدين بزيادة وفضل عن أصله ، وأخذ بهذا من لا يبيح التعاقد على هذه الزيادة بل يعدها من الربا ، والمتفقه من هؤلاء القراء يستبيح أخذ مايعطاه من هذا الباب ، وكذلك المعطي له يعد ذلك قربة من باب الصدقة لا الاجرة على التلاوة . وقد ذكرت هذه المسألة في الفتوى العاشرة من المجلد الماضي التي أشرت اليها آنفا ، وقلت فيها : فاذا قصد القارىء ذلك (أي فائدة السامعين للقرآن) مع التعبد والاتعاظ بنفسه أرجو أن يباح له اخذ مايعطى في كل شهر وهو يكون بغير عقد ، وهو غير خسيس يخل بقدر حافظ القرآن ، ولعل أكثر الاغنياء لا يسمعون القرآن إلا بهذه الوسيلة ، وهو هجر للقرآن وناهيك به من مصيبة

فالذي أراه ان يجتمع إخواننا المختلفون في هذه المسألة في بلاد الصين ويتذاكروا فيما كتبناه لعلهم يتفقون على أن يكرموا قراء القرآن بشيء من المال يدفعه لهم الموسرون في كل شهر ، ويرغبون اليهم ان يختلفوا إلى بيوتهم في اوقات معينة لتلاوة القرآن فيها ، وأن يكون من هذه الاوقات ما تحدث فيه المصائب لتعزية اهلها وصرفهم عن البكاء بسماع القرآن ، على ان لا يعطوهم شيئا في هذا الوقت بنفسه كالسابق

وأما اكل الطعام في هذه البيوت فيحسن ان يكون في الاوقات التي يأكل فيها غيرهم من الاصدقاء أو الفقراء وان لا يقرؤا فيها

(٢٩) الاضراس الصناعية واصلاح الطبيعية بالحشو والذهب

صرح بعض الفقهاء في كتب الخلاف بجواز ماذكر في السؤال كله وباتخاذ من جدع أنفه أنفاً من ذهب وقد أمر به النبي بعض أصحابه . رواه الترمذي وهو حديث حسن ، والسن والضرس أولى بالجواز ولم يذكروا فيها خلافا ، قال النووي في المجموع : وقول المصنف إن اضطر إلى الذهب جاز استعماله فمتفق عليه . قال أصحابنا فيباح له الانف والسن من الذهب ومن الفضة وكذا شد السن العليلة بذهب وفضة

جائز ويباح أيضا الأنملة منها الخ ولم يذكر فيه خلافا للمذاهب كعادته. والاصل في التداوي وإزالة الضرر والفساد الإباحة بمعناها الأعم المقابل للحظر، فيدخل فيها الواجب، والتداوي وإزالة الآلام العارضة والآفات المفسدة للاعضاء بما هو معروف مجرب واجب . والتحقيق ان الحرام لا يثبت إلا بنص قطعي من الشارع كما صرح به الامام ابو يوسف نقلا عن مشايخه وعن السلف الصالح وهو رواية عن الامام احمد، وصرح شيخ الاسلام ابن تيمية من كبار حفاظ الحديث والآثار ان السلف لم يكونوا يحرمون شيئا إلا بدليل قطعي كما بينا ذلك في المجلد الثلاثين من المنار

وقد اختلف الائمة في استعمال الذهب والفضة ولم يصح النهي عن النبي ﷺ إلا عن الاكل والشرب في أوانيهما وعن خاتم الذهب وإن صح عن بعض الصحابة (رض) لبسه، وكذا لبس الذهب إلا مقطعاً وبهذا يقول فقهاء الحديث المستقلون . ومذهب الشافعي القديم ان النهي عنهما للكراهة . قال القرطبي : وشذت طائفة فأباحتهما مطلقا ونقله عنه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري . وأما جمهور فقهاء المذاهب فيحرمون جميع أنواع الاستعمال إلا ماورد النص به كخاتم الفضة والضبة في الاناء على تفصيل معروف، أما الاكل في صحافهما والشرب من آنيتهما فبالنص وأما مافي معناهما من الاستعمال فبالقياس، على انهم مختلفون في علة التحريم. ويرد عليهم من لا يثبت من القياس إلا المنصوص على علته أو المعلومة علته بالقطع كالاسكار في الخمر . ويرد عليهم أهل الحديث بقوله ﷺ «وحرم اشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها» وهو من حديث رواه الدار قطني وحسنه النووي في الاربعين . وروى معناه البزار والحاكم وصححه وغيرهما

ويستثنى من المحرم ولو بالنص ما احتيج اليه لدفع ضرر، وقد صح في الحديث الاذن بلبس الحرير لدفع ضرر القمل ومثله ماهو مثله في الضرر، وما هو أشد بالاولى ومنه مداواة الاضراس وحفظها من السقوط بتلبيسها بالذهب وهو ليس لبساً ولا زينة. وينبغي نزع الاضراس الصناعية عند غسل الجنابة ليعم الماء الفم كله بالمضمضة وواجبة فيه عند الحنفية وسنة عند الجمهور . ولكن لا يجب نزع لباس الضرس

الملبس بالذهب ولا من الميت لما فيه من المشقة بل يتعذر نزعه على غير الطبيب . ويزال من الميت كل شيء صناعي زائد لا يترتب على نزعه منه تشويه شيء من جسمه

(٣٠) تفرنج النساء بالتبرج وقص الشعور الخ

ان ما ذكره عن النساء فيه مخالفة لأحكام الشرع الاسلامي من عدة وجوه ومفاسده تختلف باختلاف أحوال البلاد العامة. والاعتصام بالدين والتهاون به وغلاظ التحريم وخفته ، شرطان بدرجة ما في العمل من الفساد ، فمنه أنه من ذرائع الزنا ومسهلاته ، ومن أسباب ترك الصلاة ، ومن أسباب قلة إقبال الرجال على الزواج الشرعي لعدم الثقة بعفة النساء الحافظة للنسل . ومن مفاسده الاجتماعية السياسية التي يغفل عنها أكثر الناس أنه مقطع لروابط الامة مضعف لتماسكها ووحدتها ، ومعد لها لقبول عادات الكفار الذي قد ينتهي بقبول الدخول في دينهم

ومن الثابت بالاختبار أن ارتكاب الصغائر يجرئ على الكبائر ، وأن الاستهانة بالكبائر يفضي إلى الكفر كما قال بعض السلف : المعاصي بريد الكفر . ومن المجمع عليه أن استحلال مخالفة القطعي من الاوامر والنواهي الالهية كفر وردة عن الاسلام. فيعلم من هذا أن بعض ما ذكر عن النساء مكروه وبعضه محرم خفيف أو غليظ وبعضه يخشى أن يكون كفراً أو يفضي إلى الكفر باستحلال مخالفة الأمر والنهي

(٣١) التمذهب وأهل الحديث في الهند

إذا أردتم أن تعرفوا الحق في هذه المسألة بأدلته الشرعيه التي جرى عليها الائمة الاربعة وغيرهم رضي الله عنهم فطالعوا ما أرسلناه اليكم من كتاب الوحدة الاسلامية مع مقالات المصلح والمقلد ورسالة (القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد) لأحد علماء الحنفية ، إذ لا يمكن تفصيل القول في ذلك في فتوى مختصرة مستعجلة ، وقد سبق لنا بسطه في المنار فاعادته تكرار لا حاجة اليه. ومنه تعلمون أن أهل الحديث في الهند وغيرها على صواب وانهم هم أولى باتباع الائمة الاربعة وغيرهم من أئمة السلف الذين صرحوا بتحريم تقليدهم وتقليد غيرهم ووجوب اتباع الكتاب والسنة دون ما خالفهما . فان بقي عندكم شبهة في المسألة بعد مطالعة ما ذكرنا فاكتبوا إلينا به لنجيبكم عنه بما يدفع الشبهة ويجلي الحجة إن شاء الله تعالى

(٣٢) مسألة هلال رمضان

ان الشارع ناط مسألة رمضان وغيره برؤية الهلال بالاعين كما ناط مواقيت الصلاة بامور مشهودة بالحس حتى لا يختلف المسلمون ولا يكونوا محتاجين في مواقيت دينهم إلى الرؤساء والعلماء. ولكن المسلمين ضيقوا على أنفسهم باختلافهم في الكتاب الذي سد أبواب الخلاف في الدين وزادته السنة بيانا بالعمل وقد نهوا أن يشددوا على أنفسهم كما فعل بنو اسرائيل والنصارى من قبلهم

قال ﷺ « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين يوما » وهو متفق عليه ومشهور يذكره فقهاء جميع المذاهب في كتبهم وخطباء المنابر في خطبهم، ولكن المسلمين قلما يعملون به كما يجب، فاذا استهل جماعة من أهل البلد بعد غروب الشمس من اليوم التاسع والعشرين من شعبان ولم يروا الهلال ولم يكن هنالك مانع من رؤيته كسحاب أو قتر وجب عليهم إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما وليس لهم أن يقبلوا قول مخبر برؤيته، وأما إن كان هنالك مانع من الرؤية وشهد غيرهم بانه رآه وجب أن يقبلوا شهادته . وفي المسألة فروع كثيرة يبنى بعضها على اختلاف الفقهاء في اعتبار اختلاف المطالع وعدمه، فينبغي للسائل أن يبين لنا بالتفصيل اختلاف أهل بلده في المسالة ومايستدل به كل فريق لعلنا نوفق الى إفتائهم بما يرفع الخلاف والله الموفق

(تلبس الجن بالانس)

(س ٣٣) من صاحب الامضاء في المحمودية (بحيرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أرفع لسيادتكم ما يأتي

كيف يتلبس الجن بالانس؟ وهل يجوز ذلك ؟ فأرجو من فضياتكم الجواب على ذلك مع الدليل ولحضرتكم الشكر عبد العزيز الصاوي الخولي

(ج) لم نفهم مراد السائل من قوله تلبس الجن بالانس ؟ : هل هو دخول

روح الجني في جسم الانسي ، أم تمثل الجني بصورة الانسي ؟ ومهما يكن مراده فجوابي انى لاأدري كيف يكون ذلك لانه من علاقة شيء من عالم الغيب بشيء من عالم الحس ، وأما كون ذلك جائزا عقلا فلا شك فيه ولا فائدة منه ، وانما العبرة بوقوعه ، وللناس فيه خرافات كثيرة مضارها معروفة ، وان لنا مباحث طويلة في أمثال هذه المسائل في الكلام على الجن والشياطين وتمثلهم وتمثل الملائكة في الصور المادية وفي الصرع يحسن من السائل أن يراجعها في أجزاء التفسير السابع والثامن والتاسع فلعلها تكفيه ، وهي تطلب من حرفي الجيم والشين من الفهرس أي من لفظي الجن والشياطين

(حديث من قال لا اله الا الله ومدها)

(س ٣٤) من صاحب الامضاء بالبلينا في الصعيد

حضرة صاحب الفضيلة مفتي الانام ، وخليفة الاستاذ الامام ، السيد محمد رشيد رضا متعنا الله بعلومه . بعد تقديم أوفر التحية ، وغالي التمنيات القلبية نتمنى أن تكون فضيلتكم في أعلى مراتب الصحة . قرأت في بعض كتب الحديث حديثا نصه قال عليه الصلاة والسلام « من قال لا إله الا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر - قالوا وان لم يكن له كبائر ؟ قال - هدمت لأهله وجيرانه » فلم أعلم مبلغ صحة هذا الحديث ولم يمكني التوفيق بينه وبين قوله تعالى (من يعمل سوءاً يجز به) وقوله تعالى (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) وقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فرفعت قولي هذا راجياً نشر ما ترتاح اليه النفوس وتطمئن اليه الافئدة بصدد هذا على صفحات مجلتكم [المنار] الغراء في العدد القادم . أدامكم الله لكشف الشبهات ، وتقرير البينات ، انه مجيب ، والسلام . المخلص لفضيلتكم

توفيق عبد الجليل

ناظر مدرسة العرابة المدفونة بالبلينا

(ج) الحديث ذكره الحافظ محمد بن طاهر في [تذكرة الموضوعات] وقال : فيه عباد بن كثير الكاهلي متروك الحديث . فهذا سنده لا يعتد به ، ومتنه أبطل من سنده لمخالفته لأصول الشريعة وهي من علامة الحديث الموضوع . فلا حاجة إلى إطالة القول فيه

﴿ حكم نسخ كتب الكفر والاضلال بالاجرة ﴾

(س ٣٥) من صاحب الامضاء في الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حضرة الفاضل العلامة المحقق الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا ، حياك الله ومتع الاسلام بحياتك . آمين ، بعد واجب السلام والاحترام ألتمس الجواب من فضيلتكم في مجلة المنار على السؤال الآتي

انه لايخفى عن جنابكم أمر الاموال التي ينفقها المبشرون في سبيل رواج دينهم وتضليل المسلمين ما استطاعوا اليه سبيلا ، والحمد لله لم ينالوا مرغوبهم في البلاد العربية . وقد رأيت مسلماً صنعته خطاط بالعربية فيخط كتب المبشرين ويؤدون اليه أجرة الكتابة على ذلك ، وهذا الخطاط له محل خاص يخدم فيه الجمهور بأجرة يتفق عليها ، فهل يجوز له أن يخط كتب المبشرين وهو يعلم بأنهم يريدون بها تضليل المسلمين؟ وهل يحل له قبض هذه الاجرة أم حرام عليه؟ فأفيدونا ولكم الاجر من الملك العلام عبد القادر الجزائري

(ج) ان هذه الكتب التي يؤلفها وينشرها دعاة النصرانية (المبشرون) مشتملة على اقبح الكفر بالله والشرك به والطعن على القرآن المجيد وعلى خاتم النبيين ﷺ فساعدتهم على ذلك بنسخها لهم مشاركة في نشر الكفر ، وهو كفر ظاهر لا يقترفه مسلم يؤمن بالله ورسالة أفضل رسله وأكملهم ، ويعد صاحبها فاسقا لا كافراً ، فان كان هذا المسلم الجغرافي يجهل هذا فيجب إعلامه به ودعوته الى التوبة وترك الكسب بما هو كفر وعداوة لله ولرسوله ، فان أصر على ذلك بعد العلم وقيام الحجة عليه فيجب أن يعامل معاملة المرتدين بما يقدر عليه المسلمون في وطنه منها ، فلا يزوجونه امرأة مؤمنة ، واذا مات فلا يصلين عليه أحد ولا يدفننه في مقابر المسلمين . وإذا كان في بلده محكمة شرعية فيجب ان ترفع عليه فيها دعوى الردة من قبل زوجته إن كان له زوجة مسلمة فتطالب فسخ عقد الزوجية والتفريق بينها وبينه ، ولكن يجب ان يدعى اولا الى التوبة باللطف والسر لئلا يكون عمله عن جهل فتأخذه العزة بالاثم ويلتحق بالكفار

جمع كلمة المسلمين

قاعدة أهل السنة والجماعة

﴿ في رحمة أهل البدع والمعاصي ومشاركتهم في صلاة الجماعة واتقاء تكفيرهم ﴾

للامام شيخ الاسلام ، وعلم الاعلام ، تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى وتقدس (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس وغيره : تبيض وجوه اهل السنة ، والجماعة وتسود وجوه اهل البدعة والفرقة (فاما الذين اسودت وجوههم : أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم : ففي رحمة الله هم فيها خالدون)

وفي الترمذي عن ابي امامة الباهلي عن النبي ﷺ في الخوارج « انهم كلاب اهل النار » وقرأ هذه الآية (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال الامام احمد : صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه . وقد خرجها مسلم في صحيحه ، وخرج البخاري طائفة منها . قال النبي ﷺ « يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية — وفي رواية — يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان »

والخوارج هم اول من كفر المسلمين بالذنوب . ويكفرون من خالفهم في بدعتهم ويستحلون دمه وماله وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم في بدعتهم وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة، ويطيعون الله ورسوله ، فيتبعون الحق ، ويرحمون الخلق

وأول بدعة حدثت في الاسلام بدعة الخوارج والشيعة ، حدثتا في اثناء خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب، فعاقب الطائفتين . اما الخوارج فقاتلوه فقتلهم، وأما الشيعة فحرق غاليتهم بالنار وطلب قتل عبد الله بن سبأ فهرب منه، وأمر بجلد من يفضله على أبي بكر وعمر . وروي عنه من وجوه كثيرة انه قال : خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر . ورواه عنه البخاري في صحيحه

فصل

ومن أصول أهل السنة والجماعة انهم يصلون الجمع والاعياد والجماعات ، لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل اهل البدع من الرافضة وغيرهم ، فان كان الامام مستوراً لم يظهر منه بدعة ولا فجور صلي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الائمة الاربعة وغيرهم من أئمة المسلمين، ولم يقل أحد من الأئمة انه لاتجوز الصلاة الا خلف من علم باطن أمره ، بل مازال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور، ولكن اذا ظهر من المصلي بدعة أو فجور وأمكن الصلاة خلف من يعلم انه مبتدع أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره، فأكثر أهل العلم يصححون صلاة المأموم ، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ، وهو أحد القولين في مذهب مالك وأحمد . وأما اذا لم يمكن الصلاة الا خلف المبتدع او الفاجر كالجمعة التي إمامها مبتدع او فاجر وليس هناك جمعة اخرى فهذه تصلى خلف المبتدع والفاجر عند عامة اهل السنة والجماعة. وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة اهل السنة بلا خلاف عندهم

وكان بعض الناس اذا كثرت الاهواء يحب ان لايصلي الا خلف من يعرفه على سبيل الاستحباب، كما نقل ذلك عن احمد انه ذكر ذلك لمن سأله . ولم يقل احد انه لاتصح الا خلف من عرف حاله

ولما قدم أبو عمرو عثمان بن مرزوق إلى ديار مصر وكان ملوكها في ذلك الزمان مظهرين للتشيع، وكانوا باطنية ملاحدة، وكان بسبب ذلك قد كثرت البدع وظهرت بالديار المصرية -أمر أصحابه ان لا يصلوا الا خلف من يعرفونه لاجل ذلك(١) ثم بعد موته فتحها ملوك السنة قبل صلاح الدين وظهرت فيها كلمة السنة المخالفة للرافضة، ثم صار العلم والسنة يكثر بها ويظهر

فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين، ومن قال ان الصلاة محرمة او باطلة خلف من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة. وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقد كان يشرب الخمر، وصلى مرة الصبح اربعا وجلده عثمان بن عفان على ذلك. وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف. وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن ابي عبيد وكان متهما بالالحاد وداعيا إلى الضلال

فصل

ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها اهل القبلة، فان الله تعالى قال (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين احد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) وقد ثبت في الصحيح ان الله تعالى اجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم

والخوارج المارقون الذين امر النبي ﷺ بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين. واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على اموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لانهم كفار. ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم اموالهم

(١) أي لاجل كون ملوكهم الفاطميين ودعاتهم ملاحدة لا شيعة مبتدعة فقط

وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والاجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟ فلا يحل لاحدى هذه الطوائف أن تكفر الاخرى وأن تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة ايضاً؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ. والغالب انهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه

والاصل ان دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا باذن الله ورسوله. قال النبي ﷺ لما خطبهم في حجة الوداع «ان دماءكم واموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا» وقال ﷺ «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» وقال ﷺ «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ذمة الله ورسوله» وقال «اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قيل يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال «انه اراد قتل صاحبه» وقال «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» وقال «اذا قال المسلم لأخيه يا كافر فقد باء بها احدهما» وهذه الأحاديث كلها في الصحاح.

واذا كان المسلم متأولا في القتال او التكفير لم يكفر بذلك كما قال عمر بن الخطاب لحاطب(١) بن ابي بلتعة «يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق» فقال النبي ﷺ «انه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟» وهذا في الصحيحين. وفيهما ايضا من حديث الافك: أن أسيد بن الحضير قال لسعد بن عبادة: انك منافق تجادل عن المنافقين، واختصم الفريقان فأصلح النبي ﷺ بينهم. فهؤلاء البدريون فيهم من قال لآخر منهم انك منافق، ولم يكفر النبي ﷺ لا هذا ولا هذا، بل شهد للجميع بالجنة

---

(١) أي في شأن حاطب

وكذلك ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه قتل رجلا بعد ما قال لا إله إلا الله، وعظم النبي ﷺ ذلك لما أخبره وقال « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » وكرر ذلك عليه حتى قال أسامة : تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ . ومع هذا لم يوجب عليه قوداً ولا دية ولا كفارة ، لانه كان متأولا ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه انه قالها تعوذاً

فهكذا السلف قاتل بعضهم بعضا من أهل الجمل وصفين ونحوهم وكلهم مسلمون مؤمنون كما قال تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) فقد بين الله تعالى أنهم مع اقتتالهم وبغي بعضهم على بعض إخوة مؤمنون، وأمر بالاصلاح بينهم بالعدل . ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضا موالاة الدين لا يعادون كمعاداة الكفار ، فيقبل بعضهم شهادة بعض ،ويأخذ بعضهم العلم من بعض ، ويتوارثون ويتنا كحون ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك

وقد ثبت في الصحيح ان النبي ﷺ سأل ربه « أن لا يهلك أمته بسنة عامة فأعطاه ذلك ، وسأله أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطاه ذلك ، وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فلم يعط ذلك » وأخبر أن الله لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم يغلبهم كلهم حتى يكون بعضهم يقتل بعضا وبعضهم يسبي بعضا

وثبت في الصحيحين لما نزل قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال « أعوذ بوجهك » (او من تحت أرجلكم) قال « أعوذ بوجهك » (او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال « هاتان أهون »

هذا مع ان الله أمر بالجماعة والائتلاف، ونهى عن البدعة والاختلاف، وقال (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وقال النبي ﷺ « عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة » وقال « الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » وقال « الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم والذئب انما يأخذ القاصية والناثية من الغنم »

فالواجب على المسلم اذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة ويوالي المؤمنين ولا يعاديهم ، وان رأى بعضهم ضالا او غاويا وأمكن أن يهديه ويرشده فعل ذلك،والا فلا يكلف الله نفسا الا وسعها . واذا كان قادراً على أن يولي في امامة المسلمين الافضل ولاه،وان قدر أن يمنع من يظهر البدع والفجور منعه . وان لم يقدر على ذلك فالصلاة خلف الاعلم بكتاب الله وسنة نبيه الاسبق الى طاعة الله ورسوله أفضل،كما قال النبي ﷺ في الصحيح « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فان كانوا في القراءة سواء فاعلمهم بالسنة. فان كانوا في السنة سواء فاقدمهم هجرة . فان كانوا في الهجرة سواء فاقدمهم سنا »وان كان في هجره لمظهر البدعة والفجور مصلحة راجحة هجره ، كما هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين خلفوا حتى تاب الله عليهم . واما اذا ولي غيره بغير اذنه وليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية كان تفويت هذه الجمعة والجماعة جهلا وضلالا، وكان قد رد بدعة ببدعة

حتى ان المصلي الجمعة خلف الفاجر اختلف الناس في اعادته الصلاة وكرهها أكثرهم ، حتى قال احمد بن حنبل في رواية عبدوس : من أعادها فهو مبتدع . وهذا أظهر القولين ، لان الصحابة لم يكونوا يعيدون الصلاة اذا صلوا خلف أهل الفجور والبدع ، ولم يأمر الله تعالى قط أحداً اذا صلى كما أمر بحسب استطاعته أن يعيد الصلاة . ولهذا كان أصح قولي العلماء ان من صلى بحسب استطاعته ان لا يعيد،حتى المتيمم لخشية البرد ، ومن عدم الماء والتراب إذا صلى بحسب حاله ، والمحبوس وذوو الاعذار النادرة والمعتادة والمتصلة والمنقطعة لا يجب على أحد منهم أن يعيد الصلاة اذا صلى الاولى بحسب استطاعته

وقد ثبت في الصحيح ان الصحابة صلوا بغير ماء ولا تيمم لما فقدت عائشة عقدها ولم يأمرهم النبي ﷺ بالاعادة ، بل أبلغ من ذلك أن من كان يترك الصلاة جهلا بوجوبها لم يأمره بالقضاء ، فعمرو وعمار لما أجنبا وعمرو لم يصل وعمار تمرغ كما تتمرغ الدابة لم يأمرهما بالقضاء ، وابو ذر لما كان يجنب ولا يصلي لم يأمره بالقضاء ، والمستحاضة لما استحاضت حيضة شديدة منكرة منعتها الصلاة والصوم

لم يأمرها بالقضاء ، والذين أكلوا في رمضان حتى يتبين لأحدهم الحبل الابيض من الحبل الاسود لم يأمرهم بالقضاء ، وكانوا قد غلطوا في معنى الآية فظنوا ان قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) هو الحبل فقال النبي ﷺ « انما هو سواد الليل وبياض النهار » ولم يأمرهم بالقضاء ، والمسيء في صلاته لم يأمره باعادة ما تقدم من الصلوات ، والذين صلوا الى بيت المقدس بمكة والحبشة وغيرهما بعد ان نسخت بالامر بالصلاة الى الكعبة وصلوا الى الصخرة حتى بلغهم النسخ لم يأمرهم باعادة ما صلوا ، وان كان هؤلاء أعذر من غيرهم لتمسكهم بشرع منسوخ

وقد اختلف العلماء في خطاب الله ورسوله هل يثبت حكمه في حق العبيد قبل البلاغ ؟ على ثلاثة أقوال ،في مذهب أحمد وغيره . قيل يثبت، وقيل لا يثبت، وقيل يثبت المبتدأ دون الناسخ . والصحيح ما دل عليه القرآن في قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقوله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وفي الصحيحين « ما أحد أحب اليه العذر من الله ،من أجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين »

فالمتأول والجاهل المعذور ليس حكمه حكم المعاند والفاجر بل قد جعل الله لكل شيء قدرا .

فصل

أجمع المسلمون على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وان ذلك حق يجزم به المسلمون ويقطعون به ولا يرتابون، وكل ما علم المسلم وجزم به فهو يقطع به وإن كان الله قادراً على تغييره، فالمسلم يقطع بما يراه ويسمعه، ويقطع بأن الله قادر على ما يشاء ، واذا قال المسلم أنا أقطع بذلك فليس مراده ان الله لا يقدر على تغييره ، بل من قال ان الله لا يقدر على مثل إماتة الخلق واحيائهم من قبورهم وعلى تسيير الجبال وتبديل الارض غير الارض فانه يستتاب فان تاب وإلا قتل والذين يكرهون لفظ القطع من أصحاب أبي عمرو بن مرزوق هم قوم أحدثوا

ذلك من عندهم ولم يكن هذا الشيخ ينكر هذا ، ولكن أصل هـذا انهم كانوا: يستثنون في الايمان كما نقل ذلك عن السلف فيقول أحدهم : أنا مؤمن ان شاء الله، ويستثنون في أعمال البر ، فيقول أحدهم : صليت ان شاء الله . ومراد السلف من ذلك الاستثناء كونه لا يقطع بأنه فعل الواجب كما أمر الله ورسوله ، فيشك في قبول الله لذلك فاستثنى ذلك ، أو للشك في العاقبة ، أو يستثني لان الأمور جميعها انما تكون بمشيئة الله كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله) مع ان الله علم بأنهم يدخلون لا شك في ذلك ، أو لئلا يزكي أحدهم نفسه

وكان أولئك يمتنعون عن القطع في مثل هذه الأمور ، ثم جاء بعدهم قوم جهال فكرهوا لفظ القطع في كل شيء ، ورووا في ذلك أحاديث مكذوبة ، وكل من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه أو واحد من علماء المسلمين انه كره لفظ القطع في الامور المجزوم بها فقد كذب عليه . وصار الواحد من هؤلاء يظن أنه اذا أقر بهذه الكلمة فقد أقر بأمر عظيم في الدين ، وهذا جهل وضلال من هؤلاء الجهال لم يسبقهم الى هـذا أحد من طوائف المسلمين ، ولا كان شيخهم أبو عمرو بن مرزوق ولا أصحابه في حياته ولا خيار أصحابه بعد موته يمتنعون من هذا اللفظ مطلقا ، بل انما فعل هذا طائفة من جهالهم

كما ان طائفة أخرى زعموا ان من سب الصحابة لا يقبل الله توبته وإن تاب، ورووا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « سب أصحابي ذنب لا يغفر » وهذا الحديث كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يروه أحد من اهل العلم ولا هو في شيء من كتبهم المعتمدة وهو مخالف للقرآن لان الله تعالى قال (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) هذا في حق من لم يتب . وقال في حق التائبين (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فثبت بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ان كل من تاب تاب الله عليه .

ومعلوم ان من سب الرسول من الكفار المحاربين وقال: هو ساحر أو شاعر أو مجنون أو معلم أو مفتر ، وتاب تاب الله عليه . وقد كان طائفة يسبون النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الحرب ثم اسلموا وحسن إسلامهم وقبل النبي صلى الله عليه وسلم منهم : منهم

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وكان قد ارتد و كان يكذب على النبي ﷺ ويقول : أنا كنت أعلمه القرآن ، ثم تاب وأسلم وبايعه النبي ﷺ على ذلك

واذا قيل: سب الصحابة حق لآدمي. قيل: المستحل لسبهم كالرافضي يعتقد ذلك دينا ، كما يعتقد الكافر سب النبي ﷺ دينا . فاذا تاب وصار يحبهم ويثني عليهم ويدعو لهم محا الله سيئاته بالحسنات .

ومن ظلم انسانا فقذفه او اغتابه او شتمه ثم تاب قبل الله توبته . لكن ان عرف المظلوم مكنه من أخذ حقه ، وان قذفه او اغتابه ولم يبلغه ففيه قولان للعلماء ، هما روايتان عن احمد : اصحهما انه لايعلمه اني اغتبتك. وقد قيل بل يحسن اليه في غيبته كما أساء اليه في غيبته . كما قال الحسن البصري : كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته . فاذا كان الرجل قد سب الصحابة او غير الصحابة وتاب فانه يحسن اليهم بالدعاء لهم والثناء عليهم بقدر ما أساء اليهم. والحسنات يذهبن السيئات . كما ان الكافر الذي كان يسب النبي ﷺ ويقول انه كذاب اذا تاب وشهد أن محمداً رسول الله الصادق المصدوق وصار يحبه ويثني عليه ويصلي عليه كانت حسناته ماحية لسيئاته والله تعالى (يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ماتفعلون) وقد قال تعالى (حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله الا هو اليه المصير)

هذا آخر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ، قدس الله روحه ونفعنا والمسلمين بعلومه

[المنار] هذه الرسالة من أنفس ما كتبه شيخ الاسلام وأنفعه في التأليف بين أهل القبلة الذين فرق الشيطان بينهم باهواء البدع وعصبيات المذاهب ، على كونه أقوى أنصار السنة برهانا ، وأبلغ المفندين للبدع قلما ولسانا ، ومنهاجه في الرد على المبتدعة : بيان الحق بالادلة ، وحكم ماخالفه من شرك وكفر وبدعة ، مع عدم الجزم بتكفير شخص معين له شبهة تأويل ، فضلا عن تكفير فرقة تقيم أركان الدين . فجزاه الله أفضل الجزاء على ارشاده ونصحه للمسلمين .

السنة والشيعة

وضرورة اتفاقهما

بلغنا عن بعض اخواننا من مسلمي بيروت أنهم غير راضين عن رد المنار على الشيعة في هذا العهد الذي اشتدت فيه حاجة المسلمين إلى الاتفاق والاتحاد ولا سيا مسلمي سورية ولبنان والعراق الذين اشتد عليهم ضغط المستعمرين في دينهم ودنياهم . وانني أقسم بالله وآياته لشديد الحرص على هذا الاتفاق وقد جاهدت في سبيله أكثر من ثلث قرن ، ولا أعرف أحدا في المسلمين أعتقد أو أظن انه أشد مني رغبة وحرصا على ذلك، وقد ظهر لي باختباري الطويل وبما اطلعت عليه من اختبار العقلاء وأهل الرأي أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق ، أشد الاباء ، إذ يعتقدون انه ينافي منافعهم الشخصية من مال وجاه . وأول من كلمتهم في هذا الموضوع شيخنا الاستاذ الامام في سنة ١٣١٥ وآخرهم الاستاذ الثعالبي السياسي الرحالة الشهير في هذا الشهر مع أستاذ ذكي من شبان الشيعة العراقيين ، وفيما بين هذين الزمنين تكلمت مع كثيرين من الفريقين في مصر وسورية والهند والعراق ، وأعلاهم مقاما جلالة الملك فيصل تكلمنا في هـذه المسألة في دمشق سنة ١٣٢٠ ثم في مصر عند إلمامه بها في عودته من أوربة في خريف سنة ١٣٤٥هـ ١٩٢٦ م

ومما علمته بالخبر والخبر ان الشيعة أشد تعصبا وشقاقا لاهل السنة فيما عدا الهند من البلاد الجامعة بين الطائفتين فالفريقان فيها قرنان متكافئان ، وقد اجتهدت أنا وإخواني من محبي الاصلاح في الهند بالتأليف وجمع الكلمة وخطبت في مدينة بمبي خطبة فياضة في ذلك . وبدأت بزيارة رئيس الشيعة الديني في لكنهؤ دون غيره من أمراء الهند وزعمائها فانهم كانوا هم الذين يبدؤنني بالزيارة ، وكنت سبب دخول الكاتب الحماسي الشعبي (الدمقراطي) المؤثر ظفر علي خان صاحب جريدة زميندار الوطنية المؤثرة دار (النواب فتح علي خان) لأول مرة ولم يدخلها قبل ذلك قط ولا دخل دور غيره من سلائل الامراء من الشيعة ولا غيرهم ، وقد

رأيت لسعيي تأثيرا حسنا في الهند وفي إيران ، ولما ألممت ببغداد منصرفي من الهند جاءني وفد من النجف للزيارة والدعوة إلى النجف وأخبرني رئيسه صديقي العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني أنه يوجد هنالك كثيرون من طلبة العلم على رأيي في الإصلاح الإسلامي يتمنون لقائي، وما منعني من زيارة النجف إلا المرض ، وإنما كان داعية الإصلاح فيهم الملا كاظم الخراساني وقد توفي قبل زيارتي للعراق رحمه الله تعالى ، ولكن جمهور شيعة العراق شديدو التعصب باعتراف السيد هبة الدين وبعض المنصفين منهم . وكان يوجد في شيعة سورية من يظهر الميل إلى الاتفاق في عهد الدولة العثمانية أكثر مما يوجد في العراق، وكان للمنار رواج عند بعض العصريين المستنيرين منهم ، ولذلك قام أشهر علمائهم يطعن علي ويتهمني بالتعصب والتفريق لأنهم يكرهون الاتفاق لما ذكرته آنفا . وقد صبرت عدة سنين على طعنه علي قولا وكتابة حتى صار السكوت عنه إقرارا لهم على ما تصدوا له في هذا العهد عهد الاستعمار الفرنسي المسمى بالانتداب من مناهضة النهضة العربية الحاضرة من مدنية ودينية بما هو أكبر خدمة للأجانب السالبين لاستقلال هذه البلاد سورية والعراق ؛

ذلك أنهم نشطوا في هذا العهد لتأليف الكتب والرسائل في الطعن في السنة السنية والخلفاء الراشدين الذين فتحوا الأمصار ، ونشروا الإسلام في الأقطار ، وأسسوا ملكه بالعدل والقوة، وتم بهم وعد الله عز وجل (ليظهره على الدين كله) والطعن في حفاظ السنة وأئمتها ، وفي الأمة العربية بجملتها، وخصوا بالطعن أول ملك عربي اعترفت له الدول القاهرة للعرب والمسلمين وغيرها بالاستقلال المطلق والمساواة لها في الحقوق الدولية، طعنوا فيه وفي قومه بكتاب ضخم لتنفير المسلمين ولاسيما مسلمي العرب وصدهم عنه وإغرائهم بعداوته والبراءة منه، لا لعلة ولا ذنب إلا اتباع السنة وإقامة أركان دولته على أساسها ، مع عدم تعرضه للشيعة بعداوة ولا مقاومة، بدليل اتفاقه مع دولة الشيعة الوحيدة في العالم وهي دولة إيران بما حمدناه لكل منهما، ورجونا أن يكون تمهيدا للاتفاق التام بين الفريقين، بالتبع للاتفاق بين الدولتين

والذي بدأ هذا الشقاق وتولى كبره منهم هو صاحب ذلك الكتاب البذيء الجاهلي، (السيد محسن الأمين العاملي) ، الذي لم يكتف فيه بإخراج ملك العرب

الجديد وقومه النجديين من حظيرة الاسلام ، وهو يعلم أنه لا قوة له ولا للعرب بغيرهم في هذا الزمان، وقد قال رسول الله ﷺ «إذا ذلت العرب ذل الاسلام» (رواه أبو يعلي بسند صحيح) ولكن الاسلام عنده هو الرفض الذي هو الغلو في التشيع وعداوة السنة . ولم يكتف بذلك حتى زعم أن منشأ ضلال هؤلاء الوهابية وخروجهم عن الاسلام وعليه هو كتب شيخ الاسلام ، وعلم الأئمة الاعلام ، مؤيد الكتاب والسنة بأقوى البراهين النقلية والعقلية، وناقض أركان الشرك والكفر والبدع بتشييد صرح السنة المحمدية ، الشيخ تقي الدين بن تيمية، الذي نشرنا في هذا الجزء بعض رسائله في جمع كلمة الامة الاسلامية ، والادلة على أن أهل السنة لا يكفرون احدا من أهل القبلة ، ولا يأبون صلاة الجماعة مع المبتدعة منهم ،

وزعم أيضا أن صاحب المنار قد انفرد دون المسلمين بموافقة ابن تيمية والوهابية، وزاد على ذلك الطعن في شخصه وسيرته العملية، بما هو محض الزور والبهتان ، ليخدع الجاهلين من أهل السنة بما بيناه في الرد عليه

وقام في أثره من علماء شيعة العراق من الف كتابا خاصا في الرد على كتاب منهاج السنة لشيخ الاسلام ، وآخرون ألفوا كتبا ورسائل أخرى في الطعن على السنة وأهلها ، دع ماقالوه في مؤتمرهم المشهور من تكفير الوهابية والتحريض على قتالهم ، على ضعفهم وعجزهم !

كذلك قام بعده زعيمهم الثاني في سورية السيد عبد الحسين فألف كتابا آخر في الطعن على الصحابة من كبار المهاجرين والانصار وفي الامة العربية سلفها وخلفها وفي اصحاب دواوين السنة ولا سيما الحافظ البخاري رضي الله عنهم فوجب علينا الرد عليه ، ولم نفرغ الا للقليل منه

فصاحب المنار لم يهاجم الشيعة مهاجمة وإنما رد بعض عدوانهم وبهتانهم لبطلانه ولكون هذا الطعن في الصحابة وأئمة السنة وحفاظها وفي الامة العربية وملكها في هذا الوقت لا فائدة منه إلا لاعداء المسلمين والعرب السالبين لاستقلالهم، وأكبر قوة للاجانب عليهم تعاديهم وتفرقهم

فلا أدري ماذا يريد الذي استنكر هذا الرد عليهم من إستنكاره ، وكيف

تصور إمكان الاتفاق مع قوم يتبعون أمثال هذه الزعماء ، وتنشر دعايتهم هذه مجلة العرفان بالتنويه بكتبهم هذه والعناية بنشرها ، عدا ماتبثه هي من دعاية التشيع التي كنا نعذرها فيها بتنزهها عن الطعن الصريح في السنة وأهلها ولذلك كنا نرجو أن تنكر هـذه الدعاية وتأبى نشر هذه الكتب الضارة بصرف النظر عن مسألة موضوعها، فقد يقول أو قال صاحب مجلة العرفان إنه يعتقد حقية ما كتبه هذان المؤلفان ، وإن كنا نشرنا عنه من قبل مايدل على عدم اعتقاد ما افتراه الاول على الوهابية ، ولا نعقل أن يكون معتقداً ما افتراه الثاني على المهاجرين والانصار من وصفهم بالجبن ، ونكثهم لما بايعهم الله عليه ... ومن زعمه الذي أقسم عليه يمينا مغلظة انه لولا علي بن أبي طالب لقتل المشركون رسول الله ﷺ ولم يقم للاسلام قائمة في الارض ، بالرغم من وعد الله تعالى بنصره ، وإظهار دينه على الدين كله الخ فهل يريد المستنكر من إخواننا أن نسكت لهؤلاء على كل هذا الطعن فيكون سكوتنا حجة على أهل السنة كافة ، ومعصية يأثمون بها كلهم ، ولا يزيد الشيعة إلا يقينا بضلالهم ، وبعداً عن الاتفاق معهم ؟

وقد أخبرني من بلغني ماتقدم من الاستنكار أن بعض مسلمي بيروت استفتاني في تزوج كل من أهل السنة والشيعة في الآخرين ولم أفته بشيء . وأقول: إن هذا الاستفتاء لم يصل الي ، واني كنت استفتيت في مثله من قبل اذ خطب أحد كبار الايرانيين بمصر فتاة من بيت بعض كبراء المصريين فأرسل الحريم يستفتونني في ذلك سراً فأفتيت بالجواز ، واستدللت بأن هذا الخاطب من الشيعة الامامية وهم مسلمون لا من البابية ولا البهائية المارقين من الاسلام، وانما يمتنع تزويج هؤلاء والتزوج فيهم

وأما رأيي في الاتفاق فهو قاعدة المنار الذهبية التي بيناها مرارا وهي « أن نتعاون على ما نتفق عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه » فأهل السنة متفقون مع الشيعة على أركان الاسلام الخمسة، وعلى تحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن ، وعلى محبة آل البيت عليهم السلام وتعظيمهم ، وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسة واقتصادية ، وفي البلاد العربية على اعلاء شأن الامة العربية ولغتها الخ واستقلال بلادها وعمرانها ، فيجب أن يتعاونوا على ذلك كله، وهم يختلفون في مسألة الامامة

(وقد مضى وانقضى الزمن الذي كان فيه هذا الخلاف عمليا) وفي المفاضلة بين الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، وفي عصمة الأئمة الاثنى عشر ، مع مسائل أخرى تتعلق بصفات الله تعالى وفيما دون ذلك من الفروع العملية ، فلكل من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن اليه قلبه ، ويعمل بما يقوم عنده الدليل على ترجيحه أو يقلد فيه من يثق بهم من العلماء ، وأن يبين ذلك قولا وكتابة من غير طعن في عقيدة الآخر ولا في الصحابة وأئمة العلماء المجتهدين والمحدثين . كما فعل بعض أدبائهم في قصائد نظمها في مدح الأئمة وشرحها وجعل مقدمتها في بيان العقيدة الاسلامية عندهم ، وفيها مالا يوافقهم عليه أهل السنة ، ولا يكفرونهم به . ولم ينكر ذلك عليه أحد منهم . فيجب على محبي الاتفاق أن يقنعوهم بقاعدتنا ويؤلفوا جمعية أو حزبا من الطائفتين للعمل بمقتضاها ، بالرغم من زعم مجلة المشرق اليسوعية ان الاتفاق متعذر ، واستدلالها عليه بالمناظرة التي دارت بين المنار والعرفان ، وما كان صاحباها إلا أخوان ، ولا يتعذر عليهما العودة إلى ما كانا عليه بمقتضى هذه القاعدة .

هذا وانا لا نعرف أحدا من علماء أهل السنة المتقدمين ولا المعاصرين يطعن في أحد من أئمة آل البيت عليهم السلام ، كما يطعن هؤلاء الروافض في الصحابة الكرام ، ولا سيما أبي بكر وعمر (رض) وفي أئمة حفاظ السنة كالبخاري ومسلم وكذا الامام احمد إمام أئمة السنة وشيخ كبار حفاظها وشيخ الاسلام ابن تيمية والحافظان الذهبي وابن حجر وغيرهم ، فانهم يعدونهم من النواصب لعدم موافقتهم لجهلة الروافض على ما يفترونه من الغلو في مناقب آل البيت ، وقد أغناهم الله عن اختلاق المناقب لهم بكثرة مناقبهم الصحيحة الثابتة بالنقل الصحيح . وحفاظ السنة ومدونوها هم المرجع في هذا . وكل من خالفهم من المبتدعة فهم جاهلون بنقد الروايات ، والروافض منهم أجهلهم بهذا العلم ، وأكذبهم في النقل ، كما هو مشهور عنهم في التاريخ ، وقد ذكره أحد علماء ألمانية المستشرقين في كتاب له ، وانما النواصب أولئك الخوارج الذين يتبرؤون من علي كرم الله وجهه ، وكذلك من يتولون من بغوا عليه ومن قتلوا سبط الرسول (ص) أو يصوبون أعمالهم ، لا أئمة السنة الذين محصوا رواياتها ، وبينوا درجاتها .

ونذكر على سبيل النموذج لجهلهم بالحديث ما انتقدته مجلة العرفان على مجلة

الشبان المسلمين المصرية من الثناء على معز الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) وما أوردته فيه من هذه النقول، وكنت قد كتبته للجزء الماضي فلم يتسع له وهو:

﴿ علم عمر وعلي (رض) بالدين والقضاء ﴾

بين مجلة الشبان المسلمين ومجلة العرفان

لا يطيق أحد من الشيعة المتعصبين أن يرى في كتاب أو مجلة ثناءً عظيما على أبي بكر أو عمر (رض) ولا سيما إذا كان فيه صيغة اسم التفضيل، مع العلم بأن اسم التفضيل كثيراً ما يستعمل في التفضيل الاضافي أو بتقدير من التبعيضية

وقد كتب الاستاذ الدكتور يحيى أحمد الدرديري مقالة في مجلة جمعية الشبان المسلمين في الثناء على عمر بن الخطاب (رض) قال فيها: كان عمر (رض) أعلم الصحابة بالدين وأفقههم فيه. فنقل عنه الاستاذ صاحب مجلة العرفان نبذة منها وعلق على هذه الجملة رداً عليها لعله لم ينقلها إلا لذلك قال: هذا مناف لقول النبي ﷺ « أقضاكم علي » وقوله « أنا مدينة العلم وعلي بابها » وقول عمر نفسه: لولا علي لهلك عمر، ولا كنت لقضية ليس لها أبو الحسن اهـ

ونقول في الرد على الاستاذ صاحب مجلة العرفان ان الحديثين اللذين ذكرهما وهما مما يحفظه كل شيعي وكثير من غير الشيعة ليس لهما رواية صحيحة ولا حسنة، ولو فرضنا صحتهما لما كانا معارضين لقول من قال كان عمر أعلم الصحابة،

أما العلم والقضاء فانه يجوز عقلا أن يكون عمر أعلم بأصول الدين ومقاصده وحكمه وسياسته، ولا يكون مع ذلك أقضى الصحابة، وأن يكون علي أقضاهم أي أعلم بالفصل بين الخصوم وتطبيق قضاياهم على أحكام الشرع، ولا يكون مع ذلك اعلم من عمر به، وقد كان أبو يوسف أقضى من أستاذه ابي حنيفة وزميله محمد بن الحسن ولم يكن أعلم منهما، ومثل هذا كثير مشاهد في كل زمان. كان الشيخ محمود نشابة في طرابلس الشام أعلم من أحمد افندي سلطان بكل علوم الشرع وكان احمد افندي أقضى منه، بل لم يكن الشيخ محمود نشابة علامة سورية في زمنه الذي ادركناه في آخره مستعداً لأن يكون قاضيا

وأما حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» فليس بينه على تقدير صحته وبين ماقاله الكاتب في تفضيل عمر أدنى تعارض ولا منافاة، اذ المتبادر من معناه ان علياً (رض) موصل الى علم النبي ﷺ بالرواية للسنة والتفسير للقرآن والعمل بهما، وهذا المعنى صحيح في نفسه، معلوم من جملة سيرته كرم الله وجهه، وان كان الحديث المذكور غير صحيح، ليس في لفظه مايدل على انه أعلم بما كان في هذه المدينة من كل من كان فيها، ولا برواية ذلك العلم وتفسيره أيضا. وإلا لحكمنا بأن كل ماروي عن غيره كرم الله وجهه من الحديث والتفسير والاحكام فليس من علم النبوة. ولم يقل بهذا رافضي ولا غيره،

والحديث رواه الحاكم في مستدركه من طريق أبي الصلت عبد السلام بن صالح عن ابن عباس وتتمته [فمن أراد المدينة فليأت الباب] وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وأبو الصلت ثقة مأمون. ونقل توثيقه عن يحيى بن معين، وتعقبه الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك فقال رداً على قوله «صحيح»: بل موضوع. قال «وأبو الصلت ثقة مأمون» قلت لا والله لاثقة ولا مأمون اه وتصحيح الحاكم للاحاديث لايعتمد عليه أحد من المحدثين فقد صحح كثيراً من الضعاف والمنكرات وكذا الموضوعات وتعقبه الذهبي وغيره فيها

وأخرج الترمذي من طريق شريك عن سلمة بن كهيل عن سويد بن غفلة عن الصنابحي عن علي قال قال رسول الله ﷺ « انا دار الحكمة وعلي بابها » هذا حديث غريب منكر، روى بعضهم هذا الحديث عن شريك ولم يذكروا فيه عن الصنابحي، ولا نعرف هذا الحديث عن أحد من الثقات غير شريك، وفي الباب عن ابن عباس اه كلام الترمذي

وأقول ابو الصلت راوي الحديث الاول وثقه ابن معين كما قال الحاكم ولكن طعن فيه الأكثرون والجرح مقدم على التعديل. قال مسلمة عن العقيلي: كذاب، وكذا محمد ابن طاهر قال إنه كذاب، وقال ابن حبان لايجوز الاحتجاج به إذا انفرد. وكلهم أنكروا حديثه هذا، وكأنهم يتهمونه بوضعه على أبي معاوية، ولكن ابن معين يقول انه ليس ممن يكذب، وذكر ان محمد بن جعفر الفيدي حدث به عن أبي معاوية وقال أخبرني ابن نمير قال حدث به ابو معاوية قديما ثم كف عنه اه ومراد ابن معين ان أبا الصلت

لم يكن هو الذي افتراه بل كان حدث به أبو معاوية ثم كف عنه فلعل أبا الصلت رواه عنه ولم يبلغه كفه عن التحديث به لعدم الثقة بصحته

وقال صاحب (تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على الالسنة من الحديث) حديث «انا مدينة العلم وعلي بابها» رواه الحاكم في المناقب من مستدركه عن ابن عباس مرفوعا والترمذي من جامعه عن علي بمعناه وقال انه منكر ، وكذا قال البخاري وقال انه ليس له وجه صحيح . وقال ابن معين انه كذب لا أصل له ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ووافقه الذهبي وغيره على ذلك ، وقال ابن دقيق العيد هذا الحديث لم يثبتوه وقيل انه باطل اهـ

وقد أورده الاستاذ الشيخ محمد الحوت الكبير علامة بيروت في (اسنى المطالب) وذكر بعض ما نقله الديبع عن أستاذه الحافظ السخاوي من قول الحفاظ بوضعه حتى ابن معين ، ثم قال قد ولع به العلماء ، وذكره من دون بيان رتبته خطأ ، ومثله «أنا دار الحكمة وعلي بابها» وزاد بعضهم : وأبو بكر اساسها وعمر حيطانها ، وذلك لا ينبغي ذكره في كتب أهل العلم لاسيما مثل ابن حجر الهيتمي ذكر ذلك في الصواعق والزواجر وهو غير جيد من مثله اهـ

وأقول ان ابن حجر الهيتمي هذا قد أتقن فقه الشافعية التقليدي على طريقة أهل زمنه ، وهو ليس بحافظ للحديث ولا من نقاده ، وانما ينقله من الكتب فان لم تكن له عناية خاصة بالاحتجاج به فلا يبالي أكان صحيحاً أم ضعيفاً أم موضوعا . فكيف اذا كان له هوى يوافق معناه كالغلو في المدح ؟ وأخطأ من حسنه بكثرة طرقه

وأما حديث « أقضاكم علي » فقد قال الحافظ السخاوي ماعلمته بهذا اللفظ مرفوعا بل في مستدرك الحاكم عن ابن مسعود قال كنا نتحدث ان أقضى أهل المدينة علي ، وقال انه صحيح ولم يخرجاه اهـ

وأقول ان الحافظ الذهبي أقر الحاكم على روايته له عن ابن مسعود من قوله ، ولو ورد مرفوعا الى النبي ﷺ ولو من طريق منكر لأورده الحاكم ، ولعمري انه لحق في نفسه سواء كان اسم التفضيل على بابه ام لا ، ولكن لا ندري متى قال ابن مسعود هذا ؟ هل قاله في زمن عمر او بعده

وأما ماذكره صاحب مجلة أمرفان من قول عمر فهو لم يرو بسند صحيح وإنما ذكره بعضهم فيما يتساهلون فيه من رواية المناقب ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية انه لم يذكر عنه إلا في قضية إن صح ، وكان عمر يقول مثل هذا لمن دون علي كما قال المرأة التي عارضته في الصداق: امرأة أصابت واخطأ عمر . وبين في منهاج السنة بالشواهد انه كرم الله وجهه لم يكن أقضى الصحابة (رض) وفيه نظر

وأما الاحاديث الدالة على علم عمر في الصحاح والسنن فهي كثيرة منها موافقات رأيه للقرآن وكونه من المحدثين (بفتح الدال المهملة) أي الملهمين، وغير ذلك ، ولسنا بصدد تفصيل هذه المسألة ،وكذلك ماروي في قضائه باجتهاده وفي اتباع الصحابة له في مسائل متعددة ، وكذلك المسائل التي كان يستشير فيها الصحابة

هذا وان العلم الذي يتعلق به القضاء هو الاحكام العملية من شخصية ومدنية وعقوبة ، وهو أدنى علوم الدين الاسلامي، وأما أعلاها فهو العلم بالله تعالى وصفاته وبسننه في خلقه من نظام العالم، ويليه العلم بتهذيب النفس وتزكيتها بالعبادات الصحيحة، والعلم بسياسة الامم وإقامة الحق والعدل فيها ، والذين يفضلون عمر على غيره في علوم الاسلام ولا سيما بعد أبي بكر يفضلونه بهذه العلوم التي هي في الذروة العلياء، وهي ماتثبتها له أعماله وأقواله وأحواله وسياسته وإدارته، ولم يغمطه أحد حقه في علم الاحكام العملية القضائية أيضاً ، وماروي من تفضيل علي امر أصح مما روي من قول عمر في علي، وماهما إلا اخوان، ومن مصائب التعصب جعلهما خصمين يتضادان

فان كان قد روي عن عبد الله بن مسعود انهم كانوا يتحدثون بان علياً كرم الله وجهه كان أقضى أهل المدينة، فقد روي عنه انه قال لما مات عمر :اني لأحسب انه ذهب بتسعة أعشار العلم. رواه ابو خيثمة في كتاب العلم عن جرير عن الاعمش عن ابراهيم بن عبد الله . وقد أورده ابو طالب المكي في قوت القلوب والغزالي في الاحياء .قالا: فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة ـ وفي القوت وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ؟ فقال: اني لست أعني العلم الذي تذهبون اليه انما أعني العلم بالله عز وجل اه وجرير الراوي لهذا الاثر هو ابن حازم وهو ثقة فيما يرويه إلا عن قتادة . وأما ابراهيم بن عبد الله فلا نعرفه في شيوخ الاعمش وانما يروي الاعمش

عن ابراهيم النخعي فلعله هو وناهيك به في رواة حديث ابن مسعود وآثاره

هذا وان علماء السنة الذين طعنوا في رواية الحديثين المذكورين قد أثبتوا من الروايات في مناقب علي (رض) أكثر مما أثبتوه من مناقب غيره من الصحابة (رض) وصرح بذلك امامهم الاعظم احمد بن حنبل وأقروه عليه، فهل يعدون من النواصب؟

وأختم هذا البحث بالتذكير بأني كنت نوهت بشيعة العراق في أول العهد باستيلاء الانكليز عليها لانهم كانوا اشد من أهل السنة في الثورة عليهم، ولما بلغنا عنهم من احتقار الدسيسة التي عرضها عليهم الانكليز للتفرقة بينهم وبين أهل السنة إذ عرضوا عليهم أن يكون القضاء في الجهات التي يكثرون فيها بمذهبهم الجعفري، فأجابوهم بان الشريعة واحدة لا فرق فيها بين مذهب جعفر ومذاهب أهل السنة، وانما الخلاف في كل مذهب يشبه ما في غيره وهو في مسائل اجتهادية يعذر فيها كل مجتهد. ثم نكسوا على رءوسهم وعادوا إلى خدمة الاجانب بالتفريق والتمادي من حيث لا يشعرون، ولم يعتبروا باعتدال شيعة إيران وميلهم إلى الوحدة والاتفاق، وانما كان اسلافهم من أمراء الفرس وموابذتهم هم الذين أسسوا قواعد الغلو في الرفض ونظموا جمعياته ونشروه في العالم لازالة ملك العرب واعادة دين المجوس وملكهم كما شرحناه مراراً، وقد أخبرني الاستاذ الثعالبي الذي زار بلادهم في العام الماضي بمثل ما أخبرني به الاستاذ الكردي الذي ذكرت خبره من قبل وهو ناشيء في بلادهم، قالا ان الميل فيهم إلى الوحدة الاسلامية والاتفاق مع أهل السنة قوي جداً، وهذا ما نشاهده في جاليتهم بمصر، فهم كأهل السنة هنا في كراهتهم للخلاف، وحبهم للائتلاف، إلا ما شذ به صديق لنا منهم طعن علينا وافترى، فكان قدوة للعاملي فيما امترى. ثم تصافحنا وتصالحنا، ونسأله تعالى أن يصلح الجميع، فالشقاق شر للجميع.

أفليس من أعجب العجائب أن نرى أخلاف أولئك الفرس يرجعون عن ذلك الغلو ويجنحون الى الاتفاق مع اهل السنة من العرب وتقوية الرابطة الاسلامية ثم نرى مع هذا أخلاف العرب حتى المنتسبين الى الرسول الاعظم ﷺ يزدادون غلواً في الشقاق المذهبي والسياسي الذي كان أكبر عيوب سلفها وخلفها، وهو الذي أضعف دولها، وأزال ملكها، والله ان هذا لشيء عجاب، وعسى أن يزول قريبا بسعي اولي الالباب

بيان الى العالم الاسلامي

عن قضية البربر في المغرب الاقصى

(جاءنا بالبريد من بعض مدائن المغرب)

أيها المسلمون

نحن اخوانكم المغاربة الذين اعتدي علينا، وسلبنا - أو كدنا - نسلب أقدس حق يملكه الانسان، نحن اخوانكم الذين أراد الفرنسيون أن يقضوا على ديننا ويمزقوا وحدتنا، ويقتلوا لغتنا، لغة الكتاب المنزل من السماء، نحن إخوانكم الذين أيسنا أن تقر الذل فينا، وأبينا أن نضام في أعز شيء علينا، (الدين، والوحدة، واللغة) جاهدنا وضحينا في ذلك جهد المستطاع، فمنا من جلد، ومنا من سجن، ومنا من نفي، ومنا آخرون يضطهدون مابين عشية وضحاها، ولو بلغ الامر بنا إلى حد القتل ما كنا نبخل على ديننا بدمائنا الزكية، نحن الذين كنا ولا نزال من أخلص الناس للعروبة والاسلام، ومن أشد الناس شكيمة وأقواها تمسكا بأحكام السنة والكتاب، نحن الذين حلت بنا هذه المصيبة العظمى والرزية الكبرى، نريد ان نبين لكم - أيها المسلمون - الحقائق وندلي لكم بالحجج والبراهين التي لاتبقي شكا لمرتاب، ولا يحتاج معها المتبصرون في فهم قضيتنا هذه إلى شيء آخر، واثلا تنطلي على بعض الناس خدع السياسة، لانه أبعد عنا داراً وأنأى مزاراً «وما راء كمن سمعا»

نناشدكم الله والرحم الاسلامي - يا أمة محمد ﷺ - أن تتبصروا في هذه القضيه المغربية. ولا تغتروا بما ينشره الفرنسيون من الاضاليل والتمويهات الكاذبة، فان هذه القضية لها ما بعدها، وإذا نجح الفرنسيون في تجربتهم هذه فينا فسيحذو حذوهم جميع دول الاستعمار ويتقلص كل الاسلام من الارض (لا قدر الله). واذكروا إذا خرج المغرب من حوزة الاسلام كما خرجت الاندلس وصقلية ماذا يكون عذرنا أمام الله، وموقفنا إزاء العالم أجمع؟

ان هذه القضية يا أمة رسول الله، ليست إلا اعادة لتمثيل رواية الاندلس المحزنة في المغرب الاقصى، او ابتداء حرب صليبية من جديد ، يا أمة رسول الله : هانحن أولاء ندلي لكم بالحجج والبراهين لتعلموا مايتهددنا من الاخطار ، وأنتم اليوم أقوياء إن اتحدتم وتناصرتم، والعاقبة لكم ماجادلتم عن الاسلام وجاهدتم، (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

الحال في المغرب قبل الحماية

عند ماضعف نفوذ الملوك المتأخرين كان المغرب كله في ثورة(١) عامة،سواء حواضره وبواديه عربه وبربره ، فما سكنت قبيلة اومدينة إلا وتثور أخرى . وكان أشد القبائل شقا للعصا القبائل النائية عن عاصمة الملك ،حيث توجد القوات والسلطات ، ومن هذه القبائل العرب والبربر، وكانت القبيلة إذا ثارت إما أن يساعدها قائدها وقاضيها على الثورة فتتركهما يحكمان فيها ويكونان معها من الثائرين ، واما أن لايساعداها فتقتل غير المساعد او تجليه عن أرضها ، وفي هذه الحالة تضطر بحكم الضرورة إلى نصب محكمين من قبلها لفصل المنازعات والمشاكل التي تقع بين الافراد والجماعات ، وكانت تختار لفصل القضايا الجنائية والمنازعات التي تحدث بينها وبين من جاورها من القبائل على الحدود وغيرها جماعة من كبرائها ، ويجعلون على رأس هذه الجماعة من كان أكبرهم سنا وأرشدهم رأيا ،

وإذا نظرنا إلى ان المغرب أكثره كان قد انهد ركنه الاخلاقي والعلمي- نعلم أن هذه الجماعة التي كانت تحكمها بعض القبائل إنما كانت تحكم بأهوائها غير مقيدة بدين ولا قانون لانها كانت تجهل ذلك ، هذا في القضايا الجنائية كما ذكرنا ، وأما

---

(١) ينبغي ان يعلم ان أسباب هذه الثورة هو ما كان شائعاً عن مولاي عبد العزيز من انه باع المغرب للاجانب وعن مولاي عبد الحفيظ من عدم اكتراثه بالدين ، ونحن نرى أن هذه الدعاية انما كانت من ذوي الاغراض السيئة صنائع الدول التي كانت تتكالب على المغرب لتستعمره . وعلى كل فسببها الغيرة على الدين لا الثورة عليه كما يزعم الفرنسيون اه من حاشية الاصل

القضايا المدنية والاحوال الشخصية فكانت تختار لها عالما من العلماء الذين كانت لاتخلو منهم قبيلة، ويكون هذا العالم بمنزلة القاضي غير انه ولي من طرف القبيلة، ولا ننكر انه كان يوجد بازاء هذا بعض اللصوص المتشردين فيعملون على وفق أهوائهم، معتمدين على بأسهم وقوتهم

أما الملوك فلم يقروا أحداً من هذه القبائل الثائرة على حالته، بل كان كل ملك يعمل جهده كله ليردهم إلى طاعته، والتحاكم الى القضاة والقواد الذين يوليهم عليهم هو بصفة رسمية

هذه هي الحالة الحق التي كان عليها المغرب في أعوامه الاخيرة سواء من جانب الملوك او من جانب القبائل، وقد ظهر من ذلك ان القبائل البربرية لم تنبذ الشرع الاسلامي أو التحاكم اليه يوما ما، وان نصبها للجماعة وتحكيمها انما كان لضرورة الثورة، وان أحدا من الملوك لم يقرهم على شيء من ذلك، وانما كان اذا أعجزه كبح جماحهم وخضد شوكتهم سكت عنهم اضطرارا، وأن هذه الحالة كانت عند العرب والبربر على السواء

الحال بعد الحماية

عندما بسط الفرنسيون الحماية على المغرب، فكروا في شيء يضمن لهم بقاءهم فيه واستيلاءهم عليه نهائيا حتى يصير قطعة من الجمهورية كالجزائر والسنغال، فرأوا ان ذلك يمكنهم بمصادرة ثلاثة أشياء: الاحكام الشرعية، والقرآن، واللغة العربية، لانها ثلاثتها كحلقة مفرغة يرتبط طرفاها بعضها ببعض وتجمعها كلمة واحدة [الاسلام] والاسلام هو العقبة الكأداء عندهم في طريق استعباد الشعوب، ووجدوا ان الامر يواتيهم في البربر أكثر مما يواتيهم في العرب، فرسموا لتنفيذ ذلك فيهم خطة ابتدأوا العمل بها عام ١٩١٤ م. وصاروا يقطعون مراحلها في طي الخفاء إلى أن ظنوا ان الوقت قد حان للعمل النهائي وانه لم يبق في المغرب من يرفع رأسه أو ينبس بكلمة، فاستصدروا ظهير ١٧ الحجة عام ١٣٤٨ هـ وفيه القضاء الاخير على الاسلام والمسلمين بالمغرب الاقصى

الوثائق الرسمية في محاولة فرنسة إخراج البربر من الاسلام

وها هي أقوال ساستهم الرسمية وغيرها ندلي بها حجة على ما نقول، فمن ذلك:

١ — منشور أصدره المرشال ليوتي عند ما كان مقيما عاما بالمغرب الى رؤساء الاستعلامات ، ونقله الكمندان مارتي في كتابه « مغرب الغد » صحيفة ٢٢٨ هذا تعريبه ملخصا :

« ان رئيس مكتب الاستعلامات (ج) لما تخابر مع ءايت مسروح الذين لا يفهمون إلا البربرية أمر رؤساء هذه الجماعات بتعيين طالب منهم ليحرر لهم رسائلهم الادارية مع مكتبة باللغة العربية ، لقد غلط هذا الضابط غلطا فاحشا ، ولكن لا يستحق توبيخا على تفكيره - وإن كان هذا التفكير يشتمل على شيء لا أردأ منه - لانه لما لم يجد موظفين يحسنون البربرية اقتضى نظره ذلك حتى لا تنقطع الصلة بينه وبين ءايت مسروح ... واني لا أجد أفظع من هذه الكلمات التي أدرجها هذا الضابط في تقريره وهي (ان هؤلاء الطلبة الذين سيكلفون بتحرير الرسائل سيتكفلون بتعليم الصبيان أقامة الصلاة التي أصبحت متروكة عند الرجال منهم بسبب جهلهم) ان في هذه السياسة البربرية لعكسا ... لا حاجة لنا في تعليم العربية الى المستغنين عنها، والعربية رائد الاسلام، ومصلحتنا تأمرنا بأن نمدن البربر خارج سور الاسلام . . . ويجب علينا أن نمر من البربرية الى الفرنسية بدون واسطة ... ولا بد لنا من فتح مدارس فرنسية بربرية تتعلم فيها الشبيبة البربرية الفرنسية . ويجب علينا أن تأخذ الاحتياط من المذاكرة معهم في شأن الدين لان الاسلام ماوضع على البرابر — أعني البرابر الذين ظلوا مستقلين — إلا صبغة سطحية .. اه »

٢ - ماقاله الكمندان مارتي[1] في كتابه المشار اليه « مغرب الغد » صفحة ٢٤١ وهذه ترجمته بالعربية :

(١) الكمندان مارتي هو مدير المدرسة الثانوية بفاس سابقاً . والمستشار بوزارتي العدلية والصدارة ومايتبعها من الادارات الآن وكتابه طبع سنة ١٩٢٥ بباريز على نفقة لجنة أفريقية الافرنسية

« . . . وهذه المدرسة الفرنسية البربرية هي فرنسية باعتبار مايقرأ فيها ، وبربرية باعتبار تلاميذها ، واذاً فلا حاجة بنا الى واسطة أجنبي حيث ان التعليم العربي وتدخل الفقهاء وكل المظاهر الاسلامية ستبعد عنها إبعاداً ، واننا سنجتذب الينا بواسطة هذا التعليم الصبيان الشلوح ، وبذلك نبعدهم قسراً عن كل مايطلق عليه لفظ اسلام »

٣ — ماجاء في خاتمة كتاب (الشعب[١] المغربي أو العنصر البربري) للدكتور بيكيه ، من ص ٢٨٧ـ٣٠١ وتلخيصه : « لما دخل العرب افريقية الشمالية عربوا السهول وانتشرت لغتهم فيها وحلت محل البربرية ولم يبق من البربر محافظا على لغته إلا الجبليون ، فهل يبقون كذلك ؟ الجواب نعم . لاننا لما حفظنا للقبائليين في الجزائر حالهم اتخذوا اللغة الفرنسية بدلا من العربية ، ولا بد لبربر المغرب أن تتبع تلك الخطة ، ومن الواجب علينا إعانتهم على ذلك ... الى أن قال : وقانونهم الخاص (يزرو) لا علاقة له بالقرآن ، فيجب أن نثبته ونتممه ونرقيه بكيفية بربرية إن لم تكن فرنسية ، ولا نترك القرآن يثبت في أذهانهم . ولقد ساعدنا على نشر اللغة العربية من غير قصد حيث استعملنا ضباطا وموظفين مدنيين وعسكريين لايحسنون العربية ، فاحتجنا الى من يعرف العربية ، وعليه فلنجتنب الفقهاء الذين تحتاج اليهم الجماعة . والكتاب والمدرسون يجب أن يكونوا برابر لان من استعملناه من الجزائريين العرب في التدريس نشروا العربية والقرآن ، لكنا في عام ١٩٢٣ جعلنا برنامجا للتعليم البربري في فكرة افرنسية وجل المدرسين من القبائليين وهي أحسن وسيلة لمصادرة اللغة العربية »

٤ — ماذكره السوردون[٢] في محاضراته (محاولة وضع القانون البربري)

---

(١) طبع هذا الكتاب بباريز سنة ١٩٢٥ واخذ عليه مؤلفه جائزة مالية من الاقامة العامة بالمغرب . وله تأليف آخر اسمه (مراكش) ظهر سنة ١٩١٨ ونقل عنه مثل هذا الامير شكيب ارسلان في شرح كتاب حاضر العالم الاسلامي ص ٨٧ ج ١

(٢) السوردون هو مدرس الشرع البربري بالمدرسة العليا بالرباط سابقا . ورئيس العدلية البربرية الآن .

التي كان يلقيها في معهد الدروس العليا بالرباط سنة ١٩٢٨ — المقدمة ص ٢٢ «... سيتم فتح أرض البربر عما قريب، وقد آن الوقت لنفي بوعدنا الذي وعدنا به كل قبيلة . ص ٢٣ ولتتم مهمتنا يلزم السلطان أن يكلف الفرنسيين بإدارة شئون البلاد البربرية لانه يظهر من الصعب أن نطالب من السلطان الديني الشريف أن يضع للبربر قانونا ... وقد آن الوقت أيضا لجمع العوائد لا بالعربية بل بالبربرية... فنحن الذين بنينا الدار، ولنا الحق في ترتيبها بالاستعمار ..»

وفي الخاتمة (ص ٢٠٩) يتعين علينا معرفة الشرع البربري لا للمحافظة عليه لانه محكوم عليه بالاندثار أمام شرع أعلى منه.. (وفي ص ٢١٣) توجد بالمغرب اليوم شريعتان مدونتان: الشرع الاسلامي والشرع الفرنسي، ويلوح ان الأولى لنا هو أن تندمج العوائد البربرية تحت الفرنسي (أولا) لان بيننا وبين الشرع الاسلامي هوة (ثانيا) لان أسلحتنا هي التي أدخلت الامن الى بلاد البربر، وهذا يعطينا الحق لان نختار الشريعة التي يجب أن تطبق فيهم — ص ٢٢٤ ... ولنا الحظ السعيد بوجودنا مع مسلمين لا يطالبوننا باقامة الشرع فيهم، فلماذا نوجده نحن بيدنا ويكون حائلا بيننا وبينهم؟ طاعة البربر كلفتنا مجهودات كبيرة، والسلطان يعترف لنا بأننا وحدنا فتحناهم . وعليه فيظهر انه لا يرى بأسا في أن نتحكم فيهم كيف نشاء — (وفي ص ٢٢٩) ... ان البربر مسلمون ولكن الاسلام عندهم مجرد اعتقاد، فلماذا لا نفكر في انه يمكنهم يوما ما أن يختاروا قوانيننا؟ وعلى كل حال يكفي أن تفتح لنا هذه النظرة الهائلة الباب لنبدأ في العمل بلا تأخر»

تنفيذ سياستهم في البربر

وقد أتبعوا هذه الاقوال بالاعمال فأنشؤا المدارس الفرنسية البربرية ولا عربية فيها، وجعلوا اللهجة البربرية لغة رسمية تكتب بها التقارير والاحكام، وأخرجوا الفقهاء، وأقفلوا كتاتيب التعليم، وصادروا الشرع بهذا الظهير الذي سننشر المهم منه في هذا البيان، وصاروا ينشرون المسيحية بمختلف الوسائل

وهنا نشير الى بعض القبائل البربرية التي جاء عهد الحماية وقضاتها فيها حتى ألغى الفرنسيون وظائفهم وجلهم لا يزال حياً يرزق ؛ ففي قبيلة زيان حوالي عام ١٣٣٢ و١٣٣٣ كان متولياً القضاء فيها مولاي بوعزة بن محمد الادريسي : وفي قبيلة تاشوت السيد عبدالله ولد الحاج السومي وولي بعده السيد حمودة المباركي طرد من وظيفته ولا يزال حياً ، وفي آيت هودي سيدي مبارك السرغيني ، وفي قصبة بني وسعيد البراوي سيدي محمد الفرواوي ، وفي آيت يعقوب وعيسى وآيت احمد وعيسى وآيت إسحاق وبعض آيت شخمان سيدي محمد بن الكليب الهواري ، وفي بقية آيت شخمان وآيت يحيى وما جاورهما سيدي علي بن المكي الهاوشي ، وفي آيت بوزيد سيدي الخنصالي ، وفي آيت عباس وآيت حماد السيد احمد ولعباس التنفالتي ، وفي آيت أحناد سيدي احمد بن كراه ، وفي قصبة اشفيره الفقيه ابن الغازي ، وفي خنيفره مولاي علي الادريسي ، وفي احوازها سيدي احمد النوخي الزياني وفي آيت سكوكو السيد عبد الكريم بن العربي ، وفي آيت مغي سيدي محمد المتابي ، وفي بني مكيلد مولاي الصالح بابران» وكذلك غير هذه القبائل المذكورة كان لها القضاة الشرعيون ، فطردا الجميع وألغيت وظيفة القضاء الشرعي من قبائل البربر كلها

أهم نصوص الظهير السلطاني

أما الظهير السلطاني فهذا نص المهم منه ونترك الحكم فيه اليكم أيها المسلمون

(الفصل الاول) ان المخالفات التي يرتكبها المغربيون في القبائل ذات العوائد البربرية والتي ينظر فيها القواد في بقية نواحي مملكتنا السعيدة يقع زجرها هنالك من طرف رؤساء القبائل ، وأما بقية المخالفات فينظر فيها ويقع زجرها طبق ما هو مقرر في الفصلين الرابع والسادس

(الفصل الثاني) انه مع مراعاة القواعد المتعلقة باختصاصات المحاكم الفرنسوية بايالتنا الشريفة فان الدعاوي المدنية او التجارية والدعاوي المختصة بالعقارات او المنقولات تنظر فيها محاكم خصوصية تعرف (بالمحاكم العرفية) ابتدائيا اونهائيا بحسب الحدود (المقدار) التي يجري تعيينها بقرار وزيري ، كما تنظر المحاكم المذكورة في جميع القضايا المتعلقة بالاحوال الشخصية او بامور الارث وتطبق في كل الاحوال العوائد المحلية

(الفصل الرابع) ان المحاكم الاستئنافية المشار اليها (يعني في الفصل الثالث) تنظر أيضا في الامور الجنائية ابتدائيا ونهائيا بفصل زجر المخالفات المشار اليها في الفقرة الثانية من الفصل الاول اعلاه وكذلك زجر جميع المخالفات التي يرتكبها أعضاء المحاكم العرفية التي يطوق باختصاصاتها الاعتيادية رئيس القبيلة

(الفصل الخامس) يجعل لدى كل محكمة عرفية ابتدائية او استئنافية مندوب مخزني مفوض من طرف حكومة المراقبة للناحية التي يرجع اليها أمره ويجعل أيضا لدى كل واحدة من المحاكم المذكورة كاتب مسجل يكون مكلفا أيضا بوظيفة موثق

(الفصل السادس) ان المحاكم الفرنسوية التي تحكم في الامور الجنائية حسب القواعد الخاصة بها لها النظر في زجر الجنايات التي يقع ارتكابها في النواحي البربرية مهما كانت حالة مرتكب الجناية ويجري العمل في هذه الاحوال بالظهير الشريف المؤرخ في ١٢ أغست سنة ١٩١٣ المتعلق بالمرافعات الجنائية

(الفصل السابع) ان الدعاوي المتعلقة بالعقارات إذا كان الطالب او المطلوب فيها من الاشخاص الراجع أمرهم المحاكم الفرنسوية فتكون من اختصاص المحاكم الفرنسوية المذكورة ..»

إخواننا المسلمين ، هذه هي الحالة قبل الحماية وبعدها ، وهذه هي أقوالهم وأفعالهم ونياتهم نحونا ، وهذا هو الظهير الذي يؤيدهم خطتهم بصفة رسمية ، فهل بعد هذا يقال ان الفرنسيين يحترمون الدين؟ وهل بعد هذا نطالب على ما نقول بدليل؟

اننا أيها المسلمون بسطنا حالتنا اليكم ورجاؤنا في الله ثم فيكم ، فانصرونا ينصركم الله ، وأعينونا بقلوبكم الطاهرة وأدعيتكم الصالحة ، واحتجاجاتكم التي تزيدنا قوة ورجاء .

أيها المسلمون : هل ترضون أن يمحى دينكم من أرض المغرب : الارض التي أنجبت رجالا عظماء ، وعلماء وقوادا ، وملوكا مخلصين ، الارض التي سار أبناؤها مع طارق بن زياد وعبد الرحمن الغافقي وأسد بن الفرات فافتتحوا الامصار ونشروا دعوة الاسلام ، الارض التي انتصر أبناؤها للاندلس في أبلغ محنتها ، وأزمان بلائها أيها المسلمون ، يقول الله تعالى (انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم

في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبدا) ويقول (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) وإذا نجح الفرنسيون في هذه التجربة فسيفتح العالم الاسلامي فتحا دينيا لهم، وهو أقبح وأنكى من فتحهم الاقتصادي والسياسي، وإذا سدوا علينا طريق الدنيا بهذا الفتح فسيسدون علينا طريق الآخرة بذلك ، وماذا بقي للمسلمين في هذه الحياة غير إيمانهم بالله ورجائهم .

فخذوا حذركم أيها المسلمون وتبصروا ، واغضبوا لله ولدينكم، وانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، والسلام عليكم أجمعين . من إخوانكم : المغاربة المسلمين م

تلبية النداء والدعوة ، وكشف ما عليها من الشبهة

لبيكم أيها الاخوة لبيكم لبيكم ، ولعنة الله على كل من يدعي الاسلام ولا يهتم بأمركم، وقد ورد في الحديث « من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » (١) فكيف يقال فيمن لا يهتم بدينهم وهو دينه، وانه منهم اذا كان لا يهمه إخراج الملايين منهم عن الاسلام ؟ وقد بلغنا أن بعض أدعياء الفقه المنافقين قال ان البربر أعرق في الكفر من الافرنج يعني انهم يجهلون ما كتبه السنوسي في عقائده الثلاث ، ويفعل بعضهم من المعاصي ما يخل بالاسلام . وقد يقول بمثل هذا بعض المغرورين بدينهم ... ونقول إن البربر كلهم يؤمنون بان الله واحد ، وان محمداً ﷺ رسوله، وان القرآن كتابه، وان كل ما قاله الله و بلغه رسوله عنه حق . وما خالف بعضهم فيه من الاصول والفروع فهو عن جهل هم فيه معذورون لا عن جحود ولا عن عناد، وانما ذنب جهلهم بدينهم على حكامهم وعلمائهم فهم إذا تعلموه وقبلوه ، وفرنسة تقطع طريق العلم عليهم ، وتتخذ ذلك وسيلة لمحو الاسلام من تلك البلاد كلها ، وفيها ما لا يحصى من العارفين بدينهم على مذهب السلف والخلف، ممن رضي بعملها فقد رضي ملايين من المسلمين المؤمنين العارفين ومن الجاهلين المعذورين ، وسنفصل هذا في مقال آخر ان شاء الله تعالى

---

(١) وفي رواية بلفظ « من لم » رواه الحاكم والطبراني في الاوسط من حديث حذيفة مرفوعا والثاني من حديث أبي ذر أيضا

اصرار فرنسة على اخراج البربر من الاسلام

نشرت بعض الجرائد المصرية كتابان في شأن قضية البربر احدهما لسلطان المغرب والآخر لوزير فرنسة فيه يدلان على اصرار فرنسة على خطتها في اخراج شعب البربر من الاسلام وعلى ان كل ما تحاوله الآن هو استخدام ما بقي من احترام السلطان و نفوذه لالزام المسلمين الرضاء بذلك و إخماد نار الاضطراب الذي وقع وتهوين الخطب العظيم الذي أوقدها . وانا ننشر الكتابين ونبين في تعليقنا على كل منهما مايثبت كل ما يشكو منه المسلمون في المغرب وغيره من هذا العدوان ، وينقض ماادعاه الوزير المفوض بمصر في بيانه الذي نشرناه في الجزء الماضي من اساسه .

كتاب السلطان

(في اقرار فرنسة على جنايتها ، ودعوة حكومته ورعيته لقبولها)

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

إلى خدامنا الباشاوات وكافة الاهالي نخص منهم الشرفاء والعلماء والاعيان ، وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فغير خفي ان للقبائل البربرية عوائد قديمة يرجعون اليها في حفظ النظام ، ويجرونها في ضبط الاحكام ، وقد أقرهم عليها الملوك المتقدمون من أسلافنا ومن قبلهم ، فتمشوا على مقتضاها منذ مدة مديدة ، وسنين عديدة ، وكان آخر من أقرهم على ذلك مولانا الوالد ، قدس الله روحه في أعلى المشاهد ، اقتداء بمن تقدمه من الملوك ، واجابة لآمالهم ، ورغبة في إصلاح حالهم ، وحيث ان ذلك من جملة الانظمة المحترمة اقتضى نظرنا الشريف تجديد حكم الظهير المذكور ، لان تجديده ضروري لاجراء العمل به بين الجمهور وقد قامت شرذمة من صبيانكم الذين يكادون لم يبلغوا الحلم وأشاعوا « ولبئس ماصنعوا » ان البرابرة بموجب الظهير الشريف تنصروا ، ومادروا عاقبة فعلهم الذميم وما تبصروا ، وموهوا بذلك على العامة وصاروا يدعونهم لعقد الاجتماعات بالمساجد عقب الصلوات لذكر اسم الله تعالى اللطيف ، فخرجت المسئلة من دور

التضرع والتعبد، إلى دور التحزب والتمرد، فساء جنابنا الشريف ان تصير مساجد قال الله في حقها (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) الآية محلات اجتماعية سياسية تروج فيها الاغراض والشهوات. ومعلوم لدى الخاص والعام ان مولانا السلف الصالح كان أحرص الناس على إيصال الخير لامته، فكيف يعقل أن يسعى في تكفير جزء عظيم من قبائل رعيته، ونحن والحمد لله سائرون على أثره في ذلك، ساهرون على دفع كل ضرر يلحق برعايانا السعيدة، فليس ابقاء تقرير البرابر على عوائدهم إلا مساعدة من جنابنا الشريف على محض طلبهم، واجراء لهم على ما كانوا عليه منذ أزمان طويلة، على اننا قررنا ان كل قبيلة بربرية تطلب اجراء الاحكام الشرعية عندها تساعد على ذلك فوراً، ويعين لها القاضي من لدن جنابنا الشريف حرصا على صيانة دينها، وبرهانا على مالنا من الذود عن حرمة الاسلام في بلادهم، فآمركم أن تلزموا السكينة والوقار، وأن ترجعوا إلى سلوك الجادة والاعتبار، أصلح الله عنه ودائم لطفه أحوالكم، وهذا كم لما فيه الخير من حالكم ومآلكم، والسلام في ١٣ ربيع النبوي الانور عام ١٣٤٩

(الرد على كتاب السلطان وكونه حجة عليه لا له)

(١) قوله: ان أسلافه من الملوك أقروا عوائد البربر القديمة. غير مسلّم على إطلاقه كما علم من البيان السابق، ولئن صح لم يكن حجة شرعية على جواز إقراره هو ما خالف الشرع منها، فان أسلافه لم يكونوا معصومين، ولا يقول مسلم يعرف دينه إن إقرارهم أو قولهم أو فعلهم حجة في دين الاسلام بل هو معصية فيما ذكر، واستحلال ما خالف الشرع منها مخالفة قطعية كفر وارتداد عن الاسلام. ومنه يعلم حكم الظهير الذي أصدره أبوه والظهير الذي أصدره هو

(٢) قوله في الذين أثاروا هذه المعارضة الاسلامية من الشبان: انهم شرذمة من الصبيان الذين يكادون لم يبلغوا الحلم - ليس في مصلحة جلالته فان أكثر الذين يعنيهم أكبر منه سناً وعلماً، وقد رأينا فيهم الكتاب البلغاء ونرى كتابه هذا في غاية الركاكة والضعف، فكيف يصح أن يكون هو سلطانا وشارعاً ينسخ شرع الله وهو شاب مثلهم وأصغر من كثير منهم، ولا يصح أن ينكروا هم ما هو مخالف لدينهم، وخطر على

بلادهم ؟ وكيف أمكنتهم أن يثيروا البلاد كلها لولم يكن فعلهم دفاعا عن الاسلام ؟

(٣) قوله انه ساءه من اجتماعات الامة في المساجد لذكر اسم الله اللطيف أن تصير المساجد محلات اجتماعية سياسية وقد قال الله في حقها (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) يدل على أن الذي كتب له هذا الكتاب لا يعقل معناه ولا أنه مخالف لدين الاسلام وسيرة النبي ﷺ (أما الاول) فلأن عملهم موافق للآية الكريمة لانه ذكر لاسمه « اللطيف » والانكار عليه هو المخالف لها (وأما الثاني) فلأن مسجد النبي ﷺ كان في عصره وعصر خلفائه الراشدين محلا للاجتماعات السياسية والاجتماعية المتعلقة بمصلحة الملة ولم يكن هنالك « مخزن » لذلك ويظهر أن الذي وضع له هذا الكتاب من رجال فرنسة لا من منافقي المخزن عنده لأن الافرنج ودعاتهم من النصارى هم الذين يفرقون هذه التفرقة بين الدين والسياسة

(٤) ما ذكره من حرص سلفه على إيصال الخير لأمته وسيره هو على أثره . واستدلاله على ذلك بانه لا يعقل أن يسعى لتنصير جزء عظيم من قبائل رعيته — يجاب عنه (أولا) بأن المسألة ليست بالدعوى والنظريات العقلية وانما هي نازلة واقعة وقضية عملية مشاهدة (وثانياً) بأن أمره ليس بيده وانما هو مسخر للقوة الفرنسية التي يستند اليها في منصبه

(٥) قوله : أن اقرار البربر على عاداتهم ليس إلا مساعدة من جنابه الشريف على طلبهم — إذا سلمناه كان حجة عليه اذ لا يبيحه له الاسلام كما تقدم ، وانما تحتج به فرنسة على من ينكرون عليها اكراه الناس على ترك دينهم وهو مخالف للتقاليد المدنية ، وللقوانين الدولية . وهذا دليل على أنها هي الواضعة له هذا الكتاب

(٦) قوله : اننا قررنا أن كل قبيلة بربرية تطلب إجراء الاحكام الشرعية — الى قوله — حرصاً على صيانة دينها — هو نص رسمي منه على أن النظام الذي جرى عليه العمل في ظهيره وظهير والده هو خروج بالبربر عن حكم الشريعة وعن دينهم وانه هو لا يأمر برجوعهم اليها إلا إذا طلبوا ذلك . وهذا ينقض أقواله السابقة مع العلم بان قوله بمساعدة الذين يطالبون ذلك فوراً ليس بيده وقد اشترط فيه صاحب السلطان الفعلي وهو الوزير الفرنسي ما يجعله محالا كما يعلم من كتاب هذا الوزير وهذا نصه :

كتاب الوزير الفرنسي الجديد

في معنى كتاب السلطان

بلغني ان الظهير الشريف المؤرخ بالسادس عشر من شهر مايو سنة ١٩٣٠ المتعلق بتنظيم المحاكم البربرية فهم منه ماليس بمقصود حتى من قبل الولاة المحليين

وفي الحقيقة ان ماأصدره جلالة السلطان ليس فيه مايحدث شيئا جديداً ، بل المراد منه هو تنظيم الجماعات البربرية المكلفة بالاحكام ، واعطاؤها صبغة قانونية بحيث تصير أحكامها صالحة لان تنفذ على البرابرة وغيرهم ، وان الظهير المشار له قد أقر حالة كان يتمشى عليها من قديم الزمان ، فلافائدة حينئذ في استعماله لغاية دون الغاية التي قصدها ، واحداث أمور جديدة يتمسك بها ذوو الشهوات الذين لايعتمدون على أدنى شيء في أقوالهم

فلا ينبغي والحالة هذه السعي في جعل الجماعات البربرية المبرءنها بنزرفه تقف في وجه الشرع ، بل الذي يحسن سلوكه هو إجراء الظهير المذكور برفق ولين لتطمين النفوس وتسكين الخواطر

أما الذين كانت لهم الحرية من قديم في رفع دعاويهم لدى الشرع وان كانوا قاطنين في بلاد البربر فالاولى هو إبقاؤهم على ما كانوا عليه ، ولا يمكن الآن إجبارهم على الانقياد إلى المحاكم البربرية ، لما ينشأ عن ذلك من حوادث متعددة

وكذلك إذا رغبت بعض الافخاذ المستعربة في البقاء على إجراء دعاويهم لدى الشرع مثل ما كانت تفعله قبل فلا مانع من إجابة مرغوبها ، بل إذا صرحت بعض القبائل أو الافخاذ ممن كانوا منقادين إلى الجماعات البربرية واتفقوا باجمعهم على سلوك منهج الشرع فان جلالة السلطان مستعد لتلبية طلبهم وتعيين قاض لهم

هذا وان الطلبة والفقهاء الذين كانوا قائمين بمهمتهم بالقبائل البربرية الى الآن بلا مانع فلا يمنعون من الدخول اليها ، ومثلهم مشايخ الطرق الذين يتجولون بالقبائل المذكورة لاجل جمع الصدقات حتى تبقى مسالة الترخيص لهم في الدخول

منوطة بالادارة العليا كما كان العمل به جاريا قبل

وبالجملة فانه من المصلحة البينة أن يعلم كل واحد بان الظهير الشريف المؤرخ بالسابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٨ لم يصدر ليكون آلة جبر بل ليجري العمل به بلين ورفق . اه

﴿ تفسير كتاب الوزير الفرنسي المقيم بالمغرب وكونه حجة عليهم ﴾

(١) قال: ان ما أصدره السلطان هو إعطاء تنظيم البربر صيغة قانونية به « تصير أحكامها صالحة لأن تنفذ على البربر وغيرهم » ونقول هذا نص صريح بأن ماينفذونه الآن بمقتضى الظهير المذكور في البربر يراد جعله أساساً لأجل تنفيذه في العرب ! وهو تصريح بعزم فرنسة على إلغاء الشريعة الاسلامية من بلاد المغرب كلها (فليتأمل المسلمون) ولكنه أمر المنفذين له الآن بالرفق واللين لتسكين الخواطر الثائرة

(٢) قال : ان الذين كانت لهم الحرية من قديم في رفع دعاويهم لدى الشرع وان كانوا قاطنين في بلاد البربر فالاولى عدم إجبارهم (الآن) على الانقياد إلى المحاكم البربرية لما ينشأ عن ذلك من الحوادث المتعددة — ونقول هذا نص صريح [illegible] البربر ممنوعون من رفع دعاويهم إلى الشرع ، وفي أن غيرهم وهم العرب لا يجبرون الآن على ذلك اتقاء للحوادث أي الثورة ، وتقييد ذلك بقوله (الآن) دليل على انهم سيجبرونهم على ذلك بعد أن تسكن ثورة الامة ويزول هذا الهياج بنصائح السلطان ورجاله ، ورشوة رئيس الجمهورية لمن رشاه منهم

(٣) قال اذا رغبت بعض القبائل أو الافخاذ واتفقوا باجمعهم على سلوك منهج الشرع فان جلالة السلطان مستعد لتلبية طلبهم وتعيين قاض لهم . ونقول ان هذا هو القيد الذي قيد به الوزير قول السلطان في المسالة السادسة من تعليقنا على كتاب جلالته ، وهو أنه لايقبل طلب أحد من البربر ولا من الافخاذ المستعربة المشار إليها أن يسلكوا منهج الشريعة الا إذا أجمعوا على ذلك ، ومعلوم ان هذا الشرط لايمكن تحقيقه في قبائل أكثرهم أميون جاهلون وهو طلبهم جميعهم لما ذكر ، وان حكامهم الفرنسيين يمكنهم أن يمنعوهم منه إذا أرادوه ، أو

تمنعوا بعضهم على الاقل فلا يتحقق الشرط الذي قيد به الطلب وهو ان يتفقوا عليه ويطالبوه بأجمعهم . وهو دليل رسمي على قطع هذا الطريق عليهم

(٤) ما ذكره الوزير في مسالة طلبة العلم والفقهاء الذين كانوا قائمين بمهمتهم في قبائل البربر ومشايخ الطرق الذين يجمعون الصدقات من حيث عدم طروء مانع يمنع من دخولهم إليها ، ومن حيث إبقاء مسالة الترخيص لهم في الدخول الى بلاد تلك القبائل ، هو دليل على صحة ما يشكو منه المسلمون من الحيلولة بين قبائل البربر وأهل العلم الديني وطرق الصوفية ، وعلى أن كل ما تجدد من المعاملة لتسكين الهياج هو أنه يجوز دخول من لا ترى السلطة الفرنسية هنالك مانعاً من دخولهم برخصة من ادارتها العليا ، فالحجر على الدخول باق ، والرخصة المنوطة برجال فرنسة لمن يثقون به لم يرفع الحجر بالطبع ، ولا يعتقد أحد انهم ينفذونه بالفعل ، اذ يستحيل أن يمنحوا هذه الرخصة لمن يعلمون أو يخشون ان يعلم البربر شيئاً من أمر دينهم . فهو محاولة لتسكين الاضطراب في مدن المغرب وفي غيرها بألفاظ مبهمة ككلمة الوزير التي ختم بها كتابه وهو انه يجب تنفيذ المشروع باللين والرفق

فالكتابان الرئيسيان حجة على مصدريها ، وناقضين لما كانت أذاعته المفوضية الفرنسية هنا من بقاء البربر مسلمين حالا واستقبالا

نصيحة علنية لفرنسة أو أحرارها

(١) اننا لا نجهل تاريخ فرنسة الحربي وما تفوق به غيرها من دول اوربة اليوم من قوتها العسكرية ، ولكننا نعتقد أن هذه القوة تخشى أن تقتلها كما جرى لعدوتها ألمانية عند ما فاقت اوربة كلها بالقوة . ونعتقد ان فرنسة غير غافلة عن هذا الخطر عليها ، وان رجلها ووزيرها مايبران لم يقترح المحال من توحيد اوربة حبا في السلم ، بل لتأمين فرنسة من خطر الحرب المنتظرة ، فاذا كانت كل من فرنسة وانكلترة لا تحارب الاخرى لاخراجها من إحدى مستعمراتها كما قال أحد ضباطها في المغرب الاقصى واهما أو موهما ، فقد تحاربها ألمانية لاسترجاع حقوقها ومجدها ،

أو ايطالية لارضاء مطامح وزيرها وشعبها ، ومشاركة فرنسة في مستعمراتها . ولولا التنازع على الاستعمار لما وقعت الحرب الكبرى الاخيرة ، وان الحرب المنتظرة لاجل الاستعمار والثار معا لا كبر هولا وأعظم خطراً

(٢) اننا لانجهل ضعف شعوبنا الاسلامية او الشرقية تجاه فرنسة وغيرها من الدول القاهرة لهم بالقوة العسكرية ـ ولكننا نعلم أن هذا الضعف قد بدأ يتحول الى قوة ، كما ينتظر أن تنقلب قوتهم إلى ضعف ، وانما يستحيل الضعف قوة بمعرفة الشعوب لا نفسها ، وشعورها بالحاجة الى تنظيم وحدتها ، واعتقادها بصحة قاعدة موقظي الشرق (الحكيم الافغاني والامام المصري) : ان القوة الآلية القليل عمالها ، لايدوم لها الغلب على الكثرة العددية اذا اتفقت آحادها . وقاعدتهما في استحالة إبادة أمة لامة كبيرة تماثلها او تزيد عليها في العدد ، وقاعدتهما « العاقل لايظلم فكيف اذا كان أمة » فابادة فرنسة لمسلمي افريقية او تنصيرهم ضرب من المحال ، واستمرار استعبادها واستذلالها لهم بالقوة ضرب من المحال

(٣) ان الاسلام حي لايموت ، والقرآن كلام الله الحي الذي لايموت ، بل هو العلاج الوحيد الذي يمكن أن ينقذ أوربة من الهلاك الذي تنذرها إياه مفاسد الحياة المادية ، فتنصير شعب إسلامي من المطامع التي لاتنال، والغايات التي لاتدرك، وما كان مايرونه من ضعف المسلمين ووجود أعوان لهم منهم الا بجهلهم بالقرآن، الذي ردى بعضهم في الالحاد والبدع والفسق وضعف الايمان ، فبهذا وجد المستعمرون في المغرب والمشرق من أمراء المسلمين ورؤسائهم ـ ومن حملة العمائم والطيالس والبرانس أيضا ـ من هم أقوى على اخضاع المسلمين لها من قواد جيشها، وأقدر على هدم دينهم من أساقفة النصرانية ودعاتها ، ولولا هم لما تمكنوا في شيء من بلادها ، كما تبين من شواهد الجزء الماضي في مقالة (آفة الشرق)

(٤) يقول (الكابتن ادينو) لمسلمي المغرب في كتابه الحديث (السياسة الصريحة) انكم تعتقدون ان استيلاءنا عليكم وقهرنا لكم هو حكم قضاء الله وقدره بحسب عقيدتكم ، فيجب عليكم أن ترضوا به ولا تعارضونا فيه . ونرد عليه بان مسألة الرضاء بالمقضي والمقدر من جهالات بعض الصوفية المخالفة لاصول الاسلام

وانما الواجب على المؤمن أن يؤمن بان كل شيء بقدر الله وقضائه ولا يجوز له أن يعترض على الله فيه . ولكن لايجب عليه أن يرضى بكل ماقدره الله تعالى بل لايجوز له أن يرضى بالكفر، ولا بالفسق ولا بالفحشاء والمنكر ،لان الله تعالى لا يرضى بذلك أيضا كما قال (ولا يرضى لعباده الكفر) ولا أن نرضى بالظلم والضرر وقد أمرنا أن ننكر المنكر ونغيره بما نستطيع وهو مقدر، وأن نفر من الوباء والامراض ونقاومها بالادوية وهي مقدرة . كما قيل لسيدنا عمر أمير المؤمنين لما امتنع من دخول الشام لوجود الوباء فيها : أنفر من قدر الله ؟ قال نفر من قدر الله الى قدر الله، وقال امام الصوفية وقطبهم الاكبر في عصره الشيخ عبد القادر الجيلاني مامعناه اننا نغالب الاقدار بالاقدار ، ولكن بدعة الصوفية نشرت هذه الافكار التي استخدمتها فرنسة لاخضاع جهلة المسلمين بها ، واخماد الشعور الاسلامي بوجوب مقاومة الكفر والالحاد والبدع والسلطة الاجنبية ،ولو بالقوة الحربية ، كوجوب مقاومة الاوبئة والامراض بالادوية المجربة والوقاية الصحية ولماذا لاتقولون للمسلمين يجب عليكم أن ترضوا بهذه الامراض لانها مقدرة ؟

(٥) ان الشعوب الاسلامية قد تنبهت لمفاسد هؤلاء الرؤساء الذين يستخدمهم المستعمرون لاستعباد المسلمين، وسنراهم بعد قليل من السنين يجاهدون هؤلاء الرؤساء المنافقين ، كما يجاهدون سادتهم الذين يجاهدون بهم الاسلام والمسلمين، فلا يخضعون لظهير ولا لمرسوم ولا لأمر عال ، ولا لفتوى يصدرها مفت موظف في حكومة استعمارية او إلحادية يراها مصدر رزقه وجاهه في هذه الدنيا .ثم يتلوه زمان قريب لايقبلون سلطانا ولا أميراً ولا مفتيا ولا قاضيا ولا صاحب منصب آخر في أمتهم، الا اذا كان مجلس الامة هو الذي يختاره ويرضاه ،بشرط تقييده باتباع شرع الله ،والتزامه مصلحة الامة التي تقررها جماعة أولي الامر وأهل الحل والعقد من نوابها

واذا كان الله تعالى قد أرشدهم في كتابه وسنة رسوله ﷺ الى ان الطاعة لاتكون الا في المعروف ، وانه « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » كما رواه الإمام احمد والحاكم بسند صحيح عن النبي ﷺ و « لاطاعة لأحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف » كما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث علي

مرفوعا أيضا . وجعل لهم القدوة في ذلك الرسول المعصوم فقال في آية المبايعة (ولا يعصينك في معروف) مع العلم بانه لا يأمر الا بالمعروف، فهل يطيعون من ينصبه لهم المستعبدون من ملك او سلطان أو باي او امير او وزير؟ او موظفيهم السياسيين أو الشرعيين في ترك الشريعة واباحة الكفر والمعاصي؟ او يعملون بقول مثل شيخ جامع او مفت في بلاد مستعمرة أو يقتدون بفعلها و اقرارها لما يخالف الشرع كما جرى في مؤتمر دعاة النصرانية (الافخارستي) في تونس ؟ كلا ، ثم كلا ، ثم كلا

(٦) لقد أسرفت فرنسة أكثر مما أسرف غيرها في احتقار الامة الاسلامية فلم تبال بما ماجت به من اضطراب جميع شعوبها لجرأتها على الشروع في تحويل شعب البربر عن الاسلام تمهيداً لتنصير سائر المسلمين العرب في جميع مستعمراتها، حتى ان رئيس جمهوريتها قد سافر الى بلاد المغرب ليشد عزم السلطان وحكومته الصورية على الثبات والاستمرار على تنفيذ الجريمة التي تنافي اسلام كل من يرضى بها وتقتضي ردته أي كفره كما صرح به البيان الاسلامي العام ، الذي أمضاه كثير من العلماء الاعلام ، ونشرته جمعية الشبان المسلمين في العالم كله ، وكنا نظن أنه انما ذهب ليتلافى الفتنة ويقف تنفيذها ، فخاب الظن بالحكومة الفرنسية . وسبب هذا انها تظن أن العالم الاسلامي قوال غير فعال، ولا سيما مسلمي مصر ، فلا يمكنه أن ينفذ ما أنذرها اياه في البيان العام المشار اليه من مقاطعة تجارتها ، واعلان عداوتها ، لأنه لا بد من وضع نظام لذلك قبل الشروع فيه ، والمسلمون في رأيها لا يثبتون على نظام . وتظن أيضا ان أهل المغرب الفرنسي من تونس الى مراكش لا يمكنهم بث الدعوة الى الاستفادة من الحرب الاوربية المنتظرة بالثورة على فرنسة واخراج جميع رجالها من بلادهم ، او بعدم اعطائها أحداً من الرجال للقتال معها ، وهي تعلم انها لا يمكنها أن تقهرهم على هذا مهما يكن عدد جندها في بلادهم، وتعلم انه قد ثبت عندهم ان عصيانها في ذلك لا يمكن أن يفضي الى قتل عشر العشر مما يقتل فيهم في الدفاع عنها . كما انهم يعلمون ان الحرب القابلة ستكون أشد فتكا وابادة من الحرب التي قبلها ، التي قتل منهم مئات الالوف فيها، فاذا علمت أن هذه الظنون في المسلمين في غير محلها، فانها ترجع عن غيها لمصلحتها ، فهل يمكنهم اعلامهم بهذا ؟

﴿ الاحتفال بذكرى جلوس جلالة الملك محمد نادر خان ﴾

﴿ على عرش الافغان ﴾

قد تم حول كامل لاستواء محمد نادر خان على عرش الافغان فاحتفل في تلك البلاد وفي الوكالات السياسية التابعة لها بذكرى جلوسه الميمون الذي قضى على سياسة الالحاد والفساد التي جرى عليها سلفه الطالح امان الله خان

وقد شهدنا حفلة المفوضية الافغانية في دار السفارة في هذه العاصمة، في ٢٤ من هذا الشهر (١٦ اكتوبر) وقد أجاب دعوة وزيرها العالم المرشد الشهير (جلالة مآب السيد محمد صادق المجددي) جمهور من العلماء والكبراء الرسميين وغير الرسميين من الوطنين والاجانب، وبعد أن شربوا الشاي وتناولوا معه انواع الحلوى نهض صاحب السعادة الوزير الجليل فارتقى سلم الدار ووقف بأعلى السقيفة التي امامه فاستقبل الجمهور الجالسين في الحديقة وألقى خطابه مفتتحاً اياه بتلاوة آيات من خواتيم سورة آل عمران في مناجاة الله عز وجل (ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا) الآيات وكان الخطاب بعدها بالفارسية لغة الافغان الرسمية ولكنه قفى عليه بآخر في معناه باللغة العربية التي يجيدها إجادة علماء الدين في بلاده وهو من كبارهم، فنوه بمآثر جلالة الملك المعظم والاغتباط بالموالاة الودية بين حكومته وحكومة جلالة الملك المعظم، فصفق له الحاضرون مرارا . وختم خطابه بتكبير العيد.

وبعد انتهاء الحفلة أذن المؤذن لصلاة المغرب وفرشت الطنافس الشيرازية في خص (كشك) خشبي في جهة القبلة وفي جوانبه فنهض المصلون واصطفوا مؤتمين بالوزير . وبعد الفراغ من الصلاة ودع الجمهور سعادة الوزير مهنئين له بهذا العيد السياسي السعيد، وقد سر من حضر من علماء المسلمين وسائر طبقاتهم وانشرحت صدورهم بهذا الاحتفال لانه لم يسبق له نظير في بلادهم، فهذه أول مرة شاهدوا فيها وزيراً معمما يفتتح خطابا رسمياً بكتاب الله ويختمه بذكر الله وتكبيره . فنهنيء سعادته ودولة جلالة ملكهم المسلم المصلح بهذه الذكرى الحميدة، ونسأله تعالى ان يوفقه للمضي في الصراط السوي من اصلاح بلاده وأمته في أمور دينهم ودنياهم بما تقتضيه هداية الاسلام ومصالح المسلمين في هذا العصر

المعاهدة العراقية بين المنار ونوري باشا

نشرنا في الجزء الثاني من المنار مقالا بينا فيه رأينا في هذه المعاهدة ونشرته جريدة المؤيد الجديد بمصر وجريدة الجامعة العربية في القدس مع اختصار، واحدى جرائد العراق فغاظ ذلك نوري باشا السعيد رئيس الوزارة العراقية فلقن جريدة العراق لسان حاله مقالا في الطعن على شخص صاحب المنار والافتراء عليه لم يكن مثله يليق بمنصب الوزير وأدبه ولا بما كان له من التردد على صاحب المنار والتودد له والمالحة ؛ أما المعاهدة فقد زعم انه لم ينطق أحد باستنكارها وبيان مضارها الا الغراب الذي نعب بمصر وغراب آخر رجع صداه في العراق، فان كان لهذا القول مكان من الصدق فالشرف فيه لصاحب المنار أنه كان الاول المقدم لهذه الحملة الصادقة التي حملها أعظم زعماء العراق على المعاهدة ولكن بعد نفوذ السهم وزعم أنه لم يكن له شأن في المسألة العربية.. كأنه يجهل أنه أحد مؤسسي الحركة العربية وخطباء (المنتدى الادبي) العربي في الآستانة وحزب الاتحاد السوري بمصر، وكأنه من حزب الاستقلال العربي وانه المؤسس الاول لجمعية الجامعة العربية، وكأنه نسي تردده هو وغيره من الضباط عليه عند ما يجيئون مصر وعند ما يسافرون منها، وقوله له عند ما ودعه هو بداره آخر مرة في أيام الحرب : يا نوري اني حجة الله عليكم قد أخبرتكم ان الانكليز يستخدمون شرفاء مكة والثورة العربية في القضاء على الاتراك والاستيلاء على العرب، فلا تكونوا آلة في يدهم لاستعباد أمتكم واضاعة مستقبل بلادكم، بل اتخذوا فرصة احتياج الانكليز الى العرب لجمع ما تقدرون عليه من المال والسلاح وادخاره، مع السعي لجمع كلمة أمراء العرب وزعمائهم الخ

وزعم أيضا أن صاحب المنار كان اتحاديا مع الاتحاديين وائتلافيا مع الائتلافيين وهاشميا مع الهاشميين يتملق للحسين وأولاده. ونوري باشا يعلم كغيره أن كل هذا افتراء وبهتان، فصاحب المنار لم ينتظم في حزب من هذه الاحزاب، وانه كان نصح للشريف حسين من قبل بمثل ما نصح به له ولجعفر باشا من بعد أي بان يبادر الى عقد حلف بينه وبين الامام يحيى والامام عبد العزيز بن سعود والسيد الادريسي، فاظهر له القبول فوعده بالمساعدة على هذا الاساس لانه أساس الجامعة العربية التي أقسم نجله الامير عبد الله لصاحب المنار اليمين على العمل بقانونها، ولكن الملك حسينا نكص ونكث فحمل عليه صاحب المنار تلك الحملات المعروفة. وأما جلالة الملك فيصل فلا يجهل نوري باشا موقف صاحب المنار معه في دمشق وتلك الكلمات المشهورة له التي سماها مؤرخ الشام الاستاذ محمد كرد علي «الكلمات التاريخية» كما انه لا ينسى انه كان رئيس المؤتمر السوري العام في دمشق الذي جعل فيصلا ملكا - وانه واقف على اخباره هو في الوساطة بين الملك فيصل والجنرال غورو حتى في عهد ذلك الانذار الشائن المهين... ولا ما قاله له عند ما عاد بجلالته ليلا الى دمشق بعد احتلال الجنرال غورو اياها؟ وانه أنكر انه هو الذي أشار برجوع الملك الى الشام، ولطخ بذلك غيره من حاشيته.

صاحب المنار يكتب في المسالة العربية للنصيحة والارشاد واقامة الحجة على الجناة على أمتهم كما صرح بذلك لنوري وجعفر وغيرهما في أيام الحرب العامة وقد صدق رأيه بعدها، وسيظهر للامة العربية كلها صدقه في معاهدة العراق وان كان لا يود ذلك

﴿ الشيخ ابو بكر خوقير ﴾

تتمة ترجمته

وله مصنفات نافعة منها (١) (فصل المقال ، وارشاد الضال ، في توسل الجهال) طبع في مطبعة المنار بمصر ، و (٢) مسامرة الضيف ، في رحلة الشتاء والصيف ، طبع في بيروت . و(٣) ما لا بد منه في امور الدين طبع في مصر ، و (٤) حسن الاتصال ، بفصل المقال ، في الرد على بابصيل وكمال ، و (٥) السجن والمسجونون (٦) مالا غنى عنه ، شرح مالا بد منه (٧) التحقيق في الطريق في نقد الطرق المتصوفة . وهذه المصنفات لم تطبع وهي جديرة بالطبع .

وكان يقرأ لطائفة من الطلاب دروسا في العلوم الدينية والتاريخية وغيرها في بيته بعضها بالنهار وبعضها بالليل ، وهو لم يتعرف إلى الملك عبد العزيز آل سعود امام السلفيين ولم يطلب منه مساعدة ولا وظيفة على كونه أكبر علماء السلفيين وفقهاء الحنابلة في الحجاز ، ولكن دله عليه بعض العارفين بقدره فجعله مدرسا في الحرم الشريف قبل وفاته بسنة .

توفاه الله تعالى فى بلدة الطائف مصطاف الحجاز فى يوم الجمعة غرة ربيع الاول من هذا العام بمرض الزحار عن عمر ناهز السبعين رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وجمعنا به فى دار القرار ، مع المقربين والابرار

(استدراك على ما نشر من الترجمة في الجزء الثالث)

في عام ١٣٢٤ و ١٣٢٥ كان الشريف علي باشا أمير مكة وهو الآن مقيم بمصر وفي إمارته كان الشيخ أحمد فتة الشافعي مفتيا للحنابلة وكان الذي يكتب له الفتوى ويستشار فيها الشيخ أبو بكر خوقير

لما صار الشريف حسين أمير مكة في سنة ١٣٢٧ عين الشيخ أبا بكر خوقير مفتياً للحنابلة ثم عزله ، وعين الشيخ عبد الله بن حميد النجدي مفتياً للحنابلة بمكة وحفيد الشيخ محمد بن حميد مفتي الحنابلة بمكة سنة ١٢٩٠ وهو مؤلف (السحب الوابلة في تراجم الحنابلة ، ذيل الطبقات للحافظ ابن رجب

ثم عزل عبد الله بن حميد وعين الشيخ عمر باجنيد الشافعي مفتياً للحنابلة وهو من علماء مكة القبوريين — والآن دخل الوكر — وهو تلميذ بابصيل تلميذ دحلان . وقد استدركت بهذا على عبارة الترجمة لئلا يقول الناس ليس بين خوقير وباجنيد اتفاق حتى يكتب له الفتوى (م . ن)



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

(٢٩ رجب سنة ١٣٤٩ هـ ٢٨ القوس سنة ١٣١٠ هـ ش ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٠)

فتاوى المنار

ليلة النصف من شعبان

(س٣٦) لدينا أسئلة متعددة عما يشرع في ليلة نصف شعبان وقد سئلنا عنها مراراً في السنين السابقة وأجبنا بما حاصله : أن ما جرت به العادة فيها من الاحتفال في المساجد بدعة نهى عنه الفقهاء وانكروا ما يقع فيه من المنكرات حتى إيقاد المصابيح الكثيرة . وقد ورد في قيام ليلة النصف وصلاتها أخبار وآثار موضوعة وحديث ضعيف رواه ابن ماجه من حديث علي (رض) مرفوعا « إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها » وزاد فيه عبد الرزاق في مصنفه « فان الله عز وجل ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء فيقول ألا مستغفر أغفر له ، ألا مسترزق أرزقه ، حتى يطلع الفجر »

وأما دعاء شعبان المشهور فاحيل السائلين عنه على ما هو أقرب اليهم مما كتبته من قبل وهو ما كتبه الاستاذ الشيخ علي محفوظ المدرس بقسم التخصص بالازهر في كتابه (الابداع في مضار الابتداع) قال : ومن البدع الفاشية هذا الدعاء الذي يجتمعون له ليلة النصف من شعبان في المساجد عقب صلاة المغرب يقرءونه بأصوات

مرتفعة بتلقين الامام فانه مشكوك فيه ، وكل الاحاديث الواردة في ليلة نصف شعبان دائر أمرها بين الوضع والضعف وعدم الصحة . ثم ذكر أقوال العلماء في ذلك .
وقد قرظ هذا الكتاب بعض كبار علماء الازهر المعاصرين وقرظناه في هذا الجزء

﴿ أسئلة من جاوة ﴾

(س ٣٧ — ٤٢) من صاحب الامضاء في سمبس (برنيو)

مولاي الاستاذ المصلح العظيم صاحب المنار الاسلامي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فاني أرجو أن تتفضلوا بالجواب عن أسئلتي الآتية بأسرع ماأمكن فانه قد حمي في جهاتنا ـ اللاوية الآن ـ وطيس التنازع والتخاصم فيها بين أهل التقليد الجامدين ، وبين محبي الاصلاح والمصلحين ، واني أرى ان عاقبة ذلك غير محمودة فان ضرره أكبر من نفعه ، وهي :

١ — هل يجوز لاحد تلقين الميت بعد الدفن بنحو ماورد من حديث أبي أمامة أم يحرم عليه ؟ وهل هو بدعة ضلالة أم لا ؟ وقد قرأت قولكم في ج ٦ م ١٧ من المنار مانصه : ـ وجملة القول ان التلقين لم يثبت بكتاب الله ولا بسنة رسوله ولا قال أحد من المحققين انه سنة ، بل قال بعض الفقهاء باستحبابه للتساهل في العمل بالحديث الضعيف والاستئناس له بما يناسبه ، والبرماوي ليس قدوة ، وكم في كتب أمثاله وكتب من هم أعلم منه من البدع ، فلا ينبغي لأحد أن يثق إلا بما يصرح المحققون بثبوت نقله عن النبي ﷺ وجمهور السلف دون مايذكر غفلا اهـ

أفلا يجوز لأحد اتباع بعض هؤلاء الفقهاء الذين قالوا باستحبابه للتساهل في العمل بالحديث الضعيف في ذلك ؟

٢ — هل يجوز التلفظ بنية نحو الصلاة تبعاً لما قال الامام النووي في المنهاج : ويندب النطق قبل التكبير اهـ أم لا لعدم وجود ذلك لا في الكتاب ولا في السنة ؟

٣ — هل يجوز لأحد أن يصلي صلاة الحاجة عملا بحديث عبد الله بن أبي أوفى ؟ قال : قال رسول الله ﷺ « من كانت له الى الله حاجة أو الى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين وليثن على الله تعالى »

الحديث رواه الترمذي وقال حديث غريب اه الجزء الاول من المغني للامام ابن قدامة وميدان هذا التنازع والتخاصم جريدة «سوْدارا» الملاوية التي تصدر في فلفلان

(٤) هل المدارس العالية بمصر تضاهي المدارس العالية في أوربا كانكلترا وفرنسة والمانية وسويسرة وهولاندة في جميع العلوم والفنون واللغات التي تعلم فيها ماعدا اللغة العربية والعلوم الدينية الاسلاميه أم لا ؟

(٥) هل موظفو حكومة مصر الذين ترقوا الى مناصب الوزارة تعلموا في مدارسها فقط أم تعلموا ايضا في إحدى مدارس اوربا العالية وتخرجوا بها ام لا؟

(٦) هل يصح قول قائل : لا عبرة بعلوم من تخرج بأعلى مدارس مصر إي العلوم الاوربية العصرية ولغاتها بالنسبة الى علوم من تخرج باحدى المدارس الاوربية العالية فان مدارس مصر العالية تنقصها لغات أوربية وغيرها من العلوم التي تعلم في المدارس الاوربية

هذا وتفضلوا بقبول فائق تحياتي الزاكية وتسليماتي الطيبة .   محمد بسيوني عمران

[مقدمة لجواب المنار في ضرر التفرق والاختلاف في الدين]

اعلموا أيها الاخوان المختلفون في هذه المسائل وليعلم كل المختلفين في أمثالها من المسائل الاجتهادية ، أي غير المجمع عليها ، أن التفرق والاختلاف في الدين من أكبر المفاسد وأضر المآثم ، وان كلا من فعل هذه الاشياء وتركها ، أهون من التفرق والتعادي لاجلها ، فان من فعلها ثقة بعلم من قال بها حسن النية ، ومن تركها لعدم الثقة بدليلها حسن النية ، ولكن من يشاق طائفة من اخوانه المسلمين لمثل هذا لايكون إلا متبعا للهوى ، وان أصاب فيما احتج وادعى ، فاذا ترك كل فريق الشقاق والقدح في المخالف له ، واكتفى ببيان ماعنده من الدليل ونشره ، فلابد أن ينتهي الامر بانتصار الدليل الصحيح القوي على ماله شبهة الدليل (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم - فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم

تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) اتفق العلماء على ان المراد برد المسائل المتنازع فيها الى الله الرد الى كتابه - والمراد بالرد الى الرسول بعد وفاته الرد الى سنته . وشبهة المقلدين الذين تقوم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله ان المشايخ الذين يقلدونهم أعلم بالكتاب والسنة من مورد الدليل عليهم منهما ، وهذه شبهة واهية ، لان الله تعالى يحاسب الناس على العمل بما علموا من كتابه وسنة رسوله ﷺ لا بما قال هؤلاء المشايخ ، ولان مورد الدليل معه من العلماء الآخذين به من هم أعلم من اولئك العلماء الذين قلدوهم بدون دليل أو مثلهم، ومعه زيادة الدليل الذي يجب الرد اليه فيما تنازع فيه العلماء. وانما يعذر من يتبع من يثق بعلمه اذا كان اتباعه في شيء لم يعلم حكم الله وحكم رسوله فيه. وهاك أجوبة هذه المسائل ، مع الاختصار في الدلائل

(٣٧) تلقين الميت

بينا الحق في هذه المسألة بما نشرناه في المجلد السابع عشر ونقل السائل خلاصته . وقد طبع في هذه السنين الاخيرة تسع مجلدات من كتاب (المجموع - شرح المهذب) للامام النووي محرر فقه الشافعية وهو أدق كتب الخلاف المطولة في بسط الادلة على المسائل الخلافية، فرأيناه يعزو استحباب تلقين الميت إلى «جماعات» من أصحابهم أي الشافعية ولا يذكر لهم مستنداً إلا حديث أبي أمامة الذي ذكرناه في المجلد السابع ، وينقل عن ابن الصلاح انه قال « اسناده ليس بالقائم لكن اعتضد بشواهد وبعمل اهل الشام » ثم يقول (اي النووي) رواه ابو القاسم الطبري في معجمه باسناد ضعيف ثم يقول بعد ايراده : قلت فهذا الحديث وإن كان ضعيفا فيستأنس به ، وقد اتفق علماء المحدثين وغيرهم على المسامحة في أحاديث الفضائل والترغيب والترهيب اه

واقول: ان الحديث الضعيف لا يثبت به حكم شرعي، والمراد بتسامح بعض العلماء في احاديث الفضائل والترغيب والترهيب ما فيه تقوية لأمر مشروع دون ما كان تشريعا جديداً لما لم يشرعه الله ورسوله ، فمن الاول الحث على صلة الرحم وكثرة ذكر الله والترهيب من المعاصي ، ومن الثاني صلاة الرغائب وليلة نصف

شعبان اللتان قال فيهما النووي في المنهاج « وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان » ذلك بأنهما وردتا في عدد معين وصفة معينة فكانتا تشريعا جديدا ، وقد شرحنا هذه المسألة مراراً وذكرنا ماقاله الحافظ ابن حجر عن المحققين في شروط العمل بالحديث الضعيف عندهم ، وكم دخل على الامة من البدع بهذا التساهل ، وأما الاعتضاد الذي ذكره ابن الصلاح فقد بين النووي مراده منه وهو حديث « واسألوا له التثبيت » أي للميت ولكن هذا دعاء يصلح معضداً للدعاء للميت بغير التثبيت مما هو بمعناه ولكنه لايصلح معضداً للتلقين وذكر ايضا وصية عمرو بن العاص ، ولا حجة في مثلها على هذا ولا غيره

واذا كان هذا كل ماعندهم في أوسع كتبهم فلا عذر لمن علمه اذا أصر على تقليدهم في التلقين بشبهة انهم اعلم ممن ينكره ، والمنكرون له هم جمهور أئمة الامة وعلمائها من المجتهدين والمقلدين لسائر المذاهب ومنهم بعض علماء الشافعية كما علم من عبارة النووي إذ لم ينقل اتفاقهم في المسألة ، فالتلقين بدعة ، وكل بدعة في الدين ضلالة .

(٣٨) التلفظ بنية العبادة

هذه المسألة بيناها في المنار من قبل غير مرة ، ونعود الآن فنقول : ان علماء المسلمين أجمعوا على ان النية محلها القلب ، ولكن قال بعض المؤلفين المقلدين من الشافعية أنه يندب او يستحب التلفظ بها من باب الاحتياط للتذكر ، وقولهم ليس بشرع ، ولم يذكروا عليه دليلا من الكتاب ولا من السنة ولا من الاجماع او عمل بعض علماء السلف . وقد غلط بعضهم في فهم عبارة للامام الشافعي ظن انها تدل على ذلك فصرحوا بانه خطأ

وعبارة الشيخ أبي إسحاق في المهذب هكذا : والنية من فروض الصلاة لقوله ﷺ « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى » ولانها قربة محضة فلم تصح من غير نية كالصوم . ومحل النية القلب ، فان نوى بقلبه دون لسانه أجزأه . ومن أصحابنا من قال ينوي بالقلب ويتلفظ باللسان ، وليس بشيء ، لأن النية هي القصد بالقلب اهـ

وقال النووي في شرحها : فان نوى بقلبه ولم يتلفظ بلسانه أجزأه على المذهب وبه قطع الجمهور ، وفيه الوجه الذي ذكره المصنف وذكره غيره ، وقال صاحب

الحاوي هو قول أبي عبدالله الزبيري انه لايجزئه حتى يجمع بين نية القلب وتلفظ اللسان ؛ لان الشافعي رحمه الله قال في الحج : إذا نوى حجاً او عمرة أجزأ وان لم يتلفظ وليس كالصلاة لاتصح إلا بالنطق . قال أصحابنا غلط هذا القائل وليس مراد الشافعي بالنطق في الصلاة هذا بل مراده التكبير . ولو تلفظ بلسانه ولم ينو بقلبه لم تنعقد صلاته بالاجماع فيه ، كذا نقل أصحابنا الاجماع فيه . ولو نوى بقلبه صلاة الظهر وجرى على لسانه صلاة العصر انعقدت صلاة الظهر اه كلام النووي وأنت ترى انهم لم يسموا النطق باللسان نية ولا جعلوا له حكما

وما ذكره الشافعي من التلفظ في مسألة الحج والعمرة ليس مرادا به إلا التلبية بهما او بأحدهما عند النية ، والتلبية مشروعة فيهما بالنص فليس المراد بها التعبير عن نية القلب . وجملة القول ان تلقين الناس ان التلفظ بالنية مندوب شرعا ابتداع وشرع لم يأذن به الله ، فالمندوب عند علماء الاصول : خطاب الله المقتضي للفعل اقتضاء غير جازم .

(٣٩) صلاة الحاجة

حديث ابن أوفى في صلاة الحاجة واهٍ جداً رواه الترمذي من طريق فائد ابن عبد الرحمن الكوفي ابي الورقاء وقال انه يضعف في الحديث ، وهذا اهون ماقيل فيه ، ومما قاله الامام احمد فيه : لو ان رجلا حلف ان عامة حديثه كذب لم يحنث . وقال الحاكم روى عن ابن ابي اوفى احاديث موضوعة . فهذا الحديث لايعمل به حتى على قول من قال ان الاحاديث الضعيفة يعمل بها في الفضائل المشروع مثلها فقد اشترط في ذلك ان لا يشتد ضعف الحديث فكيف اذا كان من رواية الكذابين والوضاعين ؟ ولكن التوسل بالصلاة لقضاء الحاجة ولغير ذلك مشروع ويدخل في عموم قوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) وانما الممنوع أن يسند إلى النبي (ص) ما لم يثبت عنه ويعمل به على انه ثابت

(٤٠) مدارس مصر ومدارس أوربة :

لو كانت مدارس مصر العالية تضاهي المدارس العالية في أوربة لاستغنى بها اهل مصر وحكومة مصر عن ارسال أولادهم الى أوربة ، ولكن بعض الذين تعلموا في مصر أرقى علما من بعض الذين تعلموا في أوربة

(٤١) في أي المدارس تخرج وزراء مصر

ان بعض الذين ارتقوا الى منصب الوزارة في مصر قد تعلموا وتخرجوا في مدارس مصر وبعضهم قد تخرجوا في مدارس أوربة، ويقال فيهم ما قيل في جواب السؤال السابق . وان سعد باشا زغلول الذي ارتقى الى رياسة الوزارة ورياسة مجلس النواب وكان أكبر زعماء السياسة في مصر حتى دانت له رقاب المتعلمين في أوربة وفي مصر جميعا لم يتخرج في مدارس مصر ولا مدارس أوربة ، وقد جاور في الازهر ولكنه لم يأخذ منه شهادة العالمية ، وانما تخرج بالاستاذ الامام تعليما وتربية ، وأكبر ما استفاده منه استقلال العقل،وعلو الهمة ، وقوة الارادة، والعناية بمصلحة الامة، وقد تعلم اللغة الفرنسية ودرس بها علم الحقوق دراسة مستقلة في الكبر ثم أدى امتحانها في فرنسا فنال الشهادة العالمية (ليسانس)

(٤٢) النسبة بين المتعلمين في مصر والمتعلمين في أوربة

قد علم من الجواب عن السؤالين السابقين جواب هذا السؤال من حيث العلوم ، وأما اللغات الاجنبية فان الذين يتعلمونها في بلاد أهلها يكونون أكثرهم أحذق لها وأفصح فيها ممن يتعلمها في مصر، إلا بعض من تمرن على مزاولتها مع أهلها في بلادهم وغير بلادهم ، فالاستاذ الامام كان أفصح نطقا باللغة الفرنسية وأدق فهماً من أكثر من تعلموها في فرنسة وسويسرة الفرنسية ، وهو قد تعلمها في الكبر على معلم مصري ، ولكنه كان يحضر دروس آدابها العالية في كلية جنيف عدة سنين ، ومن الغريب انه ترجم كتاب التربية للفيلسوف سبنسر ترجمة حرفية بقصد التمرن والتعلم ، وقد اطلع عليه صديقه قاسم بك أمين الذي كان يعد من أرقى من أتقن اللغة الفرنسية في بلادها من المصريين ليصحح له الترجمة ، وقد علمنا أخيراً ان ما صححه قاسم بك من مسودة الترجمة كان أبعد عن الصواب مما كتبه الاستاذ كتابة تعلم وتمرن، ولكن سبب هذا ضعف قاسم أمين بك في اللغة العربية لا الفرنسية ، وكان الاستاذ هو الذي صحح له كتاب تحرير المرأة ، دون كتاب المرأة الجديدة ، ولا يخفى على من قرأ الكتابين ان عبارة الاول أفصح وأبلغ من عبارة الثاني، وكان القياس العكس

لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم * ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم * انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد (سورة المؤمن ٤٠ : ٥١) انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)

كتب إلي تلميذي المرشد الشيخ محمد بسيوني عمران امام مهراجا جزيرة سمبس برنيو كتابا يقترح فيه على أخينا المجاهد أمير البيان أن يكتب للمنار مقالا بقلمه السيال في أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر وأسباب قوة الافرنج واليابان وعزتهم بالملك والسيادة والقوة والثروة. وقال في كتاب آخر انه قرأ ما كتبناه في المنار وتفسيره من بيان الاسباب في الامرين وما كتبه الاستاذ الامام في مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) في الموضوع، وانما غرضه أن يكتب في ذلك أمير البيان بقلمه المؤثر المعبر عن معارفه الواسعة، وآرائه الناضجة، لتجديد التأثير في أنفس المسلمين بما يناسب حالهم الآن، لتنبيه غافلهم، وتعليم جاهلهم، وكبت خاملهم، وتنشيط عاملهم. وبنى الاقتراح على الاسئلة الآتية التي صارت مثار شبهة على الدين عند غير علمائه، فهو يعلم مما سمعه من دروسنا في مدرسة الدعوة والارشاد ومما كتبناه مراراً في أن كتاب الله تعالى حجة على أدعياء الاسلام والايمان، وليسوا هم حجة عليه،

افترصت هذا الاقتراح لحمل أخي وولي الامير شكيب على كتابة شيء مثل هذا للمنار، وأنا الذي أنصح له دائما بتخفيف أحمال الكتابة عن عاتقه لكثرة ما يكتب لصحف الشرق والغرب وللاصدقاء وغيرهم، فارسلت اليه كتاب الشيخ محمد بسيوني عقب وصوله إلي، فارجأ الجواب عنه لكثرة الشواغل إلي أن عاد من رحلته الاخيرة إلى أسبانية وقد أثرت في نفسه مشاهد حضارة قومنا العرب في الاندلس والمغرب الاقصى، وشاهد تأثير محاولة فرنسة تنصير شعب البربر في المغرب تمهيداً لتنصير عرب افريقية المرزوئين باستعبادها لهم كما فعلت أسبانية في سلفهم في الاندلس — فكتب الجواب منفعلا بهذه المؤثرات، فكان آية من آيات بلاغته، وحجة من حجج حكمته، لعلها أنفع ما تفجر من ينبوع غيرته، وانبجس من معين خبرته، فسال من أنبوب يراعته، جزاه الله خير ما جزى المجاهدين الصادقين

كتاب الشيخ محمد بسيوني عمران

حضرة مولاي الاستاذ المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار نفعني الله والمسلمين بوجوده العزيز آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فان من قرأ ما كتبه في المنار وفي الجرائد العربية العلامة السياسي الكبير أمير البيان ، الامير شكيب أرسلان،من مقالاته الرنانة المختلفة المواضيع، عرف انه من أكبر كتاب المسلمين المدافعين عن الاسلام ،وانه أقوى ضلع للمنار وصاحبه في خدمة الاسلام والمسلمين، واني أرجو من الله تعالى أن يطيل بقاءهما الشريف في خير وعافية - كما أرجو من مولاي الاستاذ صاحب المنار أن يطلب من هذا الامير الكاتب الكبير أن يتفضل علي بالجواب عن أسئلتي الآتية وهي :

(١) ما أسباب ماصار اليه المسلمون (ولاسيما نحن مسلمو جاوة وملايو) من الضعف والانحطاط في الامور الدنيوية والدينية معا ، وصرنا أذلاء لاحول لنا ولا قوة ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فأين عزة المؤمنين الآن ؟ وهل يصح لمؤمن ان يدعي أنه عزيز وإن كان ذليلا مهانا ليس عنده شيء من أسباب العزة إلا لأن الله تعالى قال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)

(٢) ما الأسباب التي ارتقى بها الاوربيون والامريكانيون واليابانيون ارتقاء هائلا ؟ وهل يمكن أن يصير المسلمون أمثالهم في هذا الارتقاء اذا اتبعوهم في أسبابه مع المحافظة على دينهم (الاسلام) أم لا ؟

هذا والمرجو من فضل الامير أن يبسط الجواب في المنار عن هذه الاسئلة وله وللاستاذ صاحب المنار من الله الاجر الجزيل .

محمد بسيوني عمران

سنبس بورنيو الغربية في ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٤٨

جواب الأمير شكيب أرسلان

ان الانحطاط والضعف اللذين عليهما المسلمون شيء عام لهم في المشارق والمغارب لم ينحصر في جاوة وملايو ، ولا في مكان آخر ، وانما هو متفاوت في دركاته ، فمنه ما هو شديد العمق ، ومنه ما هو قريب الغور ، ومنه ما هو عظيم الخطر ، ومنه ماهو أقل خطراً

وبالاجمال حالة المسلمين الحاضرة ولا سيما في القرن الرابع عشر للهجرة أو العشرين للمسيح ، لاترضي أشد الناس تحمساً بالاسلام وفرحا بحزبه ، فضلاعن غير الأحمسي من أهله

ان حالتهم الحاضرة لا ترضي لا من جهة الدين ولا من جهة الدنيا ، ولا من جهة المادة ولا من المعنى . وإنك لتجد المسلمين في البلاد التي يساكنهم فيها غيرهم متأخرين عن هؤلاء الاغيار لايسامتونهم في شيء إلا ماندر، ولم أعلم من المسلمين من ساكنهم أمم أخرى في هذا العصر ولم يكونوا متأخرين عنهم إلا بعض أقوام منهم ، وذلك كمسلمي بوسنه مثلا فانهم ليسوا في سوي مادي ولا معنوي أدنى من سوي النصارى الكاثوليكيين ، أو النصارى الارثوذكسيين الذين يحيطون بهم ، بل هم أعلا مستوى من الفريقين ، وككثير من مسلمي الروسية الذين ليس المسيحيون الذين يجاورونهم أرقى منهم . ولقد كان المسلمون في أذربيجان قبل الحرب أرقى من الطوائف المسيحية التي تساكنهم، ولاخلاف في أن مسلمي الصين إجمالا على تأخرهم هم أرقى من الصينيين البوذيين ، هذا إذا كانت النسبة بين الفريقين باقية كما كانت قبل الحرب العامة ، وفيما عدا هذه الاماكن نجد تأخر المسلمين عن مسامتة جيرانهم عاما مع تفاوت في دركات التأخر

ويقال ان العرب في جزيرة سنغافورة هم أعظم ثروة من جميع الاجناس التي تساكنهم حتى من الانكليز أنفسهم بالنسبة إلى العدد ، ولا أعلم مبلغ هذا

الخبر من الصحة ، ولكنه على فرض صحته ليس بشيء يقدم أو يؤخر في ميزانية المسلمين العامة

ولا انكار أن في العالم الاسلامي حركة شديدة ، ومخاضاً عظيما شاملا للامور المادية والمعنوية ، ويقظة جديرة بالاعجاب ،قد انتبه لها الاوروبيون وقدروها قدرها ، ومنهم من هو متوجس خيفة مغبتها ، لايخفى هذا الخوف من تضاعيف كتاباتهم ، الا أن هذه الحركة الى الامام لم تصل بالمسلمين حتى اليوم الى درجة يساوون بها أمة من الامم الاوروبية او الاميركية او اليابان

فبعد أن تقرر هذا وجب أن نبحث في الاسباب التي أوجدت هذا التقهقر في العالم الاسلامي بعد أن كان منذ ألف سنة هو الصدر المقدم ، وهو السيد المرهوب المطاع بين الامم شرقا وغربا ، فقبل أن نبحث في أسباب الانحطاط يجب أن نبحث في أسباب الارتقاء فنقول:

أسباب ارتقاء المسلمين الماضي

ان أسباب الارتقاء كانت عائدة في مجملها الى الديانة الاسلامية التي كانت ظهرت جديداً في الجزيرة العربية فدان بها قبائل العرب ،وتحولوا بهدايتها من الفرقة الى الوحدة ،ومن الجاهلية الى المدنية، ومن القسوة الى الرحمة، ومن عبادة الاصنام الى عبادة الواحد الاحد ، وتبدلوا بأرواحهم الاولى أرواحا جديدة،صيرتهم الى ماصاروا اليه من عز ومنعة ، ومجد وعرفان وثروة ، وفتحوا نصف كرة الارض في نصف قرن ،ولولا الخلاف الذي عاد فدب بينهم منذ أواخر خلافة عثمان وفي خلافة علي (رض) لكانوا أكملوا فتح العالم ولم يقف في وجههم واقف

على أن تلك الفتوحات التي فتحوها في نصف قرن أو ثلثي قرن برغم الحروب التي تسببت بها مشاقة معاوية لعلي والحروب التي وقعت بين بني أمية وابن الزبير قد أدهشت عقول العقلاء والمؤرخين والمفكرين،وحيرت الفاتحين الكبار، وأذهلت نابليون بونابرت أعظمهم ، وله تصريح في ذلك

فالقرآن أنشأ اذاً العرب نشأة مستانفة وأخرجهم من جزيرتهم والسيف في احدى اليدين والكتاب في الاخرى يفتحون ويسودون ويتمكنون في الارض

ولا عبرة بما يقال في شأن العرب قبل الاسلام، وما يروى من فتوحاتهم، وما ينوه به من أخلاق عظام في الجاهلية ، فهذه قد كانت ولا تزال آثارها ظاهرة ، ولا شك في مدنية العرب القديمة وانها من اقدم مدنيات العالم، ومما يرجح أن الكتابة قد بدأت عندهم ، ولكن دائرة تلك المدنية كانت محدودة مقصورة على الجزيرة وما جاورها . وقد أتى على العرب حين من الدهر سادهم الغرباء في ارضهم، وأذلهم الاجانب في عقر دارهم، كالفرس في اليمن وعمان وفي الحيرة، وكالحبشة في اليمن، وكالروم في أطراف الحجاز ومشارف الشام . والحقيقة انهم لم يستقلوا استقلالا حقيقيا الا بالاسلام، ولم تعرفهم الامم البعيدة وتخنع لهم وتتحدث بصولتهم ، ولم يقعدوا من التاريخ المقعد الذي احلهم في الصف الاول من الامم الفاتحة الا بمحمد ﷺ

فالسبب الذي به نهضوا وفتحوا ، وسادوا وشادوا ، وبلغوا هذه المبالغ كلها من المجد والرقي يجب علينا أن نبحث عنه وننشده، ونحفي المسئلة ونمعن في النشدان : هل هو باق في العرب وهم قد تأخروا برغم وجوده وتأخر معهم تلاميذهم الذين هم سائر المسلمين ؟ أم قد ارتفع هذا السبب من بينهم ، ولم يبق من الايمان الا اسمه ، ومن الاسلام الا رسمه ، ومن القرآن الا الترنم به ، دون العمل بأوامره ونواهيه ، الى غير ذلك مما كان في صدر الملة ؟

فقد المسلمين السبب الذي ساد به سلفهم

اذا فحصنا عن ذلك وجدنا ان السبب الذي به استقام هذا الامر قد أصبح مفقوداً بلا نزاع وان كان بقي منه شيء فكباقي الوشم في ظاهر اليد . فلو كان الله تعالى وعد المؤمنين بالعزة بمجرد الاسم دون الفعل لكان يحق لنا أن نقول: أين عزة المؤمنين ؟ من قوله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولو كان الله قد قال (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) بمعنى انه ينصرهم بدون أدنى مزية فيهم سوى انهم يعلنون كونهم مسلمين ، لكان ثمة محل للتعجب من هذا الخذلان بعد ذلك الوعد الصريح بالنصر. ولكن النصوص التي في القرآن هي غير هذا ، فالله غير مخلف وعده ، والقرآن لم يتغير ، وانما المسلمون هم الذين تغيروا ، والله تعالى أنذر بهذا فقال (ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) فلما كان المسلمون قد

غيروا ما بأنفسهم كان من العجب أن لا يغير الله ما بهم ، وأن لا يبدلهم الذل والضعة ، من ذلك العز وتلك الرفعة ، بل كان ذلك منافياً للعدل الالهي . والله عز وجل هو العدل المحض .

كيف ترى في أمة ينصرها الله بدون عمل ويفيض عليها الخيرات التي كان يفيضها على آبائها، وهي قد قعدت عن جميع العزائم التي قد كان يقوم بها آباؤها؟ وذلك يكون مخالفا للحكمة الالهية ، والله هو العزيز الحكيم . ما قولك في عزة بدون استحقاق ، وفي غلة بدون حرث ولا زرع ، وفي فوز بدون سعي ولا كسب ، وفي تأييد بدون أدنى سبب يوجب التأييد ؟ لا جرم ان هذا مما يغري الناس بالكسل ، ويحول بينهم وبين العمل ، بل مما يخالف النواميس التي أقام الله الكون عليها ، ومما يستوي به الحق والباطل ، والضار والنافع ، وحاشا لله أن يفعل ذلك . ولو أيد الله مخلوقا بدون عمل لأيد من دون عمل محمداً رسوله ولم يحوجه الى القتال والنزال والنضال ، واتباع سنن الكون الطبيعية للوصول الى الغاية . وتصور أمة لله عندها مائة وهي تؤدي من المائة خمسة فقط ، أتعد نفسها قد أدت ما عليها وتطمع في أن يكافئها الله كما كان يكافيء أجدادها الذين كانوا يؤدون المائة مائة ، وان قصروا عن المائة أدوا بالاقل تسعين أو ثمانين ؟ كلا . هذا مخالف لما وعد الله على رسله ومخالف للعقل والمنطق، وليس هذا هو الشرط الذي شرطه الله على المؤمنين ، وليس هذا هو البيع الذي يستبشر به المؤمنون.

قال الله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون ، وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به . وذلك هو الفوز العظيم) فأين حالة المسلمين اليوم من هذا الوصف الذي في كتاب الله؟ وأين حالتهم من سلفهم الذين كانوا يتهافتون على الموت لاحراز الشهادة وكثيراً ما كانوا ينشدون الموت ولا يجدونه ؟ وكان فارسهم يكر وهو يقول : اني لأشم ريح الجنة ، ثم لا يزال يكر ويخوض غمرات الحرب حتى اذا استشهد قال هذا يوم الفرح ، واذا فاتته الشهادة برغم حرصه عليها عاد الى قومه حزينا

المقابلة بين حالي المسلمين والافرنج اليوم

اليوم فقد المسلمون أو أكثرهم هذه الحماسة التي كانت عند آبائهم ، وقد تخلق بها أعداء الاسلام الذين لم يوصهم كتابهم بها، فتجد أجنادهم تتوارد على حياض المنايا سباقا ، وتتلقى الاسنة والحراب عناقا ، ولقد كان مبلغ مفاداتهم بالنفائس وتضحيتهم للنفوس في الحرب العامة فوق تصور عقول البشر ، كما يعلم ذلك كل أحد ، فالالمان فقدوا نحو مليوني قتيل، والفرنسيون فقدوا مليونا وأربعمائة ألف قتيل، والانكليز فقدوا ستمائة ألف قتيل ، والطليان فقدوا أربعمائة وستين ألف قتيل ، والروس هلك منهم مايفوق الاحصاء ، وهلم جرا . هذا من جهة النفوس ، وانكلترا بذلت سبعة مليارات من الذهب (أي سبعة آلاف مليون جنيه) وفرنسة بذلت نحو مليارين ، وألمانيـة أنفقت ثلاثة ، وايطالية أنفقت خمسمائة مليون ، والروسية أنفقت ماأوقع فيها المجاعة التي آلت الى الثورة ثم الى البلشفة وهلم جرا .

فليقل لي قائل : أية أمة مسلمة اليوم تقدم على ماأقدم عليه هؤلاء النصارى من بيع النفوس وانفاق الاموال بدون حساب في سبيل أوطانهم ودولهم حتى نعجب لماذا آتاهم الله هذه المنعة والعظمة والثروة وحرم المسلمين اليوم أقل جزء منها ؟

وقد يقال: ان المسلمين فقراء ليس عندهم هذه الاموال لينفقوا هذا الانفاق كله . فنجيب بأننا نوزع هذه النفقات على الاوربيين بنسبة رأس المال ولا نكلف المسلمين إلا الانفاق مثل الاوربيين على هذه النسبة . فهل تسخو الامم الاسلامية الحاضرة بما تسخو الامم الاوربية التي منها من قد أنفقت في الحرب العامة أكثر من نصف ثروتها ؟

الجواب : لا . ليس في المسلمين اليوم من يفعل ذلك لا أفراداً ولا أقواما

وقد يقال : ان الامة التركية وهي أمة مسلمة قد أنفقت كل ماتقدر عليه في حرب اليونان ولم تقصر عن شأو الاوربيين في المفاداة بالانفس والنفائس

والجواب : نعم. قد كان ذلك . ومن الترك من بذل ثلث ثروته ومنهم من بذل نصف ثروته في هذه الحرب، ولكنهم لما فعلوا ذلك انقلبوا بنعمة من الله

وفازوا، وحرروا أنفسهم واستقلوا، وارتفعوا بعد أن كانوا هووا، وعزوا بعد ان كانوا ذلوا . اذاً الامم الاسلامية اذا اثمرت في المفاداة بما أمرها به كتابها كما كان يفعله آباؤها، أو اقتدت على الاقل بما هو دأب الاوربيين اليوم من بذل النفوس والنفائس في سبيل حفظ بيضتها، وذود المعتدين عنها، لم تقتطف من ثمرات التضحية إلا مثل ماقطفه غيرها . وانقلبت بنعمة من الله وفضل لم يمسسها سوء .

ولكن الامم الاسلامية تريد حفظ استقلالها بدون مفاداة ولا تضحية، ولا بيع أنفس ولا مسابقة إلى الموت، ولا مجاهدة بالمال، وتطالب الله بالنصر على غير الشرط الذي اشترطه في النصر[1] فان الله سبحانه يقول (ولينصرن الله من ينصره) ويقول (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)

ومن المعلوم أن الله تعالى غير محتاج إلى نصرة أحد، وانما يريد بنصرته تعالى اطاعة أوامره واجتناب نواهيه . ولكن المسلمين أهملوا جميع ماأمرهم به كتابهم او أكثره، واعتمدوا في استحقاق النصرة على كونهم مسلمين موحدين، وظنوا أن هذا يغنيهم عن الجهاد بالانفس والاموال . ومنهم من اعتمد على الدعاء والابتهال لرب العزة لأنه يجده أيسر عليه من القتل والبذل . ولو كان مجرد الدعاء يغني عن الجهاد لاستغنى به النبي ﷺ وصحابته وسلف هذه الامة فانهم الطبقة التي هي أولى بان يسمع الله دعاءها . ولو كانت الآمال تبلغ بالادعية والاذكار، دون الاعمال والآثار، لانتقضت سنن الكون، وبطل التشريع، ولم يقل الله تعالى (وأن ليس للانسان إلا ماسعى) ولم يقل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) ولم يقل للمعتذرين عن القتال (لاتعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله) الآية ولم يقل (إني لاأضيع عمل عامل منكم)

لقد ظن كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام، وكل مالا يكلفهم بذل دم ولا مال، وانتظروا على ذلك النصر من الله . وليس الامر

(١) المنار : يراجع تفصيل هذه المسألة في أجزاء تفسير المنار تجده في مواضع من اكثرها، منها ١٣ موضعا في الجزء الرابع منه و ٧ مواضع في الجزء الثاني وآخرها في آخر الجزء التاسع ولها مزيد في الجزء العاشر الذي سيصدر قريبا

كذلك فان عزائم الاسلام لاتنحصر في الصلاة والصيام ، ولا في الدعاء والاستغفار ، وكيف يقبل الله الدعاء ممن قعدوا وتخلفوا ، وقد كان في وسعهم أن ينهضوا ويبذلوا [1]

اعتذار المسلمين عن أنفسهم ورده

يقولون: ليس عند المسلمين ماعند الافرنج من الثروة والسعة لينفقوا في أعمال الخير وفي مساعدة بعضهم بعضا . فنقول لمن يحتج بهذه الحجة: اننا نرضى منهم أن ينفقوا على نسبة رءوس أموالهم كما تقدم الكلام عند ذكر الجهاد بالمال. فهل المسلمون فاعلون ؟

اننا نراهم قد محوا رسوم الاوقاف والمؤسسات الخيرية التي تركها آباؤهم، فضلا عن كونهم لايتبرعون باموالهم الخاصة ولا يجرون مع الاوربيين في ميدان من جهة التبرع لاجل المشروعات العامة ، فكيف يطمع المسلمون أن تكون لهم منزلة الاوربيين في البسطة والقوة والسلطان وهم مقصرون عنهم بمراحل في الايثار والتضحية ؟ فان العمل لاجل السلطان في الارض ، أشبه بالحرث في الارض، فبقدر ماتشتغل فيها هي تعطيك . وإن قصرت في العمل قصرت هي في الثمر . والمسلمون يريدون سلطانا يشبه سلطان الاوربيين بدون إيثار ولا بذل ، ولا فقد شيء من لذائذهم ، وينسون أن الله تعالى يقول(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين)

وقد يقولون : اننا جربنا البذل والتضحية ، وابتلينا بالنقص من الاموال والانفس والثمرات وصبرنا ولم يفدنا ذلك شيئا ، وبقي الاوربيون مسلطين علينا اني أنقل هذا القول عن بعضهم لاني قد سمعته كثيراً .

---

(١) يظهر أن الامير لم يقرن الزكاة بالصلاة والصيام لعلمه بان أكثرهم تركها وهي ركن الاسلام الدنيوي المادي، والصلاة ركنها الروحي، وهم يطلبون الدنيا ويتركون من الاسلام أهم أركانها الزكاة والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله . وقد وصف الله المؤمنين الصادقين ، بالجهاد باموالهم وأنفسهم فقدم ذكر المال وقال في سياق آيات القتال (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أي بعدم الانفاق ، وقد قاتل الصحابة (رض) من منع الزكاة ولم يعتدوا باسلامهم بدونها

والجواب : هل يقدرون أن يقولوا لنا إن مايدعونه من البذل والتضحية يشبه شيئاً مما يقوم به النصارى واليهود من هـذا القبيل ؟ أو إنه اذا نسب اليه يكون نسبته نسبة الواحد إلى المائة ؟

عندنا مثال حديث العهد هو مسئلة فلسطين : حدثت وقائع دموية بين العرب واليهود في فلسطين فأصيب بهـا أناس من الفريقين . فأخـذ اليهود في جميع أقطار الدنيا يساعدون المصابين من يهود فلسطين . وأراد العالم الاسلامي أن يساعد عرب فلسطين كما هو طبيعي ، فبلغت تبرعات اليهود لابناء ملتهم من فلسطين مليون جنيه ، وبلغت تبرعات المسلمين كلها ١٣ ألف جنيه أي نحو جزء من مائة

فسيقولون : ان المسلمين لايملكون مثل ثروة اليهود . ونعود فنجيبهم . نرضى منهم بان ينفقوا في مساعدة ملتهم على قدر اليهود والافرنج بالنسبة الى رؤس أموالهم ، ولا نطالب منهم الفقراء الذين لايملكون مايزيد على كفاية عائلاتهم قال الله تعالى (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل)

ثم قال تعالى (انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف) . ونجيب أيضا : انه وان كان اليهود أغنى بالاموال من المسلمين فالمسلمون أكثر جداً بالعدد ، لان اليهود عشرون مليوناً والمسلمين نحو من ثلاثمائة وخمسين مليونا . فلو ان كلا من المسلمين تبرع لفلسطين بقرش واحد — وهو الذي لايعجز عنه أحد في العالم مهما اشتد فقره — لاجتمع من ذلك ثلاثة ملايين جنيه ونصف

فلنترك تسعة أعشار المسلمين ونفرض هذه الاعانة لفلسطين على عشر واحد منهم أي على ٣٥ مليون نسمة لاغير . وهؤلاء الخمسة والثلاثون مليون نسمة نجدهم حول فلسطين في لمحة بصر . فان مسلمي مصر وسورية وفلسطين والعراق ونجد والحجاز واليمن وعمان هم ٣٥ مليونا . والمتقاضى من هؤلاء اداء قرش واحد عن كل جمجمة ، فماذا يجتمع لنا من ذلك ؟ الجواب : يجتمع ثلاثمائة وخمسون الف جنيه فالمسلمون قد تبرعوا عن هذه الاعداد كلها بثلاثة عشر الف جنيه أي بما

يساوي نحو ثنتي عشر القرش عن كل نسمة من عشر عددهم

أهذا ماتريدون أن تسموه « تضحية » ؟

أو بمثل هذا تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ؟

أو هذه درجة نجدتكم لاخوانكم في الدين وجيرانكم في الوطن والقائمين عنكم بالدفاع عن المسجد الاقصى الذي هو ثالث الحرمين وأول القبلتين؟ أفلم يقل الله تعالى (انما المؤمنون اخوة) أفهذه نجدة الاخ لاخيه ؟

يقولون لماذا سادت الامة الانكليزية هذه السيادة كلها في العالم ؟ نجيبهم : انها سادت بالاخلاق و بالمبادىء . حدثني رجل ثقة انه يعرف انكليزيا ذا منصب في الشرق كان يأمر خادمه أن يشتري له الحوائج اللازمة لبيته يوميا من دكان رجل انكليزي في البلدة التي هم فيها . فجاءه الخادم مرة بجدول حساب وفرعيه به ٢٠ جنيها في مدة شهر . فسأله الانكليزي كيف أمكنك هذا التوفير ؟ فقال الخادم : تركنا دكان الانكليزي الذي كنا نشتري منه وصرنا نشتري من دكان أحد الاهالي العرب . فقال له الانكليزي : ارجع الى دكان الانكليزي الذي كنا نشتري منه . فقال الخادم : اولو كان ذلك يستلزم انفاق ٢٠ جنيها زيادة ؟ قال الانكليزي : ولو كان يستلزم انفاق ٢٠ جنيها زيادة . وسمعت ان كثيرين من الانكليز الذين في الاقطار لايشترون شيئا ذا قيمة الا من بلادهم ويرسلون الى لندرة فيوصون على كل مايحتاجون اليه حتى لايذهب مالهم الى الخارج . أفنقيس هذا باعمال المسلمين الذين مهما أوصيتهم بالشراء من أبناء جلدتهم أو أوطانهم وعلموا انهم يقدرون أن يوفروا في السلعة الواحدة نصف قرش اذا أخذوها من الافرنجي تركوا ابن جلدتهم او ملتهم ورجحوا الافرنجي؟ أفلم يكن سبب حبوط مقاطعة العرب لليهود في فلسطين أشياء كهذه ؟ حرموا أنفسهم أمضى سلاح في يدهم وهو القاطعة في الاخذ والعطاء مع اليهود من أجل فروق تافهة مؤقتة ونسوا ان الضرر الذي يصيبهم من الاخذ والعطاء مع اليهود هو أعظم الف مرة من ضرر هاتيك الفروق الزهيدة

وكنت مرة أشكو الى أحد كبار المصريين اهمال اخواننا المصريين لمجاهدي طرابلس وبرقة الذين ان لم تجب عليهم نجدتهم قياما بواجب الاخوة الاسلامية والجوار، وجبت عليهم احتياطا من وراء استقلال مصر واستقبال مصر، لانه كما أن وجود الانكليز في السودان هو تهديد دائم لمصر، فوجود الطليان في برقة هو تهديد دائم لها أيضا. فكان جواب ذلك السيدلي: لقد بذل المصريون مبالغ وفيرة يوم شنت ايطالية الغارة على طرابلس ولم يستفيدوا شيئا فان إيطالية لم تلبث ان أخذتها

فقلت له: ان المصريين قد نهضوا في الحرب الطرابلسية نهضة هي بدون شك ترضي كل مسلم، بل ترضي كل انسان يقدر قدر الحمية. ولكن المبلغ الذي تبرعوا به يومئذ معلوم وهو ١٥٠ الف جنيه. فهل يطمع المسلمون في أنحاء المعمور أن ينقذوا طرابلس من براثن ايطالية بمائة وخمسين الف جنيه؟ وهل هذه التضحية تقاس في كثير او قليل الى التضحيات التي قامت بها ايطالية بالمال والرجال؟

كانت اعانة مصر في الحرب الطرابلسية ١٥٠ الف جنيه، وأنفقت الدولة العثمانية على تلك الحرب نحو مليون جنيه

فانظر الى ما كان لذلك من النتائج:

(النتيجة الاولى) وهي أهم شيء: حفظ شرف الاسلام، وإفهام الاوربيين ان الاسلام لم يمت، وان المسلمين لايسلمون بلدانهم بدون حرب، وفي ذلك من الفائدة المادية والمعنوية للاسلام مالا ينكره إلا كل مكابر

(النتيجة الثانية) ان هذا المبلغ الضئيل بالنسبة الى نفقات الدول الحربية قد كان السبب في توطين الطرابلسيين أنفسهم على المقاومة والمجاهدة بما رأوا من نجدة اخوانهم لهم. فكانت هذه المقاومة سبباً لتجشم ايطالية المعتدية من المشاق والخسائر ماهو فوق الوصف الى أن صار كثير من ساسة الطليان يصرحون بندمهم على هذه الغارة الطرابلسية

(النتيجة الثالثة) مهما يكن من عدد القتلى الذين فقدهم العرب في هذه الحرب

فإن مجموع قتلى الطليان الى اليوم يفوق مجموع قتلى العرب أضعافا مضاعفة . فلقد لقي الطليان في هذه الحرب من الاهوال مالا يتسع لوصفه مقالة أو رسالة . وفي واقعة واحدة هي واقعة « الفويهات » على باب بنغازي ثبت فيها ١٥٠ مجاهداً عربيا لثلاثة آلاف جندي طلياني من الفجر الى غروب الشمس الى أن انقرضوا جميعا ، إلا أفذاذاً أتى عليهم الليل ، ورجع العدو ولما يموتوا . وبينما كان العرب في حزن عظيم على من فقدوهم في تلك المعركة إذ جاءهم الخبر البرقي من الاستانة عن برقية وردت اليها سراً من برلين عن برقية رقمية جاءت من سفارة الالمان في رومية بأنه سقط في هذه المعركة ألف وخمسمائة جندي من الطليان ، وأصاب الجنون سبعة من ضباطهم . وهذه وقعة من خمسين وقعة بالاقل تضاهيها ، فالمسلمون قد قاتلوا في هذه المعركة جيشا يفوقهم في العدد عشرين ضعفا وقتلوا نصفه أي قتلوا عشرة أضعافهم — والله تعالى قد قدر لهم في حال القوة أن يغلبوا عشرة أضعافهم وفي حال الضعف أن يغلبوا ضعفيهم فقط كما قال في سورة الانفال (يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون * الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين)

(النتيجة الرابعة) انه قد كانت نفقات ايطالية في الحرب الطرابلسية في السنة الاولى منها أي من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩١٢ نحو مائة مليون جنيه ، ويظن انها من عشرين سنة الى اليوم — اذ المقاومة لم تنقطع حتى هذه الساعة — قد بلغت ثلاثمائة مليون جنيه

فهذا كان كله نتيجة تلك الاعانة القليلة والنفقات الضئيلة التي قام بها المسلمون في تلك الحرب ، ولكن المسلمين ينتظرون أن تنهزم ايطالية الدولة الكبيرة التي أهلها ٤١ مليون نسمة ودخلها السنوي ٢٠٠ مليون جنيه في صدمة واحدة أو في

السنة الاولى من الحرب (١) وان لم يتحقق أملهم هذا انقطع منهم كل رجاء وبطلت كل حركة ، وأصاب بعضهم اليأس الذي هو مرادف للكفر بصريح الذكر الحكيم (انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)

ولنضرب مثلا أو مثلين لذلك ونمسك بعده عن ضرب الامثال لانها لا تعد ولا تحصى :

---

(١) أي وهذا عددها ، وهذه دخائلها ، وهذا أنفاقها على الحرب . وأما عصبيتها وضراوتها في سفك دماء المسلمين فحسب المسلم الذي لم يفسده التفرنج والالحاد ان يقرأ النشيد الطلياني الذي ننقل ترجمته عن جريدة الشرق عدد ٥٤٣ وهو :

ان من أعظم الآلام لشاب في العشرين من عمره ان لا يحارب في سبيل وطنه مع دوام القتال في طرابلس ، والراية المثلثة الالوان والموسيقى الحربية تنبهان النفس المقدامة . يا أماه أتمي صلاتك ولا تبكي ، بل اضحكي وتأملي ، ألا تعلمين ان إيطاليا تدعوني وانا ذاهب الى (طرابلس) فرحاً مسروراً لابذل دمي في سبيل سحق الامة الملعونة (كذا) ولاحارب الديانة الاسلامية التي تجيز البنات الابكار للسلطان (*)

سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن (كذا)

ليس بأهل للمجد من لم يمت إيطالياً حقاً

تحمسي أيتها الوالدة ، تذكري (كاروني) التي جادت باولادها في سبيل وطنها ...

يا أماه انا مسافر ، الا تعلمين ان على الامواج الزرقاء الصافية من بحرنا ستلقي سفائننا المراسي ؟ انا ذاهب الى طرابلس مسروراً لان رايتنا المثلثة الالوان تدعوني ، وذلك القطر تحت ظلها

لا تموتي لانك في طريق الحياة ، وان لم ارجع فلا تبكي على ولدك ، ولكن اذهبي في كل مساء وزوري المقبرة ونسائم الاصيل تحمل الى طرابلس وداعك الذي يأبى الحداد على قبر فلذة كبدك ، وان سألك أحد عن عدم حدادك علي فاجيبيه : انه مات في محاربة الاسلام

الطبل يقرع يا أماه . انا ذاهب أيضاً . ألا تسمعين هزج الحرب ؟ دعيني أعانقك وأذهب !

(*) الديانة الاسلامية لا تجيز للسلطان الا ما تجيزه لغيره من المسلمين وهو تزوج البكر والثيب ، ولكن الافرنج تبيح لهم نصرانيتهم الافتراء على الاسلام

قام أهل الريف في وجه الدولة الاسبانية مدة بضع سنين الى أن تغلبوا عليها وطردوا جيوشها بعد أن أبادوا منهم في واقعة واحدة ٣٦ ألف جندي وغنموا ١٧٠ مدفعا وجميع أهل الريف بقضهم وقضيضهم ثمانمائة ألف نسمة. وعدد أهالي أسبانية ٢٢ مليون نسمة ، وأراضي الريف أكثرها قاحل والاهالي فيه فقراء يعيشون من كسب أيديهم، ولقد قاموا بعمل أدهش أهل الارض بالطول والعرض

فلو كان أهل الريف نصارى لانثالت عليهم الملايين من الجنيهات من كل الجهات إما بطريقة خفية وإما بواسطة جمعية الصليب الاحمر في سبيل مداواة جرحاهم

فليقل لنا المسلمون كم جنيها قدموا للريف في ذلك الوقت؟

ثم تألب الفرنسيس مع الاسبانيول وحشدوا لحرب الريفيين ٣٠٠ ألف مقاتل وحصروا الريف من كل جانب من البر والبحر، وكانت طياراتهم القاذفة بالديناميت على قرى الريفيين تحصى بالمئات لا بالعشرات ، ولم تكتف طيارات الفرنسيس والاسبانيول حتى جاء سرب طيارات أميركية من نيويورك نجدة لفرنسة واسبانية (النصرانيتين على المسلمين لانهم مسلمون)

هذا كله والمسلمون ينظرون الى حرب الريف مكتوفي الايدي ، ولبثوا مكتوفي الايدي مدة سنة. وأخيراً نهض منهم أفراد لجمع شيء من أجل جرحى الريف، ولاجل بعث الحمية في الناس لم يكتف محرر هذه السطور بالكتابة بل تبرعت بأربعمئة جنيهات لاجل القدوة، فماذا كان مجموع تلك الاعانات من كل العالم الاسلامي؟ الجواب: ١٥٠٠ جنيه خيانة بعض المسلمين لدينهم ووطنهم واعتذارهم الباطل

ويا ليت المسلمين وقفوا عند هذا الحد في خذلان الريفيين بل قامت منهم فئام يقاتلون الريفيين بأشد مما يقاتلون به الاجانب، وتألبت على محمد بن عبد الكريم قبائل وافرة العدد شديدة البأس ومالؤا الفرنسيس والاسبانيول على أبناء ملتهم ووطنهم تزلفا الى الفرنسيس والاسبانيول وابتغاء الحظوة لديهم. وقد جرى مثل ذلك عندنا في سورية يوم الثورة على فرنسة، وجرى في بلاد اسلامية كثيرة

أفبمثل هذه الاعمال يطالب أخونا الشيخ بسيوني عمران ربه بما وعد تعالى به من جعل العزة للمؤمنين؟ واذا سألت هؤلاء المسلمين الممالئين للعدو على إخوانهم

كيف تفعلون مثل هذا وأنتم تعلمون انه مخالف للدين وللشرف وللفتوة وللمروءة وللمصلحة وللسياسة؟ أجابوك : كيف نصنع فان الاجانب انتدبونا ولو لم نفعل لبطشوا بنا، فاضطررنا الى القتال في صفوفهم خوفا منهم؟ ونسوا قوله تعالى (أتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين) وقوله تعالى (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)

وكلام مثل هؤلاء في الاعتذار غير صحيح فان الاجانب قد ندبوا كثيراً من المسلمين الى خيانات كهذه فلم يجيبوهم ولم تنقض عليهم السماء من فوقهم، ولا خسفت بهم الارض من تحتهم، ثم انه ان كان الاجانب المحتلون لبلاد المسلمين قد أصبحوا يغضبون على المسلمين الذين لا يلبون دعوتهم الى خيانة قومهم، فانما كان ذلك من أجل ان كثيرين من المسلمين كانوا يعرضون عليهم خدمتهم في مقاومة اخوانهم، ويقومون بها بكل نشاط ومناصحة، ويبدون كل أمانة لهم في أثناء تلك الخيانة. ولولا هذا التبرع بالخيانة، والتسرع الى مظاهرة الاجنبي على ابن الملة، لما استأسد الاجنبي وصار يتحكم في المسلمين هذا التحكم الفاحش، ويتقاضاهم أن يخالفوا قواعد دينهم ومقتضى مصلحة دنياهم من اجل مصلحته، بل قام يحملهم على الموت لاجل الموت

فان الموت موتان: أحدهما الموت لاجل الحياة وهو الموت الذي حث عليه القرآن المؤمنين اذا مد العدو يده اليهم، وهو الموت الذي قال عنه الشاعر العربي:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل ان اتقدما

وهو الموت الذي يموته الافرنسي لاجل حياة فرنسة، والالماني لاجل حياة ألمانية، والانكليزي في سبيل بريطانية العظمى -وهلم جراً- ويجده على نفسه واجباً لا يتأخر عن أدائه طرفة عين

وأما الموت الثاني فهو الموت لاجل استمرار الموت، وهو الموت الذي يموته المسلمون في خدمة الدول التي استولت على بلادهم. وذلك انهم يموتون حتى ينصروها على أعدائها كما يموت المغربي مثلا حتى تنتصر فرنسة على ألمانية مثلا. ويموت الهندي حتى تتغلب انكلترة على اي عدو لها. ويموت التتري في سبيل ظفر الروسية. والحال انه بانتصار فرنسة على أعدائها تزداد في المغرب غطرسة وظلما وابتزازاً لأملاك المسلمين وهضما لحقوقهم. وذلك كما حصل بعد الحرب العامة اذ ازداد طمع الفرنسيس في اهل المغرب وحدثوا انفسهم بتنصير البربر

وبالاختصار يموت المغربي على ضفاف الرين او في سورية حتى يزداد موتا في المغرب، لان كل طائلة تفوز بها فرنسة في الخارج هي زيادة في قهر المغربي وإعناته واذلاله مما لا سبيل للمناكرة فيه، ومما قد ثبت بالتجربة. وكذلك موت الهندي في سبيل نصرة انكلترة هو تطاويل في اجل عبودية الهند. وكذلك موت التتري في خدمة الروسية لا عاقبة له سوى ازدياد قهر الروس للتتر. وهلم جرا

وهذا الموت لاجل الموت هو ما كان يخط منحن كما يقال، اي باعتبار النتيجة، ولكنه هناك موت لاجل الموت مباشرة بدون واسطة، وهو عند ما يموت المغربي في قتال أخيه المغربي الذي قام يحاول أن يزحزح شيئا من النير الافرنسي الذي كاد يدق عنقه، وان لم يدق عنقه بتاتا استحياه حياة هي اشبه بالموت

ولو انحصرت هذه الامور في العوام والجهلاء لعذرناهم بجهلهم، وقلنا انهم لا يدرون الكتاب ولا السنة ولا السياسة الدنيوية، ولا الاحوال العصرية، وانهم انما يساقون كما تساق بهيمة الانعام الى الذبح

ولكن الانكى هو خيانة الخواص . مثال ذلك الوزير المقري الذي هو أشد تعصبا لقضية رفع الشريعة الاسلامية من بين البربر من الفرنسيس أنفسهم. ومثله البغدادي باشا فاس الذي طرح نحو مائة شخص من شبان فاس وجلدهم بالسياط لكونهم اجتمعوا في جامع القرويين وأخذوا يرددون دعاء « يالطيف الطف بما جرت به المقادر ، ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر » ومفتي فاس الذي أفتى بان إلغاء الشرع الاسلامي من بين البربر ليس باخراج للبربر من الاسلام! وهلم جرا

وكل من هؤلاء الخونة المارقين أخزاهم الله قد بلغ من الكبر عتيا ، وانتهى من أموال الامة شبعا وريا ، وهو لا يزال حريصا على الزلفى الى فرنسة ، واثبات صداقته لها ولو بضياع دينه ودنياه ، حتى تبقى عليه منصبه وحظوظه في هذه البقية الباقية من حياته التاعسة (١)

(١) الغريب في هذا ان أمثال هؤلاء الخونة يبيعون بلادهم كلها للاجنبي بثمن خسيس هو جزء منها لا من مال الاجنبي ، ولو اخلصوا في صده عنها لكان لهم منها أكثر مما يعطيهم الاجنبي منها ثم يكون باقيا لاولادهم واهليهم واخوانهم في الدين مع العز والشرف

وليس واحد من هؤلاء ولا من في ضربهم في المغرب الا وهو مطلع على نيات فرنسة وعلى مراميها من جهة هذا النظام الجديد لامة البربر، وليس فيهم الا من هو عارف بوجود جيش من القسوس والرهبان والراهبات يجوس خلال بلاد البربر ويبني الكنائس ويتصيد اللقطاء والايتام والفقراء وضعفاء الايمان، وليس فيهم الا من هو عالم بمنع فرنسة فقهاء الاسلام والوعاظ من التجوال بين البربر حتى ترتفع الحواجز امام دعوة المبشرين الى النصرانية . وقد يكون المقري والبغدادي هذان هما في مقدمة الموقعين على الاوامر بمنع علماء الاسلام وحملة القرآن من الدخول الى قرى البربر . وقد يكون المقري هذا هو الذي خصص المبلغ من مال المخزن لجريدة « مراكش الكاثوليكية » التي تطعن في الاسلام ، وتقذف محمداً عليه الصلاة والسلام، ولدينا كثير من أعدادها التي تتضمن هذه المطاعن

وبعد هذا فمن يدري؟ فقد يكون المقري مصليا وصائما وبيده سبحة يقرأ عليها أوراداً . ومن يدري؟ فقد يكون البغدادي السيء الذكر ممن يتمسحون بالقبور ويستغيثون بالاولياء ويتظاهرون بهذا الورع الكاذب . وأما المفتي فهو المفتي فلا حاجة الى تثبيت كونه يصلي الخمس ويصوم ويتهجد ويوتر ويتنفل الخ

وقد مضى علينا نحن في سورية شيء من هذا لاوائل عهد الاحتلال ، لكن لم تكن خيانة هؤلاء المعممين في قضية دينية مباشرة... فقد اقترحت عليهم فرنسة أن يمضوا برقية الى جمعية الامم ينكرون بها عمل المؤتمر السوري الفلسطيني المطالب باستقلال سورية وفلسطين ، فأمضاه منهم عمائم مكورة، وطيالس محررة مجررة، ورقاب غليظة ، وبطون عظيمة ، وان لم أقل الآن : أخزاهم الله ، أخشى عتاب اخواننا المغاربة الذين يرونني خصصت بهذا الدعاء صدرهم الاعظم ، ومفتيهم الاكبر ، وأعفيت معممي سورية، فلذلك يقضي العدل بأن نقول أخزاهم الله أجمعين ، أخزى الله الذين منهم في المشرق والمغرب ممن يوقعون على اقتراحات الاجانب المضرة بالدين والوطن

(للكلام بقية)

للحقيقة والتاريخ

﴿ جاءتنا المقالة التالية من فضيلة رئيس تحرير مجلة نور الاسلام وجمعية الهداية تحت هذا العنوان فنشرناها على قاعدتنا في نشر ماينتقد علينا، ونقفي عليها بالرد الذي تمليه علينا معرفة الحقيقة ويتقاضاه التاريخ والمصلحة ﴾

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب « مجلة المنار» الغراء

السلام عليكم ورحمة الله « أما بعد » فقد قرأت ما كتبتموه في مجلتكم الزاهرة تقريظا ونقداً لمجلة « نور الاسلام » فأشكركم على النقد بمقدار ما أشكركم على التقريظ وانا لنعلم أن مجلة كمجلة « نور الاسلام » يرقبها طوائف تختلف مذاهبهم وتتفاوت أنظارهم وتتباعد أغراضهم، ليس في استطاعة القائمين بها أن يخرجوها على مايوافق رغبة الطوائف بأجمعها حتى لاتلاقي الا رضا عنها وتقريظا

فنحن على اعتقاد يشبه اليقين أن المجلة ستواجه ضروبا من النقد مختلفة، هذا في اشفاق ورفق، وذلك في قسوة وعنف، وربما كان كل من الفريقين حسن النية سليم القصد، وما علينا إلا أن ننظر إلى وجه النقد فنتقبله ان كان في نظر الدين والعلم وجيها، فان رأينا الصواب في جانبنا قررنا وجهة نظرنا بالتي هي أحسن، حرصا على أن يكون العلم صلة تعارف وائتلاف، [1] فلا عتب علينا إذا كنا قد قرأنا في تقريظكم كلمات معدودة ألقيتموها بقصد خدمة الحقيقة والتاريخ فلم تقع الموقع الذي قصدتم اليه، فكانت وجهة نظرنا فيها غير وجهة نظركم، وشعورنا بان الحقيقة والتاريخ لايسمحان لنا بالسكوت عنها، وفضيلتكم من أول الداعين إلى إيثارهما على كل مايقضي الادب الجميل برعايته

قلتم في التقريظ « ان الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر السابق قد جعلني مدرسا في قسم التخصص من الازهر بعناية خاصة استثنائية » والواقع ان مجلس الازهر الاعلى قد ندبني للتدريس بقسم التخصص قبل ولاية فضيلة

(١) ذكر ما يفعلون إذا رأوا الصواب في جانبهم ولم يذكر ما يفعلون اذا ظهر لهم الخطأ في جانبهم، فدل هذا على انهم لا يعترفون بانهم مخطئون وان كان مما قال ان عليهم أن يتقبلوه

الشيخ المراغي مشيخة الازهر بنحو سنة وكان الذي يرأس المجلس الاعلى وقتئذ حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبدالرحمن قراعة مفتي الديار المصرية سابقاً وكان لذلك الحين رئيسا لقسم التخصص أيضاً

قلتم « قد عجبتم لي حيث لم أذكر الشيخ محمد مصطفى المراغي في الخلاصة التاريخية التي كتبتها في فاتحة العدد الاول من مجلة « نور الاسلام » مع أن له الفضل علي وان لم أكن من أعضاء جمعيته أو حزبه

إذا لم أذكر اسم فضيلة الاستاذ الشيخ المراغي فقد ذكرت أن المجلس الاعلى حينما أخذ ينظر في ميزانية سنة ١٩٢٩ أدرج فيها مبلغاً للمجلة ، ومعلوم من ذكر التاريخ أن المجلس الذي قرر هذا المبلغ كان تحت رياسة الاستاذ الشيخ المراغي، فللاستاذ المراغي نصيبه من فضل هذا المشروع ولا يلزم المندوب لرياسة تحرير المجلة أن يكون على علم من مقدار هذا النصيب حتى إذا لم يتعرض له في فاتحة المجلة عد متهاونا بحق التاريخ او غير معترف بالفضل

وما بال فضيلتكم تعجبون لعدم ذكر رئيس المجلس الاعلى الذي قرر المبلغ الذي ينفق على المجلة وتعدونه استخفافا مني بحق التاريخ ونكرانا لفضل ذلك الرئيس علي ، ولم يعجب أحد من مريدي صاحبي الفضيلة المرحوم الاستاذ الشيخ محمد أبي الفضل والاستاذ الجليل الشيخ عبدالرحمن قراعة لعدم ذكر اسمهما في تلك الخلاصة ، وقد كان الشيخ ابوالفضل يرأس المجلس الاعلى الذي قبل اقتراح مشروع المجلة سنة ١٩٢٦ وكان فضيلة الاستاذ الشيخ عبدالرحمن قراعة يرأس المجلس الذي ألف لجنة لوضع تقرير في هذا الاقتراح سنة ١٩٢٧ وهذا العمل بالنظر الى كونه الاساس الذي قام عليه المشروع عمل لايستهان به

ولا أرى إلا أن مريدي الاستاذين الشيخ أبي الفضل والشيخ قراعة قرأوا فاتحة المجلة وقد حضرهم أن المندوب لرياسة التحرير إذا نسب العمل الى المجلس الأعلى مع ذكر تاريخ انعقاده فقد قضى واجب التاريخ عليه ،وليس من واجب التاريخ عليه أن يسمي رئيس المجلس الأعلى أو أعضاءه في خلاصة قصد بها الاشارة الى تاريخ نشأة المشروع والاطوار التي مر عليها حتى صار عملا ظاهراً

وعلى فرض أن أكون قد أجملت القول في مواضع تعلمون منها أكثر مما أعلم كان لفضيلتكم أن تكتبوها للتاريخ في صفاء خاطر متحامين الكلمات التي يسبق الى أذهان بعض الناس انها مصنوعة لتثير غبار فتنة ، ومثل هذه الفتنة لو أيقظها غيركم لكان واجب الدين وسماحة الاخلاق قبل كل داعية

وأنا لا أستنكف أن يكون للاستاذ المراغي عندي يد ، ولكن التدريس الذي تمنونه بقولكم « كما أن له الفضل عليه نفسه » قد عرف الناس أني ندبت له من قبل أن يتولى فضيلته منصب المشيخة ، على أني اربأ بكم ان تزنوا العلم بهذا الميزان وتجعلوه انقص قدراً من متاع هذه الحياة إذ سميتم ندبي للتدريس فضلا من الناحب علي بدل ان تجعلوه اخلاصاً منه للمعهد الذي تولى امره ليدير شؤونه بنصح وامانة .

واذا لم أكن من جمعية الشيخ المراغي فلأني لا اذكر ان احداً من الناس عرض علي قانون حزب او جمعية تدعى بهذا الاسم فأعرف مبادئها والغاية التي تألفت من اجلها ، ولست ممن يحب ان يحشر نفسه في كل جمعيـة او حزب وإن لم يعرف مبادئه ويطمئن الى الغاية التي يرمي اليها

نقدتم ماجاء في فاتحة المجلة من انها لاتمس السياسة في شأن وقلتم : ان هـذا حرمان لمحرريها من خدمة الاسلام والدفاع عنه بالسكوت عن امور كثيرة يجب بيانها . وجواب هذا ان المجلة اذا تجنبت التدخل في النزعات السياسية فان اقلام محرريها لاتقف دون الكتابة فيما يصيب الشعوب الاسلامية من مكاره ، او فيما تراه مخالفا للدين ولو كان من اعمال الادارة الداخلية ، غير انها تكتب في مثل هذا على وجه الوعظ والارشاد ، فلا يخرج عن دائرة مجلة « نور الاسلام » ان تكتب في انكار بعض تصرفات يعتـدي بها على حق ديني لأحـد الشعوب الاسلامية ، ولا يخرج عن دائرتها ان تطالب بنحو إلغاء البغاء الرسمي او احترام المحاكم الشرعية فيما اذا خطر لأحـد رجال الادارة ان ينقص مما هو داخل في اختصاصها ، او الاحتفاظ باللغة العربية فيما اذا رأى ذو سلطة اهتضام جانبها ، الى غير هذا من الشؤون التي تحفظ على الامة دينها ولغتها ، ويرغب أولو السياسة الرشيدة انفسهم ان يعلموا حكم الدين في امثالها .

ونقدتم ماجاء في فاتحة المجلة من « انها لاتنوي ان تهاجم دينا بالطعن ولا ان تتعرض لرجال الاديان بمكروه من القول » وحملتم هذه العبارة على معنى انها لاترد على المخالفين اذا هاجموا الاسلام، وقلتم : ان العلماء لايستطيعون القتال بالسلاح فهم يستطيعون الجهاد بالقلم واللسان ومجادلتهم بالتي هي احسن وإن كرهوها

ولو صدر هذا النقد من غير فضيلتكم لقلنا : انما يريد ان يكثر سواد وجوه النقد، ولكن مكانتكم ارفع من ان يقصد الى هذه الغاية ، وذلك لانا نقول في فاتحة المجلة « تناقش المجلة الاشخاص او الجماعات الذين يقولون في الدين غير الحق مقتدية في مناقشتها بأدب قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)

واذا قالت: انها لاتنوي ان تهاجم دينا بالطعن، او قالت لاتتعرض لرجال الاديان بمكروه من القول، فانما تريد الترفع عن بذاءة القول والخروج عن دائرة البحث العلمي الى مايهيج البغضاء دون ان يكون له في تقرير الحقائق او إزهاق الباطل اثر كثير او قليل .

واظن حضرات قراء مجلة « نور الاسلام » انما يذهبون في فهم هذه الجمل الى اننا نظرنا عند صوغها الى قوله تعالى (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وقد اصبح حكماء الكتاب يصوغون دفاعهم على قدر بيان الحق او كشف شبه الباطل، ولا يحسون من اقلامهم نزوعا الى السوء من القول ؛ ومن كان في ثروة من الحجج لايرى نفسه في حاجة الى ان يستمين في دفاعه او هجومه بشيء من اللمز والبذاء

هـذا : وظننا في الاستاذ انه ينقد في إخلاص، ويتلقى الجواب في سكينة وانصاف ، وسلام عليك يوم تقرظ ويوم تنقد ويوم تكون للحق وليا

محمد الخضر حسين

رد المنـــــار

الذي تجلى به الحقيقة وينصف التاريخ

أرسل الينا الاستاذ رئيس تحرير مجلة الازهر هذا الرد على ما كتبناه في تقريظها والنصيحة الاسلامية لها، ونشره هو في مجلة جمعيته (الهداية) ولم ينشره فيها، خلافا للاصول المتبعة وللمعقول، بل عوقبنا على تقريظنا ونصيحتنا بقطع تلك المجلة عن مبادلة أختها المنار، وأخبرنا فضيلته بذلك فلم يتفضل بالامر باعادة ارسال المجلة الينا بالمبادلة كما هي سنة الصحف على اختلاف موضوعاتها ومذاهبها، وتلك جفوة وقطيعة بل عقوبة صحفية تنافي ماذكره من الشكر للمنار على التقريظ والنقد جميعاً، الا أن تكون العقوبة من ادارة مجلة نور الاسلام وكانت بحيث لا يقبل فيها شفاعة رئيس التحرير، على ان الادارة لم ترسل المجلة الينا اولا إلا بعد أن رأينا تقريظها في جرائد مصر وسورية وتونس، والذي جاءنا منها ٣ أجزاء فقط، وكنا نود لو عاتبنا الاستاذ فيما خالف وجهة نظره مشافهة وسمع جوابنا، واختار بعد ذلك أن يكتب وينشر، أو أن يرضى ويصمت، ولكنه قد طرق بالنشر هذا الباب، فوجب أن يسمع منه الجواب

مقدمة وتمهيد للرد

ان الحقيقة والتاريخ يقتضيان قول الحق بغير محاباة لأحد ولا هضم لحق أحد، لا لأسباب حزبية، ولا لعلل سياسية، ولا لشؤون شخصية، والصراحة في الحق بغير تأويل، ولا ميل عن سواء السبيل، ومن لم يستطع ذلك فليصمت، ذلك خير وأحسن تأويلا، وانني ألتزم هذا الشرط فيما أتعقب به رد الاستاذ مع المحافظة على سابق مودته إن شاء، فأقول :

إنني قصدت بما كتبت في شأن هذه المجلة التقريظ والتنويه بما احب أن يكون لها من المكانة في العالم الاسلامي وما يرجى من نفعها للمسلمين، فقلت في ذلك مالم يقله أحد من مقرظيها الذين اطلعت على تقاريظهم، ولم أقصد أن أنتقدها كما صرحت بذلك،

ولو شئت ذلك لكان مجاله عندي أوسع مما يعتقدون اذ قال : انهم يعتقدون اعتقاداً يشبه اليقين ان المجلة ستواجه ضروبا من النقد مختلفة الخ ، وأنما وجدت من الواجب علي أذكر أصحاب الشأن فيها بأهم ماتجب مراعاته لاجل أن تتبوأ تلك المكانة وتحقق ذلك الرجاء ، مما ظهر لي من فاتحتها وما نشر في الجزءين الاولين منها أنهم لم يراعوه ولا ينتظر أن يراعوه من تلقاء انفسهم ، لم أنتقدهم انتقاد تخطئة وتجهيل ، بل ذكرتهم التذكير الذي ينفع المؤمنين ، مع اتقاء نقد المقالات الذي لا يرضي الكاتبين ، فاقترحت أمرين (أحدهما) الدفاع عن الاسلام وعن المسلمين بصد كل ما يهاجمان به في هذا العصر بالحجة ، والارشاد الى العمل الذي يكشف الغمة ، ويجمع الكلمة ، (والثاني) الدقة في تخريج كل ماينشر في المجلة من الأحاديث والآثار، إذ اعتاد اكثر علماء الازهر وأمثالهم نقل الاحاديث في كتبهم وخطبهم من الكتب المتداولة ، دون الرجوع في تخريجها الى دواوين السنة المعتمدة ، وبيان مايصح ومالا يصح منها ، حتى اشتهروا باهمال علم السنة ، وقد راوغ رئيس التحرير في الاول ولم يستطع المراوغة في الثاني بل سكت على قاعدتهم التي قررها في مقاله هذا .

وأما النقد الذي قصدته بحسن النية ، وتوخي اللين والرونة ، والمحافظة على سابق المودة ، فهو ما أنكرته على فضيلة رئيس التحرير خاصة ، لانه جاء على غير ماتقتضيه الحقيقة والتاريخ ، وعلى خلاف مانعهد من أخلاقه الفاضلة وأدبه النفسي ، وهما أكبر في أنفسنا من علمه وأدبه اللغوي ، فرد علينا رد الجدليين ، وكابر الحقيقة كمكابرة السياسيين ، فوجب أن أبحث معه في جوابه عنه بما تعلم به الحقيقة ويرضاه الله والتاريخ (والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين)

هذا ماكنت قصدته وعبارتي صريحة فيه ، وناطقة بالحجة المثبتة له ، ورئيس التحرير يقول في مقدمة رده المنتقدة من عدة وجوه لانضيع الوقت في بيانها: « فلا عتب علينا إذا كنا قد قرأنا في تقريظكم كلمات معدودة ألقيتموها بقصد خدمة الحقيقة والتاريخ فلم تقع الموقع الذي قصدتم اليه » الخ ثم بين وجهة نظرهم في الرد فقال — والعناوين من المنار —

(١) مسألة التدريس في الازهر

[قلتم في التقريظ « ان الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر السابق قد جعلني مدرسا في قسم التخصص من الازهر بعناية خاصة استثنائية » والواقع ان مجلس الازهر الأعلى قد ندبني للتدريس بقسم التخصص قبل ولاية فضيلة الشيخ المراغي بنحو سنة وكان يرأس المجلس الأعلى وقتئذ صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعة مفتي الديار المصرية سابقا] اه بحروفه ورقمه. ثم ذكر هذا الرد مرة أخرى واطال فيه

أقول في جوابه (أولا وقبل كل شيء) انه حكى قولي هذا بمعناه لا بلفظه كله فلماذا وضعه بين علامات الرقم الدالة على نقله إياه بحروفه هكذا « » ؟ ان أمثاله من الكتاب المصريين والمحررين الصحفيين لا يفعلون هذه الفعلة بدون قصد ، وانني لا غضي عن مناقشته فيه وهو ضرب من التحريف حتى لا أكثر في الرد عليه ، ولكنني انبه القراء لعادته كغيره في التزام الالقاب الرسمية والعرفية لكبار العلماء وغيرهم عند ذكر أسمائهم ، وعدم التزام المنار هذه العادة اتباعاً لعلمائنا وكتابنا المتقدمين كما صرحت بذلك من قبل ، وأوجه نظرهم الى ما في مقالته من التفاوت في التعبير والالقاب عند ذكر المراغي وذكر غيره من أقرانه. على أن كلمة (المراغي) وحدها صارت في هذا العهد غنية في نظرنا ونظر الذين يعرفون أقدار الرجال عن تحليتها بالالقاب ككلمة الغزالي والنووي في عهدهما ومن بعدهما

وأقول (ثانيا) أن ندبه للتدريس في قسم التخصص قبل مشيخة المراغي غير جعل هذا إياه مدرسا فيه ، وجميع من في مصر يعلم الفرق بين الندب في الحكومة لعمل من الاعمال وبين الوظيفة الثابتة وان تساوى الراتب فكيف اذا تضاعف ، وان مجافاة ما كتبه الاستاذ الخضر للحقيقة والتاريخ في المسألة يحملنا على انصافهما ببيان هذه الحقيقة التاريخية:

ندب الاستاذ الشيخ محمد الخضر التونسي الفرنسي التبعة للتدريس في قسم التخصص سنة ١٩٢٧ بمكافأة شهرية قدرها ثمانية جنيهات مصرية في كل شهر من شهور الدراسة فحسب

هذا ما كان قبل مشيخة المراغي وأما ما كان فيها فهو انه قد عرض على مجلس الازهر الأعلى مذكرة بطلب تعيين الشيخ الخضر مدرساً بالازهر براتب قدره خمسة عشر جنيها في كل شهر يعقد من ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٨ فوافق المجلس عليها - فصار بهذا مدرسا ثابتا ، وارتقى ما يأخذه من مكافأة في مدة العمل قدرها ٧٢ جنيها الى راتب يبلغ في السنة ١٨٠ جنيها !!

فليست هذه عناية خاصة بصفة استثنائية لان الاستاذ أجنبي غير مصري؟

أوليست منة للمراغي تستحق الشكر من الاستاذ الخضر الذي رأينا من مبالغته في شكر من يحسن اليه انه رفع صوته في حفلة تأبين المرحوم أحمد باشا تيمور الحافلة فذكر من عنايته به انه أخبره بأنه يريد الذهاب الى الاسكندرية لحاجة له فكان من بره به أن سافر معه وعاد به ، فكان سفره لاجله ؟ بلى، وان بر الاستاذ المراغي به كان أفضل وأكمل وأشرف وأحق بالشكر ، أفيعقل أن يقابله هذا الشكور بالكنود ، فيسند الفضل فيه الى غيره ولا يعترف له بشيء منه، بل ينكر على من يذكر ذلك ويعده منتقصاً لقدر العلم والعلماء، يقول انه يكتب هذا الحقيقة والتاريخ!

(٣) مسألة ترك ذكره للمراغي في تاريخ المجلة

قال [قلتم « قد عجبتم لي حيث لم أذكر الشيخ محمد مصطفى المراغي في الخلاصة التاريخية التي كتبتها في فاتحة العدد الاول من مجلة « نور الاسلام » مع ان له الفضل علي وإن لم أكن من اعضاء جمعيته أو حزبه] اهـ بحروفه ورقمه أي علاماته ويقال في هذا الرقم ما أشير اليه في الانكار على سابقه من انه تحريف

وفيه تحريف آخر وهو انه جعل الضمير في قولي جمعيته وحزبه عائدا الى الاستاذ المراغي وانما هو عائد اليه نفسه، فعبارتي في تعليل فضله عليه « وان لم يكن من اعضاء جمعيته » الخ أي وان لم يكن المراغي - فحرفها بقوله « وان لم أكن » الخ ومن المعلوم ان الخضر له جمعية والمراغي ليست له جمعية كما صرح هو بذلك في قوله بعد : وإذا لم أكن من جمعية الشيخ المراغي فلأني لا أذكر أن أحداً من الناس عرض علي قانون حزب أو جمعية تدعى بهذا الاسم فاعرف مبادئها الخ

ويعتقد كثير من الناس ان لجمعية الخضر مقاصد حزبية وقد أضفتها اليه لانه رئيسها ، ولو كان للاستاذ المراغي جمعية كجمعيته لعرفت واشتهر أمرها ، ولكان هو اجدر من كثير من الناس بمعرفتها ، لما كان من كثرة تردده على الاستاذ في عهد مشيخته ، ولان الاستاذ كان يحسن الظن به ، ولما له من التدخل والتغلغل في شؤون الازهر والازهريين والحرص على تعرف ماهنالك ،

ثم ذكر انه اذا لم يذكر اسم فضيلة الاستاذ الشيخ المراغي في الخلاصة التاريخية التي كتبها في فاتحة المجلة فقد ذكر [ان المجلس الأعلى حينما أخذ ينظر في ميزانية سنة ١٩٢٩ أدرج فيها مبلغا للمجلة ، ومعلوم من ذكر التاريخ ان المجلس الذي قرر هذا المبلغ كان تحت رياسة الاستاذ الشيخ المراغي ، فللاستاذ المراغي نصيبه من فضل هذا المشروع ، ولا يلزم المندوب لرياسة تحرير المجلة أن يكون على علم من مقدار هـذا النصيب حتى اذا لم يتعرض له في فاتحة المجـلة عد متهاونا بحق التاريخ أو غير معترف بالفضل]

وأقول هـذ الكلام مغالطة لايحتج بقياسها منطقي على من يعرف المنطق مثله، فما كان ينبغي لمثله أن يكتبه ، وبيان هذا من وجوه

(أولها) انه يلزم المندوب لرياسة تحرير مجلة كهذه أن يكون على علم تفصيلي من التاريخ الذي يتصدى لوضعه لها ولو مجملا ، فان لم يقدر على معرفة نصيب كل فرد من افراد من لهم عمل ما أو اقتراح ما في هذا التاريخ — وهو مالا يطلبه منه أحد ـ فلا يصح أن يجهل نصيب الرئيس الاكبر للمصلحة التي قررت هذا الامر ووضعت ميزانيته ، ثم انفرد هو بالجهاد في سبيل القانون الجديد للازهر الذي جعلت المجلة من فروعه، ومنه مناقشة الوزراء ورجال البلاط الملكي فيه عدة أشهر

(ثانيها) قوله ان ذكر تاريخ الميزانية يلزم منه العلم بأن رئيس المجلس الذي وضعها هو فلان فيعلم منه نصيبه من فضل المشروع ـ غير مسلم على اطلاقه، وغير مجد في دفع الملام عنه ، فان أكثر قراء خلاصته التاريخيـة لايعلمون من ذكر ذلك التاريخ ان الاستاذ المراغي كان رئيس ذلك المجلس ، ومن يعلم هـذا من الازهريين وغيرهم لايعد هذا اللزوم غير البين اعترافا بما لهذا الرئيس من الفضل فيه

(ثالثها) ان هذه قاعدة غريبة من قواعد التاريخ وتراجم الرجال العاملين، وهي ان ذكر التاريخ السنوي لعمل من الاعمال العظيمة يغني عن ذكر من قامو بذلك العمل وعن التنويه بفضلهم، بل يعد تعريفا به وبهم !!

(رابعها) ان هذا الامر الذي قال انه لايلزم المندوب لتحرير المجلة أن يكون على علم منه - اى على ادنى علم منه - يعلم أمثالنا كما يعلم هو انه على علم تام به، فان كان لايلزم كل مندوب لتحرير مجلة فهو لازم لبعض المندوبين لمثل ماذكر ومنهم الاستاذ الشيخ محمد الخضر حسين، فنقيض السالبة الكلية موجبة جزئية

(خامسها) اننا رأيناه قد ذكر اسماء أعضاء اللجنة التي ألفت في سنة ١٩٢٧ للبحث في التقرير الذي وضعه عبد العزيز بك محمد للمشروع ولم يكتف بذكر التاريخ عن ذكر الاسماء، وذكر بعدها ان المجلس أدرج في ميزانية سنة ١٩٢٩ مبلغا للانفاق على هذه المجلة، ولم يزد على هذا كلمة واحدة مما عمله المجلس ولا رئيسه في هذه السنة التي كانت كلها جهادا في سبيل الازهر قانونه وميزانيته ومجلته . ثم قفى على ذلك بقوله :

« ولما أسندت مشيخة الازهر الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الاحمدي الظواهري كان من أول ماتوجهت اليه عنايته مشروع هذه المجلة فأخذ يديره بجد وحكمة حتى لانت صعابه، وتهيأت بتأييد الله أسبابه» اه فسكوته عن ذكر اسم الشيخ المراغي وموضعه بين ذكر اسماء اعضاء اللجنة المذكورة وذكر الشيخ الاحمدي يدل على التعمد

والذي نعلمه ويعلمه جماهير المطلعين على سير الامور العامة في مصر ان الذي ألان الصعاب لهذا المشروع في ضمن قانون الازهر الجديد وميزانيته وجاهد في سبيله حتى ضحى منصب المشيخة برواتبه الضخمة وجاهه العريض، هو الشيخ محمد مصطفى المراغي، فكان موضع اعجاب جميع الناس الذين يعرفون قيمة الانفس الكبيرة بالعزة والشرف والاباء، وما شاءت الفضائل من علو الاخلاق، وقدأ كبر الذين يتهضمون الازهر وشيوخه من ابناء الدنيا أن يتحلى شيخ أزهري قح بهذا الشمم وعلو الهمة وعزة النفس

وأما فضل الشيخ محمد الاحمدي الذي انفرد به في هذا الموضوع فهو في رأينا ما ذكرناه في تقريظنا للمجلة ، وهو نوط أعمالها الرئيسية من ادارة وتحرير بغير علماء الازهر المصريين - على ما فيه من الاشعار او الايهام بأنه ليس فيهم من هم اهل لذلك في نظر الشيخ - وأهمها جعل رئيس التحرير أحد الغرباء المشمولين بالحماية الفرنسية مع عدم الحاجة الى الانتفاع بهذه الحماية من جانب السياسة . واني لأعد هذا مزية للشيخ جاداً غير هازل، ولا عاديا جادة الحقيقة، الى شيء من نواشط التعريض والكناية ، فان الشعوب تلوذ في طور الضعف بالأثرة والعجب ، فتهضم حق الغريب عن بلدها أو معهدها ، وأما في طور اليقظة والارتقاء فانها تعرف لكل ذي فضل فضله ، وأجدر الشعوب بذلك من يدينون بقول ربهم (انما المؤمنون اخوة) وقد كانت من اعجاب اهل الازهر بعلمهم وصيته أنهم لم يدعوا مثل السيد جمال الدين الافغاني إلى التدريس فيه ، وهم لم يروا له مثلا ، بل قلما يجود الاعصار له بمثل ، فكان يدرس في بيته وكان أكابر شيوخ الازهر الجامدين يصدون عنه صدوداً . وقد كان الاستاذ الامام مهد السبيل لايجاد درس في الانشاء وآداب اللغة بالازهر يناط بأديب مهم غير أزهري ولا مصري فلم يتم له ذلك على ماكان له من النفوذ

ولكن تعيين الشيخ الخضر رئيساً لتحرير الازهر لم تكن الفضيلة فيه خالصة للاحمدي ، بل كان المراغي قد مهد السبيل لها بتعيينه مدرساً في الازهر وبهذا اللقب حلي رئيس التحرير في ديباجتها إذ كان هو المحلل له ، ولو شاء ان يكتب بجانب اسمه « التونسي » او خريج جامع الزيتونة لما سمحوا له ، ولو سمحوا به وفعله لتم لهم عندي فضل الانصاف والاخوة الاسلامية ولعل الندب الاول له ما كان يسوغ هذا ، وانما كان ذاك بوصية او إيعاز لا يرد كامتحان العالمية ودرجتها ، وكان واسطته - كما قيل - احمد باشا تيمور رحمه الله تعالى ، فالفضل الاول في تدريج الخضر الى الازهر خارج عن محيط الازهر ، وانما أشرح هذا لانه من قبيل مايسمى في هذا العصر بالنقد التحليلي لتاريخ الازهر الذي خبرت اطوار الانقلاب العصري فيه من أولها ، ولذلك أنكرت على صديقي شكره لكل من أحسن اليه إلا المراغي فانه غمطه حقه

وأما ما أورده علينا من أنه لم يعجب أحد من مريدي الشيخين الجيزاوي وقراعة من مثل ما عجبنا منه فهو سفسطة ظاهرة إذ لا يمكنه إثبات هذه السالبة الكلية، ولو أثبتها لا تقوم بها حجة

(٣) كبوته في وزن العلم ونفسه بغير ميزانهما

انتقل من هذا البيان إلى الجواب عن قوله [وأما لا أستنكف أن يكون للأستاذ المراغي عندي يد ، ولكن التدريس الذي تعنونه بقولكم « كما أن له الفضل عليه نفسه » قد عرف الناس أني ندبت له قبل أن يتولى فضيلته منصب المشيخة . على أني أربأ بكم أن تزنوا العلم بهذا الميزان ، وتجعلوه أنقص قدراً من متاع هذه الحياة ، إذ سميتم ندبي للتدريس فضلا من التأدب على بدلا من أن تجعلوه إخلاصا منه للمعهد الذي تولى أمره ليدبر شؤونه بنصح وأمانة]

وأقول في الجواب (أولا) لا شبهة عندي في أنه لا يستنكف أن يكون للأستاذ المراغي يد عنده ، لما أعلم من أدبه وتواضعه ، ولأنه تود بما كان لأحمد باشا تيمور عليه من يد ، والمراغي أعلى من أحمد تيمور مقاما في العلم وفي الهيئة الاجتماعية ، والتدريس في الأزهر الذي نعني به يد المراغي أعلى وأشرف من يد تيمور في صحبة الأستاذ إلى الإسكندرية ذهابا وإيابا التي شاد بذكرها وأطرانه بها على مسامع حاضري الجنة الذين كما تقدم

(ثانيا) أني بينت آنفا أن للمراغي من الفضل في مسألة التدريس ما ليس له أن قبلة وأن إنكاره ذلك جحد للحقيقة الواقعة

(ثالثا) وهو المقصود بالذات أن منصب التدريس في الأزهر عندي ليس من متاع هذه الحياة الدنيا وإنما هو عمل علمي ديني من أفضل الأعمال التي تنال بها سعادة الآخرة بالإخلاص فيه لله تعالى ، وشرفه في الدنيا من الكمال الحقيقي الشرعي بشرطه لا الوهمي ، ولم أذكر في تلك العبارة التي انتقدها الأستاذ الخضر قدر الراتب الذي جعله المراغي للتدريس وكونه أكثر من ضعف الراتب الأول ، إذ ليس هو موضوع الفضل عندي ، وإنما ذكرته في هذا الرد الحقيقة التاريخية التي طمسها في مقاله الذي جعل عنوانه (للحقيقة والتاريخ)

فتبين بهذا انه هو الذي هضم حق العلم إذ لم يخطر بباله من ذكر هذه المسألة إلا مايقترن بالتدريس من الراتب الذي هو متاع هذه الحياة ، فنحن أحق بأن نربأ به أن يزن العلم وأن يزن نفسه بهذا الميزان، ولعله لايدري ان أهل المعرفة بهذه الاحوال يقولون ان الرجل معذور فيما ينتقد عليه في هذا المقام باضطراره الى مراعاة ماينقده من الراتب الذي هو قوام معيشته

(رابعا) إنني أعتقد أن الاستاذ المراغي جعل الاستاذ الخضر مدرساً في الازهر بباعث الاخلاص للمعهد وحسن الظن فيه هو، إذ علمت انه اختار ذلك من تلقاء نفسه ولم يفعله بتوصية ولا إيعاز من خارج الازهر كما قيل في غيره، وبهذا كان أجدر بالشكر من غيره.

(٤) الكبوة الكبرى له إيقاظ الفتنة

قال [وعلى فرض أن أكون قد أجملت في مواضع تعلمون منها أ كثر مما أعلم كان لفضيلتكم أن تكتبوها للتاريخ في صفاء خاطر متحامين الكلمات التي يسبق الى أذهان بعض الناس انها مصنوعة لتثير غبار فتنة، ومثل هذه الفتنة لو أيقظها غيركم لكان واجب الدين وسماحة الاخلاق قبل كل داعية] اه بنصه وفصه وحروفه ونقطه

أقول ان هذه الكلمة هي التى حملتني قبل كل شيء على كتابة هذا الرد بعد نشر الاستاذ لمقالته في مجلة الهداية ، وانني كتبت كلمتي الاولى بصفاء خاطر وود محفوظ مكتفيا بالاشارة اللطيفة التي تغني اللبيب الذي اردت تذكيره بها الى ما كنت أربأ به أن يغمز به ، ولا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إنني لم يخطر ببالي ان فيها كلمة تثير غبار فتنة ، بل عجبت لذكره كلمة الفتنة في مقالته ولم أفهم بادىء ذي بدء مايريد منها، فذكرتها لبعض اخوانه واخواني الذين هم أعرف مني بشؤونه الاخيرة في جمعيته وفي الازهر ، لعلهم يفهمون من مراده بالفتنة مالم أفهم، فقالوا : أولم تقرأ ماكتبه في مجلة الهداية من الاشارة الى آماله في تعيين الاستاذ الظواهري شيخا للازهر ؟ قلت انني لا أجد وقتاً لقراءة هذه المجلة وهي تجيئني بالمبادلة . قالوا ارجع الى الجزء الاول من السنة الثانية لهذه المجلة تجد فيه مالعلك تفهم منه مراده بالفتنة التي يريدها هو وانت لا تعلم من أمرها شيئا ، فرجعت اليه فقف شعري من قراءته وهذا نصه :

نص ما كتبه الاستاذ الخضر في الجزء الاول من السنة الثانية لمجلة الهداية الاسلامية بصحيفة ٥٦ تحت عنوان شيخ الازهر الجديد

« تولى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد الاحمدي الظواهري مشيخة الازهر الشريف ، فكان لولايته هذا المنصب الكبير أثر ارتياح وابتهاج في الامة لما يعرفونه لفضيلته من غزارة العلم والغيرة على الدين ونحن نهنيء فضيلته بهذا المقام السامي ونرجو له المعونة من الله والتوفيق والمؤمل في فضيلته العناية باصلاح التعليم في الازهر ، وحمايته من عدوى أمراض عقلية أو خلقية أخذت تدب فيه منذ عهد قريب اه المراد منه

قالوا : وقد سئل الشيخ الخضر عن مقصده من قوله «وحمايته» الخ وكلف أن يبين مراده من هذه الامراض العقلية والخلقية التي زعم انها تدب في الازهر من عهد قريب قولا وكتابة في المجلة (الهداية) فأبى أن يقول او يكتب شيئاً واستقال من أجل ذلك بعض العلماء من جمعية الهداية وكانوا أعضاء فيها

وأقول اذاً ولا يجوز لي أن أسكت :

ان كلمة الاستاذ الخضر في دبيب الامراض العقلية والخلقية في الازهر لكلمة كبيرة لا يمكنني تحديد مراده منها ، وهو قد أبي بيانها على من سألوه عنها ، ولم يبال باستقالة من استقال من جمعيته لأجلها ، لانه يعلم ان أكبر أعضائها لا يدققون النظر في مثل هذا فيحاسبوه على كتابته باسم جمعيتهم . وان هذه الكلمة لاجدر باثارة غبار الفتنة من اشارتي إلى ما كان يجب من انصاف التاريخ ، أوهي إنذار بفتنة تراد إثارتها في الازهر ، بالتهمة التي صبها على الازهر ، وأنذرني إياها

أظن انني أعلم بتاريخ الازهر الحديث من الاستاذ الخضر لاني كنت أمين سر الاستاذ الامام وظهيره فيما كان يحاول من إصلاحه العقلي والخلقي ، وما هو نتيجتهما من الاصلاح العلمي والعملي ، ولعله لا يوجد أحد ينكر أن الاستاذ الامام كان أوسع الناس علماً بتاريخ الازهر الحديث — وكذا القديم — لانه نشأ فيه وعني بمعرفة تاريخه بالتبع لتاريخ الاسلام ومصر وتصدى لاصلاحه منذ كان طالباً مجاوراً فيه ، واختبر كبار شيوخه بالمعاشرة ، وبما كان له من النفوذ في إدارة الازهر الذى

كان هو الواضع لقانونها صاحب التأثير الاكبر فيما نفذ منه ، وبما كان له من النفوذ أيضاً في تعيين القضاة الشرعيين والمدرسين ، على ما آتاه الله من الحكمة وفصل الخطاب ، وقد كتبت في أطوار الازهر في حياته وبعد وفاته مقالات كثيرة لو جمعت لكانت سفراً كبيراً ، وكتبت في الجزء الاول من تاريخ الامام ما فيه العبرة من أطوار الازهر ، وطبعت قبل ذلك كتاب أعمال مجلس ادارة الازهر في عشر سنين ، وهو تاريخ شبه رسمي كتبه الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان باقتراح الاستاذ الامام وكان زميله وساعده وعضده في تلك الاعمال ، وفيه من بيان أمراض الازهر العقلية والخلقية الثابتة بالادلة الرسمية العجب العجاب ،

فما الذي يريده الخضر بالامراض العقلية أو الخلقية الجديدة التي تدب عدواها الى الازهر من عهد قريب بزعمه او حسب فهمه ويطلب من الاستاذ الظواهري حمايته منها ؟

الامراض العقلية قسمان : امراض عصبية موضوعها الطب وهي غير مرادة هنا قطعاً ، وأمراض معنوية تتعلق بوظائف العقل في العلم والتعليم ، وأقتلها بناء التعليم على اساس التقليد لمؤلفي الكتب المتداولة في التدريس والمطالعة وحرمان العقل من الاستقلال في العلم بالاستدلال الصحيح في كل علم بحسبه ، وهذا المرض قديم في الازهر وغيره من المدارس الاسلامية ، وهو علة عقم التعليم فيها منذ قرون

ويمتاز هذا العهد الاخير بأنه كان من أثر الارشاد المعنوي الذي بثه الاستاذ الامام فيه بعد السيد جمال الدين ، وجرى عليه بعض تلاميذه ومريديه ، أن دب دبيب الشفاء من ذلك الداء العضال في بعض تلك العقول العقام من الازهريين ، ولكن هؤلاء الاصحاء كانوا مضطهدين من المقلدين الجامدين ، ومعضلين من قبل رؤساء المرضى المعضلين ، حتى اذا ما سارت رياسة الازهر الى أكبر مريدي الامام من خريجي الازهر قدراً ، وأقوامهم عزماً ـ وهو الاستاذ المراغي ـ وجد واحرية وانتماشاً جددوا بها لمحيي الاصلاح لهذا المعهد التليد آمالا ولا نعرف شيئاً جديداً يتعلق بصحة العقل ومرضه قد طرأ على الازهر من عهد قريب غير هذا ، فيا ليت شعري أهذا ما يعنيه الاستاذ الخضر من

المرض العقلي ؟ أما أنا فكان ظني فيه منذ عرفته وذاكرته في مسائل العلم الى أن قرأت هذه العبارة في مجلة هدايته انه يعد استقلال العقل في تحصيل العلم هو الصحة ، وأن فقد هذا الاستقلال، هو المرض العضال، والداء القتال، فهل كذبت فيه الظنون وخابت الآمال ؟ أم ماذا يعني بهذه العبارة ؟

وأما المرض الخلقي القديم في الازهر الذي كان يشكو منه الاستاذ الامام ويحاول معالجته - وفي كتاب اعمال مجلس ادارة الازهر كثير من الشواهد عليه - فشره وأضره وأقتله الجبن وذلة النفس وما يتبعهما من التملق والخنوع لكبراء رجال الدنيا من الامراء والوزراء ، والطمع في الحطام المزري بشرف العلم وكرامة العلماء ، ولم ير الازهر بعد الاستاذ الامام أعز نفساً وأعلا همة وأكمل قناعة من الشيخ محمد مصطفى المراغي ، تجلى هذا بأبهى مجاليه وأشرف مظاهره في استقالته من مشيخة الجامع الازهر ورياسة المعاهد الدينية على ما نوهنا به في هذا الرد، فكان هذا خير قدوة ومثال للفئة المهذبة الكريمة الاخلاق في الازهر ، ولا نعرف شيئاً جديداً خلقياً دب في الازهر من عهد قريب غير هذا ، فهل هو الذي يسميه الاستاذ الخضر مرضاً خلقياً أم ماذا يعني ؟

يجب على الاستاذ الخضر رئيس جمعية الهداية ورئيس تحرير مجلة (نور الاسلام لسان حال الازهر والمعاهد الدينية ان يبين لنا مراده من الامراض العقلية والخلقية، ونحن نعاهد الله تعالى على ان نكون من اعوانه وأعوان الاستاذ الاكبر الذي علق آماله بحمايته للازهر منها ان ظهرت لنا صحة الدعوى وصدق المقال ، والا وجب علينا ان ندفع عن الازهر هذه التهمة، كما هو الواجب على كل من يغار على الحق والفضيلة، من غير ادنى مبالاة بالتهديد والوعيد باثارة الفتنة، فقد هددنا من قبل بمثل هذا وبما هو اشد منه فلم نخف ولم نجبن .

ماذا يخشى من يطلب حماية اعظم المعاهد الاسلامية العلمية من الامراض العقلية والخلقية من عاقبة التصريح بها ؟ وبيان البيئة التي دبت منها عدواها، وهو طالب حق ومصلحة ، ومؤيد من جانب السلطة والقوة ، وهو رئيس للمستشفى الروحي الذي

يصف الادوية لهذه الامراض والأوبئة (اعني مجلة الازهر) وظهير رئيس الاطباء له (أعني شيخ الازهر)

لولم يسئل الاستاذ بيان مراده ويتنع من بيانه لكان اول ما يخطر بالبال انه يعني بتلك الكلمة الموهمة سريان عدوى الافكار المادية والنزعات السياسية الى الازهر ،ولو عنى هذا لصرح لسائليه من اخوانه به دفعاً للظنة،وبراءة من سوء النية

فتنة السعاية بالاستاذ المراغي

بقيت علينا كلمة ذكرتنا بها كلمته في اثارة الفتنة وهي مابلغنا في هذه الاثناء من ان بعض السعاة المحاين النمامين القتاتين المتذفحين المتجرمين قد سعى بالاستاذ المراغي ، فاتهمه بما يعبر عنه بعدم الاخلاص المقام الملكي ، وكذلك كان أمثالهم يسعون بالاستاذ الامام الى المقام الخديوي، فكانوا مسيئين الى أنفسهم والى ولي أمرهم باقامة خصوم له من خيار رجال ملكه،وأجدرهم وأقدرهم على تسيير فلكه، وهم كاذبون في وشايتهم ، ملمونون على كذبهم وعلى نميمتهم ؟

أما الاستاذ الامام فأقول ولا أخشى أن اتهم الآن بانني اريد الدفاع عنه او التزلف الى الخديو : انه كان أخلص له من جميع رجال خاصته وموظفي قصره ، ومن حاشيته وبطانته ، وأما الاستاذ المراغي فأقول فيه ولا مجال للظن بانني ابتغي أدنى انتفاع منه : انني لم أسمع منه كلمة واحدة يصح أن تعد دليلا أو شبهة على صحة تلك السعاية فيه ، بل أقسم بالله وآياته انني لم أسمع من أحد ولم أقرأ لاحد كلمة ثناء على جلالة الملك فؤاد - على كثرة مانشرت الجرائد في الثناء عليه — كانت أكبر في نفسي مما سمعته من الشيخ المراغي من رأي لجلالته في علماء المسلمين ، ومايتمناه للازهر ورجاله في خدمة الدين

ذلك اننا كنا نتحدث فيما يجب من إصلاح الازهر فذكرت للاستاذ ما اقترحته على الشيخ أبي الفضل الجيزاوي رحمه الله تعالى ومنه أنه يجب أن يؤلف لجنة للنظر في المقترحات بعد تحريرها وانه ينبغي للجنة التي يناط بها تقرير الاصلاح له أن تطلع على تاريخ الفاتيكان وقوانينه ونظمه ... وتاريخ الكنيسة والاصلاح الديني في النصرانية ، لتعلم كيف كانت الكنيسة تقاوم العلوم الكونية وتكفر

العلماء وتنتقم منهم بأقسى ضروب الانتقام ، ثم كيف صار بعض رهبانها من أعلم العلماء المدرسين والمؤلفين في تلك العلوم ، وكيف أمكنهم المحافظة على الدين ونفوذ الكنيسة بذلك ، وما كان من تأثير ذلك في أوربة وفي سائر العالم ... فقال لي الاستاذ ان جلالة الملك فؤاد قد درس تاريخ الفاتيكان ونظمه وقد علمت من حديث لجلالته انه يتمنى أن يكون لعلماء الاسلام من مثل تلك النظم مايكون خير الوسائل لحفظ الدين وارتفاع شأنه في هذا العصر .

فياليت شعري من يقدر على تحقيق ما يتمناه جلالته مما ذكر ؟ آلمستقلون؟ أم الجامدون المقلدون ؟ ولا أقول الآن أكثر من هذا

رب مدح في لفظه كان ذما في معناه ، ورب نصر في صورته ، هو خذل في حقيقته ، ورب صديق جاهل ، شر من عدو عاقل ، وان مانقله لي الاستاذ المراغي من حديث جلالة الملك في هذه المسألة هو أعظم شأنا عند كل من يغار على الاسلام بعلم وعقل من سبعين قصيدة وسبعين مقالة مما نقرأه في مدحه المرة بعد المرة، مما يستحق بعض كاتبيه الصفع على اقفيتهم ، كقول بعضهم في مقالة نشرت في الاهرام يوم عيد الجلوس ما معناه : اننا معشر المصريين غلبنا أو نغلب جميع الامم ونقول : بعزة فؤاد إنا لنحن الغالبون * اي كما قال سحرة فرعون (بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) والكاتب يعلم أن الله تعالى قال فيهم (فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) ! ! وربما لم يكن أصحاب الاهرام يعلمون هذا ، إذ لو علموه لما نشروا تلك المقالة السوءى في صدر جريدتهم

لقد كان الشيخ محمد عبده وحده خيراً للخديو من جميع علماء الازهر، وكان أقدر على حملهم على الخدمة النافعة التي لم يكونوا يقدرون عليها من دونه، لانهم كانوا كالجند غير المتمرن على الحرب فلا يصلح للجهاد، الا بتدريب مهرة القواد، وانما يصلح لقيادة الجيوش من بلغ رتبة القيادة العليا في الفنون العسكرية ، ولكل جيش قائد من جنسه ؛ ولقد جرب الخديو قيادة العلماء في دفع ماحملته عليه سلطة الاحتلال من عزل قاضي مصر التركي المولى من قبل السلطان فما أغنوا عنه شيئا ،حتى اذا

مابلغ الامر غايته ، وجاء الامر القطعي من وزير الخارجية البريطانية الى لورد كرومر بوجوب اجتماع مجلس النظار تحت رياسة الخديو لتعيين قاض لمصر من علماء الازهر بدلا من قاضي الآستانة والخليفة ، عظم الامر على الخديو ولم ير عند أحد من رجاله الرسميين ولا غير الرسميين مخرجا من هذا المأزق الذي يقطع آخر صلة دينية له ولمصر بالدولة، فأمر حسن باشا عاصم أن يطلب له الشيخ محمد عبده بلسان البرق ليلا، ليقابله في قصر رأس التين بالاسكندرية صباحا، فسافر الاستاذ في قطار الصعيد منتصف الليل، فوجد الامير ينتظره بكرة، فاستشاره فوصف له المخرج بداهة ، وبينا هو في حضرته وصل لورد كرومر حسب الموعد ليبلغه الامر البرقي الاخير ، فخرج الشيخ من باب ، ودخل اللورد من باب ، فذكر له الخديو ما لقنه الشيخ من الجواب ، فكان فصل الخطاب ، واستنفر اللورد وأناب .

ولو شئت لذكرت هنا ماحاول كبراء العلماء نصر الحكومة الحاضرة به في هذه الايام ، وما كان من سوء تأثيره في الخواص والعوام ، وما قالت الجرائد والخطباء فيه ، وماحاول بعض العلماء المستقلين من إصدار نداء آخر يرجى أن يكون أحسن تأثيراً ، وأحفظ لكرامة الازهر، وما حال دون ذلك ، ولكن من خطة المنار اجتناب الدخول في مآزق الحكومة بترجيح أو تجريح ، ولم احب التصدي لانتقاد الازهر قبل ان تظهر خطته في هذا الطور الجديد ، ولكن يظهر من كلام رئيس تحرير مجلة الازهر ومما بلغني من منهاج التعليم الجديد فيه انه عين القديم الذى كنا نجاهده ، وانهم قرروا قراءة المواقف والطوالع وأمثالها لطلبة الازهر، وسنوفي هذا حقه في مقالات أخرى .

وحسبي هذا رداً على ما كتبه الاستاذ الخضر فيما يتعلق بشخصه للحقيقة والتاريخ، وسأرد في الجزء التالي على ما كتبه في شأن نصيحتي لمجلة الازهر ان شاء الله تعالى .

واني لأود لو أكون مخطئاً فيما فهمت من مقالته ومن مجلة جمعيته، ومايعنيه من إثارة الفتنة ومن الامراض العقلية والخلقية ، وأن يكون كما كنت أظن من حزب المصلحين المعتدلين ، بين الجامدين والمتفرنجين ، فنعود بعد هذا التنازع متعاونين ، وبعد هذا الاختلاف متفقين ، وتلك عقبى المخلصين

﴿ زيارة وزير الحقانية لقسم التخصص التابع للازهر ﴾

وما أعجب به من حياة العلم فيه

(بعد جمع ما تقدم في المطبعة وقبل طبعه كله جاءتنا الرسالة التالية فنشرناها بنصها لما فيها من تأييد رأينا في الرد على الاستاذ الخضر وهي)

زار صاحب المعالي علي ماهر باشا وزير الحقانية قسم تخصص الازهر يوم الاربعاء ١٩ رجب الحالي (١٠ ديسمبر) ومعه سعادة طاهر باشا نور وكيل الحقانية ، فمر على كثير من مدرسي القسم ولم يعجب بأحد كما اعجب بالشيخ علي الزنكلوني عند ما كان يشرح قوله تعالى (الله الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) اذ شرح كيفية خلق الانسان من الطين اولا وآخراً ماراً معه في سائر أطواره على احدث النظريات العلمية التي تشهد لها مجاري استعمال القرآن الحكيم . وكذا اعجبه درس الاستاذ الشيخ محمود شلتوت وكان يقرأ مبحث (الشهادة) في فقه الاحناف فشرح رأي الفقهاء القائلين بعدم قبول شهادة غير المسلم ، ثم فند هذا الرأي وفصل مواطن الشهادة وبين ان منها مواطن يجوز فيها شهادة غير المسلم ، ثم فسر آية (يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر احدكم الموت) الآية . ووجه رأيه بما تعطيه الآية ونظائرها وما يرمي اليها سر تشريع الشهادة ، وكون الاسلام ديناً عاماً لايخص طائفة دون طائفة ولا زماناً دون زمان

فسر الوزير من ذلك جداً وأعجبته تلك الحرية التي لم يكن يعهدها في الازهر ولم يستطع إخفاء سروره من ذلك حتى كاشف به فضيلة شيخ القسم (المفتي)

ومما كان له وقع جميل عند محبي الحياة للازهر — البشر الذي ظهر على وجه الوزير عند ما قال له الشيخ الزنكلوني — وهو في الادارة يشرب القهوة — الجملة الآتية : يامعالي الباشا انا مسرور منك جداً لا لأنك وزير بل لانك عالم فطن ، ومن شأن العالم الذكي ان يحب العلم الصحيح والافكار الحية ، فيجب عليك ان تكثر من زيارة الاقسام العالية في الازهر لتنشط الاذكياء ارباب الافكار السليمة

من الامراض ، فيتكون من الازهر كتلة علمية حية قوية ، ويكون جيش جلالة الملك العلمي الديني جيشاً مسلحاً بسلاح العصر الجديد يقوم في وجه أعداء الدين الذين يهاجمونه من كل ناحية ، وإلا كان وراء جلالته حثالة من الخلق مبعثرة ميتة ، لا تصلح لمقاومة بعوضة اهـ

[المنار] سبحان الله ، ان هذه الرسالة جاءت مؤيدة لما قلناه في ردنا هذا ولا سيما كلمة الاستاذ الزنكلوني للوزير . وأما مسألة شهادة غير المسلم فما ذكره الكاتب فيها مجمل موجز لا يفهم منه ما فيها من خطأ وصواب . ولا شك ان الجامدين يعدونها مهاجمة لفقهاء المذاهب المتبعة ، ونحن قد حققنا هذا الموضوع في تفسير آية الوصية في السفر من سورة المائدة في فصل خاص عقدناه لها (فيراجع في ص ٢٢٩ — ٢٣٧ ج٧ تفسير) فان كان الاستاذ محمد الخضر يعد هذا وذاك من آثار الامراض العقلية فليرد علمهما في إحدى المجلتين (نور الاسلام والهداية) أو كلتيهما لنبحث معه بعد ذلك فيما كتبه من موافقة شريعة الاسلام لكل زمان ومكان

مسيح الهند القادياني الدجال

ودعاة المسيحية في سورية

ان هؤلاء المسيحيين الاسلاميين قد جمعوا من الهند أموالا كثيرة بثوا بها دعايتهم في البلاد ، وقد طبع دعاتهم في سورية رسائل متعددة في الدعوة الى نحلتهم فانخدع بها شاب دمشقي عنده هوس في الافكار الدينية بغير علم باصول الاسلام الصحيحة ولا فروعه ، اسمه (منير الحصني) جاء مصر في العام الماضي فتمنينا لو يلقانا لنتكلم معه فلم يكن ذلك . وأخيراً جاءنا منه رسالة يرد فيها على بعض ما كنا نشرناه في المنار من تفنيد هذه المسيحية وتكذيب دجالها القادياني في حال حياته ، وانا لكثرة الشواغل لم نفرغ للاطلاع على شيء من تلك الرسائل التي طبعوها أخيرا . وأما هذه الرسالة الخطية فقد كنت أراجع في آخر هذا الشهر (رجب) اضبارة الرسائل المحفوظة للمراجعة فوقعت عيني عليها و كان تحرير الجزء الخامس من المنار لم يتم

فأحببت أن ألخصها وأبين أهم مافيها من حجج القوم الداحضة، والرد عليها بالبينة الناهضة

يرد هذا الداعية للمسيحية الاسلامية التي يسمونها الاحمدية على المنار في ثلاث مسائل

(١) ما انذر مسيحهم به صاحب المنار فكان انذاره كاذبا

(٢) نسخ مسيحهم لمشروعية الجهاد

(٣) كونهم أعداء للاسلام كافرين ببعض القطعيات من أصوله مضللين لاهله

﴿ ١ ـ انذار القادياني لصاحب المنار ﴾

ذكر الكاتب في مقدمة رسالته ان مسيحهم بلغني دعوته فانكرتها عليه « بلا دليل بين ولا حجة دامغة » لجهله ما اتفق عليه علماء الشرع والعقل من ان البينة على المدعي ، ثم قال « وقد جئت بأسطري هذه ردا على مايمس الاحمدية التي هي عندي الاسلام الصحيح من تهمك المنشورة عنها في المنار ، وأملا أن تذعن للحق ولو على نفسك كما انني أفعل ذلك إذا أظهرت لي بعض الخطأ ، والله على ما أقول شهيد »

ثم قال « ـ ١ ذكرت في مجلتك كما كتبت الى أحد قرائها في بيروت مامفاده بان احمد المسيح الموعود عليه السلام كان أنبأ في كتابه ـ الهدى والتبصرة لمن يرى ـ بوحي من الله عن موتك في حياته ولكن نبوته لم تصدق إذ مات في حياتك وهذا ما أدرجته في منارك بنصه :

« وقد رددنا عليه في حياته بما أظهر بهتانه حتى بنفس مماته فانه كان رد علينا في كتابه الهدى والتبصرة لمن يرى فزعم انه قد جاءه الوحي بان صاحب المنار (سيهزم فلا يرى نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى) يعني ان الله تعالى وعده بأن ينتقم له منه ، ولكنه مات ولم تقر عينه بموتنا ولا بمصيبة يفسر بها وحيه الشيطاني »

فقبل أن أبين لك خطأك الفادح في فهم هذا النبأ الذي تم صدقه بكل وضوح اقول ان نفس مماته عليه السلام كان دليلا على صدقه لا على بهتانه كما تزعم لان الله أخبره عن عمره قبل وفاته بثلاثين سنة بقوله « ثمانين حولا أو قريبا من ذلك » وقد توفي عن ٧٥ سنة توالى عليه الوحي في السنوات الاخيرة منها بشأن الوفاة اذ اخبره الله في ديسمبر سنة ١٩٠٥ بقوله « قرب أجلك المقدر » وقال له في

٧ نوفمبر سنة ١٩٠٧ « موت قريب هي » أي ان الموت قريب . وكذلك أوحي اليه بهذا المعنى مرتين في ٧ مارس سنة ١٩٠٨ و٣ نيسان سنة ١٩٠٨ ونشرت هذه الانباء في حينها في الجرائد والمجلات وان وفاته عليه السلام في مايو سنة ١٩٠٨ طبق الانباء المذكورة بدليل ساطع على صدقه »

بعد هذا حصر الرد على عبارتي في الشق الاول مما فسرت به انذار مسيحه وهو موتي ، وترك الشق الثاني وهو وقوع مصيبة بي يفسر بها وحيه الشيطاني ، وقد أطال في تخطئتي واستطال في التشرب علي والتأنيب لي والتحقير والتهديد بما يدل على هوسه العقلي ، في هذا الدجل الشيطاني ، فأقول :

زعم القادياني ان الله أخبره بعمره

أقول في تفنيد هذا الهوس (أولا) من كان واسع الاطلاع على التواريخ او الاختبار لاحوال الامم وأخبار الدجالين فيها يعلم أن الاغرار ينخدعون بامثال هذه الاخبار التي يسميها الدجالون كشفا وكرامات ، او وحياً ونبوات ، وان كان مثلها معتادا ، والصادق منها كثير الوقوع من غير من يعتقدون هذا الاعتقاد فيهم ، ولكن اغرار العوام قلما يميزون بين الصادق والكاذب ، فهذا الذي ذكره المصني من وحي مسيحهم القادياني ادل على كذبه منه على صدقه

فهو يقول ان الله تعالى أخبر مسيحهم عن عمره بقوله « ثمانين حولا أو قريباً من ذلك » أي هذا نص الوحي الذي خاطبه الله به ، ووجه دلالة هذا القول على كذبه في دعوى أنه وحي : تردده في تحديد العمر ، فلو كان هذا خبراً من الله تعالى وهو علام الغيوب لكان جزما بالتحديد ، وتعييناً لعدد الخمسة والسبعين ، وقد يزاد على هذا ان عدد ٧٥ لايعد قريباً من عدد الثمانين في مثل هذا المقام لان الخطأ في العدد التقريبي هو ما كان في كسر السنة لا في عدة سنين

ثم مافائدة هذا الوحي المتتابع من أواخر سنة ١٩٠٥ إلى مايقرب من نصف سنة ١٩٠٨ وهي بعد استكماله لسن السبعين بتلك العبارات السخيفة ؟ وما الدليل على أن تلك الخواطر وحي من الله تعالى بتلك الالفاظ العامية ؟ ولماذا جاءه الوحي بتاريخ مسيح اليهود والنصارى ولم يجئه بتاريخ الهجرة المحمدية أو بتاريخ مسيحيته

هو؟ ومن المعلوم ان مسألة قرب الاجل مما يكثر خطوره في أذهان أكثر الناس في هذه السن ويكثر تعبيرهم عنه ،وقد اشتهر عن كثير من الناس ذكر قرب آجالهم في حال الصحة وذكر مواضع موتهم، ووقوع الحوادث على وفق الخواطر في هذه المسألة كثير

(ثانياً) ان انذاره لي كان كانذاره لأناس غيري في إبهامه واحتماله للتأويل وكذلك دأب الدجالين في نذرهم وما يدعونه من الانباء بالغيب، فان اتفق صدقه هللوا وكبروا ، أو طبلوا وزمروا ، وزعموا انه يدل على صدقهم فيما زعموا ، وان لم يتفق بصدقه كما هو التمسوا له تأويلا ولو سلبياً كما فعل الحصني في رسالته هذه

ادعى انني جزمت بان انذار مسيحه لي نص بانني أموت قبله وأطال في ذلك بما أشرت اليه آنفا ، وهذا كذب صريح وبهتان جلي علي فانني انما فسرته أنا بانه يعني به انتقام الله تعالى له مني،وانني لومت قبله لفسر هذا الانتقام بموتي، وكذلك لو أصابتني مصيبة لفسره بها أيضاً . فهذا الحصر الذي حمل عليه الحصني كلامي إما ان يكون عن جهل منه بمدلول الالفاظ العربية وحينئذ لا يكون أهلا للمناظرة في شيء قط لانه لا يفهم مايكتب ومايقال، وإما أن يكون تحريفا متعمدا فيكون منافقا في مسيحيته الاحمدية هذه، ولا يغنيه ازراؤه بنا في رسالته وتحدينا بنقل ألفاظ الوحي المنزلة بانا نموت قبله وتوبيخنا عليها ، ولولا ان نقلها سفه وإضاعة لوقتنا ووقت القراء انقلناها لاضحاك الناس على كاتبها ، وانما نذكر منها مايتعلق بالاحتجاج .

(ثالثا) قال ان مسيحه الدجال صرح في جريدته (الحكم) «انه ليس بضروري أن يموت أعداء الانبياء في حياتهم » واستثنى المباهل ثم قال مكررا للكلام: « هذا وان كل من دعا عليه المسيح الموعود وأخبره الله عن استجابته ذلك الدعاء بالوحي وكذلك من باهله على شرط أن يموت الكاذب في حياة الصادق أهلكه الله في حياته مثل الكسندر دوئي من أهالي أمريكا (١) وفريق من النصارى في الهند » وذكر أسماء أخرى . ثم توعدني بآيات القرآن فيمن يمدهم الله في طغيانهم يعمهون ويملي لهم ليزدادوا إثما الخ

وهذا عين ماقلته في ضلالهم وإضلالهم وهو أن من يموت من المكذبين له أو تصيبه

---

(١) هذا الرجل كان دجالا في النصارى كدجل غلام أحمد القادياني في المسلمين

مصيبة يقولون انه مات معجزة له، وتصديق للوحي الذي زعمه، ومن يبق حياً يقولون انه مادعا عليه، وانه ماعاش إلا ليزداد طغيانا وإثماً، ونحمد الله انه تعالى أحيانا حياة طيبة نقيم دينه بالقول والعمل، ونداقع عنه بالحجة، لاندع ملحدا ولا داعية كفر وضلالة ، ولا أصحاب بدعة ولا أولي منكر إلا ونرد عليهم ، ونفسر كتابه العزيز بما فضله العلماء المستقلون على جميع تفاسير الامة، لا كتحريف القادياني وأتباعه له بما يتبرأ منه الدين واللغة كزعمه ان البشارة به من معاني البسملة،

زعم الحصني صدق مسيحه فيما أوعدنا به

ثم انه رد علي بما زعمه ان ما قاله مسيحه في قد صدق ووقع وهو الهزيمة من مناظرته قال :

« وفهمك منه انه أراد موتك في حياته فان هذه الجملة لاتدل على ماذهبت اليه بتاتا ، وليس فيها سوى ذكر الهزيمة ، والهزيمة هي الفرار ابقاء على الحياة ، فكيف يسوغ لك أن تفهم منها الموت ، نعم ان انبأ واضح على فرارك من الميدان الذي دعاك إلى المبارزة فيه بصورة لاترى فيه أبدا ، وان ما دعاك اليه هو كتابة كتاب مثل كتابه الذي تحداك به وجعله معياراً لصدقه كما قال في ص٢٠ مانصه (ووفقت لتأليف ذلك الكتاب، فسأرسله اليه بعد الطبع وتكميل الابواب فان آتى بالجواب الحسن وأحسن الرد عليه ، فأحرق كتبي وأقبل قدميه ، وأعلق بذيله ، وأكيل للناس بكيله ، وها أنا أقسم برب البرية ، وأوكد العهد بهذه الالية » اه

(اقول) (اولا) بوجه الاجمال ان المسيح الدجال القادياني قد كذب وأخلف وعده بإرسال الكتاب المذكور فليس لي علم بهذا الكتاب ، وكذب الحصني في زعمه انه دعاني المبارزة في هذا الميدان ففررت منه بصورة لا أرى فيها أبدا !! فانا ظللت أرد عليه حتى هلك ، وانما ميداني الواسع هو المنار ، ولا أزال اجول فيه واصول ، بسيف الله المسلول ، وسنة الرسول ﷺ على انني ظهرت ورؤيت بفضل الله في ميادين اخرى لسانية لا كتابية كثيرة ، منها ميدان بلاده الهندية ، فقد زرت الهند ولقيت حفاوة وحفلات عظيمة بينت دجل القادياني وكذبه على الله في بعضها كما سأبينه بعد   (المسألة بقية)

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ تنبيه ﴾ لقد ثقل علينا حمل ماعلينا من الحق الادبي لمن يهدون الينا مؤلفاتهم فنسوف في تقريظها انتظاراً لفرصة نطلع فيها على ما يمكننا من معرفة مزاياها ، وهذه الفرص تفر منا أو تحول بيننا وبينها المسائل الضرورية ، وكل ما نكتبه في ابواب المنار لا يتوقف على بذل وقت طويل لاعطائه حقه، فكثيراً ما نكتب باب الفتوى كله من غير مراجعة شيء من الكتب ، بل كتابة التفسير لا يتوقف إتقانها على مراجعة طويلة كباب التقريظ إذا أريد كتابته على علم، لهذا اعتزمنا على الاختصار في تقريظ لم نقرأه منها والاعلام بها بالاجمال كما يفعل غيرنا من اصحاب المجلات (١)

﴿ تفسير القرآن ، بكلام الرحمن ﴾

تفسير وجيز لأحد علماء الهند المعاصرين المشهورين الاستاذ الشيخ ابو الوفاء ثناء الله الأمرتسري .وطريقته فيه تعلم من اسمه، وبيانه انه يفسر الآية او الجملة ويستشهد على تفسيرها بآية او اكثر مما ورد بلفظها ومعناها او احدهما بحسب اجتهاده كقوله في تفسير الفاتحة بعد ذكر البسملة : ﴿ الحمد لله ﴾ اي قولوا ايها العباد نقرأ باسم الله الرحمن الرحيم لقوله تعالى [اقرأ باسم ربك الذي خلق] وقوله تعالى [الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى] ﴿ رب العالمين ﴾ الذي خلقهم وخلق اسباب رزقهم لقوله تعالى (قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين) [وذكر الآية التي بعدها] ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ هو العطوف على العباد بالايجاد والهداية الى الايمان وأسباب السعادة والاسعاد في الآخرة لقوله تعالى (الرحمن علم القرآن * خلق الانسان علمه البيان) وقوله تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما) لعلهما مترادفان فافهم الخ

وله في هذه الشواهد افهام دقيقة وأخرى غريبة . وقد طبع الكتاب في

(١) هذا التنبيه وما بعده من التقاريظ كتب منذ أشهر

المطبع البرقي انتاب في بلدة أمرتسر سنة ١٣٣٧ طبعاً حسنا بلغت صفحاته زهاء اربعمائة صفحة وثمن النسخة منه ٣٠ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بشارع الانشاء بمصر

كتاب المساكين للرافعي

الاستاذ مصطفى صادق الرافعي صاحب هذا الكتاب أشهر من نار على علم، يراها كل أحد ولا يصل اليها أحد، فهو معروف والمعروف لا يعرف، ومجهول لا يوصف، أو نكرة لا تتعرف، أوتي بعقله نصيبا كبيراً من فلسفة النفس والاجتماع فهو يغوص في أعماقها، وأوتي خياله حظا عظيما من المعاني الشعرية فهو يطير في اجوائها، واودع ذهنه مادة واسعة من اللغة العربية مفرداتها وأساليبها، فهو يبرز النظريات الفلسفية، في صور من التخيلات الشعرية، تتجلى في طرز طريفة (مودات) من الحلي والحلل اللغوية، جمع فيها بين الاجادة في المنظوم والمنثور، وقلما تتفق الاجادة فيهما معا الا للاقلين كما قال الحكيم ابن خلدون، وبهذه المزايا كان أمة وحده في الكتاب والشعراء والمصنفين، وكان جمهور قراء العربية يشكون شيئا من الغموض في كلامه، والحاجة الى التامل الكثير في بعضه لاستبانة مراده، ولكن لا ينكر أحد من أولي الفهم ان كل قارىء له يرى فيه من فرائد اللغة ودقائق التعبير البليغ عن المعاني مالم يكن يعلمه، فهو كثير الابتكار والابداع، بغير مكابرة ولا نزاع، ولو كان جمهور القراء يفهمون لغته حق الفهم لعم انتشارها، وأقبل الالوف على قراءتها

له عدة مصنفات أجلها موضوعا وأوضحها بيانا (اعجاز القرآن) وقد أعطيناه حقه من التقريظ فنشره معه. وطبع ثلاث مرات، كانت الثالثة منها على نفقة جلالة الملك فؤاد، ويليه (تاريخ آداب العرب تحت راية القرآن) ومنها (حديث القمر) ورسائل الاحزان والسحاب الاحمر، وأوراق الورد، وهذه الاربعة كتب فلسفة وشعر، وله شعر كثير ليس له فيه ضريب ولا نظير

وأما كتاب المساكين الذي جعلناه ذريعة لتقريظها كلها فقد عرفه مصنفه بكلمة بين بها ما أراده منه وكتبها تحت اسمه وهي « أردت به بيان شيء من

حكمة الله في شيء من أغلاط الناس » وقد صدق في قوله ووفى بمراده ، ولقد كنت أعجز كما إخال ان كل أحد غيره يعجز عن تعريفه هذا .

ثم وصفه بكلمة أخرى قال أنها من « قلم الغيب » وذكر انها أوحيت اليه في النوم ، وهي «هذا كتاب المساكين. فمن لم يكن مسكينا لا يقرؤه، لانه لا يفهمه، ومن كان مسكينا فحسبي به قارئا ، والسلام »

فان كان صدق في ان هذه الكلمة من قلم الغيب ، كما صدق في أن من لم يكن مسكينا لايفهمه ، فانا أظن انه لايوجد مسكين يفهمه ، ذلك بانني أظن انني مسكين ولم أفهمه ، إلا أن مسكنتي مسكنة أخلاق ، لا مسكنة إملاق ، ولا أدري أية مسكنة ينتحل منشيء كتاب المساكين، الذي لايفهمه من ليس بمسكين، قرأت صفحات منه ففهمت بعض جمله، وأعجبت ببعض حكمه، واستعذبت بعض استعاراته التمثيلية والتخييلية ، ولكنني أقر بانني لا أفهمه كله فهما اجماليا يمكنني تلخيصه به ، ولا أفهم فصلا منه فهما تفصيلياً يمكنني من تفسيره لمن لم يفهمه ، ولا تفسير كل جملة من جمله ، فالكتاب في جملته من قلم الغيب ، هبط على عالم الشهادة ، وفي الاطلاع على عالم الغيب من اللذة الروحية والانس ماليس في الاطلاع على عالم الشهادة ، وان حارت فيه الافهام ،وكان حلما من الاحلام . وقد طبع في مطبعة العصور ، وضبط الكثير من كلمه بالشكل وصفحاته ٢٨٧ وثمن النسخة منه عشرة قروش

الابداع ، في مضار الابتداع

كتاب جديد صنفه أخونا الاستاذ الشيخ علي محفوظ من تلاميذ الاستاذ الامام المدرس بقسم التخصص في الازهر الشريف «طبق ماقرره المجلس الأعلى من مناهج التعليم في السنة الثالثة لقسم الوعظ والخطابة في الازهر الشريف» فرغ من تأليفه سنة ١٣٤١ وطبع عقب ذلك، ثم أعيد طبعه في آخر سنة ١٣٤٨ ، وقد ذكر المصنف في آخر الطبعة الثانية سبب إعادة طبعه فقال :

« لما ولي صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

مشيخة الجامع الازهر الشريف ورياسة مجلسه الاعلى كان من باكورة أعماله الحكيمة أن وجه (حفظه الله) عنايته إلى إصلاح نظام قسم الوعظ والخطابة ومناهجه إصلاحا يكفل للطلاب النبوغ في هذا الفن ، ويتناسب مع روح العصر الحاضر ، فأدخل تعديلا رشيداً في مواد الدراسة ، وأضاف إلى مادة البدع والعادات زيادات ذات شأن . وقد عرض على مجلس الازهر الأعلى مذكرة بشان هذا الاصلاح فوافق عليه في جلسة يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الاول سنة ١٣٤٧ . وقد طبع هذا الكتاب المرة الثانية في ذي الحجة من السنة المذكورة وهي تمتاز عن الطبعة الاولى بتنقيحات مفيدة مع تلك الزيادات التي أقرها المجلس الأعلى في الجلسة المذكورة - اقرأ الدليل »

ويعني بالدليل فهرس الكتاب وهو مؤلف من مقدمة وبابين وخاتمة . وفي المقدمة مبحثان : الاول إخبار النبي ﷺ بغربة الدين ، والثاني الحث على التمسك بالدين واحياء السنة النبوية . والباب الاول في النظر في البدع من جهة الاصول والقواعد وفيه سبعة فصول وجله مستمد من كتاب الاعتصام للشاطبي، والباب الثاني في النظر في البدع من جهة فروعها وفيه اثنى عشر فصلا (١) في بدع المساجد (٢) في بدع المقابر والاضرحة وزيارة القبور وما فيها من المفاسد (٣) بدع الجنائز والمآتم (٤) في بدع الموالد (٥) منكرات الافراح (٦) بدع الاعياد والمواسم (٧) في البدع التي تقع في العبادات (٨) في بدع الطرق (أي طرق المتصوفة) (٩) في بدع الاعتقادات (١٠) في بدع الضيافة والولائم (١١) في بدع المعاشرة والعادات (١٢) في خرافات العامة وأوهامهم

وفي كل فصل من هذه الفصول مسائل كثيرة لخص فيها كتاب المدخل لابن الحاج وزاد عليه بعض ماحدث بعده من منكرات العادات ، وبدع الضلالات ومسائل متفرقة في كتب كثيرة جمعها في زهاء ٣٠٠ صفحة بقطع المنار

ولم تكن كتابته لهذه المباحث كتاً ليف أكثر المتأخرين من علماء الازهر وأمثالهم التي لاتعدو اختصار أحدهم لكتاب غيره وشرح آخر لبعض المختصرات بما ينقله من المطولات ، هو تصنيف جديد حملته عليه حاجة العصر اليه ، وكان له فهم ورأي فيما ينقله عن غيره

وجملة القول ان هذا الكتاب من الكتب النافعة الجديرة بالانتشار ، ولعل ما ينتقد من مسائله قليل، فهو خير من كثير من الكتب التي ينقل عنها ويقول قال الامام فلان والعلامة فلان ، واذا كان لايسلم من الخطأ في مسائله ، فهو أولى بألا يسلم من الغلط في طبعه ، وان قال في آخر فهرسه انه « قد استغنى عن بيان الخطأ والصواب فيه لسلامته من الخطأ !! » وسنعود إلى بيان الشواهد على هذا إن وجدنا فرصة . وثمن النسخة منه ١٠ قروش وهو يطلب من مكتبة المنار

مطبوعات دار الكتب المصرية

﴿ كتاب الاغاني ﴾ أصدرت الجزء الثالث من هذا الكتاب المشهور على نسق ما قبله في الجودة وإتقان الطبع وقد قرظنا الكتاب في الجزء الاخير من المجلد ٢٩ وثمن هذا الجزء كغيره ٢٥ قرشاً

﴿ نهاية الارب في فنون الادب ﴾ أصدرت الجزء السابع منه وهو في فنون الكتابة ومنها أنواع البديع وصفحاته ٣١٢ وثمنه ١٥ قرشا

﴿ عيون الاخبار ﴾ أصدرت الجزء الرابع منه، وموضوعه (كتاب النساء في أخلاقهن وخلقهن وما يختار منهن وما يكره) وهو زهاء ثلاثمائة صفحة . وفيه مقدمة حافلة في ترجمة المؤلف تزيد صفحاتها على الخمسين وفيها كلام على هذا الكتاب وصور شمسية لبعض صحائفه الخطية . وثمنه ١٥ قرشا

﴿ ديوان مهيار الديلمي ﴾ أصدرت الجزء الثالث منه ولم تتم به قافية الميم وثمنه ١٥ قرشا، وكل هذه الكتب تطلب منها ومن مكتبة المنار بمصر

(الجزء الخامس من فهرس الكتب العربية) ويشتمل على فهرس التاريخ وملحق بالكتب العربية الواردة على الدار في سنة ١٩٢٩م)

﴿ جريدة الشورى ﴾ أختم هذا الجزء بتهنئة زميلنا الاستاذ محمد علي الطاهر بدخول جريدته الشورى في عامها السابع محمودة الخدمة للامة العربية عامة وللوطن الفلسطيني خاصة . وقد جاءته التهاني تترا من الاقطار العربية الشرقية والغربية وهو أهل لها أدام الله النفع بها والترقي لها



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صُوى « ومناراً » كمنار الطريق

(٣٠ شعبان سنة ١٣٤٩ هـ ٢٨ الجدي سنة ١٣١٠ هـ ش ١٩ يناير سنة ١٩٣١)

فتاوى المنار

أسئلة من بيروت وردت في كتابين متناسقين ونصف فجمعناهما وتركنا مقدمة الخطاب

(س ٤٣ — ٥٢) من صاحب الامضاء في بيروت

(١) ماقول السادة العلماء الاعلام في رجل معلم باحدى المدارس الاسلامية أفتى التلاميذ بطهارة الاسبرتو وبجواز المسح على الجورب ولو كان رقيقاً والصلاة بالنعلين (الحذاء) وحسر الرأس (كشفه) معتمداً على ما أفتى به بعض العلماء بجواز ذلك، فما كان من رئيس المدارس الا انه عاقبه بالعزل من وظيفته مدعياً بأن المعلم المذكور خالف علماء المسلمين في هذه الفتوى، فهل هذا المعلم اخطأ ويستحق هذا العقاب ام لا؟

(٢) هل يجوز للمعلمين والمتعلمين وغيرهم من الرجال والنساء قراءة القرآن الكريم ومس للمصحف وكتب الاحاديث وقراءتها وكتب التوحيد والفقه وقراءتها على غير طهر اي بلا وضوء وغسل من الجنابة والحيض وغيره ام لا؟ تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب

(٣) ماقولكم دام فضلكم فيمن يقول ان قراءة القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة للتبرك والثواب فقط واما العمل فيجب أن يكون حسب اقوال مذاهب الائمة الاربعة لاغيرها، لانه لايوجد أحد مطلقاً في هذا الزمان يقدر على استنباط حكم من الاحكام الشرعية كالعبادات والمعاملات وغيرها من القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة لعدم توفر شروط الاجتهاد فيه، فهل هذا القول صحيح معتمد عليه ومن الذي قال به من العلماء الذين يعتد بقولهم؟

(٤) هل رفع الصوت بالاستغفار عقب صلاة الفرض خلف الامام الراتب وغيره في المسجد سنة أم بدعة، وما حكم الكلام الدنيوي وغيره في المسجد

(٥) ماقول فضيلتكم في مدح النبي ﷺ ببيتين من الشعر قبيل صعود الخطيب المنبر او عند صعوده؟

(٦) هل يجوز قراءة مولد النبي ﷺ على المآذن ام لا؟

(٧) هل وضع العمامة أثناء الصلاة يثاب عليها المصلي أكثر مما لو صلى بدون عمامة وهل ورد عن النبي ﷺ شيء بهذا الشأن ام لا

(٨) هل يجوز للرجل أن يحلق شاربيه ولحيته وهل يعد ذلك فسوقا وضلالا ولا تقبل شهادته ولا امامته في الصلاة وغيرها ام لا ؟ تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب

السائل

عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقي بيروت

أجوبة المنار على ترتيب عدد الفتاوى السابقة

المعلم المذكور في السؤال الاول أصاب فيما قاله للتلاميذ ، وأخطأ من عزله بزعمه أنه خالف العلماء فانه إن خالف بعضهم فقد وافق آخرين لقوة دليلهم وانما يؤاخذ من خالف الاجماع الصحيح ولا اجماع فيما ذكر ، ونختصر في بيان ذلك لانه تكرر في المنار فنقول :

(٤٣) طهارة الاسبرتو أو الكحول

الاسبرتو طاهر بل مطهر يزيل النجاسات والاقذار التي لا يزيلها الماء وحده إلا بمشقة كما هو ثابت بالتجربة ، ولا يتوضأ به لان الوضوء قد شرع بالماء وهو عبادة ، وعلى من يدعي نجاسته أن يأتي بالدليل لا على من ينكرها لانها خلاف الاصل ، فان الاصل في الاشياء الطهارة ، وقد كنت أفتيت بطهارته في جواب سؤال عن الاعطار الافرنجية ، وبأن الخمر التي يقول بعضهم بنجاسته بأخذه منها أو بعده منها لا يقوم دليل على نجاستها الحسية التي تزال بالماء ، وإنما هي رجس معنوي شرعي كالميسر والانصاب والازلام التي قرنت بها في الحكم ، ونشر ذلك في (ص ٥٠٠ — ٥٠٣) من مجلد المنار الرابع . وقد رد علينا رجل من وجهاء الشام فندنا رأيه في مقالة عنوانها (طهارة الكحول ، والرد على ذي فضول) نشرته في (ص ٨٢١ و ٨٦٩) من المجلد الرابع أيضاً

ثم أراد بعض علماء الازهر أن يرد على هذه المقالة وكاشفنا برأيه في مجلس فيه جماعة من كبراء علماء الازهر منهم مفتي الديار المصرية المرحوم الشيخ أبو بكر

الصدفي ، فناظرناه في ذلك مناظرة صرفته عن الرد الذي كان ينوي كتابته ونشره ، وذكرنا خبر هذه المناظرة في المنار

ثم ان بعض علماء الهند من الحنفية أفتى بتحريم استعمال الكحول (اسبيرتو) في الاصباغ والادهان والعطور معللا ذلك بكونه خمراً نجسه ، وعرض فتواه على العلماء فقرظها له بعضهم وأرسلها الينا فنشرناها بنصها ونصوص من وافقوه عليها ، ورددنا عليها رداً طويلا نشرناه في المنار (راجع ٦٥٧-٦٧٩ من المجلد ٢٣) ونشرنا لها ملحقاً طبياً صيدلياً في الجزء الاول من المجلد ٢٤

(٤٤) المسح على الجورب

المسح على الجورب جائز ، وقد بينا دليله في مواضع من المنار ، ولعالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى رسالة في ذلك فيحسن أن تراجعوها

وقد اشترط بعض الشافعية في جواز المسح على الجورب أن يكون صفيقاً لا يشف وأن يكون منعلا كما ذكره الشيخ أبو اسحاق في المهذب . ولكن قال النووي في شرحه مانصه : والصحيح بل الصواب ماذكره القاضي أبو الطيب والقفال وجماعات من المحققين انه إن أمكن متابعة المشي عليه جاز كيف كان وإلا فلا ، وهكذا نقله الفوراني في الابانة عن الاصحاب أجمعين .

ثم قال في بيان مذاهب العلماء في المسألة : وحكى أصحابنا عن عمر وعلي (رض) جواز المسح على الجورب وإن كان رقيقاً ، وحكوه عن أبي يوسف ومحمد واسحاق وداود . وعن أبي حنيفة المنع مطلقاً . وعنه أنه رجع الى الاباحة اهـ المراد منه .

فهذا كلام المحققين . فلماذا لا يأخذ ناظر تلك المدرسة الا بقول المضيقين على الامة بغير دليل ؟ في هذا العصر الذي نحن أحوج فيه الى اليسر ورفع الحرج من الدين كما رفعه الله عنا ؟ ان كثيرا من المسلمين لايجدون شيئاً من الضيق في الصلاة إلا غسل الرجلين في الوضوء واني عندما أفتيت أول مرة في المنار بجواز مسح الجورب كالخف اخبرني كثير من الوجهاء المترفين انهم صاروا يواظبون على الصلاة

(٤٥) الصلاة بالنعلين وحسر الرأس

الصلاة بالنعلين جائزة بل كانت هي الاصل الذى عليه العمل الغالب في

عهد النبي ﷺ ولعل خلع النعلين لاجل الصلاة لم يصر عادة غالبة ثم عامة الا بعد أن صاروا يفرشون المساجد ، وكان النبي ﷺ يصلي باصحابه على التراب وقد يقع المطر في المسجد فيسجدون في الماء والطين كما ترى في حديث ليلة القدر في البخاري وغيره والاحاديث في الصلاة بالنعلين معروفة كحديث انس في الصحيحين وغيرهما انه ﷺ كان يصلي في نعليه ويذكر بعضها في التفسير المأثور لآية (خذوا زينتكم عند كل مسجد) فراجع الدر المنثور للسيوطي - وفي كتب الفقه أيضا

وأما حسر الرأس في الصلاة فهو خلاف الاصل ولكنه جائز اذ لا يشترط في صحة الصلاة من اللباس الا ما يستر العورة ، ويجتنب الاكثار منه ويحظر اذا كان فيه تشبه بغير المسلمين في صلاتهم، كما انه يجب في حال الاحرام بالحج أو العمرة .

(٤٩) قراءة القرآن ومس المصحف وكتب الدين للمحدث والحائض

قراءة القرآن لغير المتوضئ جائزة لا خلاف فيها ، ومس المصحف له فيه خلاف فقد منعه الجمهور ، والجنب أولى بالمنع . وذكر النووي في المجموع ان الحكم بن عتبة وحمادا يعني ابن أبي سليمان شيخ الامام أبي حنيفة وداود جوزوا مسه وحمله ، وفي رواية عن الاولين جواز مسه بظهر الكف لا بباطنه

وأما قراءة الجنب والحائض للقرآن فجمهور الفقهاء ومنهم الاربعة على تحريمه على تفصيل لبعضهم في القليل منه كبعض آية وفيما لا يقصد به التلاوة . قال النووي في المجموع : وقال داود يجوز للجنب والحائض قراءة كل القرآن وروى هذا عن ابن عباس وابن المسيب، قال القاضي وابن الصباغ وغيرهما واختاره ابن المنذر . وقال مالك يقرأ الجنب الآيات اليسيرة للتعوذ ، وفي الحائض روايتان عنه (إحداهما) تقرأ (والثانية) لا تقرأ . وقال أبو حنيفة يقرأ الجنب بعض آية ولا يقرأ آية وله رواية كمذهبنا اهـ ثم ذكر أدلة المانعين والمجوزين بالتفصيل ومنه يعلم انه ليس للمحرمين دليل قوي وقد قال الاذرعي كما في حاشية المجموع المطبوع (ص ١٥٩ ج ٢) ما نصه : مذهب داود قوي فانه لم يثبت في المسألة شيء يحتج به الا كما أوضحه وقد نقل البيهقي في معرفة السنن والآثار عن الشافعي انه قال لا أحب للجنب أن يقرأ القرآن لحديث لا يثبته أهل الحديث . وهذا المذهب هو اختيار ابن المنذر والاصل عدم التحريم اهـ

وأقول: هذا الذي أعتقده ولكني أعمل بقول الجمهور احتياطا وأدبا مع القرآن لاتحرجا وتأثما، على انني لاأحمل الجنابة زمناً طويلا لا أستغني فيه عن التلاوة. والتحقيق ان التحريم لا يثبت الا بدليل قطعي، وهذه المسألة لم يثبت فيها دليل ظني كما قال الاذرعي وهو من كبار فقهاء الشافعية المشددين في المسألة . ومن أدلة المجوزين الآيات القرآنية في ذكر الله على كل حال، والقرآن كله ذكر الله، وأفضل ما فيه توحيد الله وتسبيحه وتكبيره وحمده، وكل هذه الاذكار جائزة للجنب والحائض بالاجماع، كما ان صلاة الجنب جائزة لفاقد الطهورين، ومن هذا يعلم ان كون تلاوة الجنب للقرآن ينافي تعظيمه - وهم من الاوهام، لانه لو صح لكان كل ذكر لله من الجنب والحائض منافيا لتعظيمه .

(٤٧) جعل الكتاب والسنة للتبرك دون الهداية

من يقول انه لم تبق للكتاب والسنة فائدة ولا حاجة للمسلمين إلا التبرك بهما، وان العمل يجب أن يكون باقوال علماء مذاهب الاربعة دونهما، فهو من أكبر المجرمين المحادين لله ولرسوله والصادين عن الاسلام، وما ضاعت هداية الاسلام وتبعها ضياع ملك المسلمين وعزهم إلا بهذه الضلالة التي ابتدعها بعض المقلدين الجاهلين لدين الله تعالى، والادلة على هذا كثيرة بسطناها في مواضع كثيرة من المنار ولا سيما التفسير

فعلماء المذاهب الاربعة المجتهدون وامثالهم ادلاء للمسلمين على معاني الكتاب والسنة ومعلمون لها، لاحائلون دونهما، ولا صادون عن دوام الاهتداء بهما، ولم يقل أحد منهم للامة انني بينت لكم كل ماجاءكم به رسول الله ﷺ عن الله تعالى بما يغنيكم عن كتابه وسنة رسوله في بيانه، بل كانوا يقولون لها هذا ماظهر لنا فان رأيتم في الكتاب أو السنة مايخالفه فخذوا به واضربوا بكلامنا عرض الحائط .

واما ما اشترطه الاصوليون والفقهاء في الاجتهاد فليس مما يتعذر على من يريده من الناس، وهم يشترطونه في المجتهد المطلق المستعد لاستنباط الاحكام في جميع المسائل غير المنصوصة في الشريعة، لافي كل من يهتدي بالكتاب والسنة ويعمل بنصوصهما في عقيدته وعبادته وآدابه واخلاقه مستعيناً على ذلك باقوال المفسرين وحفاظ

السنة ، ولم يقل أحد منهم « انه لا يوجد أحد مطلقاً في هذا الزمان يقدر على استنباط حكم من الاحكام » الى آخر ماذكر في السؤال ، بل قالوا ان الاجتهاد يتجزأ ، وانا نرى جميع المتفقهة بكتب هذه المذاهب يفتون الناس في المسائل الحادثة بعد أزمنة أئمتهم ، ويسمون فتاويهم شرعية . وترى مثل الامام الغزالي يصرح في إحياء العلوم بان أهم أمور الدين لا توجد في كتب الفقهاء وانظر ما كتبناه في تفسير هذا الجزء من المقابلة بين المؤمنين والمنافقين وقد فصلنا هذه المسألة مرارا وحسبكم منها ما جمعناه في كتاب (يسر الاسلام) وكتاب الوحدة الاسلامية ومحاورات المصلح والمقلد

(٤٨) الاستغفار عقب الصلاة رفع الصوت

الاستغفار عقب الصلاة مشروع ومأثور عن النبي ﷺ ولكن رفع الصوت به بدعة ولا سيما التزامه من جماعة المصلين لان مثل هذا من قبيل الشعائر لا يثبت إلا بنص من الشارع أو عمل الجماعة في العصر الاول لانهم لا يلتزمون مثله إلا بتوقيف

(٤٩) الكلام الدنيوي في المسجد

الكلام المباح في غير المسجد يباح في المسجد إذا لم يكن فيه ما يشغل المصلين عن صلاتهم أو يخل بحرمته كاللغط ورفع الاصوات والخصام ونشد الضالة ، وتجدون في الجزء الثالث من كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية فصولا في أحكام المساجد وآدابها وما تصان منه يحسن أن تطالعوها ومنها ما ينكر فيها من ليالي المواسم والموالد وهي من صفحة ٣٩٢ — ٤٢٩

(٥٠) مدح النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر عند صعود الخطيب المنبر

إنشاد الشعر في مدح النبي ﷺ عند صعود الخطيب المنبر او قبيله بدعة ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة ولا في عمل السلف الصالح ، وصلاة الجمعة من شعائر الاسلام التي يجب فيها الاتباع بغير زيادة ولا نقصان . وأما مدح النبي ﷺ بالشعر الذي لا غلو فيه في المسجد فهو حسن كانشاده في غير المسجد ، ما لم يكن بهيئة مخصوصة دائمة تشبه المشروع بحيث يظن غير العالم بالسنة أنه مشروع

(٥١) قراءة المولد في المنارة

قراءة هذه القصص التي ألفت في المولد النبوي بدعة في المنارة وغير المنارة ولكن قراءتها في المنارة المبنية لأجل الأذان الشرعي توهم العوام أنها مشروعة دينًا فبهذا تكون بدعة دينية محضة ، وأما قراءة قصة المولد بحد ذاتها كما تقرأ كتب العلم والحديث من غير أن تشتمل على منكر في موضوعها ولا في الاجتماع لها فهي مستحبة ، وقد بينا أقوال العلماء في احتفال المولد النبوي وتحقيق الحق فيها في مقدمة كتابنا (ذكرى المولد النبوي) فراجعوه إن شئتم .

(٥٢) الصلاة بالعمامة

كان النبي (ص) يعتم ويصلي بالعمامة وكذلك أصحابه ، فالصلاة في العمامة أفضل للاتباع ، ولأنه في عرف المسلمين أكمل الأحوال في زينة المؤمن للمسجد التي أمرنا بها في قوله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد)

(٥٣) حلق اللحية والشارب

حلق اللحية مكروه للأمر بإعفائها في الحديث الصحيح وأما حلق الشاربين فكرهه بعض العلماء والأفضل قصهما . والأصل في ذلك حديث « احفوا الشارب واعفوا اللحى » رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر مرفوعًا وهذان من خصال الفطرة المتعلقة بالزينة وحسن الهيئة لا التعبد ، والإعفاء الترك ، والإحفاء المبالغة في القص ، وأوسطه أن يقص منها ما يغطي الشفتين وهو المشهور عن السلف ، ومنهم من بالغ في ذلك ومن حلقه ، ولكن قال الإمام مالك حلق الشارب بدعة ظهرت في الناس . والظاهر من إعفاء اللحية تركها على حالها ، وقال بعضهم بل يستحب قص ما زاد منها على قبضة اليد ، ونقلوه عن بعض السلف ، وصرحوا بأن حلقها مكروه ، وقال الإمام أحمد لا بأس بحلق ما تحت حلقه من لحيته . فترى كثيرًا من الحنابلة في هذا العصر يحلقون أسفل الذقن كله عملا بهذه الرواية ، ولكن الحلق من الخارج محل الذبح ومن الداخل مساغ الطعام ومخرج النفس . فحلق ما فوق الحلق وهو أسفل الذقن كله لا يدخل في معنى هذه الرواية ، وهو ينقص من جمال اللحية

لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟

(٢)

(بقية الكلام في خيانة بعض المسلمين لدينهم وأمتهم)

ولعل الاخ الشيخ بسيوني عمران يقول : ان هؤلاء أفراد قلائل فلا يجوز أن نجعل الامة الاسلامية مسؤولة عن مخازيهم وموبقاتهم

والجواب على ذلك: أن الظلم يخص والبلاء يعم كما لايخفى، ولكني لاأسلم أن هؤلاء أفراد قلائل ، وأن الامة غير مسؤولة ؛ إذ لو كان وراء هؤلاء أمة يخشونها ما تجاسروا على الاتجار بدينها بعد الاتجار بدنياها ، بل كانوا لو اقترح عليهم الفرنسيس اقتراحا مضراً بملتهم وأمتهم ولم يقدروا على رده اعتزلوا مناصبهم، ولزموا بيوتهم ، وكان الفرنسيس كلفوا بالعمل غيرهم ، فاذا أبى الخلف ما أباه السلف مرة بعد مرة علم الفرنسيس أن لا فائدة في الاصرار ؛ فعدلوا عن دسيستهم البربرية وما أشبهها ، ولكنهم مصرون عليها بسبب استظهارهم بأناس ممن يزعمون أنهم « مسلمون » فهم يهدمون الاسلام بمعاول في أيدي أبنائه، ويقولون لسنا من هذا الامر في قبيل ولا دبير

أفلا ترى كيف قالوا عن الظهير البربري إنه قد أصدره السلطان وحكومة المخزن

أفهذا هو الاسلام الذي يناشد الله الشيخ بسيوني عمران بتأييد أهله ؟

قال الله تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)

ولا شك أن « المسلمين » الذين يبلغون هذه الدركات من الانحطاط وتتركهم الامة الاسلامية وشأنهم يلعبون بحقوقها يستحقون للاسلام التمحيص الذي هو فيه [1] فانما سمح الله بان يستولي الاجانب على ديار المسلمين ويجعلوهم خولا ،

(١) هكذا في الاصل ومعنى يستحقون هنا يستوجبون على قول الفارابي واللام في للاسلام للتقوية والمراد به المسلمون . والمعنى يستوجبون بجرائمهم تمحيص المسلمين في جملتهم ليميز الله الخبيث من الطيب، وفسره ما بعده وهو مستنبط من قوله تعالى في سياق غزوة أحد (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فليراجع السياق من سورة آل عمران وتفسيره المؤثر في الجزء الرابع من تفسير المنار

ويغتصبوا جميع حقوقهم ، تعلما لهم وتهذيبا ، وتصفية وتطهيراً كما يصفى الذهب الابريز بالنار

قال الله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)

لقد أصبح الفساد إلى حد أن أكبر أعداء المسلمين هم المسلمون . وأن المسلم اذا أراد أن يخدم ملته أو وطنه قد يخشى أن يبوح بالسر من ذلك لأخيه ، إذ يحتمل أن يذهب هذا إلى الاجانب المحتلين فيقدم لهم بحق أخيه الوشاية التي يرجو بها بعض الزلفى ، وقد يكون أمله بها فارغا

ولله در الملك ابن سعود حيث يقول : ماأخشى على المسلمين إلا من المسلمين ، ماأخشى من الاجانب كما أخشى من المسلمين (١)

وهو كلام أصاب كبد الصواب ، فانه مامن فتح فتحه الاجانب من بلاد المسلمين إلا كان نصفه أو قسم منه على أيدي أناس من المسلمين ، منهم من تجسس للاجانب على قومه ، ومنهم من بث لهم الدعاية بين قومه ، ومنهم من سل لهم السيف في وجه قومه ، وأسال في خدمتهم دم قومه

فأين اسلامهم وايمانهم من قوله (انما المؤمنون أخوة) وقوله (ومن يتولهم منكم فانه منهم) وقوله (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) وقوله : (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)

أفبمثل هذا تكون طاعة الله ورسوله ؟ أم بمثله تكون اخوة الايمان وولايته وولاية أهله ؟

---

(١) وقال في محفل حافل بحجاج الاقطار — وقد طالبه مصري أزهري بمحاربة الانكليز والفرنسيس المعتدين على المسلمين ذاكراً عداوتهم لهم — : الانكليز والفرنسيس معذورون إذا عادونا لانه لا يجمعنا بهم جنس ولا دين ولا لغة ولا مصلحة ، ولكن المصيبة التي لا عذر لأحد فيها ان المسلمين أصبحوا أعداء أنفسهم ، وأنا والله لا أخافه الاجانب وإنما أخاف من المسلمين ، فلو حاربت الانكليز لما حاربوني إلا بجيش من المسلمين

أو لمثل هؤلاء يعد الله العز والنصر والتمكين في الارض ، وهم سعاة بين أيدي الاجانب على ملتهم ووطنهم وقومهم ، كلما عاتبهم الانسان على خيانة اعتذروا بعدم امكان المقاومة ، أو باتقاء ظلم الاجنبي ، أو بارتكاب أخف الضررين ؟ وجميع اعذارهم لاتتكيء على شيء من الحق . ولقد كانوا قادرين أن يخدموا ملتهم بسيوفهم فان لم يستطيعوا فبأقلامهم فان لم يستطيعوا فبألسنتهم ، فان لم يستطيعوا فبقلوبهم (١) فأبوا الا أن يكونوا بطانة للاجانب على قومهم ، وأبوا إلا أن يكونوا رواداً لهم على بلادهم ، وأبوا إلا أن يكونوا مطايا للاجانب على أوطانهم ، وتراهم مع ذلك وافرين ناعمي البال ، متمتعين بالهناء وصفاء العيش ، وهم يأكلون مما باعوا من تراث المسلمين ، ومما جروا من دماء المسلمين ، وينامون مستريحين . مثل هؤلاء ليس لهم وجدان يعذبهم من الداخل ، ولا نجد من المسلمين من يجرأ أن يعذبهم من الخارج

لم نكن لنطلق الكلام اطلاقا على العالم الاسلامي في هذا الموضوع ، فان الامة الافغانية مثلا لايمكن أحداً أن يحطب فيها في حبل الاجانب علنا ويبقى حيا ، والنجديون لايوجد فيهم من يجرأ أن يمالئ الاجانب على قومه ، والمصريون قد ارتقت تربيتهم السياسية كثيراً عن ذي قبل فأصبحت مجاهرة أحدهم بالميل للاجنبي أو تفضيل حكم الاجنبي خطراً عليه . فأما في سائر بلاد الاسلام فمن شاء من المسلمين أن يخلع الرسن ويجاهر بالعصوبة لعدو دينه وبلده فلا يخشى شراً ، ولا يحاذر قلقا ولا أرقا .

أفلمثل هؤلاء يقول الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا) ؟ حاش لله أن يكون تعالى عنى بهؤلاء « المسلمين » الذين يخونون ملتهم

(١) إشارة إلى حديث « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن كلهم وهذا في وجوب تغيير المنكرات يفعلها المسلم فماذا يقال في مقاومة هدم الاسلام من أساسه ؟

ويسعون بين يدي أعدائها ويناصبون اخوانهم العداوة ابتغاء مرضاة الاجانب والحصول على دنيا زائلة وحطام فان، كيف وقد قرن الايمان بلازمه وهو عمل الصالحات؟ بئسما شروا به أنفسهم. وكذلك لا يعني الله بهؤلاء المسلمين الذين ان لم يكونوا خامروا على قومهم، وسعوا بين أيدي الاجانب في خراب أمتهم، وأوطأوا مناكبهم لركوب الغريب الطامح، فانهم اكتفوا من الاسلام بالركوع والسجود، والأوراد والأذكار، واطالة السبحة، والتلوم في السجدة، وظنوا أن هذا هو الاسلام، ولو كان هذا كافيا في اسلام المرء وفوزه في الدنيا والأخرى لما كان القرآن ملآن بالتحريض على الجهاد، والايثار على النفس، والصدق والصبر، ومحبة المؤمن لأخيه، والعدل والاحسان، وجميع مكارم الاخلاق. ولو كان هذا كافيا لاجل التحقق بالاسلام لما قال الله تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)(١)

أفيقدر أخونا الشيخ بسيوني عمران أو غيره ان يقول ان المسلمين اليوم إلا النادر الاندر، والكبريت الاحمر، يفضلون الله ورسوله على آبائهم وأبنائهم واخوانهم وأزواجهم وتجارتهم وأموالهم ومساكنهم؟ أو يؤثرون حب الله ورسوله - وأنما حب الله ورسوله إقامة الاسلام - على الجزء اليسير من أموال اقترفوها. وتجارة يخشون كسادها؟

لنعمل هذه التجربة .. فبضدها تتبين الاشياء

لنفرض أن مسئلة تنصير البربر دخلت في طور النجاح، وانتدب البابا الكاثوليك الذين في العالم لبذل الاموال اللازمة لهذا التحويل الذي تتوخاه فرنسة في البربر من دين الاسلام إلى دين النصرانية، فكم مليونا تظن من الجنيهات يدر على المبشرين والرهبان والراهبات لبناء الكنائس والمدارس والملاجيء والمستشفيات ومراكز الاسقفيات وما أشبه ذلك لاتمام هذا العمل

(١) راجع تفسير الآية وماقبلها في ص ٢٢٤-٢٤٢ من الجزء العاشر من تفسير المنار

الذي تضم به الكثلكة ثمانية ملايين من البرابر إلى الاربعمائة مليون كاثوليكي الدين في العالم ؟

لاشك أن الجواب يكون : عدة ملايين تجمع في بضعة أشهر

فان قيل للبروتستانت : تعالوا فقد أذناكم بتنصير البرابرة فابذلوا في هذه السبيل ماأمكنكم ، فانها تدر حينئذ الملايين بقدر ضعفي ما يدر من الكاثوليك وفي مدة أقصر من المدة التي يجتمع فيها المال الذي يجود به الكاثوليك

فلنقل للمسلمين : ان البرابرة صاروا على شفا الخروج من الاسلام ، وإن الاس في هذا الصبوء عن دين الاسلام هو الجهل . فعلينا أن نرسل اليهم علماء ووعاظا ليتفقهوا في الدين ، وان نبني لهم المساجد والمدارس والكتاتيب والملاجيء إلى غير ذلك من الوسائل التي تمسك بحجزاتهم عن مفارقة الاسلام والمسلمين

فكم تظن المبلغ الذي يجود به المسلمون بعد اللتيا والتي لهذا العمل ؟ لاأظن أنهم يجودون بما يتجاوز جزءاً من مائة مما يبذله الكاثوليك أو البروتستانت

فهذه هي حمية المسيحيين على دينهم ، وهذه هي حمية المسلمين ، ومن الناس من يسأل عن أسباب انحطاط المسلمين وقصورهم عن مباراة سواهم ، ولو تأمل في هذه الفروق في النهضة والحمية لوجد عندها الجواب الكافي

ومن أغرب الامور أن نرى الاوربيين ودعاتهم وتلاميذهم من الشرقيين بعد هذا كله يتهمون المسلمين بالتعصب الديني ، وينبزونهم بلقبه ، وينتحلون لأنفسهم التساهل في الدين ! ان هذا والله لعجب عجاب

وهاأنا ذا الآن في كتابتي هذه التي معناها الدفاع لاالتجاوز ، والاستاذ الاكبر صاحب المنار ، وعبد الحميد بك سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين ، والاستاذ صاحب مجلة الفتح — وغيرنا من الرجال الذين يغضون منع الاعتداء على الاسلام وينادون المسلمين ليتنبهوا للخطر المحدق بهم — متهمون بالتعصب الديني ومنبوزون بهذه الكلمة ، لابين غير المسلمين فقط ، بل بين المسلمين الجغرافيين أيضاً — أعني الذين يتباهون بأن سياستهم « لادينية » وطالما صرحوا بأنهم

لايقيمون للدين وزنا ، وطالما تزلفوا إلى المسيحيين بكونهم هم لايدافعون عن الدين الاسلامي كما يدافع زيد وعمرو ...

فالمسلم اذاً لايخلص من لقب « متعصب » إلا اذا سمع أن الفرنسيس يحاولون تنصير البربر فر بذلك كأن لم يسمع شيئا ، وإلا اذا سمع أن الهولانديين نصروا مائة ألف — وقد زعم أحد نواب البرلمان الهولاندي أنهم فازوا بتنصير مليون مسلم من مسلمي الجاوي وهز كتفه قائلا : أنا لايهمني أكان الجاوي مسلما أم مسيحيا ... — هنالك « المسلم » يصير « راقيا » ويعد « عصريا » ويقال فيه كل خير

وأما الاوربي فله أن يبذل القناطير المقنطرة على بث الدعاية المسيحية بين المسلمين ، وله أن يحميها بالمدافع والطيارات والدبابات ، وله أن يحول بين المسلمين ودينهم بالذات وبالواسطة ، وله أن يدس كل دسيسة ممكنة لهدم الاسلام في بلاد الاسلام ، وليس عليه حرج في ذلك ، ولا يسلبه هذا العمل صفة « راق » و« متمدن » و« عصري » وأغرب من هذا أنه لايسلبه نعت « مدني » و« لاديني » و« متساهل »

وهؤلاء « المسلمون الجغرافيون » برغم هذه الشواهد الباهرة للأعين ، وبرغم ماعملته جمهورية فرنسة « اللادينية » في قضية البربر لمآرب دينية كاثوليكية ، وبرغم حماية هولاندة لمبشري الانجيل في الجاوي ، وبرغم قرار الحكومة البلجيكية رسميا اكمال تنصير أهل الكونغو ، وبرغم منع الانكليز في الاوغاندة وفي دار السلام — وكذا السودان — بث الدعاية الاسلامية بين الزنوج ، وبرغم أمور كثيرة لايسعنا الآن شرحها ، لايزالون يخدعون المسلمين قائلين لهم : ان أوربة قد رفست الدين برجلها وسارت على خطة لادينية ، وبذلك قد نجحت ونحن لن نفلح مادمنا سائرين على خطة اسلامية (١)

قد قام ببث هذه السفسطة أناس في تركيا ووجدوا من تلقاها بالقبول عدداً

(١) وقد صدقوا لكن بمعنى أننا لن نفلح ما دمنا على هذه الخطة التي نكذب بتسميتها إسلامية وأننا انما نفلح اذا قمنا بحقوق إسلامنا كما يقومون بحقوق دينهم أو أشد

كثيراً . وترى أناسا في مصر والشام والعراق وفارس يقولون بها ويكابرون في المحسوس ولا يبالون ، لانهم يجدون على كل الاحوال من الاغرار من يصدقهم

أهم اسباب تاخر المسلمين

فمن أعظم أسباب تأخر المسلمين الجهل ، الذي يجعل فيهم من لايميز بين الخر والخل ، فيتقبل السفسطة قضية مسلمة ولا يعرف أن يرد عليها

ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين العلم الناقص ، الذي هو أشد خطراً من الجهل البسيط ، لان الجاهل اذا قيض الله له مرشداً عالما أطاعه ولم يتفلسف عليه فاما صاحب العلم الناقص فهو لايدري ولا يقتنع بانه لايدري ، وكما قيل: ابتلاؤكم بمجنون خير من ابتلائكم بنصف مجنون ، أقول : ابتلاؤكم بجاهل ، خير من ابتلائكم بشبه عالم

ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين فساد الاخـلاق ، بفقد الفضائل التي حث عليها القرآن ، والعزائم التي حمل عليها سلف هذه الامة وبها أدركوا ماأدركوه من الفلاح ، والاخلاق في تكوين الامم فوق المعارف ، ولله در شوقي إذ قال :

وانما الامم الاخلاق مابقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن أكبر عوامل تقهقر المسلمين فساد أخلاق أمرائهم بنوع خاص ، وظن هؤلاء — إلا من رحم ربك — أن الامة خلقت لهم ، وان لهم أن يفعلوا بها مايشاءون ، وقد رسخ فيهم هذا الفكر حتى اذا حاول محاول أن يقيمهم على الجادة بطشوا به عبرة لغيره . وجاء العلماء المتزلفون لاولئك الامراء المتقلبون في نعمائهم ، الضاربون بالملاعق في حلوائهم ، وأفتوا لهم بجواز قتل ذلك الناصح بحجة انه شق عصا الطاعة ، وخرج عن الجماعة

ولقد عهد الاسلام الى العلماء بتقويم أود الامراء . وكانوا في الدول الاسلامية الفاضلة بمثابة المجالس النيابية في هذا العصر ، يسيطرون على الامة ، ويسددون خطوات الملك ، ويرفعون أصواتهم عند طغيان الدولة ، ويهيبون بالخليفـة فمن بعده الى الصواب . وهكذا كانت تستقيم الامور لان أكثر أولئك العلماء كانوا

متحققين بالزهد ، متحلين بالورع ، متخلين عن حظوظ الدنيا ، لا يهمهم أغضب الملك الظالم الجبار أم رضي . فكان الخلائف والملوك يرهبونهم ويخشون مخالفتهم لما يعلمون من انقياد العامة لهم ، واعتقاد الامة بهم ، الا انه بمرور الايام خلف من بعد هؤلاء خلف اتخذوا العلم مهنة للتعيش ، وجعلوا الدين مصيدة للدنيا ، فسوغوا للفاسقين من الامراء أشنع موبقاتهم ، وأباحوا لهم باسم الدين خرق حدود الدين ، هذا والعامة المساكين مخدوعون بعظمة عمائم هؤلاء العلماء ، وعلو مناصبهم ، يظنون فتياهم صحيحة ، وآراءهم موافقة للشريعة ، والفساد بذلك يعظم ، ومصالح الامة تذهب ، والاسلام يتقهقر ، والعدو يعلو ويتنمر . وكل هذا اثمه في رقاب هؤلاء العلماء (١)

ومن أعظم عوامل تقهقر المسلمين الجبن والهلع ، بعد أن كانوا أشهر الامم في الشجاعة واحتقار الموت ، يقوم واحدهم لعشرة وربما للمائة من غيرهم . فالآن أصبحوا الا بعض قبائل منهم يهابون الموت الذي لا يجتمع خوفه مع الاسلام في قلب واحد . ومن الغريب ان الافرنج المتدين لا يهابون الموت في اعتدائهم ، هيبة المسلمين إياه في دفاعهم . وان المسلمين يرون الغايات البعيدة التي يبلغها الافرنج في استحقار الحياة والتهافت على الهلكة في سبيل قوميتهم ووطنهم ، ولا تأخذهم من ذلك الغيرة ، ولا يقولون نحن أولى من هؤلاء باستحقار الحياة ، وقد قال الله تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم ، ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله مالا يرجون)

وقد انضم الى الجبن والهلع اللذين أصابا المسلمين اليأس والقنوط من رحمة الله ، فمنهم فئات قد وقر في أنفسهم ان الافرنج هم الاعلون على كل حال ، وانه لا سبيل لمغالبتهم بوجه من الوجوه ، وان كل مقاومة عبث ، وان كل مناهضة

(١) وفينا هذا المسألة حقها في المنار واهمه مقالة في المجلد التاسع (ص ٣٥٧ عنوانها (حال المسلمين في العالمين . ودعوة العلماء الى نصيحة الامراء والسلاطين) ألحينا فيها باللائمة على علماء هذا العصر لتقصيرهم في نصيحة الملوك والامراء ، ويليها آثار عن السلف في ذلك نشرت في عدة أجزاء من هذا المجلد

خزق في الرأي . ولم يزل هذا التهيب يزداد ويتخمر في صدور المسلمين امام الاوربيين الى أن صار هؤلاء ينصرون بالرعب ، وصار الاقل منهم يقومون للاكثر من المسلمين . وهذا بعكس ما كان في العصر الاول

يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع الائيم

نسي المسلمون الايام السالفة التي كان فيها المشرون مسلما لاغير يأتون من (برشلونه) الى (فرا كسيمه) من سواحل فرانسة ويستولون على جبل هناك ويبنون به حصنا ويتزايد عددهم حتى يصيروا مائة رجل فيؤسسون هناك امارة تعصف ريحها بجنوبي فرانسة وشمالي ايطالية ، وتهادنها ملوك تلك النواحي وتخطب ولاءها وتستولي على رؤس جبال الالب ، وعلى المعابر التي عليها الطرق الشهيرة بين فرانسة وايطالية ، وتضطر جميع قوافل الافرنج أن تؤدي للعرب المكوس لاجل المرور ، ثم تتقدم هذه الدولة العربية الصغيرة في بلاد (البيامون) مسافات بعيدة الى ان تبلغ سويسرة وبحيرة (كونستانزة) في قلب أوربة ، وتضم القسم العالي من سويسرة الى أملاكها ، وتبقى خمسا وتسعين سنة مستولية على هذه الديار الى أن تتألب الامم الافرنجية عليها ، ولاتزال تناجزها الى أن استأصلتها ، وكانت تلك العصابة العربية يوم انقرضت لاتزيد على الف وخمسمائة رجل (وقد نشرنا تفصيل خبرها في المجلد ٢٤ من المنار)

شبهات الجهلاء الجبناء وردها

من السخفاء من يقول : نعم قد كان ذلك لكن قبل أن يخترع الافرنج آلات القتال الحديثة ، وقبل المدافع والدبابات والطيارات ، وقبل أن صار الافرنج إلى ما صاروا اليه من القوة المبنية على العلم . وهذا القول هو منتهى السخف والسفه والحماقة ، فان لكل عصر علما وصناعة ومدنية تشاكله ، وهي فيه كما هي العلوم والصناعات والمدنية الحاضرة في هذا العصر . وأمور الخلق كلها نسبية . ولقد كانت في العصر الذي نتكلم عنه آلات قتال ومنجنيقات ودبابات ونيران مركبة تركيباً مجهولا اليوم ، وكانت في ذلك الوقت كما هي المدافع والرشاشات وقنابر الديناميت وما أشبه ذلك في هذه الايام . على انه ليست الدبابات والطيارات

والرشاشات هي التي تبعث العزائم ، وتوقد نيران الحمية في صدور البشر، بل الحمية والعزيمة والنجدة هي التي تأتي بالطيارات والدبابات والقنابر . وما هذه إلا مواد صماء لافرق بينها وبين أي حجر ، فالمادة لاتقدر أن تعمل شيئا من نفسها ، وإنما الذي يعمل هو الروح فاذا هبت أرواح البشر وتحركت عزائمهم فعند ذلك تجد الدبابات والطيارات والرشاشات والغواصات، وكل اداة قتال ونزال على طرف الثمام

يقولون : الا أن هذا ينبغي له العلم الحديث ، وهذا العلم مفقود عند المسلمين، فلذلك أمكن الافرنج مالم يمكنهم

(والجواب) ان العلم الحديث أيضا يتوقف على الفكرة والعزيمة، ومتى وجدت هاتان وجد العلم الحديث ووجدت الصناعة الحديثة . أفلا ترى أن اليابان إلى حد سنة ١٨٦٨ كانوا أمة كسائر الامم الشرقية الباقية على حالتها القديمة ، فلما أرادوا اللحاق بالامم العزيزة تعلموا علوم الاوربيين ، وصنعوا صناعاتهم ، واتسق لهم ذلك في خمسين سنة . وكل أمة من أمم الاسلام تريد أن تنهض وتلحق بالامم العزيزة يمكنها ذلك وتبقى مسلمة ومتمسكة بدينها ، كما أن اليابانيين تعلموا علوم الاوربيين كلها وضارعوهم ولم يقصروا في شيء عنهم، ولبثوا يابانيين ولبثوا متمسكين بدينهم وأوضاعهم . وأيضا فمتى أرادت أمة مسلمة أدوات أو أسلحة حديثة ولم تجدها؟ ان ملاك الأمر هو الارادة فمتى وجدت الارادة وجد الشيء المراد

فلو أن أمة من أمم الاسلام أرادت أن تتسلح لوجدت السلاح الحديث اللازم بأنواعه وأشكاله من ثاني يوم . ولكن اقتناء السلاح ينبغي له سخاء بالاموال، وهم لا يريدون أن يبذلوا ، ولا أن يقتدوا بالافرنج واليابان في البذل، بل يريدون النصرة بدون سلاح وعتاد ، أو السلاح والعتاد بدون بذل اموال، وإذا تغلب العدو عليهم من بعد ذلك صاحوا قائلين : اين المواعيد التي وعدنا إياها القرآن في قوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) كأن القرآن ضمن للمؤمنين النصر بدون عمل وبدون كسب وبدون جهاد بالاموال والانفس ، بل بمجرد قولنا اننا مسلمون ، أو بمجرد الدعاء والتسبيح ؟ وأغرب من ذلك بمجرد الاستغاثة بالاولياء ، فأصبح الكثير من المسلمين وهم عزل من السلاح الحديث وغير مجهزين

بالعلم اللازم لاستعماله لايقومون للقليل من الافرنج المسلحين المجهزين ،وصاروا إذا التقى الجمعان تدور الدائرة في اغلب الاحيان على المسلمين . فتوالى هذا الامر عليهم مدة طويلة إلى أن فقدوا كل ثقة بنفوسهم ،واستولى عليهم القنوط ، ودب فيهم الرعب ، وألقوا بأنفسهم إلى العدو ، وبعد أن كانوا مسلمين،صاروا مستسلمين ، وقد ذهلوا عن قوله تعالى (ولا تهنوا ولا تحزنوا أنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين * ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس) ونسوا أنه لايجوز أن يتطرق اليأس الى قلب أحد لاعقلا ولا شرعا ،ولا سيما المسلم الذي يخبره دينه بأن اليأس هو الكفر بعينه . وغفلوا عن قوله تعالى في سلفهم (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل* فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) الآيات

فتجدهم اذا استنهضتهم لمعاونة قوم منهم يقاتلون دولة أجنبية تريد لتمحوهم كان أول جواب لهم : أية فائدة من بذل أموالنا في هذا السبيل وتلك الدولة غالبة لا محالة . ولو تأملوا لوجدوا ان الاستسلام لايزيدهم إلا ويلا ، ولا يزيد العدو إلا استبداداً وجبروتا ، سنة الله في خلقه . ولو فكروا قليلا لرأوا ان هذا الشح بالمال على اخوانهم الذين في مواطن الجهاد لم يكن توفيراً وانما كان هو الفقر بعينه. لان الامة المستضعفة لاتعود حرة في تجارتها واقتصادياتها ، بل يختص العدو الغالب عليها كل مافيه علاقة رطوبة في أرضها ، ولا يترك للامة المستضعفة إلا عظاما يتمششونها ، من قبيل «قوت لايموت» وكثيراً مايحصل مساغب ويموتون جوعا كما يقع كثيراً في جزائر الغرب والهند وغيرهما ، ترى المجاعات واقعة في الهند ولا يموت منها ولا انكليزي ، وتراها تشتد في الجزائر ولا يموت بها إلا المسلم . وما السبب في ذلك إلا أن الاجانب قد استأثروا بخيرات البلاد ولم يتركوا للمسلمين إلا الفقر . فقام المسلمون اليوم يعتذرون عن عدم بذل الاموال لمساعدة اخوانهم بعدم وجودها ، وهذا صحيح الى حد محدود ، وذلك انهم بخلوا بها في الاول فجنوا من بخلهم على الجهاد الذل والخنوع أولا ، والفقر والجوع ثانيا . فان من سنن الله في أرضه ان الذل يردفه الفقر ، وان العز يردفه الثراء ،

والمثل العربي يقول : من عز بز . والشاعر العربي الايادي يقول :

لاتدخروا المال للاعداء إنهم إن يظهروا يأخذوكم والتلاد معا
هيهات لا خير في مال وفي نعم قد احتفظتم بها إن أنفكم جُدعا

والمتنبي يقول :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

فالمسلمون عز عليهم المال فافتقدوه ، وعزت عليهم الحياة ففقدوها ، وأبى الله إلا تصديق كلام النبي الموحى اليه حيث يقول « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على القصاع » قالوا : أو من قلة فينا يومئذ يا رسول الله ؟ قال « لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهل في قلوبكم وينزع من قلوب أعدائكم من حبكم الدنيا وكراهيتكم الموت »

هذا الحديث كان رواه لي الشيخ الكتاني الفاسي رحمه الله يوم لقيته في المدينة المنورة منذ ثماني عشرة سنة ، ثم قرأته في الكتب واستشهدت به في مقدمة حاضر العالم الاسلامي ، وألفاظه تختلف من رواية عن رواية . فالاستاذ صاحب المنار أمتع الله بطول حياته هو الادرى بأصح رواياته(١) ومعناه ظاهر وهو : ان المسلمين يأتي عليهم يوم يصيرون فيه مأكلة وتمتد اليهم الايدي من كل جهة،

(١) الحديث رواه أبو داود في سننه والبيهقي في دلائل النبوة عن ثوبان مرفوعا بلفظ « يوشك أن تداعى عليكم الامم كما تداعى الأكلة الى قصعتها » فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال (ص) « بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وسينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن » ـ قال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال « حب الدنيا وكراهية الموت »

قوله ﷺ « تداعى » أصله تتداعى أي تجتمع ويدعو بعضها بعضاً لسلب ملككم كما تداعى الاكلة وهي جمع آكل كالفعلة جمع فاعل إلى قصعة الطعام ، والغثاء بالضم ما يحمله السيل ويلقيه من الزبد والعيدان ونحوها ويضرب مثلا لما لاقيمة له ولا فائدة، والوهن بالنون الضعف ، وإنما سأله السائل عن سببه فأجابه (ص) بأن سببه حب الحياة الدنيا ولذاتها الخسيسة وإيثارها على الجهاد في الدفاع عن الحقيقة وإعلاء كلمة الله ، وكراهية الموت ولو في سبيل الحق حرصاً على هذه الحياة الخسيسة =

فهذا العصر الذي نحن فيه هو ذلك اليوم ، وان المسلمين لايكون عيبهم يومئذ من قلة العدد ، بل يكون عددهم كثيراً وانما لاتغنيهم كثرتهم شيئا ، لان الكثرة بنفسها لاتفيد ان لم تقترن بجودة النوع ، والكمية لاتغني عن الكيفية ، وعلة العلل في ضعف المسلمين ذلك اليوم هو الجبن والبخل ، صريح ذلك في قوله ﷺ « من حبكم الدنيا وكراهيتكم الموت »

ومن المعلوم ان الافراط في حب الدنيا يحرم الانسان التمتع بها ، وان الغلو في المحافظة على الحياة تكون عاقبته زيادة التعرض للهلاك ، هذه من سنن الله في خلقه أو من النواميس الطبيعية كما يقال في هذا العصر

فالقرآن يأمر المسلم بأن يحتقر الحياة والمال وكل عزيز في سبيل الله ويأمر المسلم أن يثبت ولا ييأس ، وأن يصبر ولا يتزلزل مهما أصيب

وتراه يقول : (وكأي من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم

= وقد أوردت هذا الحديث في تفسير قوله تعالى (٦: ٦٥ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) الآية وأوردت قبله حديث ثوبان الآخر الذي رواه مسلم في صحيحه قال قال رسول الله (ص) « إن الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وان أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض ، واني سألت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم (أي ملكهم وسلطانهم ومستقر قوتهم) وان ربي قال لي : يامحمد إذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، واني أعطيتك لامتك أن لا أهلكهم بسنة عامة (أي قحط) وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً » ورواه أحمد وأصحاب السنن إلا النسائي بزيادة على رواية مسلم هذه ، وكلا الحديثين من أعلام النبوة التي ظهر بها صدقه (ص) بعد قرون من وفاته ورفع روحه إلى الرفيق الاعلا ، فما ذهب شيء من ملك المسلمين إلى أيدي الاجانب إلا بخذلان بعضهم لبعض ومساعدتهم للاجانب على أنفسهم ، وفي هذه الرسالة للامير شكيب بعض الشواهد من مسلمي هذا العصر على ذلك وراجع الموضوع بتفصيله في تفسير الآية المشار اليها من ص ٤٩٠ - ٥٠١ ج ٧ تفسير .

في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)

هكذا يريد الله ليكون المسلمون، فان لم يكونوا هكذا بصريح نص القرآن، فكيف يستنجزون الله عداته بالنصر والتمكين ، والسعادة والتأمين ؟

ضياع الاسلام بين الجامدين والجاحدين

ومن أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم ، فكما ان آفة الاسلام هي الفئة التي تريد أن تلغي كل شيء قديم ، بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع، كذلك آفة الاسلام هي الفئة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئا ، ولا ترضى بادخال أقل تعديل على أصول التعليم الاسلامي ظناً منهم بأن الاقتداء بالكفار كفر ، وإن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار

فقد أضاع الاسلام جاحد وجامد

أما الجاحد فهو الذي يأبى إلا أن يفرنج المسلمين وسائر الشرقيين، ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ومشخصاتهم ، ويحملهم على انكار ماضيهم ، ويجعلهم أشبه بالجزء الكيماوي الذي يدخل في تركيب جسم آخر كان بعيداً فيذوب فيه ويفقد هويته . وهذا الميل في النفس الى انكار الانسان لماضيه واعترافه بأن آباءه كانوا سافلين، وانه هو يريد أن يبرأ منهم، لا يصدر إلا عن الفسل الخسيس، الوضيع النفس، أو عن الذي يشعر انه في وسط قومه دنيء الاصل، فيسعى هو في انكار أصل أمته بأسرها لانه يعلم نفسه منها بمكان خسيس ليس له نصيب من تلك الاصالة ، وهو مخالف لسنن الكون الطبيعية التي جعلت في كل أمة ميلا طبيعياً للاحتفاظ بمقوماتها ومشخصاتها من لغة وعقيدة وعادة وموسيقي وطعام وشراب وسكنى وغير ذلك .

محافظة الشعوب الافرنجية على قومياتها

فلننظر الى أوربة – لانها هي اليوم المثل الأعلى في ذلك – فنجد كل أمة فيها تأبى أن تندمج في أمة أخرى. فالانكليز يريدون أن يبقوا انكليزاً ، والافرنسيس يريدون أن يبقوا إفرنسيسا ، والالمان لا يريدون أن يكونوا إلا ألمانا ، والطليان

لا يرضون أن يكونوا إلا طليانا ، والروس قصارى همهم أن يكونوا روسا ، وهلم جرا

ومما يزيد هـذا المثال تأثيراً في النفس ان الايرلنديين مثـلا أمة صغيرة مجاورة للانكليز وقد بذل هؤلاء جميع مايتصوره العقل من الجهود ليدمجوهم في سوادهم مدة تزيد على سبعمائة سنة ، فأبوا أن يصيروا انكليزاً وابثوا ايرانديين بلسانهم وعقيدتهم وأذواقهم وعاداتهم

وفي فرانسة نفسها تأبى أمة « البريتون » الا أن تحافظ على أصلها . وفي جنوبي فرانسة جيل يقال لهم « الباشكنس » احتفظوا بقوميتهم تجاه القوط ، ثم تجاه العرب ، ثم تجاه الاسبان ، ثم تجاه الفرنسيس . وجميعهم مليون نسمة . وهم لايزالون على لغتهم وزيهم وعاداتهم وجميع أوضاعهم

والفلمنك يأبون أن يجعلوا اللغة الافرنسية لغتهم، والثقافة الافرنسية ثقافتهم، ولم يزالوا يصيحون في بلجيكا حتى اضطرت دولة بلجيكا الى الاعتراف بلغتهم لغة رسمية.

وفي سويسرة ثلاثة أقسام : القسم الالماني وهو مليونان وثمانمائة الف ، والقسم المتكلم بالافرنسية وهو ثمانمائة الف ، والقسم المتكلم بالطليانية وهو أكثر قليلا من مائتي الف ، وكل قسم منها محافظ على لغته وقوانينه ومنازعه مع انهم كلهم متحدون في مصالحهم السياسية ويعيشون في مملكة واحدة

وان الدانمرك وبلاد الاسكنديناف وهولانده فروع من الشجرة الالمانية لامراء في ذلك ، لكنهم لايريدون الاندماج في الالمان ولا العدول عن قومياتهم وبقي « التشيك » مئين من السنين تحت حكم الالمان وبقوا تشيكا ، واستأنفوا بعد الحرب العامة استقلالهم السياسي ، بعد أن حفظوا لسانهم واستقلالهم الجنسي مدة خمسة قرون

وقد هذب الالمان أمة المجر وعلموهم ورقوهم ولكنهم لم يتمكنوا من ادماجهم في الالمانية، فتجدهم أحرص الامم على لغتهم المغولية الاصل وعلى قوميتهم المجرية

ولبثت الروسية العظيمة من مائتين الى ثلاثمائة سنة تحاول ادخال بولونية في الجنس الروسي وحمل البولونيين على نسيان قوميتهم الخاصة بحجة ان العرق السلافي يجمع بين البولونيين والروس ، ففشلت جميع مساعيها في ادماج البولونيين

فيها، وعاد هؤلاء بعد الحرب العامة أمة مستقلة في كل شيء. وذلك لانهم لم يتخلوا طرفة عين عن قوميتهم

وليس من العجب أن لا نريد أمة عددها ٣٠ مليونا الاندماج في غيرها. ولكن الاستونيين وهم مليونان فقط انفصلوا عن الروسية ولم يقبلوا الاندماج فيها وأحيوا استقلالهم ولسانهم المغولي الاصل وجعلوا له حروفا هجائية. ومثلهم أهالي فنلاندة المنفصلون عن الروسية أيضا. وقد خابت مساعي الروس في ادماج اللتوانيين من هذه الامم البلطيكية في الجنس الروسي، وانتفضوا بعد الحرب العامة أمة مستقلة كما كانوا مستقلين قوميا، وجميعهم أربعة ملايين. وأقل منهم جيرانهم اللتوانيون الذين هم مليونان لا غير، ومع هذا قد انفصلوا بعد الحرب وأسسوا جمهورية كسائر الجمهوريات البلطيكية لانهم من الاصل لبثوا محافظين على لغتهم وجنسهم

وقد عجز الروس من جهة كما عجز الالمان من جهة أخرى عن ادخال هذه الاقوام في تراكيبهم القومية العظيمة لان كل شعب مهما كان صغيراً لا يرضى بانكار أصله ولا بالنزول عن استقلاله الجنسي

وقد حفظ الكرواتيون استقلالهم الجنسي مع احاطة أمتين كبيرتين بهم هما اللاتين والجرمان

وحفظ الصربيون استقلالهم الجنسي مع سيادة الترك عليهم مدة قرون

ولم يزل الارناووط أرناووطا منذ عهد لا يعرف بدؤوهم بين أمتين كبيرتين اليونان والصقالبة أي السلاف

وكذلك البلغار أبوا إلا أن يبقوا بلغاراً فيما بين الروم والسلاف واللاتين. ثم جاءهم الترك فتعلموا التركية لكنهم بقوا بلغاراً

ولا أريد ان أخرج في الاستشهاد عن أوربة لاني إن خرجت عن أوربة قالت تلك الفئة الجاحدة: نحن لا نريد أن نجعل قدوة لنا أمماً متأخرة مثلنا

فالامم التي استشهدنا الآن بها كلها أوربية، وكلها متمدنة راقية، وكلها ذوات بلدان ممدنة منظمة، وكلها عندها الجامعات والاكادميات والجمعيات العلمية والجيوش والاساطيل الخ   (للكلام بقية)

مناظرة في الجامعة المصرية

في المدنيتين الفرعونية والعربية

﴿ وأيتهما تختار مصر في هذا العصر ؟ ﴾

(مقدمة وتمهيد) كنت كتبت في سنة ١٣٢٩ بضع مقالات عنوانها (المسلمون والقبط) نشرتها في جريدة المؤيد وفي مجلة المنار معا ، كان الداعي إلى كتابتها الخلاف والتنازع الذي اهب القبط وبعثهم على عقد « مؤتمر قبطي » عام لتقرير ما يرونه من حقوقهم في هذه البلاد وحكومتها وما يدعونه من هضم المسلمين لها ، واضطرار المسلمين الى عقد مؤتمر آخر سموه « المؤتمر المصري » معارضة لذلك المؤتمر وتخطئة له في اسمه وموضوعه ، بناء على رأيهم في وجوب وحدة الشعب المصري وعدم جواز تفرقه وجعله طوائف دينية

بحثت في تلك المقالات في حال الشعب المصري بحثا اجتماعياً أخلاقيا أثبت فيه أن القبط ارقى من المسلمين بدرجات في جامعتهم الدينية ، وروابطهم الملية ، وتعاونهم على مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية ، وانه من ثم كانت ثروتهم النسبية أوفر ، وعددهم في مصالح الحكومة أكثر ، وكانوا معذورين أو جديرين بارتقاء همتهم الى تحويل حكومة هذه البلاد عن الصبغة الاسلامية ، الى الصبغة القبطية ، باسم الجنسية والوطنية ، وقلت يومئذ انهم قد غلطوا أو اخطؤا في المظهر الذي ظهروا به في مؤتمرهم القبطي ومطالبهم القبطية فيه ، لانهم قد يوقظون به في المسلمين (وهم الا كثرية الساحقة التي تمثل السيادة في البلاد) نعرة الجامعة الملية التي ضعفت فيهم حتى تكاد تزول ، وحينئذ تتحول ثوائب مدهم إلى جزر ، وربحهم في مساعيهم إلى خسر ... وقد اعتبروا بذلك وصاروا يداورون عواطف المسلمين بقدر معلوم ، وتحولت دعايتهم عن اسم الجنسية القبطية ، الى المدنية الفرعونية ، ويؤيدهم في ذلك ساسة الاستعمار ودعاة النصرانية من الافرنج عامة ، ولذلك راجت

هذه الدعاية لدى ملاحدة المسلمين المتفرنجين ، وأفراد غيرهم من السذج الغافلين ، فنشروها في الجرائد والمجلات المختلفة ، وعقدوا لها مناظرة في كلية الحقوق من الجامعة المصرية من عهد قريب باللغة الانكليزية موضوعها: أي المدنيتين ينبغي أن تختار مصر : آلمدنية الفرعونية ، أم المدنية العربية ؟ وكان الفلج فيها على ما قيل لنا للمدنية الفرعونية ، فرأت لجنة المناظرات والمحاضرات في تلك المدرسة أن تعقد مناظرة أخرى في هذا الموضوع باللغة العربية ، واختارت صاحب مجلة المنار لتأييد الجامعة العربية ، ظناً منها — على مانقل الينا — انه إذا فشل ودحضت حجته ، لا يرجى لأنصار المدنية العربية ان تنهض لهم حجة على لسان غيره . وطفقوا يعرضون تأييد المدنية الفرعونية على أصحاب الألسن والخلابة فيأبونها ، حتى أجاب دعوتهم اليها الاستاذ لطفي جمعة المحامي الخطيب الكاتب المشهور

عقدت المناظرة بعد المغرب من يوم الجمعة ٢١ رجب الماضي الموافق ليوم ٢٩ من شهر ديسمبر الماضي وكان الرئيس المنظم للاجتماع الاستاذ وحيد رفعت من استاذي الجامعة ، وكان المعضد للاستاذ لطفي جمعة محمد أفندي أبو شقة من طلبة الجامعة المصرية والمعضد لصاحب المنار أحمد أفندي حسين من طلبة الجامعة أيضا

كانت الكلمة الاولى لمناظرنا الاستاذ لطفي جمعة فبدأ كلامه بتخطئة لجنة المناظرة في قولها « المدنية الفرعونية » وقرر أن هذا التعبير لا يصح لان كلمة فرعون لقب لبعض ملوك مصر الاولين ، وقد تولى حكم مصر بعدهم ملوك البطالسة وأمراء العرب ، وآخرون لقبوا بالسلاطين ، وآخرون لقبوا بالخديويين ، ثم عادت حكومة البلاد الآن ملكية ، فاذا صح أن تسمى مدنية هذه البلاد فرعونية في عصر جاز أن تسمى في عصور اخرى سلطانية وخديوية وملكية ، وهذا ما لا يقول به احد

ثم قال : ان لهذه البلاد مدنية خاصة يجب ان تسمى المدنية المصرية ، ولا يجوز أن تسمى فرعونية ولا عربية لا في الأزمنة الماضية ولا في هذا الزمن ، واحتج على ذلك بأن المصري إذا ذهب الى بلاد العرب كالحجاز اوغيرها من الاقطار يقال فلان المصري لا العربي . وذكر أن المدنية المصرية تمتاز على جميع مدنيات الشعوب بمزايا خاصة بالمصريين لا يساويهم فيها أحد ـ وذكر منها سمرة اللون وخفة الروح

وحسن الفكاهة والظرف في النكت المليحة . وأطال في وجوب محافظة المصريين على تسمية مدنيتهم مصرية وعدم نسبتها الى العربية ، وذكر ان تدينهم بالاسلام لايقتضي ان يكونوا عرباً في مدنيتهم وجنسيتهم فان الاسلام دين عام يشمل جميع شعوب البشر ، وذكر انه هو يرى « كمسلم مصري او كمصري مسلم » الأخذ بالمدنية المصرية وقد أطال في هذا بفصاحته وبداهته ، بما لا يستطيع كل أحد ان يطيل به لضيق الموضوع وإعوازه الحقائق التي تمده ، وفقده للدلائل التي تثبته

ولما انتهى الوقت الموقوت له في الكلام وما زاده عليه قمت فشكرت له إنكاره لنسبة المدنية إلى لقب فرعون وقلت انني كنت عازما على هذا الانكار فكفاني مؤنته . وأثنيت على فصاحته واستقلال فكره إذ لم يرض لنفسه ان يكابر الحق في المسألة ، وذكرت ان جمل سمرة اللون من آيات الجنسية أو المدنية المصرية تخرجه هو ورئيس اللجنة منها فانهما أشقران لا أسمران ، ثم إفضت في الموضوع

وملخص ماقلته مع اختصار لبعض المسائل وإيضاح قليل لبعض مع التزام الموضوع : أن مسألة النسبة إلى مصر نسبة إلى بلد أو قطر وليست نسبة إلى دولة - او الى جيل من أجيال البشر الذين سكنوا هذا القطر . وكان المعروف عند علمائنا ان العرب الاقدمين كانوا ينسبون الاشخاص إلى أجناسهم النسبية وقبائلهم ثم فيقولون مثلا قرشي او تميمي الخ وينسبون الاعاجم الى شعوبهم كرومي وهندي وفارسي ، والاشياء الى بلادها كالحبر اليمانية والقباطي المصرية . وكان الاعاجم ينسبون الاشخاص إلى بلادهم فيقولون مصري وبصري ودمشقي وخراساني مثلا ، لأن الأنساب قلما تحفظ في الامصار

وبعد الحضارة الاسلامية تغلبت النسبة إلى البلاد على النسبة إلى القبائل لان من شأن الحضارة ان تمزج القبائل الكثيرة والاجناس الكثيرة في مصر واحد ، وانما تحفظ الانساب في أطوار البداوة

والنسبة إلى مصر الان عندما تقول فلان مصري يراد بها الجنسية السياسية التي تنال بالاقامة وقبول الحكومة ، لا النسبة إلى جيل من سكان هذا القطر كالقبط والعرب فكل من له حق الجنسية المصرية الآن يقال له مصري (وإن كان غير

المسلم والقبطي منهم قد ينسب أيضا إلى أهل ملته كاليهودي او جيله كالرومي)

أما المصريون القدماء فقد اختلف علماء الآثار العادية في أصلهم فمن علماء الآثار من يقول ان أصلهم من العرب كما بينه الاستاذ جبر ضومط من أساتذة الجامعة الاميركية ببيروت في محاضرة له ألقاها في تلك المدرسة الشهيرة نقل فيها عن بعض علماء الاجناس واللغات من الانجليز وغيرهم قول من يقول ان أصل المصريين من العرب ، ونشرناها في المنار . وكذلك الاستاذ نعوم بك شقير بين هذا في كتابه (تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها) وبعد ما أورد بعض النقول عن علماء اوروبا قال ما خلاصته: ان أكثر الذين يسكنون الآن مصر وسورية والعراق هم من أصل واحد كما كانوا من قديم الزمان

ويرجع العلم التفصيلي او الكلام في هذا إلى العالم المصري الاثري الشهير المرحوم احمد كمال باشا المصري فهو قد ألف معجما كبيراً للغة الهيروغليفية بين فيه ان كثيراً من ألفاظها القديمة موافقة للغة العربية (المضرية) وقد نشرنا في المجلد الثامن عشر من المنار فصولا له في الشواهد على ذلك ويصح ان نقول إن هذا العالم المصري أوسع علما بهذا الامر من علماء أوربة المشهورين لجمعه بين اللغتين الهيروغليفية والعربية، وفيما ذكرناه من معجمه: ان اسماء الحب الذي نتخذ منه خبزنا في اللغتين واحد مع تحريف لبعض الالفاظ . فمنها كلمة (بر) وهي لغة الحجاز (وقمح)وهو تحريف قمح (وحنت) وهو تحريف حنطة لان الطاء تاء مفخمة

وقد ترجم نجله الدكتور حسن بك كمال الحجر الوحيد الذى فيه ذكر بني إسرائيل من الآثار المصرية وبين والده مافيه من الالفاظ العربية (المضرية) وهي لاتقل عن نصف ألفاظه وقد نشرناه في المنار أيضاً

ومما نقلناه عن المرحوم أحمد كمال باشا أنه يوجد في الدير البحري بقرب الاقصر أثر قديم من زمن الدولة المصرية الثامنة عشرة فيه كلمة عن أصل المصريين القدماء ملخصها أنه كان هناك قوم يسمون الأعناء هم أول من بنى المدن في الوجه القبلي وفيه انه ذهب بعض هؤلاء الاعناء إلى بلاد العرب وبعضهم الى الصومال وافريقية وبلاد أخرى ولا يعلم من اين جاؤا . والاعناء جمع (عنو) وهو لفظ

معناه بالعربية والهيروغليفية الاقوام المختلطون من قبائل شتى. وما ذكر من ان بعضهم ذهب الى بلاد العرب يدل على أن بلاد العرب كان فيها سكان غيرهم ، ولكن خبرهم واسمهم المشترك أقدم أثارة تاريخية في علاقة بلاد العرب ببلاد مصر وامتزاج شعوبها من قبل استيلاء دولة الرعاة (الهيكسوس) العربية عليها عدة قرون، فهذا ملخص مايتسع له المقام من الاشارة الى النقول التاريخية في أصل المصريين القدماء

وأما المصريون في هذا العصر فمن المعلوم أنهم أيضا كأكثر بلاد الحضارة مؤلفون من أمم مختلفة من القبط والعرب والترك والشركس والمغاربة واليونان والرومان وغيرهم حتى إن فيهم أيضاً كثيراً من الشعوب الافرنجية الحديثة تجنسوا بالجنسية المصرية

قوام المدنية ومقوماتها

بعد هذا نرجع إلى الكلام في المدنية فنقول إن المدنية قوامها اللغة والفنون والصناعات والثقافة المعنوية من العقائد والتشريع والآداب

فنحن إذا نظرنا إلى أن المصريين القدماء يمتزجون بالعرب وان بعض العلماء يقول إنهم كلهم أو اصلهم من العرب ولم نستطع ترجيح هذا القول على ما قبله فاننا نجزم قطعا بان المصريين بعد الفتح الاسلامي قد امتزجوا بالعرب المسلمين وغلبت عليهم الحضارة العربية بجميع مقوماتها ومشخصاتها ، فلغتهم كلهم عربية ، ودين السواد الاعظم منهم هو الاسلام الذي هو ينبوع ثقافة الآداب والتشريع

واذا أردنا المقارنة بين المدنية العربية الاسلامية وما يسمى المدنية الفرعونية — والمراد بها القبطية — وأردنا أن نرجح بين المدنيتين فاننا نقول إن مدنية الفنون والصناعات تختلف باختلافات الازمنة وحاجات البشر فيها فالفنون والصناعات التي رقاها الاوروبيون من وسائل المعايش و التنقلات كالسكك الحديدية وغيرها لا يصلح للبشر في ارتقائهم المدني في هذا العصر غيرها (على ان المباني العربية أجمل من الافرنجية والفرعونية ، ولا يوجد امة ولا دولة في هذا العصر تسفه نفسها ببناء أهرام كأهرام الجيزة)

فيبقى النظر في اللغة والثقافة المعنوية فاما اللغة فلا يمكن أن يقال انا نؤثر اللغة

الهيروغليفية على العربية لانها لغة ميتة ذهبت عينها وبقيت آثارها ، وليس فيها مزية توجب احياءها واستبدالها بالعربية لو كان ممكنا

وأما الدين فدين الفراعنة كان وثنيا ودين السواد الاعظم من المصريين الاسلام وتليه النصرانية فاليهودية ، ولا يرضى أحد من المصريين أن يرجع الى دين الفراعنة الوثنيين فيعبد العجل (ابيس) وغيره من آلهتهم

فاساس العقائد الاسلامية التوحيد ومن مقتضاه أن لايخضع البشر ولا يذلوا الا لله تعالى خالقهم ورازقهم ولا يخافوا سواه

واما الفرعونية فاساسها عبادة البشر والبقر والثعابين وغيرها

وكفاكم ما قصه الله تعالى من قول فرعون موسى عليه السلام لقومه (ما علمت لكم من إله غيري) وقوله (أنا ربكم الاعلى) وقوله (فاستخف قومه فاطاعوه) أي حملهم على الخفة والجهل اي السفه ، واي قوم يسفهون انفسهم في هذا العصر فيعبدوا ملكهم ويقبلوا استبداده فيهم باختيارهم ؟)

وأما التشريع وهو الذي يهم اخواننا طلبة الحقوق بوجه خاص فأساس التشريع الاسلامي السياسي والمدني والعسكري فيه مبني على أن السلطة للامة بنص قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) وقوله لرسوله (وشاورهم في الامر) فانتم ترون ان الله أمر نبيه المعصوم أن يشاور الناس في المصالح العامة ، فكان يشاورهم ويعمل برأيهم ولو خالف رأيه كما فعل في غزوة بدر وغزوة أحد (وقد ذكرت بعض الشواهد على ذلك)

وحسبكم من التصريح بسلطة الامة في الاسلام الخطبة الاولى للخليفة الاول أبي بكر الصديق (رض) فانه بعد مبايعته بالخلافة صعد منبر الرسول ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فاذا استقمت فأعينوني ، وإذا زغت (أي اعوججت) فقوموني

فهو قد صرح بأن الامة لها الحق ان تقوّم حاكمها العام إذا اعوج وخالف مصالحها وشريعتها ، (وتبعه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في هذا التصريح الرسمي فقد اشتهر قوله على المنبر: من رأى فيكم عوجا فليقومه. وما أجابه به الاعرابي من تقويمهم إياه بسيوفهم) فسلطة الامة إنما جاء بها الاسلام وعنه أخذها الاوربيون،

ومنهم ومن المسلمين من يجهل هذا ، ومنهم من يعرفونه وهم له جاحدون

ان مدنية العرب الحديثة أي الاسلامية قد اعترف بها كثير من علماء الافرنج على اختلاف اجناسهم ، وألف بعضهم فيها كتباً مشهورة ، منها كتاب (سيديو) خلاصة تاريخ العرب وهو مترجم بالعربية ومطبوع ، ومنها كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون الفيلسوف الفرنسي الشهير . وهو كتاب ضخم ترجمه محمد بك مسعود المشهور ، وربما ينشر قريبا

وان كان بعض الشعوبية المبغضين للعرب يدعون ان مدنية العباسيين في الشرق قد اشترك فيها العجم مع العرب ، والحق ان العرب هم الذين اوجدوها ، وبلغتهم انتشرت علومها وفنونها - فهذه آثار هذه المدنية في الاندلس ولاسيما قصر الحمراء وبقية جامع قرطبة آثار ماثلة مشاهدة تفقأ عيني كل مكابر منكر لمدنية العرب من الغربيين وغيرهم ، فالذين احدثوا تلك المدنية الباذخة كلهم من العرب الاقحاح الخلص المعروفة أصولهم وقبائلهم في كتب التاريخ

وقد قال الدكتور جوستاف لوبون في كتابه تطور الامم ما معناه : ان ملكة الفنون لم تستحكم لأمة من الامم المتحضرة في اقل من ثلاثة اجيال : جيل التقليد ، وجيل الخضرمة وجيل الاستقلال — وشذ العرب وحدهم فاستحكمت لهم ملكة الفنون في جيل واحد

وأخبرني صديقي محمود بك سالم الشهير من عهد بعيد ان لديه كتابا باللغة الافرنسية ألفه بعض علماء اوربة وسماه (فسيولوجيا الامم) يبحث فيه عن البنية البشرية في الشعوب المختلفة وقد أثبت فيه ان بنية الشعب العربي أكمل البنى . وقد نسيت اسم هذا الكتاب ولعلنا نسأله عنه وهو في باريس الآن

وأما مدنية العرب من حيث الثقافة الدينية فهي مبنية على إصلاح النفس البشرية عقلا واخلاقا ، لان النفس البشرية متى صلحت فهي تصلح كل شيء ، واصلاح النفس البشرية له أساسان (احدهما) استقلال الفكر وحرية الوجدان (والثاني) عزة النفس وقوة الارادة

وكانت العرب قبل الاسلام أعظم امم الارض استعداداً لهذا الاصلاح فان من المعلوم عند جميع المطلعين على تواريخ الامم انها كانت قبل ظهور الاسلام مستعدة

للملوك ولرؤساء الاديان ، فلا حرية لفرد منها في دينه ووجدانه ، ولا في ارادته، وقد فصلت هذا في مجلة المنار واجملته في خلاصة السيرة المحمدية

وأما العرب ولاسيما عرب الحجاز فلم يكن لهم ملوك مستبدون يستعبدونهم، ولا رؤساء أديان يحملونهم على ما يقررونه في الدين وان لم يعقلوه ، فضلا عن كون عقولهم تنكره وتأباه ، وبهذا كانوا اشد استعداد للاصلاح الاسلامي على بداوتهم ، من شعوب المدنية المعاصرة لهم ، فجاء الاسلام في عقائده وفي تشريعه مكرما للنفس البشرية ، ومعليا لشأنها ، فهو لا يحكم على البشر بان يذلوا ويخضعوا لاحد الا لخالقهم، حتى إن الرسول المعصوم قد خاطبه الله في نصوص القرآن بمثل قوله (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وقوله (وما أنت عليهم بجبار)، وقوله (ان عليك الا البلاغ * وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا) اي انما أرسلناك معلما مربيا ، لا مسيطرا ولا قهارا

(وأما المدنيه الفرعونية فقد كانت تستعبد البشر وتذلهم ، كما فعلت ببني إسرائيل وغيرهم ، وهذه الاهرام التي هي أظهر آثارهم ، حجة عليها وعليهم، فقد كانوا يسخرون في بنائها مئات الالوف من الخاضعين لهم)

وقال تعالى في حرية العقيدة والدين (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)

فبهذه العقائد والآداب والحكم خرج عرب الجاهلية من بداوتهم وجهلهم، وفتحوا الممالك بالعدل والفضيلة والآداب ، لا بالقهر والظلم والاذلال، فان ملكهم قد امتد في قرن واحد من شواطىء القاموس المحيط الغربي (الاطلنطيق) الى حدود الصين ، إذ فتحوا كشغر من تركستان الصينية قبل انقضاء القرن الاول، وأوجدوا مدنية جديدة جمعت بين الدين والدنيا كما أرشدهم القرآن في آياته الكثيرة

ومن المعلوم انه لم يكن في بلاد العرب قواعد حربية تخرج الجنود، وتمدها بالذخائر والمؤن من الشرق الى الغرب، وانما كانت قوتها العدل والفضائل الاسلامية

فهذا مجمل وجيز من مدنية الثقافة الاسلامية التي ينكرها بعض الجاهلين والمكابرين ، ويماري فيها بعض الملاحدة المتفرنجين

وكانت آخر كلمة لي ان قلت في آخر المناظرة إن البلاد التي تنطق باللغة

العربية الآن وهي نصف أفريقية الشمالي من مملكة مراكش إلى مصر والشطر الغربي من سواحل البحر الاحمر إلى العراق وعمان ومسقط، كل قطر منها ينتسب أهله اليه لا الى العرب كما ينتسب المصري إلى قطره (اذا كان كل منهم في خارجه، و ينتسب كل فرد الى بلده، اذا كان في بلد آخر من قطره، كما يقال الاسكندري والاسيوطي والمنفلوطي) ويعدون الرابطة الجامعة بينهم هي اللغة العربية والثقافة العربية، على اختلاف مشاربهم وعقائدهم، ويعدون مصر رأساً لهذه الشعوب ويتمنون لو تكون كل هذه البلاد ممالك متحدة مركزها مصر، فبقاء انتساب مصر إلى العربية يحفظ لها هذه الرياسة على هذه الشعوب الكثيرة، ولها من ذلك فوائد سياسية وأدبية واقتصادية كبيرة، وتبرؤها من العربية وانتسابها إلى الفرعونية، ليس فيه أدنى فائدة لمصر لامادية ولا معنوية،

وقد قام بعدي مؤيد الفرعونية فألقى كلاما شعريا مبهما في المدنية الفرعونية يظهر أنه كان مكتوبا محفوظا فلم يستطع الخروج عنه، وقد أراد هذا الخروج فلم يكن إلا خروجا عن آداب المناظرة، حتى صاح به السامعون: اسكت اسكت، إنزل إنزل، تكلم في الموضوع، وما هو إلا أن حام حول العاطفة الدينية الاسلامية، ذاهبا إلى انه لايصح أن تحول مسلمي مصر عن مدنية بلادهم الفرعونية (وما هيه؟)

وتلاه مؤيدي فكان أفصح لسانا، وأجرأ جنانا، وأقوى برهانا، فزاد ماقلته بيانا، أورد فوائد تاريخية وأدبية أحسن فيها إحسانا. وانتصر لكل منا واحد من المستمعين، فكنا نحن المنصورين، فأخذت الحدة الاستاذ لطفي جمعة بعد أن قررنا ماقررنا، فقام من بعدنا وألقى كلمات كلها مكابرة وتهكم ببعض الاقوال التاريخية وتحقير لاحمد كمال باشا والاستاذ جبر ضومط ونعوم بك شقير المؤرخ لو لم يقل شيئا منها لكان خيراً له. وانا نمسك قلمنا عن ذكرها كما أمسكنا لساننا عن ردها.

وقد عجز الرئيس عن حفظ النظام وفي الختام أخذت الاصوات فكانت الا كثرية الساحقة مؤيدة لنا في تفضيل المدنية العربية واختيارها وظهر من الهتاف لنا والتصفيق ان السواد الاعظم معنا يرجح المدنية العربية من كل وجه،

ثم طلب الرئيس من المستمعين أن يخرج المرجحون للعربية من باب النادي الذي عن يميننا ، ويخرج المرجحون المدنية الفرعونية من الباب الذي عن شمالنا، حتى تأكد بذلك أن الاكثرية الساحقة من أصحاب اليمين، والظاهر ان أكثر أصحاب الشمال من القبط وأقلهم من المسلمين الأفلين وأما الذين أخذوا منهم بطائق التصويت وكتبوا عليها رأيهم فكانت نسبة الترجيح لنا منهم أقل من الواقع ، ذلك بأن الهيئة الادارية التي تولت الاحصاء لها أعلنت ان المؤيدين للعربية منهم ١٨٧ صوتا تجاه ١٠٣ في جانب الفرعونية . قالت جريدة الشورى وكان صاحبها من حاضري المناظرة بعد ذكر الرقمين : انه وان كانت الاكثرية الرقمية كذا « فان الحقيقة انه كان يجب أن تكون ٦٠٠ في الجانب الاول وأقل مما كان للثانية بكثير »

ولما فرغنا من المناظرة أقبل الناس فرادى وثبات يهنئونني بالفلج والظفر، ويدعون الله لي بما يناسب المقام ، ولله الحمد على توفيقه

بقية رد المنار

على مقالة رئيس تحرير مجلة نور الاسلام في الدفاع عن نفسه وعنها

خطأ المجلة في اتقاء مس السياسة في شأن ما

جاء في مقدمة المجلة مانصه :

« خرجت هذه المجلة بعد ان رسمت لنفسها خطة لاتمس السياسة في شأن »

فهذا تصريح بان الخطة المرسومة لمجلة الازهر والمعاهد الدينية أن لاينشر فيها شيء ما يمس السياسة العامة، ولا السياسة الخاصة بالاسلام ولا بمصر ولا بغيرها بوجه من الوجوه ولا برأي من الآراء ، لادفاعا ولا هجوما ، لان كلمة «شأن» نكرة في سياق النفي تفيد العموم الاستغراقي

كبر علي أن تكون هذه المجلة الفنية لهذا المعهد الاسلامي الكبير هي التي تختار

لنفسها هذا الحرج الشديد والتضييق على محرريها ، فتجعل الحرمان من جميع شؤون السياسة خطة مرسومة لها لا تتعداها ، وتجاري ما كاد يكون عرفا عاما لدى الحكام من تحريم الاشتغال بالسياسة على علماء الدين ، وابعادهم عن أهم شؤون المسلمين ، وهي مصالح امتهم العامة مع انهم في عرف الاسلام أحق المسلمين بسياستهم . فذكرتهم رأيي في هذه الخطة بلطف ، فاجاب رئيس التحرير عن ذلك بالمغالطة الآتية . قال:

« تقدم ماجاء في فاتحة المجلة من انها لا تمس السياسة في شأن ، وقلتم ان هذا حرمان لمحرريها من خدمة الاسلام والدفاع عنه بالسكوت عن أمور كثيرة يجب بيانها

« وجواب هذا ان المجلة اذا تجنبت التدخل في النزعات السياسية فان أقلام محرريها لا تقف دون الكتابة فيما يصيب الشعوب الاسلامية من مكاره ، او فيما تراه مخالفا للدين ولو كان من أعمال الادارة الداخلية ، غير انها تكتب في هذا على وجه الوعظ والارشاد ، فلا يخرج من دائرة مجلة نور الاسلام ان تكتب في انكار تصرفات يعتدى بها على حق ديني لأحد الشعوب الاسلامية » ....

وذكر مما يدخل في دائرتها المطالبة بالغاء البغاء الرسمي واحترام المحاكم الشرعية والاحتفاظ باللغة العربية !!! (راجع ص ٣٧٣ من الجزء الخامس الماضي)

أقول : خلاصة هذه المغالطة ان المجلة تتجنب التدخل في النزعات السياسية ، ولكنها لا تتجنب غير ذلك من الشؤون الاسلامية ، كالمكاره التي تصيب المسلمين والبغاء الرسمي والمحاكم الشرعية واللغة العربية . فيالله العجب كيف كتب رئيس التحرير هذا وسماه جوابا عن قولي ان المجلة ضيقت مجال خدمة الاسلام على محرريها بحرمانهم من الكتابة في السياسة الاسلامية ، فان كان ما ذكر انه أبيح لهم من السياسة ، فما معنى ذلك النفي العام ؟ وإذ لم يكن منها فما معنى ذكره وتسميته جوابا عما انتقد على المجلة من هذه الجهة ؟

دع تعبيره في الجواب عن عدم مس أي شأن من شؤون السياسة « باجتناب التدخل في النزعات السياسية » والفرق بينهما بعيد ، وهو الذي كتب العبارتين !!
على أن ما ادعى اباحته لأقلام محرري المجلة من بيان ما تراه مخالفا للدين

من أعمال الادارة الداخلية لا نرى له مصداقا في المجلة ، فللادارة الداخلية أعمال كثيرة مخالفة للدين غير إباحة البغاء ، كاباحة الحانات ، وتجارة المسكرات ، وأكل الربا ، والاسراف الفاحش في أموال الدولة وأموال الاوقاف وصرفها في غير مصارفها الشرعية ، وغير ذلك من الظلم الذي تذكره الجرائد من اعمال الادارة . ولا نرى في المجلة انكاراً لشيء مما ذكر على الحكومة على سبيل الوعظ والارشاد الذي يقتضي بيان سلب ما ذكر للعدالة ، وما تشترط فيه العدالة لصحة الولاية ، زد على هذا إهمال الدين في مدارس الحكومة وأهم ما يجب عليها إلزام تلاميذها باقامة الصلاة وسد ذرائع الالحاد ، وياليت شعري لماذا يسكت علماء المعاهد الدينية في مجلتهم الرسمية عن إنكار إنشاء مدرسة لتعليم البنات التمثيل المسرحي الذي يشتمل على ما يعلمون من المنكرات ، وهو من أقوى الذرائع لفساد الاعراض ، وارتكاب كثير من الموبقات ؟

سكوت المجلتين عن المؤتمر الافخارستي وتنصير البربر

ولا أدري ماذا يريد الاستاذ رئيس التحرير من المكاره التي تمس الشعوب الاسلامية ، ولا ماذا يعني بالتصرفات التي يعتدى بها على حق ديني لاحدها ، واما جماهير المسلمين فيعلمون أن شر هذه المكاره وتصرفات الاعتداء وأفظعها ما أصاب شعوب المغرب الاسلامية في دينهم ودنياهم ولاسيما مؤتمر دعاة النصرانية الملقب بالافخارستي في تونس وطن الاستاذ ذي الرياستين ، والقلم الجوال في المجلتين الاسلاميتين ، الذي اسس لتنصير المسلمين بالدعاية والطعن في الاسلام ، وشر منه محاولة تنصير شعب البربر الاسلامي الكبير بالفعل ، فاذا كانت رياسة المعاهد الدينية تمنعه من بيان هذه المكاره والنوازل التي أصابت قومه ووطنه في مجلة (نور الاسلام) فما الذي منعه عن بيانها في (مجلة الهداية) وهو يرى جميع المجلات والجرائد والجمعيات الاسلامية تقيم النكير على دولة فرنسة وتثير عليها العالم الاسلامي ، واحرار العالم المدني ، ولم يبق إلا مجلة نور الاسلام ومجلة الهداية لم ينبض لاصحابهما عرق ، ولم يهج لها شعور ولا حس ؟

لولا اننا نريد التلطف والايجاز في هذا الرد على مقالة (الحقيقة والتاريخ)

لبسطنا القول في هذا المقام بما يسوء الكاتب وغيره ممن يتكلم بألسنتهم ، ويعبر عن جماعتهم ، ويتمنون لو لم يكن كتب هذه المقالة ، ويعلمون قدر تلطفنا وإخلاصنا في الاشارة الى كراهتنا لتضييق هذه المجلة على نفسها - ان كانت مختارة كما يقول رئيس التحرير في رسمها الخطة لنفسها - لاننا نتمنى لها كل ما يمكن من الحرية في خدمتها للاسلام ، والمسلمين وهي تعدنا بهذا من المذنبين

فان قال احد أعضاء جمعية الهداية أو غيرهم : اننا رأينا في احد اجزائها ورقة منفصلة فيها ذكر انكار هذه الجمعية أو كراهتها لمحاولة فرنسة تنصير مسلمي البربر (قلنا) نعم قد كان ذلك ، ونحن لما وقع في يدنا ذلك الجزء من المجلة وفتحناه ووقعت تلك الورقة منه على الارض فرأيناها ، عجبنا من وضع ذلك الانكار الضعيف النحيف السخيف الضئيل النحيل الهزيل في ورقة صغيرة منفصلة ، وفكرنا في سببه ، فلم نعقل له سببا الا ان يكون القصد منه جعل الورقة في الاجزاء التي توزع في مصر ، دون الاجزاء التي ترسل الى بلاد تونس والجزائر ومراكش ، لئلا تغضب الحكومة الفرنسية على رئيس الجمعية التونسي وتمنع المجلة من دخول تلك البلاد ، فان لم يكن هذا هو السبب فلتخبرنا ادارة هذه الجمعية إن لم يخبرنا رئيسها عن السبب الصحيح ، ومهما يكن فلن يكون مما يرضي المسلمين ويعذرونها به ، كما أنه لم يرضهم ما نقلته مجلة نور الاسلام عن المقطم في مسألة البربر كما بينا ذلك في الجزء الماضي

مسألة الرد على دعاة النصرانية بما يكرهون من الحق

وكتب الرئيس في مقدمة المجلة أيضا « خرجت هذه المجلة وهي تحمل سريرة طيبة لا تنوي أن تهاجم دينا بالطعن ، ولا أن تتعرض لرجال الاديان بمكروه من القول » وقد نقلت عنها هذا القول ووصلته بقولي : أنا لا أرضى لمجلة علمائنا أن تطعن في الاديان بالبذاء والسفاهة ، كطعن المبشرين في بعض مجلاتهم وكتبهم على الاسلام ، ولكنها لن تستطيع أن تقوم بالواجب من الرد على دعاة النصرانية المهاجمين للاسلام في مصر وغيرها مع تجنب ما يكرهونه من قول »

فهذا رأي لي علمته بالاختبار الطويل في عشرات السنين كالرأي الذي قبله ليس نقداً للمجلة ولا تخطئة لها، وكان يجب أن تقابله بالشكر او بالسكوت، ولكن الاستاذ رئيس التحرير ما عتم أن أجاب عنه بذلك الجواب الطويل كما رأى القراء في (ص ٣٧٤) من أولها الى آخرها . ومما قاله انني حملت العبارة على معنى ان المجلة «لاترد على المخالفين إذا هاجموا دين الاسلام» وهذا غير صحيح فانني ماحملتها على هذا المعنى ، وكلمتي لاتدل عليه، فمن أين جاء به ؟ ثم قال ان المجلة انما تريد بذلك القول الترفع عن بذاء القول والخروج عن دائرة البحث العلمي إلى مايهيج البغضاء الخ ثم ذكر عن حكماء الكتاب تحامي السوء من القول وعدم الحاجة إلى اللمز والبذاء!!

فأي حاجة إلى هذا القول بعد تصريحي بانني لاأرضى لمجلة علمائنا البذاء وسفه القول ؟ ولماذا لم ينشر عبارتي بنصها ؟ أليس لايهام قارئي هدايته الذين يظن انهم لا يرون المنار انني أحث مجلة نور الاسلام على السفاهة والبذاء ؟ وكيف يكون هو اذا من حكماء الكتاب ، الذين هم في ثروة من الحجج لايرون أنفسهم في حاجة الى الاستعانة في هجومهم اودفاعهم بشيء من اللمز او البذاء؟

وقد بلغني بعد نشر جزء المنار الماضي ان الاستاذ الاكبر منعه من نشر رده على المنار في مجلة نور الاسلام لانه علم من ضعفه ومن سعة المجال لتفنيد المنار له مالم يعلم ، فنشره في مجلة الهداية لانه لاسيطرة عليه فيها ولارقيب

الادب في المناظرة والجدال قوة تزيد صاحبها ظهوراً ، وحججه فلجا ونوراً، وقد تذكرت الآن ما كان من أدب شيخنا الاستاذ الامام في رده على فرح أفندي أنطون صاحب مجلة الجامعة العثمانية، وما كان من تسرع فرح أفندي وعدم توقفه في رده ، حتى إن بعض أهل العلم ذكر للاستاذ انه لايستحق هذا التلطف فقال رحمه الله : لاخسارة في حسن الادب

وكان يكتب مقالات (الاسلام والنصرانية) في أثناء سفره لجمع الاعانة لمنكوبي الحريق في (ميت غمر) وتوزيعها عليهم ويرسلها إلي فأنشرها في المنار، فكتب إلي مرة يسألني : مارأي أدباء النصارى في المقال ؟ فكتبت اليه : انهم

معجبون بأدبه ونزاهته ، ولكنهم يتألمون من موضوعه ، فكتب إلي : انه انما يسأل عن رأيهم في أدب العبارة ، ويخشى أن يكون سبق قلمه إلى كلمة تنتقد ، ثم قال من جهة الموضوع : واذا كان الباطل لا يتألم من رؤية الحق فلم يتألم ؟ فهذا المعنى هو الذي اشرت اليه في قولي ان المجلة لا تستطيع ان تدافع عن الاسلام بالرد على المبشرين بما لا يكرهون من قول مهما تكن درجة توخيها للنزاهة والادب فيه.

وجملة القول أنني عنيت أشد العناية الممكنة ، في تقريظ مجلة نور الاسلام ، وتلطفت جهد الطاقة ، في النصح لها بما اراه حافظا لكرامة اهلها ، ومزيد كمال في اتقان خدمتها ، (وقد يستفيد الفطنة المتنصح) ولم اقصد بشيء منه الانتقاد على سعة مجاله عندي ، الا ما هو خاص بفضيلة رئيس التحرير من حيث هضمه لحق الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي ، واشهد الله انني سررت بجعله رئيساً لتحرير المجلة ، فكان حظي وحظه ما رأى القرآء من رده وجوابي ، ولهم الحكم العدل فيهما ان شاء الله تعالى وهو خير الحاكمين

مسيح الهند القادياني الدجال

(٢)

ان جمعية ندوة العلماء قد دعتني في سنة ١٣٣٠ (١٩١٢م) الى الهند لأتولى الرياسة والصدارة لمؤتمرها الاسلامي الذي تريد عقده في مدرستها الجديدة التي أنشأتها في مدينة (لكهنؤ) فأجبت الدعوة ، وحقق الله تعالى بي رجاء الجمعية في اقبال مسلمي الهند عليها فلم تر مثل اقبالهم في تلك السنة . وكان من جملة الوفود الذين حضروا من اقطار الهند للسلام عليّ وفد قاديان من اتباع غلام أحمد منتحل المسيحية في الاسلام ، وقد دعوني الى زيارة بلدهم ، فلم أجبهم لانهم يستغلون هذه الزيارة فيوهمون المسلمين ان ضيف الهند الذي احتفلت به وأكرمت مثواه يحترم هذه الطائفة الضالة المضلة ، ويحترم دعيها المسيح الكذاب ، وقد بلغني ان رئيس جمعية الندوة شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني رحمه الله تعالى قد منع الوفد من

البحث في بدعتهم معي في دار ضيافة الندوة ، فلما أردت السفر وخرجت الجموع الى محطة السكة الحديدية لتوديعي خرج معهم الوفد القادياني ولم يملك رئيسه نفسه أن جهر بدعاية مسيحيتهم في المحطة ـ ومن يدري ماذا! كان يقول لو سكت عنه أو تكلمت بما لم يسمعه غير وفدهم ومن يقرب مني وأكثرهم لا يفهمون العربية — فوقفت في نافذة القطار ورددت عليهم بصوت جهوري يسمعه الجم الغفير مفنداً نحلتهم ، داحضا بدعتهم ، ومما أذكره من ذلك ان مسيحهم زعم ان الحرب قد بطلت من الارض بظهوره ونسخت فرضية القتال الذي فرضه الله على المسلمين فلم يبق من حاجة الى الجهاد ، وقد كذبه الله تعالى بعدوان دولة إيطالية هنالك على طرابلس الغرب وبرقة وقتالها المسلمين هنالك بغياً وعدوانا ، ومن المجمع عليه عند المسلمين ان الكفار اذا اعتدوا على بلاد المسلمين يكون القتال لدفعهم عنها فرضاً عينياً على كل من قدر عليه

ومسألة الجهاد هذه كمسألة ادعاء النبوة قد خالف فيها هؤلاء المسيحيون القاديانيون إجماع المسلمين فيما هو قطعي معلوم من دين الاسلام بالضرورة فخرجوا بذلك من الملة الإسلامية ، وقد بينا من قبل ضلالهم فيها ، وإبطال تأويلهم لها ولما رددت علي مسيحهم في زمنه أجاب عنها في الكتاب الذي ألفه في الرد علي والانتقام مني وفي كتب أخرى من كتبه المضحكة المبكية ، وقد نقل الحصني الدمشقي بعض كلامه مترجما عن كتاب له بغير العربية ، وسأبين ذلك في النبذة التالية بما يدل على جهل مسيحهم وجهلهم ، ومما قاله داعيتهم في محطة لكهنؤ إن المسيح عيسى بن مريم قد توفاه الله اليه وثبت وجود قبره في كشمير فوجب ان يكون المسيح الذي ينزل في آخر الزمان غيره ، فاكتفيت من الرد عليه في ذلك الوقت القصير بان قولهم هذا لا يقتضي ان يكون ميرزا غلام أحمد القادياني هو المسيح الموعود به . . .

والمراد من ذكر هذه المسألة ان ما زعمه الحصني من صدق قول مسيحهم عني « سيهزم فلا يرى » كذب فاني ظهرت عليه في تفنيد دجله في حضوره ، وظهرت على خلفائه من بعده حتى في بلاده ، ولا أزال ظاهراً مبطلا لدعوتهم ، هادما لضلالتهم ، ولله الحمد والمنة .

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

أنشئ سنة ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى «ومناراً» كمنار الطريق

(٣٠ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ ٢٩ الدلو سنة ١٣١٠ هـ ش ١٨ فبراير سنة ١٩٣١)

فتاوى المنار

(س ٥٤ — ٥٦) من صاحب الامضاء في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على آلائه . وأصلي وأسلم على خاتم رسله وأنبيائه

حضرة صاحب الفضيلة والفضل الاستاذ الامام مرشد الانام . السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأرفع إلى فضيلتكم ما يأتي راجيا التكرم بالاجابة عليه

(١) هل يجوز العلماء كالقضاة والمفتين ومدرسي التفسير واللغة العربية ببعض الكليات الاسلامية أن يذهبوا ويجلسوا في محلات اللهو كالمقاهي العمومية ، والحفلات وغيرها ، وهناك يرون ويسمعون المنكر كصوت البيانو والعود والغناء من النساء الاجنبيات ام لا ؟ وهل توجد أقوال عند أحد أئمة المسلمين تبيح لهم ذلك ؟ لان كثيراً من العوام حينما ننكر عليهم جلوسهم في تلك الاماكن التي يسمعون بها الغناء والضرب على البيانو والعود وغيره من النساء الاجنبيات ، لا يسمعون لنا قولا ، وحجتهم في ذلك جلوس بعض العلماء في تلك الاماكن

(٢) هل يجوز لعن وشتم وسب العلماء الغيُر على الدين وأهله ، المتمسكين بالكتاب والسنة وأقوال الائمة ، الذين لا يحكمون إلا بما أنزل الله ، والذين يهمهم شأن المسلمين وأمرهم . وقد عرف فضلهم كل ذي فضل ؟ هل يجوز شتم أمثال هؤلاء العلماء الافاضل على مسمع من الناس أم لا ؟ وهل الواجب على المستمعين الانكار على هذا الساب ونهيه وزجره أم لا ؟ وهل يأثم هؤلاء المستمعون في سكوتهم وعدم انكارهم أم لا ؟

(٣) زعم بعض من يدعي العلم والمعرفة والمدنية (وما أكثرهم في هذه الايام)

«أن الدين الاسلامي لا يتمشى مع المدنية والحضارة» فهل هذا صحيح أم لا ؟ وهل تقرون زعمه ؟ أم تردونه وتدحضونه ؟ نرجوكم الجواب الشافي في ذلك، كما نرجو فضيلتكم أن تقدموا هذا الجواب على غيره ، لان هذا المشعوذ أخذ يجمع من حوله أنصاراً ، ليقوموا بهذه الدعوى الكاذبة الباطلة ، وقد شافهنا بعض المطلعين على زعمه فقال: ان هذا وأمثاله لا يردعهم عن غيهم بالبراهين القطعية، والحجج الناصعة القوية ، الا فضيلة العلامة المفضال الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر ، ولذلك نحن بادرنا بكتابة ماتقدم لتسرعوا بالجواب . ولكم جزيل الاجر والثواب السائل

عبد القادر البعلبكي ببيروت

[اجوبة المنار معدودة بحسب ترتيب ارقام الفتاوى السابقة]

(٥٤) جلوس العلماء في مجالس اللهو والفسق

إن أقل ما يقال في محافل اللهو العامة المعهودة ان حضورها مخل بالمروءة والحشمة التي يطلب من علماء الدين وقضاة الشرع شدة العناية بالمحافظة عليها وهذا ينافي القول بإباحتها المطلقة حتى على القول بإباحة سماع المعازف كالبيانو والعود فان شرط إباحة هذا السماع عند القائل به ألا يكون معه منكر آخر ولا يكون ذريعة لمنكر آخر أو لقدوة سيئة ، ومن المنكرات المألوفة في هذه المحافل وجود النساء الموصوفات في حديث صحيح بوصف «الكاسيات العاريات المائلات المميلات» وكذا شرب الخمور او وجود السكارى وسماع رفثهم ، والاختلاف إليها يستلزم هجر الرجال لبيوتهم في اوقات الفراغ من اعمالهم المعاشية . وهجرهم لها قد يكون مفسدة لمن فيها من النساء والاولاد . وفي حضور من ذكر من العلماء فيها تجرئة للفساق على ما وراء هذا السماع والمناظر من الفواحش والمنكرات او اعتقادهم أن هذه المفاسد مباحة في الشرع ، فبهذا وما قبله يكون للعلماء حكم لا يشاركهم فيه غيرهم مع أن احكام الشرع عامة . وكان علماء السلف يتركون بعض المندوبات احيانا لئلا يفهم العوام من مواظبتهم عليها وجوبها كما ترك ابن عباس (الاضحية) وترك بعضهم المواظبة على قراءة سورة : ألم السجدة في فجر

يوم الجمعة وهي من السنن المؤكدة . فينبغي ان يكون رجال العلم والتهذيب قدوة صالحة للامة باجتناب هذه الملاهي في المقاهي والاستغناء عنها باللهو المباح في بيوتهم الذي يشاركهم فيه نساؤهم واولادهم

(٥٥) لعن العلماء المتصمين بالكتاب والسنة وسبهم

إن لعن العلماء المتمسكين بالكتاب والسنة وسبهم بهذا الوصف لايمكن أن يقع من مسلم يؤمن بالله وكتابه ورسوله فهو يدل على الارتداد عن الاسلام . وقد صرح بعض الفقهاء بأن اهانة علماء الدين بما دون ما ذكر كفر . وأما شتم أشخاص معينين من هؤلاء العلماء العاملين بالكتاب والسنة ولعنهم بعداوة أو صفة أخرى غير علمهم واعتصامهم بالكتاب والسنة الذي لا يكون المسلم مسلما حقا بدونه فهو معصية بدليل النص والاجماع . وحسبك قوله ﷺ «سباب المسلم فسق وقتاله كفر» رواه البخاري ومسلم وغيرهما .وقوله من حديث رواه الشيخان أيضاً « ولعن المؤمن كقتله » وفي بعض الآثار التصريح بكون ذلك من الكبائر وقد عده ابن حجر وغيره منها

بل حقق بعض العلماء جواز عدم لعن الكافر المعين والفاسق المعين مع قولهم بجواز لعن جنس الكافرين والفاسقين عامة، وقد قيل للامام احمد (رح) ان أقواما يقولون انا نحب يزيد فقال: وهل يحب يزيد من يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ فقال له السائل وهو ولده عبد الله : أولا تلعنه ؟ فقال متى رأيت أباك يلعن أحداً ؟ (راجع هذا في ص ٣٠٣ من الجزء الاول من الآداب الشرعية، واصل المسألة في آفات اللسان من الجزء الثالث من الاحياء والجزء الثاني من الزواجر) واذا كان الامر كذلك فلا شك في وجوب الانكار على هؤلاء السبابين اللاعنين الفاسقين عن امر الله الناكبين عن سبيل المؤمنين وفي إثم من يستمع لهم او يسمعهم ولا ينكر عليهم

(٥٦) الاسلام والمدنية الصحيحة

الاسلام هو دين الحضارة والمدنية الصحيحة وقد بينا هذا في المنار مراراً كثيرة بقلمنا وقلم غيرنا وحسبك فيه كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية)

للاستاذ الامام ، ورسالة الامير شكيب التي ننشرها في هذه الايام، وقد طبعناها في رسالة مستقلة . بعنوان (لماذا تأخر المسلمين وتقدم غيرهم) وذكرنا في الجزء الماضي خلاصة مناظرة دارت بيننا وبين احد المحامين ومصاقع الخطباء المشهورين في كلية الحقوق من الجامعة المصرية موضوعها المفاضلة بين المدنية العربية الاسلامية والمدنية الفرعونية كان لنا فيها الفلج والظفر برأي السواد الاعظم ممن حضر المناظرة. ولكن هذا السؤال ورد علينا قبل نشر خلاصة المناظرة وقبل الشروع في نشر رسالة امير البيان ، وفيهما الحجة البالغة على ذلك الجاهل المفتري على الاسلام

أسئلة من صاحب الامضاء في بيروت متصل بها أجوبتها (س٥٧ - ٦٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا ، صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني أرفع ما يأتي راجيا التكرم بالاجابة عليه

(س١) هل يجوز للمرأة أن تظهر صوتها ووجهها ويديها وغيرها أمام الرجال الاجانب والاطباء وغيرهم أم لا ؟

(ج ٥٧) أصل الشرع جواز ذلك اذا اريد باليدين الكفين للحاجة اليه في المعيشة والتعامل وانما يكره او يحرم اذا كان بحيث يترتب عليه مفسدة مكروهة او محرمة، ويباح كشف غير الوجه واليدين من البدن للطبيب بقدر مايحتاج اليه في معرفة المرض ولكن مع وجود الزوج او محرم آخر

(س٢) هل يجوز للرجل أن ينظر إلى جميع بدن محارمه من النساء ومعانقتهن وضمهن وتقبيلهن ولمسهن بلا حائل أم لا ؟

(ج ٥٨) هذا لا يجوز قطعا بل الضم والعناق مع الشهوة لايجوز ولو مع الحائل ولا يفعل هذا الا أشد الناس فسقا وفجوراً وفساده أشد من فعل مثله مع الاجنبية وفي الجزء الثاني من كتاب الآداب الشرعية فصل مستقل فيما يباح من المصافحة والمعانقة ويليه فصل في تقبيل المحارم ، وفيه أن الامام احمد اباح التقبيل على الجبهة

والرأس لمن قدم من سفر ولم يخف على نفسه قال « ولكن لا يفعله على الفم ابدا »

(س٣) هل يجوز للرجال والنساء تحسين الثياب والهندام وغيره ولبس جميع الالوان والازياء كالبرنيطة والطربوش والمعطف والسترة والبنطلون وغيرها والحرير والساعات والسلاسل والخواتم وغيرها أم لا ؟

(ج ٥٩) يجوز تحسين الثياب والهندام والاصل فيها كلها الحل الا مانهى عنه الشرع . ومنه لبس الحرير الخالص للرجال فهو حرام للوعيد عليه ومنه لبس الاحمر الخالص والمعصفر والمزعفر فهو مكروه لأنه كان خاصا بالنساء ولم يرد عليه وعيد كالحرير وفيه خلاف وتفصيل ، ومنه النهي عن لبس الذهب الا مقطعا وعن خاتم الذهب للرجال ومنه تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، وتشبه المسلمين بالكفار ، فهذا يكره شرعا اذا كان في غير الامور الدينية ، ويحرم فيها حتى قد يكون ردة عن الاسلام كما صرح به الفقهاء في مسائل متعددة من شأنها أن لا تصدر عن مسلم ، وتفصيلها يطلب من كتب الفقه وقد سبق لنا بيان هذه المسائل في المنار مرارا فلا نطيل فيها

(س٤) هل تقبل توبة التائب اذا تاب من جميع الذنوب الصغيرة والكبيرة كالقتل والزنا واللواط وشرب الخمر والديون والسرقة والخيانة والكذب والغش والظلم وغيره ولا يعذب في القبر ولا في الآخرة أم لا ؟

(ج ٦٠) الاصل في التوبة الصحيحة الشرعية أن تكون مقبولة وسببا للمغفرة ومن شروطها رد حقوق العباد اليهم أو استحلالهم منها ، وقد سبق لنا كلام مفصل في التوبة وفي التفسير المنشور في هذا الجزء خلاصة في بيان حقيقتها والاقتداء بالصحابة فيها وسيأتي في تفسير الاجزاء الاخرى تتمة لذلك

(٥) هل يجوز التشاؤم والوهم وغيره من الاعداد والسنين والشهور والايام والاوقات وغيرها ولبس ثوب او دخول بيت او قراءة سورة او آية او ورد او فائدة او غيرها بأن فاعل ذلك يصاب بضرر كمرض او موت اوغيره أم لا ؟

(ج٦١) التشاؤم منهي عنه لانه من الاوهام الخرافية التي لا تستند الى حقيقة وينبغي لمن عرض له بدون اختياره أن يجاهد نفسه حتى يزول ذلك التأثير

(س ٦) أرجو أن تبينوا لنا أسما الكتب الدينية الاسلامية الصحيحة

المعتمدة السهلة اللفظ والمعنى التي يجوز العمل بها في العقائد والعبادات والمعاملات وغيرها تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب .

(ج ٦٢) من أوضح هذه الكتب رسالة التوحيد للاستاذ الامام وخلاصة السيرة المحمدية لنا ومجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ومجموعة الحديث النجدية ، وهي لعدة من كبار العلماء كالامام احمد والنووي والحافظ المقدسي وابن القيم ، وسبل السلام للعلامة محمد بن اسماعيل الأمير ، وهو شرح بلوغ المرام للحافظ ابن حجر ، والدراري المضيئة على الدرر البهية ، للقاضي الشوكاني وزاد المعاد في هدي خير العباد ، للمحقق ابن القيم ، والآداب الشرعية للعلامة ابن مفلح

(حاشية للسائل) أرجوكم ملاحظة ضرر السفور [أي رفع الحجاب] وعدم أمن الفتنة مطلقا خصوصا في هذا الزمان الذي عم وكثر فيه الفساد والفسق والفجور والضلال وعدم الادب والحياء من الرجال والنساء جميعا   السائل

عثمان سعد الدين بدران بيروت

(المنار) ان ماتكون الفتنة فيه معلومة بالقطع لا يسئل عن حكمه لأنه معلوم بالضرورة وما شدد العلماء في حظر ما هو مباح في الاصل من اظهار الكفين والوجه الا لسد ذريعة الفتنة في مظنتها فكيف اذا صارت قطعية في بعض البلاد. وطلاب السفور من الفساق والمتفرنجين يتوسلون به الى الاباحة المطلقة والعياذ بالله تعالى

﴿ نبوة آدم وعدد النبيين والمرسلين ﴾

(س ٦٣) من صاحب الامضاء في سمبس ـ جاوه

حضرة العلامة الكبير مولاي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار أطال الله تعالى عمره ، ونفع بعلومه المسلمين .

اني رأيت في شرح عقيدة السفاريني مانصه : ففي صحيح ابن حبان من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : دخلت المسجد فاذا رسول الله ﷺ جالس وحده فذكر حديثا طويلا وفيه قلت يارسول الله كم الانبياء ؟ قال «مائة الف وعشرون ألفاً» قلت يارسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال « ثلاثمائة وثلاثة

عشر جماً غفيراً » قلت يا رسول الله من كان أولهم ؟ قال « آدم عليه السلام » قلت يارسول الله أنبي مرسل ؟ قال « نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا » الخ . وقال فيه قبل هذا : اعلم ان الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله مما اتفقت على وجوبه جميع الانبياء والمرسلين من لدن صفي الله أبي البشر آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام اهـ

فهل يصح الاحتجاج بحديث أبي ذر هذا على نبوة آدم عليه السلام أم لا ؟ وهل يوجد ما هو أقوى منه دليلا من الكتاب أو السنة المتواترة على نبوته عليه السلام أم لا ؟

وما قولكم في قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته « وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين. والدليل على ان اولهم نوح قوله تعالى (إنا اوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) وهل هذا القول صحيح أم لا ؟ وهل مقتضى قوله هذا انه أنكر نبوته عليه السلام أم لا ؟ وهل يجوز لأحد إنكارها ؟ وهل كان نبيا رسولا أم نبيا فقط ؟

وقال الاستاذ الشيخ حسين والي في كتابه (كلمة التوحيد) مانصه : والسبعة الباقية (من الانبياء) آدم، ادريس، صالح، شعيب، هود، ذو الكفل، محمد عليهم الصلاة والسلام. فاذا عرض أحدهم على المكلف وجب الاعتراف به ولا يجب حفظ أسمائهم فمن أنكر نبوة أحد من المتفق على نبوته أو رسالته كفر إلا اذا كان عاميا وممن اختلف في نبوته ذو القرنين والعزير ولقمان . اهـ واني لم أر ان الاستاذ في عبارته أدخل آدم فيمن اختلف في نبوته . فتفضلوا بالجواب عن هذه الاسئلة فانه يكون (إن شاء الله) شفاء لما في الصدور . محمد بسيوني عمران

(ج) يجد السائل تحقيق الحق في أسئلته مفصلا تفصيلا تاما في تفسير الآيات (٨٥ ــ ٩١) من سورة الانعام التي ذكر فيها اسماء ١٨ من الرسل عليهم السلام ، إذ عقدنا لها فصلا استطراديا عنوانه (تحقيق مسألة الايمان بالرسل اجمالا وتفصيلا وعدد الرسل المذكورين في القرآن) وهو في الجزء السابع من التفسير والجزء التاسع من المجلد العشرين من المنار وكل منهما يوجد عند السائل ولعله قرأه ونسيه ولولا ذلك لم يحتج إلى هذه الاسئلة كلها ولا بعضها، فليراجعها

يجد فيها أن حديث أبي ذر في عدد النبيين والمرسلين قد جزم ابن الجوزي بانه موضوع والسيوطي بانه ضعيف فلا يعتد به على كل حال في الاستدلال ولا سيما في مثل هذه المسئلة الاعتقادية - وأن ماقاله الشيخ محمد عبدالوهاب موافق لنص حديث الشفاعة المتفق عليه إذ حكى النبي ﷺ فيه ان أهل الموقف يقولون لنوح عليه السلام «يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الارض» فهو فيه متبع لا مبتدع ومهتد لاضال. وان ما قاله كل من السفاريني والشيخ حسين والي هو المشهور في كتب العقائد المتداولة، ويجد هنالك تحقيق الحق في كل ذلك وأمثل الادلة على نبوة آدم وما اجاب به العلماء عن الآية التي استدل بها الشيخ محمد عبد الوهاب وعن حديث الصحيحين وغيرها في الشفاعة وما جمعنا بين نص الآية والحديث وما قرره المتكلمون وهو مبني على التفرقة بين عرفهم في معنى الرسول وعرف القرآن

رسالة في حقيقة الصيام

وما يفطر الصائم بالنص والاجماع وما ألحق به من الرأي والاجتهاد

(لشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليما

فصل

﴿ فيما يفطر الصائم وما لا يفطره ﴾

وهذا نوعان: منه مايفطر بالنص والاجماع، وهو الاكل والشرب والجماع، قال تعالى (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر، ثم أتموا الصيام إلى الليل)

فأذن في المباشرة ، فعقل من ذلك أن المراد الصيام من المباشرة والاكل والشرب .
ولما قال أولا (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) كان معقولا عندهم أن الصيام هو الامساك عن الاكل والشرب والجماع ، ولفظ الصيام كانوا يعرفونه قبل الاسلام ويستعملونه ، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها « ان يوم عاشوراء كان يوماً تصومه قريش في الجاهلية »

وقد ثبت من غير واحد انه قبل ان يفرض شهر رمضان أمر بصوم يوم عاشوراء وأرسل مناديا ينادي بصومه . فعلم أن مسمى هذا الاسم كان معروفا عندهم

وكذلك ثبت بالسنة واتفاق المسلمين ان دم الحيض ينافي الصوم ، فلا تصوم الحائض ، لكن تقضي الصيام

وثبت بالسنة أيضاً من حديث لقيط بن صبرة ان النبي ﷺ قال له « وبالغ في الاستنشاق إلا ان تكون صائما » فدل على ان إنزال الماء من الانف يفطر الصائم وهو قول جماهير العلماء

وفي السنن حديثان (أحدهما) حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من ذرعه قيء وهو صائم فليس عليه قضاء ، وان استقاء فليقض » وهذا الحديث لم يثبت عند طائفة من أهل العلم ، بل قالوا هو من قول أبي هريرة ، قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل قال ليس من ذا شيء . قال الخطابي : يريد ان الحديث غير محفوظ ، وقال الترمذي سألت محمد ابن اسماعيل البخاري عنه فلم يعرفه إلا عن عيسى بن يونس ، قال وما أراه محفوظا . قال : وروى يحيى بن كثير عن عمر بن الحكم ان أبا هريرة كان لا يرى القيء يفطر الصائم

قال الخطابي : وذكر أبو داود ان حفص بن غياث رواه عن هشام كما رواه غير ابن يونس . قال ولا أعلم خلافا بين أهل العلم في أن من ذرعه القيء فانه لا قضاء عليه ، ولا في أن من استقاء عامداً فعليه القضاء ، ولكن اختلفوا في الكفارة

فقال عامة أهل العلم: ليس عليه غير القضاء ، وقال عطاء : عليه القضاء والكفارة، وحكي عن الاوزاعي وهو قول أبي ثور

(قلت) وهو مقتضى إحدى الروايتين عن أحمد في إيجابه الكفارة على المحتجم فانه إذا أوجبها على المحتجم فعلى المستقيء اولى، لكن ظاهر مذهبه ان الكفارة لا تجب بغير الجماع كقول الشافعي

والذين لم يثبتوا هذا الحديث لم يبلغهم من وجه يعتمدونه ، وقد أشاروا إلى علته ، وهو انفراد عيسى بن يونس ، وقد ثبت انه لم ينفرد به، بل وافقه عليه حفص بن غياث ، والحديث الاخير يشهد له ، وهو ما رواه أحمد وأهل السنن كالترمذي عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قاء فأفطر ، فذكرت ذلك لثوبان فقال: صدق ، أنا صببت له وضوءاً، لكن لفظ احمد أن رسول الله ﷺ قاء فتوضأ . رواه أحمد عن حسين المعلم

قال الاثرم: قلت لأحمد: قد اضطربوا في هذا الحديث ، فقال: حسين المعلم يجوده ، وقال الترمذي : حديث حسين أرجح شيء في هذا الباب ، وهذا قد استدل به على وجوب الوضوء من القيء ، ولا يدل على ذلك، فانه إذا أراد بالوضوء الوضوء الشرعي فليس فيه إلا انه توضأ، والفعل المجرد لا يدل على الوجوب ، بل يدل على أن الوضوء من ذلك مشروع . فاذا قيل انه مستحب كان فيه عمل بالحديث

وكذلك ما روي عن بعض الصحابة من الوضوء من الدم الخارج ليس في شيء منه دليل على الوجوب، بل يدل على الاستحباب . وليس في الادلة الشرعية ما يدل على وجوب ذلك، كما قد بسط في موضعه ، بل قد روى الدارقطني وغيره عن حميد عن أنس قال: احتجم رسول الله ﷺ ولم يتوضأ ، ولم يزد على غسل محاجمه . ورواه ابن الجوزي في حجة المخالف ولم يضعفه ، وعادته الجرح بما يمكن

وأما الحديث الذي يروى « ثلاث لا تفطر: القيء، والحجامة، والاحتلام » وفي

بلفظ « لا يفطر منه لا من احتجم ولا من احتلم » فهذا إسناده الثابت ما رواه الثوري وغيره عن زيد بن أسلم عن رجل من أصحابه عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ. هكذا رواه أبو داود ، وهذا الرجل لا يعرف . وقد رواه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه عن عطاء عن أبي سعيد عن النبي ﷺ لكن عبد الرحمن ضعيف عند أهل العلم بالرجال .

(قلت) روايته عن زيد من وجهين مرفوعا لا يخالف روايته المرسلة بل تقويها ، والحديث ثابت عن زيد بن أسلم لكن هذا فيه « اذا ذرعه القيء »

وأما حديث الحجامة فاما ان يكون منسوخا وإما ان يكون ناسخا لحديث ابن عباس « انه احتجم وهو محرم صائم » أيضا ولعل فيه القيء إن كان متناولا للاستقاءة هو أيضاً منسوخ . وهذا يؤيد ان النهي عن الحجامة هو المتأخر ، فانه اذا تعارض نصان ناقل وباق على الاستصحاب ، فالناقل هو الراجح في انه الناسخ ونسخ أحدهما يقوي نسخ قرينه ، ورواه غير واحد عن زيد بن اسلم مرسلا

وقال يحيى بن معين : حديث زيد بن أسلم ليس بشيء ، ولو قدر صحته لكان المراد من ذرعه القيء فانه قرنه بالاحتلام ، ومن احتلم بغير اختياره كالنائم لم يفطر باتفاق الناس . وأما من استمنى فأنزل فانه يفطر ، ولفظ الاحتلام انما يطلق على من احتلم في منامه .

وقد ظن طائفة أن القياس أن لا يفطر شيء من الخارج وأن المستقيء انما أفطر لانه مظنة رجوع بعض الطعام ، وقالوا إن فطر الحائض على خلاف القياس

وقد بسطنا في الاصول انه ليس في الشريعة شيء على خلاف القياس الصحيح

فان قيل : فقد ذكرتم ان من أفطر عامداً بغير عذر كان تفويته لها من الكبائر وكذلك من فوت صلاة النهار إلى الليل عامداً من غير عذر كان تفويته لها من الكبائر ، وانها مابقيت تقبل منه على أظهر قولي العلماء ، كمن فوت الجمعة ورمي الجمار وغير ذلك من العبادات المؤقتة وهذا قد أمره بالقضاء

وقد روي في حديث المجامع في رمضان انه أمره بالقضاء ? قيل هذا انما أمره بالقضاء لان الانسان انما يتقيأ لعذر كالمريض يتداوى بالقيء، أو يتقيأ لانه أكل مافيه شبهة كما تقيأ أبو بكر من كسب المتكهن(١)

واذا كان المتقيء معذوراً كان مافعله جائزاً وصار من جملة المرضى الذين يقضون، ولم يكن من أهل الكبائر الذين أفطروا بغير عذر. وأما أمره للمجامع بالقضاء فضعيف ضعفه غير واحد من الحفاظ . وقد ثبت هذا الحديث من غير وجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة ومن حديث عائشة ولم يذكر احد امره بالقضاء ، ولو كان أمره بذلك لما أهمله هؤلاء كلهم وهو حكم شرعي يجب بيانه ، ولما لم يأمره به دل على ان القضاء لم يبق مقبولا منه . وهذا يدل على انه كان متعمداً للفطر لم يكن ناسياً ولا جاهلا،

والمجامع الناسي فيه ثلاثة أقوال في مذهب احمد وغيره، ويذكر ثلاث روايات عنه (احداها) لا قضاء عليه ولا كفارة، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة والاكثرين (والثانية) عليه القضاء بلا كفارة وهو قول مالك (والثالثة) عليه الأمران وهو المشهور عن احمد ،

والاول أظهر كما قد بسط في موضعه ، فانه قد ثبت بدلالة الكتاب والسنة ان من فعل محظوراً مخطئا أو ناسيا لم يؤاخذه الله بذلك وحينئذ يكون بمنزلة من لم يفعله، فلا يكون عليه اثم ، ومن لا اثم عليه لم يكن عاصياً ولا مرتكبا لما نهي عنه ، وحينئذ فيكون قد فعل ماأمر به ولم يفعل مانهي عنه . ومثل هذا لا يبطل عبادته ، انما يبطل العبادات اذا لم يفعل ماأمر به أو فعل ماحظر عليه ،

---

(١) روى البخاري من حديث عائشة « كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج . وكان ابو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه ابو بكر ، فقال له الغلام : أتدري ماهذا ? فقال وماهو؛ قال : كنت تكهنت لانسان في الجاهلية، فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيء »

وطرد هذا ان الحج لا يبطل بفعل شيء من المحظورات لا ناسياً ولا مخطئا لا الجماع ولا غيره وهو أظهر قولي الشافعي

وأما الكفارة والفدية فتلك وجبت لانها بدل المتلف من جنس مايجب ضمان المتلف بمثله كما لو أتلفه صبي أو مجنون أو نائم ضمنه بذلك ، وجزاء الصيد اذا وجب على الناسي والمخطيء فهو من هذا الباب بمنزلة دية المقتول خطأ والكفارة الواجبة بقتله خطأ بنص القرآن واجماع المسلمين .

وأما سائر المحظورات فليست من هذا الباب، وتقليم الاظفار وقص الشارب والترفه المنافي للتفث كالطيب واللباس . ولو فدى كانت فديتها من جنس فدية المحظورات ليست بمنزلة الصيد المضمون بالبدل . فأظهر الاقوال في الناسي والمخطيء اذا فعل محظورا أن لا يضمن من ذلك إلا الصيد .

وللناس فيه أقوال (هذا أحدها) وهو قول أهل الظاهر (والثاني) يضمن الجميع مع النسيان كقول أبي حنيفة وإحدى الروايات عن أحمد ،واختاره القاضي وأصحابه (والثالث) يفرق بين ما فيه التالف كقتل الصيد والحلق والتقليم وما ليس فيه كالطيب واللباس وهذا قول الشافعي وأحمد في الرواية الثانية ، واختارها طائفة من اصحابه وهذا القول أجود من غيره ، لكن إزالة الشعر والظفر ملحق باللباس والطيب لا بقتل الصيد هذا أجود (والرابع) ان قتل الصيد خطأ لا يضمنه وهو رواية عن احمد فخرجوا عليه الشعر والظفر بطريق الاولى .

وكذلك طرد هذا ان الصائم اذا أكل أو شرب أو جامع ناسيا أو مخطئا فلا قضاء عليه وهو قول طائفة من السلف والخلف ، ومنهم من يفطر الناسي والمخطيء كمالك ، وقال أبو حنيفة: هذا هو القياس لكن خالفه لحديث أبي هريرة في الناسي ، ومنهم من قال لا يفطر الناسي ويفطر المخطيء ،وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد ، فأبو حنيفة جعل الناسي موضع استحسان ، وأما اصحاب

الشافعي واحمد فقالوا النسيان لا يفطر لانه لا يمكن الاحتراز منه بخلاف الخطأ فانه يمكنه أن لا يفطر حتى يتيقن غروب الشمس وأن يمسك اذا شك في طلوع الفجر

وهذا التفريق ضعيف والامر بالعكس. فان السنة للصائم أن يعجل الفطر ويؤخر السحور ، ومع الغيم المطبق لا يمكن اليقين الذي لا يقبل الشك إلا بعد أن يذهب وقت طويل جداً يفوت المغرب ويفوت تعجيل الفطور ، والمصلي مأمور بصلاة المغرب وتعجيلها ، فاذا غلب على ظنه غروب الشمس امر بتأخير المغرب الى حد اليقين فربما يؤخرها حتى يغيب الشفق وهو لا يستيقن غروب الشمس

وقد جاء عن ابراهيم النخعي وغيره من السلف وهو مذهب ابي حنيفة انهم كانوا يستحبون في الغيم تأخير المغرب وتعجيل العشاء وتأخير الظهر وتقديم العصر ، وقد نص على ذلك احمد وغيره وقد علل ذلك بعض اصحابه بالاحتياط لدخول الوقت وليس كذلك فان هذا خلاف الاحتياط في وقت العصر والعشاء، وانما سن ذلك لان هاتين الصلاتين يجمع بينهما للعذر، وحال الغيم حال عذر ، فأخرت الاولى من صلاتي الجمع وقدمت الثانية لمصلحتين (احداهما) التخفيف عن الناس حتى يصلوها مرة واحدة لاجل خوف المطر، كالجمع بينهما مع المطر (والثانية) ان يتيقن دخول وقت المغرب ، وكذلك يجمع بين الظهر والعصر على أظهر القولين وهو احدى الروايتين عن احمد، وهو يجمع بينهما للوحل الشديد والريح الشديدة الباردة ونحو ذلك في أظهر قولي العلماء، وهو قول مالك وأظهر القولين في مذهب احمد (الثاني) ان الخطأ في تقديم العصر والعشاء أولى من الخطأ في تقديم الظهر والمغرب، فان فعل هاتين قبل الوقت لا يجوز بحال بخلاف تينك ، فانه يجوز فعلهما في وقت الظهر والمغرب، لان ذلك وقت حال العذر، وحال الاشتباه حال عذر، فكان بين الصلاتين مع الاشتباه أولى.

الصلاة مع الشك

وهذا فيه ماذكره أصحاب المأخذ الاول من الاحتياط لكنه احتياط مع تيقن الصلاة في الوقت المشترك ، ألا ترى ان الفجر لم يذكروا فيها هذا الاستحباب ولا في العشاء والعصر، ولو كان العلم خوف الصلاة قبل الوقت لطرد هذا في الفجر ثم يطرد في العصر والعشاء

وقد جاء الحديث عن النبي ﷺ بالتبكير بالعصر في يوم الغيم ، فقال « بكروا بالصلاة في يوم الغيم فانه من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »

فان قيل : فاذا كان يستحب أن يؤخر المغرب مع الغيم فكذلك يؤخر الفطور، قيل : انما يستحب له تأخيرها مع تقديم العشاء بحيث يصليها قبل مغيب الشفق ، فأما تأخيرها إلى ان يخاف مغيب الشفق فلا يستحب ، ولا يستحب تأخير الفطور إلى هذه الغاية

ولهذا كان الجمع المشروع مع المطر هو جمع التقديم في وقت المغرب ولا يستحب أن يؤخر بالناس المغرب إلى مغيب الشفق ، بل هذا حرج عظيم على الناس وانما شرع الجمع لئلا يحرج المسلمون

وأيضاً فليس التأخير والتقديم المستحب أن يفعلهما مقترنتين بل أن يؤخر الظهر ويقدم العصر ، ولو كان بينهما فصل في الزمان ، وكذلك في المغرب والعشاء بحيث يصلون الواحدة وينتظرون الاخرى لايحتاجون الى ذهاب الى البيوت ، وكذلك جواز الجمع لايشترط له الموالاة في أصح القولين ، كما قد ذكرناه في غير هذا الموضع

وأيضاً فقد ثبت في صحيح البخاري عن أسماء بنت ابي بكر قالت : أفطرنا يوما من رمضان في غيم على عهد رسول الله ﷺ ثم طلعت الشمس. وهذا يدل على شيئين: على انه لايستحب مع الغيم التأخير الى ان يتيقن الغروب . فانهم لم يفعلوا ذلك ولم يأمرهم به النبي ﷺ والصحابة مع نبيهم أعلم وأطوع لله ولرسوله ممن جاء بعدهم

(والثاني) لايجب القضاء . فان النبي ﷺ لو أمرهم بالقضاء لشاع ذلك كما نقل فطرهم ، فلما لم ينقل ذلك دل على انه لم يأمرهم به

فان قيل: فقد قيل لهشام بن عروة: أمروا بالقضاء؟ قال: أو بدٌّ من القضاء؟ قيل: هشام قال ذلك برأيه، لم يرو ذلك في الحديث، ويدل على انه لم يكن عنده بذلك علم ان معمراً روى عنه قال: سمعت هشاما قال: لا أدري أقضوا ام لا؟ ذكر هذا وهذا عنه البخاري، والحديث رواه عن أمه فاطمة بنت المنذر عن أسماء

وقد نقل هشام عن أبيه عروة انهم لم يؤمروا بالقضاء وعروة أعلم من ابنه، وهذا قول اسحاق بن راهويه – وهو قرين احمد بن حنبل ويوافقه في المذهب: أصوله وفروعه، وقولهما كثيراً مايجمع بينه. والكوسج سأل مسائله لاحمد واسحاق، وكذلك حرب الكرماني سأل مسائله لاحمد واسحاق وكذلك غيرهما. ولهذا يجمع الترمذي قول احمد واسحاق، فانه روى قولهما من مسائل الكوسج

وكذلك ابو زرعة وابو حاتم وابن قتيبة وغير هؤلاء من أئمة السلف والسنة والحديث وكانوا يتفقهون على مذهب احمد واسحاق يقدمون قولهما على أقوال غيرهما، وأئمة الحديث كالبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم هم أيضاً من أتباعهما وممن يأخذ العلم والفقه عنهما، وداود من أصحاب اسحاق

وقد كان احمد بن حنبل اذا سئل عن اسحاق يقول: أنا أسئل عن اسحاق؟ اسحاق يسئل عني،

والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق وابو عبيد وابو ثور ومحمد بن نصر المروزي وداود بن علي ونحو هؤلاء كلهم فقهاء الحديث رضي الله عنهم أجمعين

وأيضاً فان الله قال في كتابه (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) وهذه الآية مع الاحاديث الثابتة عن النبي ﷺ تبين أنه مأمور بالأكل إلى ان يظهر الفجر فهو مع الشك في طلوعه مأمور بالأكل كما قد بسط في موضعه

(للرسالة بقية)

لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟

(بقلم أمير البيان)

(٣)

العبرة للعرب وسائر المسلمين برقي اليابانيين

ولكني أخرج من أوربة الى اليابان فقط لان رقي اليابان يضارع الرقي الاوربي وقد تم لليابانيين كما تم رقي أوربة للاوربيين أي في ضمن دائرة قوميتهم ولسانهم وآدابهم وحريتهم ودينهم وشعائرهم ومشاعرهم وكل شيء لهم

فانقل الى القراء العرب فقرة من رسالة طويلة جاءت من مراسل أوربي سائح في اليابان وظهرت في جريدة «جورنال دوجنيف» بتاريخ ٢٠ اكتوبر فانه يقول:

« ان الياباني يحب الفن قبل كل شيء ، وان رأيته ساعياً في كسب المال فلاجل أن يلذ بالمال أهواءه المنصرفة إلى الحسن والجمال . وقد انتقش في صفحة نفسه الشعور القومي الشديد عدا الميل الى الجمال ، لانه يفتخر بكون اليابان في مدة ستين سنة فقط صارت من طور أمة من القرون الوسطى اقطاعية الحكم الى أمة عظيمة من أعظم الامم، ومما لاريب فيه أن الديانة اليابانية هي ذات دور عظيم في سياسة اليابان (ليتأمل القاريء) وهي في الحقيقة فلسفة مبنية على الاعتراف بكل ماتركه القدماء لسلائلهم . فالياباني العصري قد ائتلف مع جميع احتياجات الحياة العصرية ، لكن مع حفظ الميل الدائم الى الرجوع إلى ماضيه ، ومع التمسك الشديد بقوميته ، غير مجيب نداء التفرنج (وفي الاصل التغرب Accidentalisme) الذي لايريد الياباني أن يأخذ منه إلا ماهو ضروري له لاجل مصارعة سائر الامم بنجاح ، ولا شك ان هذا مثل فريد في تاريخ أمم الشرق الاقصى »

ثم يقول :

« كان اليابانيون يكرهون الاسفار الى البلدان البعيدة ، ويحظرون دخول الاجانب في بلادهم ، ولكن هذا المنع قد ارتفع بعد النهضة العصرية ، وتلافت اليابان مافات بشكل مدهش . والنتائج هي أمامنا ، إلا أن الماضي لا يزال عند اليابانيين مقدساً معظما في جميع طبقاتهم لانه في هذا الماضي المقدس يجد اليابانيون جميع شعورهم بقيمتهم الحاضرة ، فتراهم يكافحون بوسائل المدنية الحديثة التامة التي لا سبيل الى الحياة بدونها في أيامنا هذه ، لكن ينبذون كل « تفرنج » بمجرد مايجدون أنفسهم في غنى عنه ، ويعودون مع اللذة الى شعورهم القومي الخالص الذي به يعتقدون أنهم الأعلون

« وهناك هياكل « شنيتو » ومعابد « زن » والهياكل البوذية وهي مكرمة معظمة مخدومة باشد مايمكن من الحماسة الدينية والايمان الثابت كما كانت منذ قرون . والحق ان هذا الاحترام الشديد الذي يشعر به اليابانيون لقديمهم ولمعبوداتهم هو الذي قام عندهم حصنا منيعاً دون المبادىء الشعوبية ، والافكار الشيوعية المضرة »

ومنذ بضع سنوات ظهر في فرنسة تاليف جديد عن اليابان للمركيز « لامازايير » La Mazelière قد أطنبت الجرائد في وصفه ونشرت عنه جريدة « الديبا » مقالا رنانا ، فنحن نوصي القراء الذين يهمهم أن يعرفوا كيفية ارتقاء اليابان – وهو موضوع في غاية الجلالة لما فيه من الاستنتاج لمسائر بلاد الشرق – بمطالعة هذا الكتاب الذي لا يمكن أن ينسب الى مؤلفه التعصب لليابان ، على انني رايته في الجملة مطابقا لتواريخ ألفها علماء يابانيون متخصصون في التاريخ . وهذه التواريخ مترجمة من اليابانية الى الافرنسية . ولا بد لي في هذه العجالة من نقل بعض فقر من تاريخ لامازلير المذكور ، قال في اثناء الكلام على تمدن اليابان العصري وخروج هذه الامة من عزلتها القديمة ماياتي :

« فبدأت اليابان تستعير من أوربة وأمريكا قسما من مدنيتهما المادية ، ومن نظامهما العسكري ، ومن مباحث تعليمهما العام ، ومن سياستهما المالية ، فكان المجددون

مجتهدون في أن يقتبسوا من كل شعب ما يرونه الاحسن عنده، فكان ذلك مشروع تجديد وهدم واعادة بناء، وظهرت آثار ذلك في جميع مناحي الحياة اليابانية »

ثم تكلم عن الحرب اليابانية الصينية، وانتهى إلى قوله الذي نترجمه ترجمة حرفية:

« إن ظفر اليابان بالصين لم يثبت علو الافكار والمبادىء العلمية التي أخذتها اليابان عن الغرب وكفى، بل أثبت أمراً آخر وهو أن شعبا آسيويا بمجرد ارادته وعزيمته عرف أن يختار ما رآه الاصلح له من مدنيـة الغرب (تأمل جيداً) مع الاحتفاظ باستقلاله وقوميته وعقليته وآدابه وثقافته » اهـ

وقبلا كنت نشرت في الجرائد — وما نشرته لم يكن إلا نقطة من غدير — خلاصة الحفلات التي أقامها اليابانيون لتتويج عاهلهم منذ سنتين وكيف استمرت مراسم هذا الاحتفال مدة شهر، وكانت باجمعها دينية، وكيف ان الميكادو هو كاهن الامة الاعظم، وكيف انه من سلالة الآلهة « الشمس » وكيف اغتسل في الحمام المقدس المحفوظ من ألفي سنة، وكيف أكل مع الآلهة ! الارز المقدس الذي زرعته الدولة تحت اشراف الكهنة حتى يكون تام القدسية لاشبهة فيه، وكيف كان ثمة في الحفل ستمائة ألف ياباني وكلهم يهتفون : ليحي الميكادو عشرة آلاف سنة إلى غير ذلك

لماذا لا تسمى اليابان وأوربة رجعية بتدينهما

فلماذا ياليت شعري تتقدم اليابان هذا التقدم السريع المدهش وتصير هذه الامة العصرية يضرب برقيها المثل وهي تضرب باعراقهـا إلى عقائد وعادات ومنازع مضى عليها ألفاسنة، ويكون امبراطورها هو كاهنها الاعظم، ولا يقال عنها «رجعية» و «مرتجعة» و «ارتجاعية» ؟ (فان كانت اليابان رجعية فرحى بالرجعية)

ولماذا كان ملك انكلترة وامبراطور الهند السيد على ٤٠٠ مليون آدمي في الارض من البيض والسمر والصفر والحمر والسود هو رئيس الكنيسة الانكليكانية ومجالسه النيابية تبحث في جلسات عديدة في قضية الخبز والخمر هل يستحيلان بمجرد تقديس القسيس الى جسد المسيح ودمه فعلا بدون أدنى شك أم ذلك من

قبيل الرمز والتمثيل ؟ ولا يقال عنه انه « رجعي » ولا يقال عن دولته العظمى أنها «متأخرة» او «متقهقرة» ؟ فان كانت انكلترة بعد هذا متقهقرة فيا حبذا «التقهقر»

ولماذا كانت القارة الاوربية كلها مسيحية مفتخرة بمسيحيتها تتباهى بذلك في كل فرصة متحدة في هذا الامر على ما بينها من عداوات ومنافسات ، ولا ننبزها بقولنا « رجعية » و « ارتجاعية » والحال ان الديانة التي تدين بها أوربة عمرها ١٩ قرنا . وهذا عهد يصح أن يقال عنه قديم « وقديم جداً » وهؤلاء اليهود ، مهما ننكر عليهم فلا نقدر أن ننكر عليهم المقدرة والذكاء والحس العملي والجد الهائل لا يزالون يفخرون بتوراة وجدت منذ آلاف السنين ويشاركهم فيها المسيحيون ؟

ولماذا نرى أعظم شبان اليهود رقيا عصريا يجاهدون في إحياء اللغة العبرية التي لا يعرف تاريخها لتوغلها في القدم . ولا يقال عنهم انهم « رجعيون » و «متأخرون» و « قهقريون » ؟

«وقد نشر وايزمان رئيس الجمعية الصهيونية حديثا في جريدة «الماتن» كان من أهم ما فخر به وأدلى به كمأثرة ينبغي أن تذكرها لهم الانسانية هو «ان فلسطين الحديثة تتكلم اليوم باجمعها بلغة الانبياء» يريد بفلسطين الحديثة فلسطين اليهودية التي قد نشر الصهيونيون فيها اللغة العبرانية القديمة وأجبروا نشئهم الجديد على أن يتحدثوا بها لتكون اللغة الجامعة لليهود . ومن الذي فعل هذا ؟ الجواب: هم اليهود العصريون الاشد أخذاً بمبادىء العلم الحديث والحضارة العصرية . (وما يذكر إلا أولو الالباب) وماذا عساني أحصي من هذه الاماثيل والعبر في رسالة وجيزة كهذه ؟

كل قوم يعتصمون بدينهم ومقومات ملتهم ومشخصات قومهم الموروثين ولا ينبزون بهذه الالقاب !! الا المسلمين

فانه اذا دعاهم داع الى الاستمساك بقرآنهم وعقيدتهم ومقوماتهم ومشخصاتهم وباللسان العربي وآدابه والحياة الشرقية ومناحيها قامت قيامة الذين في قلوبهم مرض .. وصاحوا : لتسقط الرجعية . وقالوا : كيف تريدون الرقي وأنتم متمسكون باوضاع بالية باقية من القرون الوسطى ونحن في عصر جديد ؟

جميع هؤلاء الخلائق تعلموا وتقدموا وترقوا وعلوا وطاروا في السماء والمسيحي

منهم باق على انجيله وتقاليده الكنسية ، واليهودي باق على توراته وتلموده ، والياباني باق على وثنه وارزه المقدس ، وكل حزب منهم فرح بما لديه . وهذا المسلم المسكين يستحيل أن يترقى إلا إذا رمى قرآنه وعقيدته ومآخذه ومتاركه ومنازعه ومشاربه ولباسه وفراشه وطعامه وشرابه وأدبه وطربه وغير ذلك وانفصل من كل تاريخه، فان لم يفعل ذلك فلا حظ له من الرقي !

فهذا ما كان من ضرر الجاحد الذي يقصد السوء بالاسلام وبالشرق أجمع ويخدع السذج باقاويله

غوائل الجامدين في الاسلام والمسلمين

وبقي علينا المسلم الجامد ، الذي ليس باخف ضرراً من الجاحد ، وان كان لا يشركه في الخبث وسوء النية ، وانما يعمل ما يعمله عن جهل وتعصب

فالجامد هو الذي مهد لاعداء المدنية الاسلامية الطريق لمحاربة هذه المدنية محتجين بان التأخر الذي عليه العالم الاسلامي انما هو ثمرة تعاليمه

والجامد هو سبب الفقر الذي ابتلي به المسلمون لانه جعل الاسلام دين آخرة فقط . والحال أن الاسلام هو دين دنيا وآخرة . وان هذه مزية له على سائر الاديان . فلا حصر كسب الانسان فيما يعود للحياة التي وراء هذه كما هي ديانات أهل الهند والصين ، ولا زهده في مال الدنيا وملكها ومجدها كتعاليم الانجيل، ولا حصر سعيه في أمور هذه المعيشة الدنيوية كما هي مدنية أوربة الحاضرة

والجامد هو الذي شهر الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية وفنونها وصناعاتها بحجة انها من علوم الكفار . فحرم الاسلام ثمرات هذه العلوم، وأورث أبناءه الفقر الذي هم فيه وقص أجنحتهم . فان العلوم الطبيعية هي العلوم الباحثة في الارض . والارض لا تخرج أفلاذها الا لمن يبحث فيها[1] فان كنا طول العمر لا نتكلم الا فيما هو عائد للآخرة قالت لنا الارض : اذهبوا تواً إلى الآخرة

[1] كان جدي الادنى رحمه الله تعالى يقول: ان جار عليك الزمان فعليك ان تجور على الارض . أي تلح وتجتهد في استخراج خيراتها

فليس لكم نصيب مني . ثم اننا بحصر كل مجهوداتنا في هذه العلوم والمحاضرات الاخروية جعلنا أنفسنا بمركز ضعيف بازاء سائر الامم التي توجهت الى الارض، وهؤلاء لم يزالوا يعلون في الارض ونحن ننحط في الارض ، إلى أن صار الامر كله في يدهم ، وصاروا يقدرون أن يأفكونا عن نفس ديننا، فضلا عن أن يملكوا علينا دنيانا. وليس هذا هو الذي يريده الله بنا وهو الذي قال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) الآية وقال(هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا) وقال (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) وقال فيما حكاه وأقره (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وعلمنا أن ندعوه بقوله (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) الخ

والمسلم الجامد لايدري انه بهذا المشرب يسعى في بوار ملته وحطها عن درجة الامم الاخرى،ولا يتنبه لشيء من المصائب التي جرها على قومه اهمالهم للعلوم الكونية حتى أصبحوا بهذا الفقر الذي هم فيه ، وصاروا عيالا على أعدائهم الذين لايرقبون فيهم إلاّ ولا ذمة ، فهو اذا نظر الى هذه الحالة عللها بالقضاء والقدر بادىء الرأي ، وهذا شأن جميع الكسالى في الدنيا يحيلون على الاقدار .

هذا الخلق هو الذي حبب الكسل الى كثير من المسلمين فنجمت فيهم فئة يلقبون «بالدراويش» ليس لهم شغل ولا عمل، وليسوا في الواقع إلا أعضاء شلاء في جسم المجتمع الاسلامي .

وهذا الخلق بعينه هو الذي جعل الافرنج يقولون ان الاسلام جبريّ لايأمر بالعمل ، لان ماهو كائن هو كائن، عمل المخلوق أم لم يعمل .

آيات العمل المبطلة لتفسير القدر بالجبر والكسل

ولا أدل على فساد هذا الزعم الافرنجي من القرآن الملآن بالحث على العمل وباستنهاض الهمم ، وابتعاث العزائم ، ونوط الثواب والعقاب والفوز والفشل بالعمل الذي يعمله المكلف . قال الله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله)

وقال تعالى (وإن جادلوك فقل: لي عملي ولكم عملكم) وقال تعالى (وسيري الله عملكم) وقال تعالى (ولنا أعمالنا ولكم اعمالكم) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) وقال تعالى (والله معكم ولن يتركم أعمالكم) أي لا ينقصكم أعمالكم، وقال تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) لا يلتكم من لاته يليته أو ولته يلته بمعنى نقصه، أي لا يبخسكم من أعمالكم شيئا، وقال تعالى (نوفّ اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) وقال عز وجل (وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم) وقال عز وجل (وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) وقال عز وجل (اني لا أضيع عمل عامل منكم) وقال عز وجل (فنعم أجر العاملين) وقال عز وجل (لمثل هذا فليعمل العاملون) وقال عز وجل (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال عز وجل (وتوفى كل نفس ماعملت) وقال عز وجل (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) وقال عز وجل (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا) وقال عز وجل (ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون) وقال عز وجل (فأصابهم سيئات ماعملوا) وقال تبارك وتعالى (ووجدوا ماعملوا حاضرا) وقال تبارك وتعالى (ليذيقهم بعض الذي عملوا) وقال تبارك وتعالى (إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) وقال تعالى (ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) وقال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وقال تعالى (سيجزون ما كانوا يعملون) وقال تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) وقال تعالى (ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى من الآيات التي امتلأ بها القرآن، ومنها ماهو نص في مسألتنا كقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقوله (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم)

ان صاحب السؤال يعلم وأكثر المسلمين لا يعلمون ان هذه الآية خاطب الله تعالى بها أكمل هذه الأمة ايمانا واسلاما وهم أصحاب رسول الله ﷺ إذ تعجبوا

من ظهور المشركين عليهم في غزوة أحد فرد الله عليهم ببيان السبب وهو مخالفتهم أمره ﷺ للرماة الذين يحمون ظهور المقاتلة بألا يبرحوا أماكنهم سواء كان الغلب للمسلمين أو عليهم ، فلما انهزم المشركون خالفوا الامر لمشاركة المقاتلين في الغنيمة فكر عليهم المشركون حتى شج رأس النبي ﷺ الخ

وكلها ناطقة بأن الاسلام هو دين العمل لا دين الكسل، ولا هو دين الاتكال على القدر المجهول للبشر ، كما يقول الدراويش البطالون : يرزقنا على الله عملنا أم لم نعمل ، او كما يزعم للناس بعض مؤلفي الافرنج من ان دين الاسلام دين جمود وتفويض وتسليم ، وان تأخر المسلمين انما نشأ عن ذلك .

ولو كان في هذه الدعوى ذرة ما من الصحة لما نهض الصحابة أخبر الناس بالاسلام وفتحوا نصف كرة الارض في خمسين سنة ، ولكن التسليم الذي يتكلمون عنه ويهرفون فيه بما لا يعرفون انما هو مقرون بالعمل وبالكدح وبالسعي، والا فلا يسمى تسليما بل يسمى جموداً ، ويعد بطالة وهو مخالف للقرآن والسنة وأما اذا كان التسليم لله مقرونا بالعمل فانه أنفع في الدنيا والاخرى، لان افراط المرء في الاعتماد على نفسه يورطه في البطر إذا نجح ، وفي الجزع إذا فشل. والذي يريده الاسلام انما هو أن يعقل الانسان ويتوكل (١) وأن يدبر لنفسه بهداية عقله الذي جعله الله مرشداً ، ويعلم مع ذلك ان ليس كل الامر بيده، وان من الاقدار مالا تدركه الافكار . وهذا صحيح ، ولما ذكر النبي ﷺ القدر سأله بعض أصحابه ألا نتكل ؟ فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » رواه البخاري ومسلم

ومن أغرب الغرائب أن هؤلاء الافرنج الذين لاينفتئون ينعتون الاسلام بالجبرية وينسبون تأخر المسلمين إلى هذه العقيدة — التي كان يقول بها فئة قليلة من المسلمين — يذهلون عما هو وارد في الانجيل من آيات القضاء والقدر التي

«١» في قوله يعقل هنا تورية لاحتماله معنيين: احدهما تحكيم ادراك العقل في الامور مع التوكل على الله ، والثاني عقل الناقة المراد الاخذ بالاسباب مع التوكل، اذ فيه اشارة الى حديث الاعرابي المشهور بين الناس حتى صار مثلا « اعقلها وتوكل »وفي رواية « قيدها وتوكل » يعني ناقته فلم يأذن له (ص) ان يتركها توكلا

تماثل مافي القرآن وقد تزيد عليه مثل قوله : لاتسقط شعرة من رؤوسكم إلا باذن أبيكم السماوي . ومثل آي كثيرة لو أردت استقصاءها لطال المقال . ولا نجد في الافرنج الذين هم مغرمون بالعمل وهائمون وراء الكسب ومنكرون للقضاء والقدر في الجملة ، إلا من يقرأ الانجيل الشريف ويقدسه ويعجب بعبادئه السامية كما نعجب بها نحن . فما بالهم نسوا مافيه من آيات القضاء والقدر ؟ وما بالهم لم يصفوا أقوال المسيح صلوات الله عليه بالجبرية ؟ (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) وحقيقة الامر ان كل ماهو وارد في الانجيل وكل ماهو وارد في القرآن من آيات القضاء والقدر انما كان مقصوداً به سبق علم الله بكل مايقع (١) . ولم يكن مقصوداً به نفي الاختيار والتزهيد في الكسب . وفي حديث الوزنتين والوزنات وغير ذلك من مواعظ الانجيل الشريف مايدل على ماعزاه القرآن الى صحف ابرهيم وموسى أي وغيرهما من رسل الله (أن لا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للانسان إلا ماسعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الاوفى)

كون المسلمين الجامدين فتنة لأعداء الاسلام وحجة عليه

ونعود الى المسلم الجامد فنقول : انه هو الذي طرق لاعداء الاسلام على الإسلام، وأوجد لهم السبيل الى القالة بحقه ، حتى قالوا انه دين لايأتلف مع الرقي العصري ، وانه دين حائل دون المدنية . والحقيقة أن هؤلاء الجامدين هم الذين لاتأتلف عقائدهم مع المدنية ، وهم الذين يحولون دون الرقي العصري . والاسلام براء من جمادتهم هذه .

(١) هذا التفسير قول لبعض المتكلمين وهو ان تعلق علم الله بوجود المخلوقات في الازل هو القضاء ووجودها على وفق العلم هو القدر ، وقول بعضهم أنه تعلق الارادة الخ والتحقيق ان القدر والمقدار هو النظام الذي جرت به سنن الله تعالى في التكوين والتدبير والاسباب والمسببات كما يفهم من نصوص الآيات كقوله تعالى « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وماننزله إلا بقدر معلوم » وقوله « وأنزلنا من السماء ماء بقدر » الآية ـ وقوله في نظام حمل النطفة في الرحم « الى قدر معلوم » وقوله « ثم جئت على قدر ياموسى » وقد حققنا المسألة في المنار والتفسير مرارا

ان الاسلام هو من أصله ثورة على القديم الفاسد، وجبٌّ للماضي القبيح، وقطع مع كل الملائق غير الحقائق، فكيف يكون الاسلام ملة الجمود؟ والقرآن هو الذي جاء فيه من قصة ابراهيم عليه السلام (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون* قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين* قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) وجاء فيه (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين* قال هل يسمعونكم إذ تدعون* أو ينفعونكم أو يضرون؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون* قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون* فانهم عدو لي إلا رب العالمين) وجاء فيه: (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون* قال او لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) وجاء فيه (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) وجاء فيه: (سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وغير ذلك من الآيات الداعية الى الثورة على القديم إذا لم يكن صحيحاً ولم يكن صالحاً

على ان الذين يفهمون الاسلام حق الفهم يرحبون بكل جديد لا يعارض العقيدة، ولا تخشى منه مفسدة. ولا أظن شيئاً يفيد المجتمع الاسلامي يكون مخالفاً للدين المبني على اسعاد العباد. أفلا ترى علماء نجد وهم ابعد المسلمين عن الافرنج والتفرنج، وأنآهم عن مراكز الاختراعات العصرية، كيف كان جوابهم عند ما استفتاهم الملك عبدالعزيز بن سعود أيده الله في قضية اللاسلكي والتليفون والسيارة الكهربائية؟ أجابوه أنها محدثات نافعة مفيدة، وانه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله لا بالمنطوق ولا بالمفهوم ما يمنعها.

أفليس الادنى لمصلحة الامة أن تقدر الدولة على معرفة أي حادث يحدث بمجرد وقوعه حتى تتلافى أمره؟ أفليس الانفع للمسلمين أن يتمكن الحاج ببضع ساعات من اجتياز المسافات التي كانت تأخذ أياما وليالي؟ لقد سألت الشيخ محمد بن علي بن تركي من العلماء النجديين الذين بمكة عن رأيه في التليفون واللاسلكي فقال لي: هذه مسئلة مفروغ منها، وأمر جوازها شرعا هو من الوضوح بحيث لا يستحق الاخذ والرد

ولم تكن مقاومة الجديد خاصة بجامدي الاسلام ، فقد قاومت الكنيسة في النصرانية كل جديد تقريبا من قول أو عمل ، ثم عادت فيما بعد فأجازته . ولما قال «غاليله» بدوران الارض كفرته ، ولا يزال يوجد الى اليوم من أحبار النصارى من يكفر كل مخالف لما جاء في التوراة من كيفية التكوين ، ومن سنتين حوكم أحد المعلمين في محاكم إحدى الولايات المتحدة لقوله بنظرية داروين ومنع من التدريس ، ولكن هذا لم يمنع سير العلم في طريقه (١)

فالنصارى عندهم جامدون كما عندنا جامدون ، والمسلم الجامد يحارب كل علم غير العلم الديني التقليدي الذى ألفه ، حتى انه ليحارب من لا يعتد في دينه إلا بالكتاب والسنة ، وينسى ان العلوم الطبيعية والرياضية والهندسة وجر الاثقال والفلك والطب والكيمياء وطبقات الأرض وكل علم يفيد الاجتماع البشري هي علوم دينية ان لم تكن مباشرة فمن حيث النتيجة (٢) وكم جرى تدريس هذه العلوم في الازهر والاموي والزيتونة والقرويين وقرطبة وبغداد وسمرقند وغيرها عند ما كان للاسلام دول كبار وأعاظم رجال . وكم نبغ في الاسلام من عظماء جمعوا بين الحكمة والشريعة ، ونظموا بين الحديث والرياضة ، وإن أكبر فيلسوف عربي اشتهر اسمه في أوربة هو القاضي ابن رشد وقد كان من أكابر الفقهاء

«١» وقد تألف في انكلترة وامريكة حزب ديني جديد أو جمعية للدعوة الى الايمان بظواهر التوراة في الخلق والتكوين وكل شيء من غير تأويل راجع ص٧٢٣م٣٠ من المنار

«٢» اى من باب قول العلماء : مالا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب. وقد بينا في تفسير (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة) ان آلات القتال البرية والبحرية والجوية واجبة بنص هذه الآية لانها من القوة المستطاعة للمسلمين كما هي مستطاعة لغيرهم ، فليس وجوبها بقاعدة مالا يتم الواجب الا به فهو واجب بل بنص القرآن ودلالة المنطوق منه فراجع تفسيرها في ص٦١ ج١٠ تفسير

مدنية الاسلام

أما زعم من زعم أن الاسلام لم يتمكن من تأسيس مدنية خاصة والاستدلال على ذلك بحالته الحاضرة، فهو خرافة يموه بها بعض أعداء الاسلام من الخارج ، وبعض جاحديه من الداخل . أما القسم الاول فلاجل أن يصبغوا المسلمين بالصبغة الاوربية، وأما القسم الثاني فلاجل أن يزرعوا في العالم الاسلامي بذور الالحاد ، ونحن لا ننكر تأثير الدين في المدنية ولكننا لا نسلم بأنه يصح أن يكون لها ميزانا ، وذلك لانه كثيراً ما يضعف تأثير الدين في الامم فتتفلت من قيوده وتفسد أخلاقها وتنهار أوضاعها، فيكون فساد الاخلاق هو علة السقوط ، ولا يكون الدين هو المسؤول، وكثيراً ما تطرأ عوامل خارجية غير منتظرة فتتغلب على ما أثلته الشرائع من حضارة وتزلزل أركانها ، وقد تهدمها من بوانيها ، ولا يكون القصور من الشريعة . فتأخر المسلمين في القرون الأخيرة لم يكن من الشريعة بل من الجهل بالشريعة ، أو من عدم اجراء احكامها كما ينبغي . ولما كانت الشريعة جارية على حقها كان الاسلام عظيما عزيزاً ،

ومدنية الاسلام قضية لا تقبل المماحكة إذ ليس من أمة في اوربة سواء الألمان أو الفرنسيس او الانكليز او الطليان الخ إلا وعندهم تآليف لا تحصى في « مدنية الاسلام » فلو لم تكن للاسلام مدنية حقيقية سامية راقية مطبوعة بطابعه ، مبنية على كتابه وسنته ، ما كان علماء أوربة حتى الذين عرفوا منهم بالتحامل على الاسلام يكثرون من ذكر المدنية الاسلامية ومن سرد تواريخها ، ومن المقابلة بينها وبين غيرها من المدنيات ، ومن تبيين الخصائص التي انفردت هي بها .

فالمدنية الاسلامية هي من المدنيات الشهيرة التي يزدان بها التاريخ العام ، والتي تغص سجلاته الخالدة بآثارها الباهرة . وقد بلغت بغداد في دور المنصور والرشيد والمأمون من احتفال العمارة ، واستبحار الحضارة، وتناهي الترف والثروة، ما لم تبلغه مدينة قبلها ولا بعدها الى هذا العصر ، حتى كان أهلها يبلغون مليونين

ونصف مليون من السكان . وكانت البصرة في الدرجة الثانية عنها ، وكان أهلها نحو نصف مليون .

وكانت دمشق والقاهرة وحلب وسمرقند واصفهان وحواضر أخرى كثيرة من بلاد الاسلام أمثلة تامة ، واقيسة بعيدة في استبحار العمران، وتطاول البنيان، ورفاهة السكان ، وانتشار العلم والعرفان ، وتأثل الفنون المتهدلة الافنان ،

وكانت القيروان وفاس وتلمسان ومراكش في المغرب أعظم وأعلى من ان يطاولها مطاول ، أو يناظرها مناظر ، أو ان يكاثرها مكاثر في ممالك أوربة حتى هذه القرون الاخيرة .

وكانت قرطبة مدينة فذة في أوربة لا يدانيها مدان ، وكان عدد سكانها نحو مليون ونصف نسمة ، وكان فيها نحو سبعمائة جامع عدا المسجد الاعظم الذي لما زرته في هذا الصيف قال لي المهندس الذي كان معي من قبل الحكومة الاسبانيونية: إنه يسع بحسب مساحته خمسين الف مصل في الداخل و ٣٠ الف مصل في الصحن، فجملة من يسعهم هذا المسجد العجيب ثمانون الفاً من المصلين .

ولما ذهبنا إلى آثار قصر الزهراء رأيناها آثار مدينة لا آثار قصر واحد، وعلمنا أنها تمتد على مسافة تسعمائة متر طولا في ثمانمائة متر عرضاً ، والاسبانيول يقولون : مدينة الزهراء . وقال لي المهندسون الموكلون بالحفر على آثارها: إنهم يرجون الاتيان على كشفها كلها من الآن إلى خمسين سنة . وحسبك ان غرناطة التي كانت حاضرة مملكة صغيرة في آخر أمر المسلمين بالاندلس لم يكن في اوربة في القرن الخامس عشر المسيحي بلدة تضاهيها ولا تدانيها ، وكان فيها عندما سقطت في ايدي الاسبانيول نصف مليون نسمة . ولم يكن وقتئذ عاصمة من عواصم اوربة تحتوي نصف هذا العدد، وحمراء غرناطة لا تزال يتيمة الدهر إلى اليوم

هذه لمحة دالة من مآثر حضارة الاسلام وغرر أيامه ، وإلا فلو استقصينا كل ما أثر المسلمون في الارض من رائع وبديع لم تسع ذلك الاجلاد الكثيرة ، المرصوفة طبقا فوق طبق

وكم حرر المؤرخون الاوربيون تحت عنوان « مدنية الاسلام » كتباً قيمة

ومجاميع صور تأخذ بالابصار . وإن أشد مؤرخي الافرنجة تحاملا على الاسلام لا يتعدى ان يحاول التصغير من شأن مدنيته ، وان ينكر كونه ابا عذرتها . فقصارى هذه الفئة ان ينكروا كون المسلمين قد ابتكروا علوما وسبقوا إلى نظريات صارت خاصة بهم ، وغايتهم ان يقولوا ان المسلمين لم يزيدوا على أن نقلوا واذاعوا وكانوا واسطة بين المشرق والمغرب . وهذا القول مردود عند المحققين الذين يعرفون للمسلمين علوما ابتكروها ، وحقائق كشفوها ، وآراء سبقوا اليها ، فضلا عما زادوا عليه وأكملوه ، ومانشروه ونقلوه ، ومن استرق شيئا وقد استرقّه ، فقد استحقه .

وبعد فلم نعلم مدنية واحدة من مدنيات الارض إلا وهي رشح مدنيات سابقة ، وآثار آراء اشتركت بها سلائل البشرية ،ومجموع نتائج عقول مختلفة الاصول ، ومحصول ثمرات ألباب متباينة الاجناس ،

الرد على حساد المدنية الاسلامية المكابرين

أينسى حساد الاسلام والمكابرون في عظمة فضله ، الزاعمون انه انما نقل وتعلم وقلد واقتدى وانه انما صلى وراء غيره: ان المدنية الشرقية يوم ظهر الاسلام كان أخنى عليها الذي أخنى على لبد ، وانه هو الذي جددها وأحيا آثارها،وأقال عثارها ؟ وأنها بعد ان كانت قد امحت ولحقت بالغابرين ، أبرزها من اصدافها، وجلاها من بعد ان كانت ملفوفة بغلافها ، ونشرها في الخافقين ، وبلّجها كفلق الصبح لكل ذي عينين ، وأضفى عليها لباس الاسلام الخاص ، وديجها بديباجة القرآن ، التي لم تفارقها في شرق ولا غرب ، ولا سهل ولا وعر ، حتى حمل ذلك كثيراً من علماء الافرنج ممن لم يعمه الهوى ، ولم يحد في التحقيق عن مهيع الهدى ، على ان اعترفوا بان مدنية الاسلام لم تكن نسخاً ولا نقلا ، وانما هي قد نبعت من القرآن ، وتفجرت من عقيدة التوحيد ؟

فأما ماترجمته حضارة الاسلام من كتب ، وما أخذته عن غيرها من علوم، وما أفادته في فتوحاتها من منازع جميلة ، وطرائق سديدة ، فلا يقدح ذلك في

بكارتها الاسلامية ، ومسحتها العربية ، لان هذا شأن الحضارات البشرية باجمعها أن يأخذ بعضها عن بعض ويكمل بعضها بعضا ، فالعلم الحقيقي ينحصر في هذا الحديث الشريف « الحكمة ضالة المؤمن ينشدها ولو في الصين » (١) وهذه من أقدس قواعد الاسلام

وعلى كل حال لايقدر مكابر أن يكابر ان الاسلام كان له دور عظيم في الدنيا سواء في الفتوحات الروحية أو العقلية أو المادية ، وان هذه الفتوحات قد اتسقت له في دور لايزيد على ثمانين سنة ، مما أجمع الناس على انه لم يتسق لأمة قبله أصلا . وكان نابليون الاول لشدة دهشته من تاريخ الاسلام يقول في جزيرة سانتيهلانة : ان العرب فتحوا الدنيا في نصف قرن لاغيره

وتأمل أيها القاريء في ان قائل هذا القول هو بونابرت الذي لم تكن تملأ عينه الفتوحات مهما كانت عظيمة

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

فهذا رجل عظيم جداً استعظم حادث العرب الذي لم يسبق نظيره في التاريخ، وقد بقي دور العرب هو الاول في وقته ، ولبثوا هم المسيطرين في الارض لايضارعهم مضارع ، ولا يغالبهم مغالب ، مدة ثلاثة او أربعة قرون . ثم أخذوا بالانحطاط، وجعلت ظلالهم تتقلص عن البلدان التي كانوا غلبوا عليها شيئاً فشيئاً، وذلك بفتور الهمم ، ودبيب الفساد إلى الاخلاق ، ونبذ عزائم الدين ، واتباع شهوات الانفس ، وأشد ماابتلوا به التنافس على الامارات والرئاسات ، - ولاسيما بين القيسية واليمانية - مما لولاه لدانت لهم القارة الاوربية باجمعها ، وكانت الآن عربية كما هو المغرب . فالمصائب التي حلت بالمسلمين انما هي مما صنعته

---

(١) هذا مضمون حديثين أحدهما « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ، ورواه غيره بمعناه مع اختلاف في اللفظ . والثاني « اطلبوا العلم ولو بالصين » وله تتمة رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب والمدخل وابن عبد البر في العلم وغيرهم من حديث أنس ، وله طرق يقوي بعضها بعضا

أيديهم ، ومما حادوا به عن النهج السوي الذي أوضحه لهم القرآن الذي لما كانوا عاملين بمحكم آيه علوا وظهروا وكانت لهم الدول والطوائل ، فلما ضعف علمهم به وصاروا يقرءونه بدون عمل ، وانقادوا إلى اهواء أنفسهم من دونه ، ذهبت ريحهم ، وولى السلطان الاكبر الذي كان لهم ، وانتقصت الاعداء أطراف بلادهم ، ثم قصدوا إلى أوساطها

ولنضرب الآن بعض أمثلة عن الامم الاخرى لاجل المقابلة بيننا وبينهم إذ كانت بضدها تتبين الاشياء

اليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها

كان اليونانيون قبل النصرانية أرقى أمم الارض أو من أرقى أمم الارض، وكانوا واضعي أسس الفلسفة ، وحاملي ألوية الآداب والمعارف، ونبغ منهم من لايزالون مصابيح البشرية في العلم والفلسفة الى يوم الناس هذا .

وكان الاسكندر المكدوني أعظم فاتح عرفه التاريخ او من أعظم الفاتحين الذين عرفهم التاريخ ، حاملا للادب اليوناني ، ناشراً لثقافة يونان بين الامم التي غلب عليها . وما كانت دولة البطالسة التي لمعت في الاسكندرية بعلومها وفلسفتها إلا من بقايا فتوح الاسكندر . ثم لم تزل هذه الحالة إلى أن تنصرت يونان بعد ظهور الدين المسيحي بقليل ، فلما دانت هذه الامة بالدين الجديد بدأت بالتردي والانحطاط ، وفقد مزاياها القديمة ، ولم تزل تنحط قرنا عن قرن، وتتدهور بطنا عن بطن ، إلى أن صارت بلاد اليونان ولاية من جملة ولايات السلطنة العثمانية . ولم تعد إلى شيء من النهوض والرقي إلا في القرن الماضي، وأين هي مع ذلك الآن مما كانت قبل النصرانية ؟

أفيجب ان نقول ان النصرانية كانت المسؤولة عن انحطاط يونان هذا ؟

ان القائلين بان الاسلام قد كان سبب انحطاط الامم الدائنة به لامفر لهم من القول بأن النصرانية قد أدت أيضا الى انحطاط يونان التي كانت من قبلها عنوان الرقي

ثم كانت رومة في عصرها الدولة العظمى التي لايذكر معها دولة ، ولا يؤبه

في جانب صولتها أصولة ، ولم تزل هكذا هي المسيطرة على المعمور الى أن تنصرت لعهد قسطنطين. فمنذ ذلك العهد بدأت بالانحطاط مادة ومعنى الى أن انقرضت اولا من الغرب ، وثانيا من الشرق . ولم تسترجع رومة بعد انقراض الدولة الرومانية شيئا من مكانتها الاولى، وبقيت على ذلك مدة ١٥ قرنا حتى استأنفت شيئا من مجدها الغابر . وما هي إلى هذه الساعة ببالغة ذلك الشأو الذي بلغته أيام الوثنية

أفنجعل تنصر الرومان هو العامل في انحطاط رومة وتدحرجها عن قمة تلك العظمة الشاهقة ؟ لقد قال بهذا علماء كثيرون كما قال آخرون مثل هذه المقالة في الاسلام، وكلا الفريقين جائر حائد عن الصواب

فان لسقوط الرومان بعد فشو الدين المسيحي فيهم ولسقوط اليونان من قبلهم بعد ان تقبلوا دعوة بولس إلى النصرانية اسبابا وعوامل كثيرة من فساد الاخلاق، وانحطاط الهمم، وانتشار الخنى والخلاعة، وشيوع الالحاد والاباحة، ومن هرم الدول الذي يتكلم عنه ابن خلدون، وغير ذلك من أسباب السقوط الداخلية منضمة اليها غارات البرابرة من الخارج ، فكانت ثمة أسباب قاسرة مؤدية إلى السقوط الذي كان لابد منه ، فلو فرضنا ان النصرانية لم تكن جاءت وتتذلم يكن الرومان ولا اليونان نجوا من عواقب تلك الحوادث ولا تخطتهم نتائج تلك الاسباب

فدعوى بعض المؤرخين الاوربيين ان تغلب المسيحية على اليونان والرومان اخنى على عظامتها، وذهب بمدنيتها، ليس فيه من الصحيح الا كون الاوضاع الجديدة تذهب بالاوضاع القديمة ، سنة الله في خلقه ، وانه في هيعة هذا التحول لابد من اضطراب الاحوال وانحلال القواعد واستحكام الفوضى ، والا فلا أحد يقدر أن يقول ان الوثنية أصلح للعمران من النصرانية (١)

(١) علماء المسلمين يعتقدون ان النصرانية على ماطرأ عليها من الوثنية بالتثليث الوثني القديم أصلح لأنفس البشر من الوثنية الخالصة ولكنها ليست اصلح ولا اقبل للعمران المدني الذي تتنافس فيه اوربة وغيرها لأنها ديانة مبنية على المبالغة في الزهد والخضوع لكل حكم دنيوي، والعمران لا يتم ولا يسمو الا بالسيادة والملك والغنى، ومن قواعد الانجيل ان الجمل إذا دخل في ثقب الابرة فالغني لا يدخل ملكوت السموات

وهذه الدعوى كانت تكون أشبه بدعوى أعداء الاسلام الذين يزعمون ان الشرق كان راتعا في بحابح العمران فجاء الاسلام وطمس المدنيات الشرقية القديمة ! لولا أن الحقيقة هي كما قدمنا ان المدنيات الشرقية كانت كاها قد انقرضت او انحطت قبل ظهور الاسلام بكثير ، وان الاسلام وحده لا غيره هو الذي جدد مدنية الشرق الدارسة ، واستأنف صولته الذاهبة الطامسة ، وبعث تلك الحواضر العظمى الزاخرة بالبشر كبغداد والبصرة وسمرقند وبخارى ودمشق والقاهرة والقيروان وقرطبة وهلم جرا ، ولئن كانت قد بقيت للشرق آثار مدنيات قديمة فان الاسلام هو الذي وطد بوانيها ، وطرز حواشيها ، وحمل السيف بيد والقلم بيد إلى أبعد ماتصوره العقل من حدود الاقطار التي لم يسبق لشرقي أن يطأها بقدمه

فاذا كان الافرنج الصليبيون من الغرب ، وكان المغول اولئك الجراد المنتشر من الشرق، قد تبّروا ماعلا الاسلام في تلك الممالك ، ونسفوا عمران هاتيك الحواضر ، وكانت منافسات ملوك الاسلام الداخلية واتباعهم للشهوات وامعانهم في الضلالات ، ومحيدهم عن جادة القرآن القويمة ، وفقدهم مايزرعه في الصدور من الاخلاق العظيمة ، قد قضت في الداخل على ماعجز عن تصفيته العدو من الخارج ، فليس الذنب في هذا التقلص ذنب الاسلام ، ولا التبعة في هذا الانقلاب عائدة على القرآن ، وانما الذنب هو ذنب الهمج من الافرنج ، وجناية ذلك الجراد الزحاف من المغول ، وانما هي تبعة المسلمين الذين رغبوا عن أوامر كتابهم واشتروا بآياته ثمنا قليلا، إلا النادر منهم

وأيضا فقد تنصرت الامم الاوربية في القرن الثالث والرابع والخامس والسادس من ميلاد المسيح ، وبقيت امم في شرقي اوربة إلى القرن العاشر حتى تنصرت . ولم تنهض اوربة نهضتها الحالية التي مكنتها تدريجا من هذه السيادة العظمى بقوة العلم والفن إلا من نحو اربعمائة سنة، اي من بعد أن دانت بالانجيل بالف سنة . ومنها بعد أن دانت به بسبعمائة سنة ومنها بثمانمائة سنة الخ وهذه هي القرون المسماة في التاريخ بالقرون الوسطى . ولا نقول ان الاوربيين كانوا في هذه

القرون بأجمعهم هائمين في ظلمات بعضها فوق بعض ، بل نقول ان العرب كانوا أعلى كعبا منهم بكثير في المدنية باقرار مؤرخيهم ، وبرغم انف لويس برتران واضرابه . ومن الكتب المخرجة حديثا الشاهدة بذلك التاريخ العام للكاتب الفيلسوف الانكليزي « ولز » و « تاريخ مدنيات الشرق » لمؤلف افرنسي متخصص في التواريخ الشرقية اسمه « غروسه » فالحقيقة التاريخية المجمع عليها هي واحدة في هذا الموضوع لم يظهر ما ينقضها ولن يظهر ، وهي : ان العرب في القرون الوسطى كانوا أساتيذ الاوربيين ، وكان الواحد من هؤلاء إذا تخرج على العرب تباهى بذلك بين قومه

سبب تأخر أوربة الماضي ونهضتها الحاضرة

أفنجعل هذا التأخر الذي كان عليه الاوربيون في القرون الوسطى مدة الف سنة ناشئا عن النصرانية التي كانت دينهم الذي يعضون عليه بالنواجذ ؟

نعم ، ان الامم البروتستانية منهم تجعل مصدر هذا التأخر الكنيسة البابوية لا النصرانية من حيث هي . وتزعم ان نهضة أوربة لم تبدأ إلا بخروج (لوثيره و كلفين) على الكنيسة الرومانية .

واما فولتير ومن في حزبه من أقطاب الملاحدة فلا يفرقون كثيراً بين الكاثوليك والبروتستانت ، وعندهم ان جميع هذه العقائد واحدة وانها عائقة عن الطور الرقي ، ولهذا قال فولتير تلك الكلمة عندما ذكر لديه لوثير ، وكلفين ، قال : « كلاهما لا يصلح ان يكون حذاء لمحمد » يريد ان ان محمداً (ص) بلغ من الاصلاح ما لم يبلغا أدناه ، مع اعتقاد الكثيرين ان مذهبهما كان فجر أنوار اوربة (١)

والحق الذي لا ارتياب فيه ان النصرانية نفسها لم تكن هي المسؤولة عن

(١) ونحن نعتقد هذا وكان شيخنا الاستاذ الامام واذكياء مريديه كسعد باشا زغلول يعتقدونه ولكن بمعنى سلبي وهو ان هذا المذهب اضعف حجر الكنيسة على العقول البشرية وتقييدها بتعاليمها وفهمها للدين ورأيها في الدنيا ، وكان سبب هذا المذهب ما سرى الى اوربة عقب الحروب الصليبية بمعاشرة المسلمين من استقلال العقل في فهم الدين وعدم سيطرة احد عليهم فيه كما بينه شيخنا في كتاب الاسلام والنصرانية

بجهالة الافرنج المسيحيين مدة الف سنة في القرون الوسطى بل للمسيحية الفضل في تهذيب برابرة أوربة

وهؤلاء اليابانيون هم وثنيون . ومنهم من هم على مذهب بوذا . ومنهم من يقال لهم طاويون ، وكثيرون منهم يتبعون الحكيم الصيني كنفوشيوس . ولقد مضى عليهم نحو الفي سنة ولم تكن لهم هذه المدنية الباهرة ولا هذه القوة والمكانة بين الامم . ثم نهض اليابان من نحو ستين سنة وترقوا وعزوا وغلظ أسرهم، وعلا قدرهم، وصاروا إلى ما صاروا اليه ولم يبرحوا وثنيين

فلا كانت الوثنية إذاً سبب تأخرهم الماضي، ولا هي سبب تقدمهم الحاضر، وقد تفاوت اليابان والروسية وتحاربتا فتغلبت اليابان على الروسية. مع ان اليابانيين في المدد هم نصف الروس، ولكن مما لاشك فيه ان اليابانيين ارقى من الروس، والحال ان الروسية عريقة في النصرانية واليابان عريقة في الوثنية

فليترك اذاً بعض الناس جعل الاديان هي المعيار للتأخر والتقدم (١)

أفنقول من أجل هذا المثال: ان الانجيل هو الذي أخر الروسية عن درجة اليابان، وان عبادة الالهة ابنة الشمس هي التي جذبت بضبع اليابان حتى سبقت الروسية؟

ان لهذه الحوادث أسباباً وعوامل متراكمة ترجع الى أصول شتى فاذا تراكمت هذه العوامل في خير أوشر تغلبت على تأثير الاديان والعقائد، وأصبحت فضائل القوم الاديان عاجزة بازاء شرها، كما أصبحت معايب أسخفها غير مؤثرة في جانب خيرها

ولسنا هنا في صدد أسباب تقدم اليابان السريع حتى نبين ان اعتقاد طائفتهم « وجود حصان مقدس يركبه الاله فلان» لم يقف حائلا دون تقدمهم المبني على ما ركب في فطرتهم من الحماسة ، وما أوتوا من الذكاء، وما أورثهم نظام الاقطاع القديم من التنافس في المجد والقوة

وعندنا أمثلة كثيرة لاتكاد تحصى في هذا الباب اجتزأنا منها بما ذكرناه. ولم نكن لنتعرض لهذا المقام لولا حملات القسوس والمبشرين وكثير من الاوربيين

(١) هذا صحيح في جملة الاديان الا الاسلام فقرآنه وتاريخه يثبتان انه هو سبب تقدم أهله حين اهتدوا به وسبب تأخرهم حين أعرضوا عنها ، فأظلم الظلم أن يجعل سبب تأخرهم

على الاسلام ، وزعمهم انه هو عنوان التأخر ، وانه رمز الجمود ، وتحدثهم بذلك في الاندية والمجامع ، ونشرهم هذه الافتراءات في المجلات والجرائد ، وقولهم ان الشجرة تعرف من ثمارها ، وان حالة العالم الاسلامي الحاضرة هي نتيجة جمود الاسلام ، وتحجر القرآن! (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)

وحسبك أن المسيو « سان القيم الافرنسي السامي » في المغرب ينشر في العدد الاخير من « مجلة الاحياء » الافرنسية مقالة يتكلم فيها من يقظة المغرب بعد « ليل الاسلام » ! هكذا تعبيره

فان كان تأخر إحدى الممالك الاسلامية حقبة من الدهر يجب أن يقال فيه « ليل الاسلام » فكم كان ليل النصرانية طويلا عندما بقيت أوربة المسيحية زهاء ألف سنة وهي في حالة الهمجية او ما يقرب من الهمجية

لماذا أيها الناس تدخلون الاديان فيما هي براءة منه ؟ ولماذا تقحمونها في موضوع يكذبكم فيه التاريخ بأماثيله الجمة

ان ادخال الاديان في هذا المعترك وجعلها هي معيار الترقي والتردي ليس من النصفة في شيء

حث القرآن على العلم باعث للمسلمين على سبق الامم في الرقي

والعالم الاسلامي يمكنه النهوض والرقي واللحاق بالامم العزيزة الغالبة اذا أراد ذلك المسلمون ووطنوا أنفسهم عليه . ولا يزيدهم الاسلام إلا بصيرة فيه وعزما . ولن يجدوا لانفسهم حافزاً على العلم والفن خيراً من القرآن الذي فيه (هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) والذي فيه : (وزاده بسطة في العلم) والذي فيه : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) والذي فيه : (شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط) والذي فيه : (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) والذي فيه : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات) والذي فيه : (ويعلمهم الكتاب والحكمة) وفيه : (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً

كثيراً) وفيه : (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) وغير ذلك من الآيات الكريمة ، وفيه ماهو خاص بالامة العربية: (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) .

وقد زعم بعضهم ومن جملتهم (سيكار) هذا الذي بالمغرب الذي ألف في الطعن على الاسلام ، والذي يكتب في مجلة « مراكش الكاثوليكية » أن المراد بلفظة « العلم » في القرآن هو العلم الديني ولم يكن المقصود به العلم مطلقاً لنستظهر به على قضية تعظيم القرآن للعلم وايجابه للتعليم . وقد أتى سيكار من المغالطة في هذا الباب ما لا يستحق أن يرد عليه لما فيه من المكابرة في المحسوس . وكل من تأمل في مواقع هذه الآيات المتعلقة بالعلم وبالحكمة وغيرها مما يحث على السير في الارض والنظر والتفكر يعلم أن المراد هنا بالعلم هو العلم على اطلاقه متناولا كل شيء ، وأن المراد بالحكمة هي الحكمة العلمية المعروفة عند الناس، وهي غير الآيات المنزلة والكتاب كما يدل عليه العطف وهو يقتضي المغايرة . ويعزز ذلك الحديث النبوي الشهير : « اطلبوا العلم ولو في الصين »[1] . فلو كان المراد بالعلم هو العلم الديني كما زعم سيكار ما كان النبي ﷺ يحث على طلبه ولو في الصين اذ أهل الصين وثنيون لا يجعلهم النبي مرجعاً للعلم الديني، كما لا يخفى .

وفي بعض الآيات من القرائن اللفظية والمعنوية مايقتضي أن المراد بالعلم علم الكون لانه في سياق الخلق والتكوين وهي في القرآن أضعاف الآيات في العبادات العملية كالصلاة والصيام كقوله تعالى (٣٩ : ٢٧ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها . ومن الجبال جدد بيض وحمر ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء) أي العلماء بما ذكر في الآية من الماء والنبات والجبال وسائر المواليد المختلفة الالوان وما فيها من أسرار الخلق لا العلماء بالصلاة والصيام والقيام

(١) تتمته « فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه العقيلي وابن عدي والبيهقي وابن عبد البر عن أنس وفيه عند الاخير زيادة أخرى في فضل العلم

وقد كنا ظننا هذا الرجل على شيء من حب الحقيقة ، فلما أنكر المدنية الاسلامية رددنا عليه في المنار وجادلناه بالتي هي أحسن ، وعظما من قدر المدنية المسيحية ، ووقرنا منها ورددنا على القائلين من الاوربيين بأن النصرانية كانت وقفاً لسير المدنية وسبباً لسقوط اليونان والرومان إلى غير ذلك . فكان من سيكار هذا أن نشر سلسلة مقالات تتضمن من الطعن على الاسلام مالوجئنا نرده لم نستغن عن إيراد شبه واعتراضات تتعلق بالدين المسيحي مما نأبي أن نتعرض له لانه ليس من العدل ولا من الكياسة ولا من حسن الذوق أن نغيظ إخواننا المسيحيين من أجل رجل إسمه سيكار او غيره من هذه الطبقة من الدعاة والمبشرين . هذا زائداً إلى ما رأيناه في كلامه من الخلط والخبط والمغالطة التي من قبيل قوله : ان العلم المقصود في القرآن ليس هو العلم المعروف عند الناس بمفهومه المطلق وإنما هو العلم الديني فقط لأن القرآن لا يهمه شيء من علوم الدنيا ! فمكابر كهذا لا يستحق الجواب .

ثم علمنا أن المسيو سيكار هذا هو من مستخدمي فرنسة في الرباط بادارة الامور الاسلامية وانه هو والمسيو لويس برينو مدير التعليم الاسلامي هناك . والقومندان ماركو مدير قلم المراقبة على الجرائد والمطبوعات ـ والقومندان مارتي مستشار العدلية الاسلامية ـ ورهطا آخرين هم الذين لعبو الدور الاهم في قضية العمل لتنصير البربر . وما كان استخدام فرنسة لهم في مهات كلها عائدة للاسلام إلا على نية نقض كل ما يقدرون عليه من بناء الاسلام بالمغرب . وستذوق فرنسة ولو بعد حين وبال ما عملته وتعمله من التعرض للدين الاسلامي الذي تعهدت في معاهداتها باحترامه .

﴿ المطلوب النهضة القومية دون الدينية ﴾

يقول بعض الناس (١) ما لنا وللرجوع الى القرآن في انبعاث هم المسلمين إلى التعليم فان النهضة لا ينبغي أن تكون دينية بل وطنية قومية كما هي نهضة

---

(١) أي من ملاحدة المسلمين الجاهلين أو المتجاهلين حال أوربة في عصبيتها الدينية

أهل أوربة ، ونجيبهم إن المقصود هو النهضة سواء كانت وطنية أم دينية[1] على شرط أن تتوطن بها النفوس على الحب في حلبة العلم . ولكننا نخشى إن جردناها من دعوة القرآن ، أن تفضي بنا إلى الالحاد والاباحة ، وعبادة الابدان ، واتباع الشهوات ، مما ضرره يفوت نفعه . فلا بد لنا من تربية علمية سائرة جنباً إلى جنب مع تربية دينية ، وهل يظن الناس عندنا في المشرق أن نهضة من نهضات أوربة جرت بدون تربية دينية ؟

أفلم يقل رئيس نظار ألمانية في الرايستاغ منذ ثلاث سنوات : ان ثقافتنا مبنية على الدين المسيحي . وهذا هو اعلان ألمانية التي هي المثل الاعلى في العلم والصناعة واتقان الآلات والادوات ، لا ينازع في ذلك أحد ولا أعداؤها

أفتوجد جامعة في ألمانية او انكلترة او غيرهما من هذه الممالك الراقية بدون أن يكون فيها علم اللاهوت المسيحي ؟[2]

ثم انهم عندما يقولون في اوربة « نهضة وطنية » او « نهضة قومية » او جامعة وطنية ، او « قومية » لا يكون مرادهم بالوطن التراب والماء والشجر والحجر . ولا بالقوم السلالة التي تنحدر كلها من دم واحد . وانما الوطن والقوم عندهم لفظتان تدلان على وطن وامة بما فيهما من جغرافية وتاريخ وثقافة وحرث وعقيدة ودين وخلق وعادة مجموعا ذلك معاً ، وهذا الذي يناضلون عنه ويستبسلون كل هذا الاستبسال من أجله

خلاصة الجواب أن المسلمين ينهضون بمثل ما نهض به غيرهم

إن الواجب على المسلمين لينهضوا ويتقدموا ويعرجوا في مصاعد المجد ويترقوا كما ترقى غيرهم من الامم هو الجهاد بالمال والنفس الذي امر به الله في قرآنه مراراً عديدة وهو ما يسمونه اليوم « بالتضحية »

فلن يتم للمسلمين ولا لأمة من الامم نجاح ولا رقي إلا بالتضحية

وربما كان الشيخ محمد بسيوني عمران أو غيره من السائلين عن رأينا في

---

(١) والمسؤول عنه هو نهضة المسلمين من حيث هم مسلمون (٢) وهذا بعد التربية المنزلية الدينية المحضة والتربية المدرسية الابتدائية والتجهيزية

هذا الموضوع قد ظن أني سأجيبه ان مفتاح الرقي هو قراءة نظريات «اينشتين» في النسبية مثلا أو درس أشعة «رونتجين» أو ميكروبات «باستور» أو التعويل في اللاسلكي على التموجات الصغيرة دون الكبيرة أو درس اختراعات «اديسون» وان سبب حادثة المنطاد الانكليزي الذي سقط أخيراً واحترق هو كونه لم ينفخ بالهليوم وانما نفخ بالهيدروجين ، والحال ان الهيدروجين - وان كان أخف في الوزن - قابل للاشتعال ، وانه لاخوف من اشتعال الهليوم وان كان أثقل شيئا من الهيدروجين - وما أشبه ذلك

والحقيقة أن هذه الامور انما هي فروع لاأصول ، وانها نتائج لامقدمات ، وأن «التضحية» أو الجهاد بالمال وبالنفس هو العلم الأعلى . فاذا تعلمت الامة هذا العلم وعملت به دانت لها سائر العلوم ، ودنت جميع القطوف

وليس بضروري أن يكون صاحب الحاجة عالما بعملها حتى يكون عالما بالاحتياج اليها . قال لي مرة حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني:

«ان الوالد الشفيق يكون من أجهل الجهلاء ، فاذا مرض ابنه اختار له أحذق الاطباء ، وعلم ان هناك شيئا نافعا هو العلم لا يعلم هو شيئاً منه ، ولكنه يعلم بسائق حرصه على حياة ابنه انه ضروري»

ولم يكن محمد علي عالما وربما كان أميا، ولكنه بعث مصر من العدم إلى الوجود في زمن قصير، وصيرها في زمانه من الدول العظام بسائق هذا العلم الاعلى الذي هو الارادة ، وهو الذي يبعث صاحبه إلى التفتيش عن العلوم وحمل الامة عليها

فالمسلمون يمكنهم إذا أرادوا وجردوا العزائم وعملوا بما حرضهم عليه كتابهم أن يبلغوا مبالغ الاوربيين والامريكيين واليابانيين من العلم والارتقاء ، وان يبقوا على اسلامهم كما بقي اولئك على أديانهم ، بل هم اولى بذلك واحرى . فان اولئك رجال ونحن رجال ، وانما الذي ينقصنا الاعمال ، وانما الذي يضرنا هو التشاؤم والاستخذاء وانقطاع الآمال . فلننفض غبار اليأس ولنقدم إلى الامام ، ولنعلم اننا بالفوز كل أمنية بالعمل والدأب والاقدام ، وتحقيق شروط الايمان التي في القرآن (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) شكيب أرسلان

أنباء العالم الإسلامي

﴿ مولانا محمد علي الزعيم الهندي : وفاته ودفنه ﴾

محمد علي وشقيقه شوكت علي زعيمان من زعماء مسلمي الهند السياسيين ، وأولي الشخوص البارزة وأصحاب اللسن والبيان الخطابي والكتابي فيهم، وهما المؤسسان لجمعية الخلافة هنالك، وشهرتهما الواسعة تغني عن تعريفهما ووصفهما وقد سافرا مع وفود من أمراء الهند وزعمائها الى لندن في هذا العام لعقد مؤتمر منهم ومن كبار رجال الحكومة البريطانية للنظر في مشكلة الهند التي تفاقم امرها، وتعذر على الدهاء الانكليزي حل عقدها ، وعقد هنالك المؤتمر وعبر عنه (بمؤتمر المائدة المستديرة) وكان مما قاله محمد علي لرجال الحكومة البريطانية : إننا خرجنا من وطننا منبوذين من أمتنا بالاتحاد اليكم، فاذا لم تجيبونا الى ما يرضيها من الاستقلال فاننا لانستطيع أن نعود الى بلادنا ، وأنا أوطن نفسي على الموت هنا — او ما هذا معناه

وقد كان من قضاء الله وقدره أن اشتد عليه المرض الذي كان عرض له قبل السفر او في اثنائه فتوفي هنالك في شهر شعبان الماضي رحمه الله تعالى، وكان معه أهل بيته . فعزم شقيقه (مولانا شوكت علي) على نقله الى الهند ليدفن فيها ، ولكنه ما لبث ان جاءته برقية من السيد محمد امين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الشرعي الاسلامي فيها يدعوه بها الى دفن شقيقه في حجرة من الحجر التابعة للمسجد الاقصى الذي كان يدافع عنه، فتلقى ذلك هو وأسرة اخيه بالقبول والشكر، وكانوا قد حنطوا الجثة ووضعوها في صندوق محكم — فسافروا بها حتى اذا ما بلغت الباخرة بهم ثغر بور سعيد وجدوا وفوداً كثيرة من مصر وفلسطين تنتظرهم ، ووجدوا الحكومة المصرية قد اعدت جميع وسائل الراحة والضيافة لهم وللوجهاء الذين جاؤا بورسعيد لاستقبالهم ثم لسفرهم الى القدس الشريف

وقد تفضل صاحب الجلالة ملك مصر فأصدر امره بتعزيتهم، وأوفد صاحب الدولة رئيس حكومته مندوبا من قبله للتعزية ، وكذلك صاحب الدولة مصطفى باشا النحاس رئيس الوفد المصري . وكان ممن حضر بورسعيد لاستقبالهم صديقهم رئيس جمعية الشبان المسلمين ومندوب جمعية الرابطة الشرقية وكثير من الوجهاء

تناولوا مع بعض الوجهاء المستقبلين طعام الافطار على مائدة محافظ الثغر بضيافة الحكومة المصرية وباتوا ليلتهم وسافروا في اليوم التالي الى القدس مع كثير من المشيعين ، وكانوا يجدون في كل محطة من محطات السكة الحديدية في فلسطين جماهير المسلمين تعزيهم بادية الحزن والكدر ، حتى اذا ما بلغوا محطة القدس وجدوا فيها ألوفا من اهلها وأهل البلاد التابعة لها وفيهم كثير من النصارى ولكن ليس فيهم احد من اليهود الذين ساءهم دفن هذا الزعيم بجوار المسجد الاقصى الذي كان يدافع عنه وعن حقوق المسلمين في هذه البلاد التي يحاول هؤلاء اليهود انتزاعها منهم . ثم حمل نعش الفقيد الى المسجد الاقصى وكان اليوم يوم الجمعة (٤ رمضان المعظم) فصلي عليه صلاة الجنازة بعد صلاة الجمعة فحضرها ألوف كثيرة وكان يوما مشهوداً من ايام التاريخ التي تؤثر وتدون ، وأبن الفقيد كثير من الخطباء والشعراء وقد اشتركت حكومة فلسطين البريطانية في الاحتفال بجنازة الزعيم بما يليق بها وبمركزه ، وكان اقتراح رئيس المجلس الاسلامي الاعلى مستحسنا ومرضياً عند حكومة لندن وهي التي امرت حكومة فلسطين بالقيام بما يليق بها

وعسى أن لايعقب دفن الزعيم الهندي في هذا المكان القدسي شيئا آخر من بدع القبور المعروفة فيكون إثمه الديني أكبر من نفعه السياسي

وقد اعد صاحب السماحة المفتي ورئيس المجلس الاسلامي موائد الفطر في ذلك اليوم لأسرة الفقيد المرحوم والمشيعين للجنازة من مصر وكثير من غيرها ، وظلت رسائل التعزية البرقية والبريدية تمطر الزعيم شوكت علي عدة ايام والجرائد المصرية والفلسطينية والسورية تفيض انهارها بوصف الجنازة وأخبارها ،

ورسائل التعزية وأشعارها، ثم شاركتها في ذلك جرائد العراق وتونس وغيرها، ويعلم قراء المنار ما كان من الخلاف بيني وبين الزعيمين في مسألة الحجاز، والذين يعلمون ما كان بيننا من التعارف وما بيني وبين المرحوم ، عفا الله عنا وعنه من عهد الاخوة الخاصة ، وعليهم ان يعلموا ذلك من الكتاب الآتي

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد رضا صاحب منار الاسلام

الى الاخ الكبير ، والزعيم الشهير ، والاستاذ النحرير ، مولانا شوكت علي حفظه الله تعالى آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : اما بعد فانني أعزيكم مع المعزين باسم الجامعة الاسلامية ، وأعزيكم مع المعزين باسم الامة العربية ، وأعزيكم مع المعزين باسم الرابطة الشرقية ، وأعزيكم تعزية خاصة شخصية عن اخيكم وأخي في العهد الاسلامي الخاص بي وبه ، الذي عقدناه في جوف بيت الله الحرام حيث اشتركنا في غسل أرضه وجدره بماء زمزم وماء دموعنا ، وتطييبها بعطر الورد ، هنالك تعاقدنا وتعاهدنا على اخوة الاسلام ومودته والقلوب خافقة، والدموع متشابكة

ان أكبر عزاء لكم بعد الايمان ، والتسليم بقضاء الديان ، هذه الالوف الكثيرة التي جاءتكم من مختلف البلدان ، تشاركم في رزئكم وتعده مصابا لها في ملتها وقوميتها ، وان وفاة شقيقكم وجنازته ودفنه بجوار المسجد الاقصى الذي كان يدافع معكم عنه قد كانت خاتمة حسنة في خدمة الاسلام توثقت بها الجامعة الاسلامية العامة ، والعربية الهندية خاصة ، تحفظ له الذكر الخالد ، والمجد الطريف التالد ، فنسأل الله تعالى ان يطيل لها بقاءكم ، ويديم توفيقكم ، وينفع بكم اهل ملتكم ووطنكم ، والسلام من اخيكم الداعي محمد رشيد رضا

شوكت علي في الامصار العربية

رأى (مولانا شوكت علي) بعد الانتهاء من تقبل رسائل التمازي في القدس الشريف ان يزور قواعد الامصار العربية التي اشتركت في تشييع جنازة اخيه

وتأبينه وتعزيته عنه، فزار عمان فمصر فبيروت فدمشق فبغداد فالبصرة، وسافر منها الى الهند وقد تلقاه المسلمون في كل بلد بالحفاوة وحسن الضيافة ، ورغبت اليه الجماعات في كل منها بأن يلقي فيها بعض الخطب والنصائح ، بما لهمن الخبرة والتجارب، فتقبل طلبها بقبول حسن، وألقى في كل من مصر وبيروت ودمشق وبغداد خطبا (او محاضرات) بعضها على الرجال وبعضها على النساء ، كان لها احسن تأثير، وأثنت عليها الجماهير ، وتبارت في حديثها الصحف، وقد سرنا إنه حث في كل منها على التربية الدينية الاسلامية والاعتصام بكتاب الله القرآن ، وسنة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد انفرد بهذه النصائح الثمينة دون امثاله من رجال السياسة ، وأيم الله ان أهل هذه البلاد الاسلامية لأحوج اليها من كل مايلقيه فيها زعماء السياسة ، ومؤسسو الجمعيات والاندية على النساء والرجال

ويلي هذه النصيحة في الفائدة تحذيره النابتة الجديدة من تقليد الافرنج في أزيائهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وإقناع الشبان المفتونين بهذه المظاهر بضررها القومي والسياسي . ومما قاله في جمعية الشبان المسلمين في القاهرة أنه هو تربى وتعلم في البلاد الانكليزية وتخرج في مدرسة أكسفورد الجامعة ، وعاد الى الهند متفرنجا في زيه وهيئته وأكله وشربه ، وأثاث داره ، ولقاء زواره ، وكان يظن ان هذا يقربه إلى الانكليز الحاكمين في بلاده زلفى ، ويزيده عندهم وداً، ولكنه لم يزده إلا امتهانا منهم وبعداً ، فاستيقظ من رقدته ، وتنبه من غفلته ، وعاد إلى شارات قومه وشعائر ملته ، فاضطروا الى احترامه ومراعاة كرامته

ولقد كافأ الزعيم الكريم اخوانه من مسلمي هذه البلاد العربية على تكريمهم له وتعظيمهم إياه وتعزيته في مصابه أفضل المكافأة بهذه النصائح الثمينة التي مهدت تلك الحفاوة والاطراء السبيل لاستماع الجماهير لها والتأمل فيها

ولم يكن هذا الزعيم غافلا في نصائحه الاسلامية عن مراعاة الحقوق الوطنية والتعاون بين المسلمين وغير المسلمين من المشاركين لهم في وطنهم بل اعطى هذه المسألة المهمة حقها في كل مكان ، الا انه جزم بأن الاتفاق بين العرب واليهود الصهيونيين في فلسطين هو وراء حدود الامكان.

السيد أمين الحسيني

لا جرم ان الفضل الأول في هذه الحركة الجديدة من أطوار الجامعتين الاسلامية والشرقية للزعيم العربي الاسلامي الحازم السيد محمد أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى لفلسطين . فأتى فيها تدبيره ، باقصى ماقدر لها تفكيره ، فعلت بها مكانته في البلاد العربية والهندية وغيرها ، على حين لم يظهر في البلاد العربية التي رزئت بالعدوان الأوربي المسمى بالانتداب زعيم اسلامي سياسي غيره لا من بيوتات العلم الديني وشرف النسب كبيته ولا من سائر البيوت العربية ، وانما وجد في سورية والعراق افراد من وجهاء الوطنيين المدنيين يجاهدون عدوان الاستعمار الاجنبي والأمة تشد أزرهم ، ويستمين الاجانب عليهم بصنائعهم من منافقي البلاد يرفعونهم الى مناصب الحكومة لاخلاصهم لهم

صدر أولئك الاجانب المعتدون على استقلال البلاد العربية فرادا منها ليكونوا اعوانا لهم على رسوخ اقدامهم فيها فتصدروا وخدموا مصدريهم بمناصبهم وانما صدر امينا جده وجده فكان مجاهداً للنفوذ الاجنبي الصهيوني ناصراً للقومية العربية وحقوقها الوطنية ، حتى فكر خصومه وخصومها اخيرا في الالتجاء الى بعض اصحاب الالقاب الكبيرة من متصدري الاجانب ليشتروا منهم شرق الاردن وما ألحقوا بها من الحجاز بتكبير اللقب وتوسيع دائرة الملك اللفظي . وان كان صوريا وهميا ، وسنرى مايكون من عاقبة ذلك . وقى الله الاسلام والعرب شره

اقتراح انشاء مدرسة جامعة اسلامية في القدس

اتفق السيد محمد امين الحسيني مع الزعيم شوكت علي على السعي في العالم الاسلامي لانشاء مدرسة عربية اسلامية جامعة في القدس الشريف لتقوية الاسلام والعرب فيها تجاه الخطر الصهيوني والمدارس اليهودية في فلسطين ، وهذه فكرة عالية كبيرة يجب التمهيد لها قبل كل شيء بوضع نظام لجمع المال الكثير الذي يتوقف عليه الشروع فيها بحيث يكون مضمونا لا ريب فيه . وتكون الثقة بالمشروع لامراء فيها

مسيح الهند القادياني الدجال

(٣)

(٢) نسخه للجهاد خدمة للانكليز

لقد كان رد المنار على هذيان القادياني الدجال كشهاب ثاقب أتبعه ، فخلب عقله وخبله ، وأبكاه وملله ، وكان نوراً مضيئاً لعلماء الهند وأصحاب الصحف المنشرة فبادروا إلى نشره بالنص وبالترجمة ، فبعثه ذلك على الرد عليه بكتابه الذي سماه (الهدى والتبصرة لمن يرى) فتخبط فيه تخبط المصروع ، وتململ تململ المسوع ، فجاء بما لا يسمن ولا يغني من جوع ، بل يظل المتغذي به في جوع وبقوع وهقوع ، تارة يمدح وأخرى يذم ، وطوراً يفترض ويظن وآنا يجزم ، وان من المرعى مايقتل حبطا أو يلم ، فلفق وحيه الشيطاني في الرد علي ، وأمواج الشكوك تتقاذفه في سبب ردي عليه ، واني أبدأ الكلام في مسألة الجهاد ، بعبارته في سياق هذا التردد والترداد وهذا نصه :

« ثم مع ذلك تناجيني نفسي في بعض الاوقات أن من الممكن أن يكون مدير المنار بريئاً من هذه الالزامات ، ويمكن أنه ما عمد إلى الاحتقار والنطح كالعجماوات بل أراد أن يعصم كلام الله من صفار الضاهات *) وانما الاعمال بالنيات . فان كان هذا هو الحق فلا شك أنه ادخر لنفسه بهذه المقالات كثيراً من الدرجات فان حب كلام الله يدخل في الجنة ويكون عاصما كالجنة ، وأي ذنب على الذي صبني لحماية الفرقان ، لا للاحتقار وكسر الشان ، وتحابه منحى نصرة الدين ، لالظى التحقير والتوهين . وهل هو في ذلك إلا بمنزلة حماة الاسلام ، والداعين إلى

*) حاشية وأظن انه استشاط من منع الجهاد ووضع الحرب والسيوف الحداد وان الوقت وقت اراءة الآيات لازمان سل المرهفات ولا سيف الا سيف الحجج والبينات فلا شك ان الحرب لاعلاء الدين في هذه الاوقات من اشنع الجهلات ولا اكراه في الدين كما لا يخفى على ذوي الحصاة ـ منه

عزة كلام الله العلام ، الذي هو ملك الكلام ، والله يعلم السر وما أخفى ، ولكل امرىء مانوى » اه

ثم عقد في الكتاب فصلا في ذم علماء زمانه لانهم لم يؤمنوا بانه المهدي والمسيح المنتظر قال فيه مانصه :

« وقد أمروا أن يتبعوا الحكم الذي هو نازل من السماء ، ولا يتصدوا له بالمراء ، فما أطاعوا أمر الله الودود ، بل اذا ظهر فيهم المسيح الموعود فكفروا به كأنهم اليهود . وقد نزل ذلك الموعود عند طوفان الصليب ، وعند تقليب الاسلام كل التقليب ، فهل اتبع العلماء هذا المسيح ؟ كلا بل أكفروه وأظهروا الكفر القبيح ، وأصروا على الاباطيل وخدموا القسوس ، فأخذهم القسوس وشجوا الرءوس وأذاقوهم مايذيقون المحبوس ، فرأوا اليوم المنحوس

« سيقول السفهاء أن الدولة البريطانية أعانت القسيسين ونصرتهم بحيل تشابه الحيل الركيك ، لينصروا المسلمين فما جريمة العالمين ، والامر ليس كذلك والعلماء ليسو بمعذورين ، فان الدولة مانصر القسوس بأموالها ولا بجنود مقاتلين وما أعطتهم حرية أزيد منكم ليرتاب من كان من المرتابين ، بل أشاعت قانونا سواء بيننا وبينهم ولها حق عليكم لو كنتم شاكرين

« أتريدون أن تسيئوا إلى قوم هم أحسنوا اليكم والله لايحب الكفارين الغامطين ومن احسانهم أنكم تعيشون بالامن والامان ، وقد كنتم تخطفون من قبل هذه الدولة في هذه البلدان .

« وأما اليوم فلا يؤذيكم ذباب ولا بقة ولا أحد من الجيران ، وان ليلكم أقرب إلى الأمن من نهار قوم خلت قبل هذا الزمان ، ومن الدولة حفظة عليكم لتعصموا من اللصوص وأهل العدوان ، وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان . انا رأينا من قبلها زمانا موجعاً من دونه الحطمة ، واليوم بجنتها عرضت علينا الجنة نقتطف من ثمارها ونأوي إلى أشجارها ، ولذلك قلت غير مرة ان الجهاد ورفع السيف عليهم ذنب عظيم ، وكيف يؤذي المحسن من هو كريم ، ومن أذى محسنه فهو لئيم »

(للكلام بقية)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ ٢١ الثور سنة ١٣١٠ هـ ش ١٧ مايو سنة ١٩٣١

رسالة في حقيقة الصيام

وما يفطر الصائم بالنص والاجماع وما ألحق به من الرأي والاجتهاد

تتمة ماسبق في الجزء السابع

فصل

وأما الكحل والحقنة وما يقطر في احليله ، ومداواة المأمومة والجائفة ـ فهذا مما تنازع فيه اهل العلم ، فنهم من لم يفطر بشيء من ذلك ، ومنهم من فطر بالجميع لا بالكحل ، ومنهم من فطر بالجميع لا بالتقطير ، ومنهم من لا يفطر بالكحل ولا بالتقطير ويفطر بما سوى ذلك.

والاظهر أنه لا يفطر بشيء من ذلك . فان الصيام من دين المسلمين الذي يحتاج إلى معرفته الخاص والعام ، فلو كانت هذه الامور مما حرمها الله ورسوله في الصيام ، ويفسد الصوم بها لكان هذا مما يجب على الرسول بيانه ، ولو ذكر ذلك لعلمه الصحابة وبلغوه الامة كما بلغوا سائر شرعه . فلما لم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي ﷺ في ذلك لا حديثا صحيحا ولا ضعيفا ولا مسنداً ولا مرسلا ـ علم أنه لم يذكر شيئا من ذلك . والحديث المروي في الكحل ضعيف رواه ابو داود في السنن ولم يروه غيره ولا هو في مسند احمد ولا سائر الكتب المعتمدة

قال ابو داود حدثنا النفيلي ثنا علي بن ثابت حدثني عبد الرحمن بن النعمان ثنا معبد بن هودة عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ «أنه امر بالاثمد المروح عند النوم وقال: ليتقه الصائم» قال ابو داود قال يحيى بن معين : هذا حديث منكر قال المنذري وعبد الرحمن قال يحيى بن معين ضعيف، وقال ابو حاتم الرازي: هو صدوق ، لكن من الذي يعرف اباه وعدالته وحفظه ؟

وكذلك حديث معبد قد عورض بحديث ضعيف وهو مارواه الترمذي بسنده عن أنس بن مالك قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : اشتكيت عيني أفأكتحل وأنا صائم ؟ قال «نعم» قال الترمذي : ليس بالقوي، ولا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء . وفيه ابوعاتكة. قال البخاري منكر الحديث

والذين قالوا ان هذه الامور تفطر كالحقنة ومداواة المأمومة والجائفة لم يكن معهم حجة عن النبي ﷺ ، وانما ذكروا ذلك بما رأوه من القياس ، وأقوى مااحتجوا به قوله « وبالغ في الاستنشاق الا أن تكون صائماً » قالوا فدل ذلك على أن ماوصل إلى الدماغ يفطر الصائم إذا كان بفعله، وعلى القياس كل ماوصل إلى جوفه بفعله من حقنة وغيرها سواء كان ذلك في موضع الطعام والغذاء أو غيره من حشو جوفه

والذين استثنوا التقطير قالوا : التقطير لا ينزل الى جوفه ، وانما يرشح رشحا فالداخل إلى احليله كالداخل إلى فمه وأنفه .

والذين استثنوا الكحل قالوا: العين ليست كالقبل والدبر، ولكن هي تشرب الكحل كما يشرب الجسم الدهن والماء

والذين قالوا الكحل يفطر قالوا : انه ينفذ إلى داخله حتى يتنخمه الصائم لان في داخل العين منفذاً إلى داخل الحلق ،

وإذا كان عمدتهم هذه الاقيسة ونحوها لم يجز افساد الصوم بمثل هذه الاقيسة لوجوه:

(أحدها) ان القياس وإن كان حجة إذا اعتبرت شروط صحته فقد قلنا في الاصول إن الاحكام الشرعية بينتها النصوص أيضا ، وإن دل القياس الصحيح على مثل مادل عليه النص دلالة خفية، فاذا علمنا بان الرسول لم يحرم الشيء ولم يوجبه علمنا انه ليس بحرام ولا واجب. وان القياس المثبت لوجوبه وتحريمه فاسد ، ونحن نعلم أنه ليس في الكتاب والسنة مايدل على الافطار بهذه الاشياء فعلمنا انها ليست مفطرة

(الثاني) ان الاحكام التي تحتاج الامة إلى معرفتها لابد أن يبينها الرسول

ﷺ بيانا عاما، ولا بد أن تنقلها الامة، فاذا انتفى هذا علم أن هذا ليس من دينه

وهذا كما يعلم انه لم يفرض صيام شهر غير رمضان ، ولا حج بيت غير البيت الحرام ، ولا صلاة مكتوبة غير الخمس ، ولم يوجب الغسل في مباشرة المرأة بلا إنزال ، ولا أوجب الوضوء من الفزع العظيم وان كان في مظنة خروج الخارج ، ولا سن الركعتين بعد الطواف بين الصفا والمروة كما سن الركعتين بعد الطواف بالبيت ، وبهذا يعلم ان المني ليس بنجس، لانه لم ينقل عن أحد باسناد يحتج به انه أمر المسلمين بغسل أبدانهم وثيابهم من المني مع عموم البلوى بذلك، بل أمر الحائض أن تغسل قميصها من دم الحيض مع قلة الحاجة إلى ذلك ،ولم يأمر المسلمين بغسل أبدانهم وثيابهم من المني

والحديث الذي يرويه بعض الفقهاء « يغسل الثوب من البول والغائط والمني والمذي والدم » ليس من كلام النبي ﷺ ، وليس في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها ولا رواه أحد من أهل العلم بالحديث باسناد يحتج به .وروي عن عمار وعائشة من قولهما

وغسل عائشة للمني من ثوبه وفركها إياه لا يدل على وجوب ذلك ، فان الثياب تغسل من الوسخ والمخاط والبصاق، والوجوب إنما يكون بامره ، لاسيما ولم يأمر هو سائر المسلمين بغسل ثيابهم من ذلك ،ولا نقل انه أمر عائشة بذلك، بل أقرها على ذلك ،فدل على جوازه أوحسنه واستحبابه

وأما الوجوب فلا بد له من دليل

وبهذه الطرق يعلم ايضاً انه لم يوجب الوضوء من لمس النساء ولا من النجاسات الخارجة من غير السبيلين فانه لم ينقل احد عنه باسناد يثبت مثله انه امر بذلك، مع العلم بان الناس كانوا لايزالون يحتجمون ويتقيؤن ويجرحون في الجهاد

وغير ذلك، وقد قطع عرق بعض اصحابه ليخرج منه الدم وهو الفصاد، ولم ينقل عنه مسلم انه امر اصحابه بالتوضؤ من ذلك،

وكذلك الناس لا يزال احدهم يلمس امرأته بشهوة وبغير شهوة ولم ينقل عنه مسلم انه امر الناس بالتوضؤ من ذلك، والقرآن لا يدل على ذلك، بل المراد بالملامسة الجماع كما بسط في موضعه. وامره بالوضوء من مس الذكر انما هو استحباب إما مطلقا وإما اذا حرك الشهوة. وكذلك يستحب لمن لمس النساء فتحركت شهوته ان يتوضأ، وكذلك من تفكر فتحركت شهوته فانتشر، وكذلك من مس الامرد او غيره فانتشر

فالتوضؤ عند تحرك الشهوة من جنس التوضؤ عند الغضب، وهذا مستحب لما في السنن عن النبي ﷺ انه قال « ان الغضب من الشيطان وان الشيطان من النار وانما تطفأ النار بالماء، فاذا غضب احدكم فليتوضأ » وكذلك الشهوة الغالبة هي من الشيطان والنار، والوضوء يطفئها فهو يطفئ حرارة الغضب. والوضوء من هذا مستحب. وكذلك امره بالوضوء مما مسته النار امر استحباب لان ما مسته النار يخالط البدن. فليتوضأ فان النار تطفأ بالماء. وليس في النصوص مايدل على انه منسوخ، بل النصوص تدل على أنه ليس بواجب، واستحباب الوضوء من أعدل الاقوال: من قول من يوجبه وقول من يراه منسوخا. وهذا أحد القولين في مذهب احمد وغيره،

وكذلك بهذه الطريق يعلم ان بول ما يؤكل لحمه وروثه ليس بنجس، فان هذا مما تعم به البلوى، والقوم كانوا أصحاب ابل وغنم، يقعدون ويصلون في أمكنتها وهي مملوءة من أبعارها، فلو كانت بمنزلة المراحيض كانت تكون حشوشا. وكان النبي ﷺ يأمرهم باجتنابها، وأن لا يلوثوا أبدانهم وثيابهم بها ولا يصلون فيها. فكيف وقد ثبتت الاحاديث بان النبي ﷺ وأصحابه كانوا يصلون في

مرابض الغنم، وأمر بالصلاة في مرابض الغنم، ونهى عن الصلاة في معاطن الابل فعلم أن ذلك ليس لنجاسة الابعار ، بل كما أمر بالتوضؤ من لحوم الابل، وقال في الغنم إن شئت فتوضأ وإن شئت فلا تتوضأ ، وقال « ان الابل خلقت من جن ، وان على ذروة كل بعير شيطانا » وقال « الفخر والخيلاء في الفدا دين أصحاب الابل ، والسكينة في أهل الغنم »

فلما كانت الابل فيها من الشيطنة مالا يحبه الله ورسوله أمر با توضؤ من لحمها فان ذلك يطفيء تلك الشيطنة ، ونهى عن الصلاة في أعطانها لانها مأوى الشياطين، كما نهى عن الصلاة في الحمام لانها مأوى الشياطين

فان مأوى الارواح الخبيثة أحق بان تجتنب الصلاة فيه وفي موضع الاجسام الخبيثة ، بل الارواح الخبيثة تحب الاجسام الخبيثة .

ولهذا كانت الحشوش محتضرة تحضرها الشياطين والصلاة فيها أولى بالنهي من الصلاة في الحمام ومعاطن الابل ، والصلاة على الارض النجسة ، ولم يرد في الحشوش نص خاص لان الامر فيها كان أظهر عند المسلمين أن يحتاج الى بيان

ولهذا لم يكن أحد من المسلمين يقعد في الحشوش ولا يصلي فيها ، وكانوا ينتابون البرية لقضاء حوائجهم قبل ان تتخذ الكنف في بيوتهم

واذا سمعوا نهيه عن الصلاة في الحمام او اعطان الابل علموا أن النهي عن الصلاة في الحشوش أولى وأحرى، مع انه قد روي الحديث الذي فيه النهي عن الصلاة في المقبرة والمجزرة والمزبلة والحشوش وقارعة الطريق ومعاطن الابل ، وظهر بيت الله الحرام .

وأصحاب الحديث متنازعون فيه وأصحاب احمد فيه على قولين: منهم من يرى هذه من مواضع النهي ومنهم من يقول لم يصح هذا الحديث، ولم أجد في كلام احمد في ذلك اذنا ولا منعا، مع انه قد كره الصلاة في مواضع العذاب . نقله عنه

ابنه عبدالله للحديث المسند في ذلك عن علي الذي رواه أبو داود ، وانما نص على الحشوش واعطان الابل والحمام وهذه الثلاثة هي التي ذكرها الخرقي وغيره

والحكم في ذلك عند من يقول به قد يثبته بالقياس على موارد النص وقد يثبته بالحديث ، ومن فرق يحتاج إلى الطعن في الحديث وبيان الفارق ، وأيضاً المنع قد يكون منع كراهة ، وقد يكون منع تحريم

فاذا كانت الاحكام التي تعم بها البلوى لابد أن يبينها الرسول ﷺ بيانا عاما ولا بد ان تنقل الامة ذلك ، فمعلوم أن الكحل ونحوه مما تعم به البلوى كما تعم بالدهن والاغتسال والبخور والطيب. فلو كان هذا مما يفطر لبينه النبي ﷺ كما بين الافطار بغيره ، فلما لم يبين ذلك علم انه من جنس الطيب والبخور والدهن ، والبخور قد يتصاعد إلى الانف ويدخل في الدماغ وينعقد أجساما ، والدهن يشربه البدن ويدخل الى داخله ويتقوى به الانسان ، وكذلك يتقوى بالطيب قوة جيدة ، فلما لم ينه الصائم عن ذلك دل على جواز تطييبه وتبخيره وادهانه ، وكذلك اكتحاله .وقد كان المسلمون في عهده ﷺ يجرح أحدهم إما في الجهاد وإما في غيره مأمومة وجائفة فلو كان هذا يفطر لبين لهم ذلك ، فلما لم ينه الصائم عن ذلك علم انه لم يجعله مفطراً

(الوجه الثالث) اثبات التفطير بالقياس يحتاج الى أن يكون القياس صحيحا وذلك إما قياس علة بإثبات الجامع ، واما بالغاء الفارق ، فاما أن يدل دليل على العلة في الاصل معدى لها إلى الفرع ، واما ان يعلم ان لافارق بينهما من الاوصاف المعتبرة في الشرع ، وهذا القياس هنا منتف

وذلك انه ليس في الادلة مايقتضي أن المفطر الذي جعله الله ورسوله مفطراً هو ما كان واصلا الى دماغ او بدن، او ما كان داخلا من منفذ، أو واصلا إلى الجوف، ونحو ذلك من المعاني التي يجعلها أصحاب هذه الاقاويل هي مناط الحكم عند الله

ورسوله ، ويقولون ان الله ورسوله انما جعل الطعام والشراب مفطراً لهذا المعنى المشترك من الطعام والشراب،ومما يصل الى الدماغ والجوف من دواء المأمومة والجائفة وما يصل الى الجوف من الكحل ومن الحقنة والتقطير في الاحليل ونحو ذلك ،

وإذا لم يكن على تعليق الله ورسوله للحكم بهذا الوصف دليل كان قول القائل: ان الله ورسوله انما جعلا هذا مفطراً لهذا - قولا بلا علم ، وكان قوله « ان الله حرم على الصائم أن يفعل هذا» قولا بان هذا حلال وهذا حرام، بلا علم، وذلك يتضمن القول على الله بما لا يعلم ، وهذا لايجوز

ومن اعتقد من العلماء أن هذا المشترك مناط الحكم فهو بمنزلة من اعتقد صحة مذهب لم يكن صحيحاً أو دلالة لفظ على معنى لم يرده الرسول ، وهذا اجتهاد يثابون عليه ، ولا يلزم أن يكون قولا بحجة شرعية يجب على المسلم اتباعها

(الوجه الرابع) أن القياس انما يصح إذا لم يدل كلام الشارع على علة الحكم(١) إذا سبرنا أوصاف الاصل فلم يكن فيها مايصلح للعلة إلا الوصف المعين ، وحيث أثبتنا علة الاصل بالمناسبة أو الدوران أو الشبه المطرد عند من يقول به ، فلابد من السبر ، فاذا كان في الاصل وصفان مناسبان لم يجز أن يقول الحكم بهذا دون هذا .

ومعلوم أن النص والاجماع أثبتا الفطر بالاكل والشرب والجماع والحيض والنبي ﷺ قد نهى المتوضيء عن المبالغة في الاستنشاق إذا كان صائماً، وقياسهم على الاستنشاق أقوى حججهم كما تقدم،وهو قياس ضعيف ، وذلك لان (من) نشق الماء بمنخريه ينزل الماء إلى حلقه وإلى جوفه، فحصل له بذلك مايحصل للشارب بفمه ويغذي بدنه من ذلك الماء ، ويزول العطش ويطبخ الطعام في معدته كما يحصل بشرب الماء ، فلو لم يرد النص بذلك لعلم بالعقل أن هذا من جنس الشرب فانهما

---

(١) يعني ان القياس انما يصح في حالة عدم دلالة نص الشارع على علة الحكم بالشرط الآتي

لا يفترقان إلا في دخول الماء من الفم ، وذلك غير معتبر ، بل دخول الماء إلى الفم وحده لا يفطر ، فليس هو مفطراً ولا جزءاً من المفطر لعدم تأثيره ، بل هو طريق إلى الفطر ، وليس كذلك الكحل والحقنة ومداواة الجائفة والمأمومة . فان الكحل لا يغذي ألبتة ولا يدخل أحد كحلا إلى جوفه لا من أنفه ولا فمه ، وكذلك الحقنة لا تغذي بل تستفرغ ما في البدن كما لو شم شيئا من المسهلات ، أو فزع فزعا أوجب استطلاق جوفه وهي لا تصل إلى المعدة(١)

والدواء الذي يصل إلى المعدة في مداواة الجائفة والمأمومة لا يشبه ما يصل اليها من غذائه(٢) والله سبحانه قال (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) وقال ﷺ « الصوم جنة » وقال « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع بالصوم »(٣)

فالصائم نهي عن الاكل والشرب لان ذلك سبب التقوي . فترك الاكل والشرب الذي يولد الدم الكثير الذي يجري فيه الشيطان ، إنما يتولد من الغذاء

«١» قال في المصباح : وحقنت المريض اذا أوصلت الدواء الى باطنه من مخرجه بالمحقنة بالكسر ، واحتقن هو ، والاسم الحقنة مثل الفرقة من الافتراق . ثم اطلقت على ما يتداوى به ، والجمع حقن مثل غرفة وغرف — اهـ . فهذه هي الحقنة التي يقول شيخ الاسلام انها لا تفطر الصائم وقوله حق . ولكن يوجد في هذا الزمان حقن آخر وهو إيصال بعض المواد المغذية الى الامعاء يقصد بها تغذية بعض المرضى والامعاء من الجهاز الهضمي كالمعدة وقد تغني عنها ، فهذا النوع من الحقنة يفطر الصائم فهو لا يباح له الا في المرض المبيح للفطر «٢» الجائفة الجراحة التي تصل الى الجوف . والمأمومة الشجة في الرأس تصل الى ام الدماغ : ومداوتهما ليس فيه تغذية في الصيام

(٣) الحديث الاول رواه النسائي عن معاذ بهذا اللفظ . وروي بزيادة وبلفظ الصيام . والثاني متفق عليه من حديث أنس وصفية بدون « فضيقوا مجاريه بالجوع » وقد ذكره الغزالي في الاحياء بها ولم يذكر الحافظ العراقي لها أصلا ، ولم يذكرها الشيخ عند ما أعاد الحديث وزيادة

لا عن حقنة ولا كحل، ولا مايقطر في الذكر، ولا مايداوى به المأمومة والجائفة، وهو متولد عما استنشق من الماء لان الماء مما يتولد من الدم فكان المنع منه من تمام الصوم.

فاذا كانت هذه المعاني وغيرها موجودة في الاصل الثابت بالنص والاجماع فدعواهم ان الشارع علق الحكم بما ذكروه من الاوصاف معارض بهذه الاوصاف. والمعارضة تبطل كل نوع من الاقيسة ان لم يتبين أن الوصف الذي ادعوه هو العلة دون هذا

(الوجه الخامس) انه ثبت بالنص والاجماع منع الصائم من الاكل والشرب والجماع، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» ولا ريب أن الدم يتولد من الطعام والشراب، وإذا أكل أو شرب اتسعت مجاري الشياطين(١) وإذا صام ضاقت وانبعثت القلوب إلى فعل الخيرات التي بها تفتح أبواب الجنة، وإلى ترك المنكرات التي بها تفتح أبواب النار، وصفدت الشياطين فضعفت قوتهم وعملهم بتصفيدهم فلم يستطيعوا أن يفعلوا في شهر رمضان ما كانوا يفعلونه في غيره، ولم يقل انهم قتلوا ولا ماتوا، بل قال: «صفدوا» والمصفد من الشياطين قد يؤذي، لكن هذا أقل وأضعف مما يكون في غير رمضان، فهو بحسب كمال الصوم ونقصه، فمن كان صومه كاملا دفع الشيطان دفعا لا يدفعه الصوم الناقص، فهذه المناسبة ظاهرة في منع الصائم من الاكل والشرب، والحكم ثابت على وفقه وكلام الشارع قد دل على اعتبار هذا الوصف وتأثيره، وهذا المنع منتف في الحقنة والكحل وغير ذلك

(فان قيل) بل الكحل قد ينزل إلى الجوف ويستحيل دما. (قيل) هذا كما قد يقال في البخار الذي يصعد من الانف إلى الدماغ فيستحيل دما، وكالدهن الذي يشربه الجسم. والممنوع منه إنما هو ما يصل إلى المعدة فيستحيل دما ويتوزع على البدن،

---

(١) وهي الشهوات

ونجعل هذا وجها خامسا فنقيس الكحل والحقنة ونحو ذلك على البخور والدهن ونحو ذلك ؛ لجامع مايشتركان فيه من أن ذلك ليس مما يتغذى به البدن ويستحيل في المعدة دما ، وهذا الوصف هو الذي أوجب أن لاتكون هذه الامور مفطرة ، وهذا موجود في محل النزاع . والفرع قد يتجاذبه أصلان فيلحق كلا منهما بما يشبهه من الصفات

(فان قيل) هذا تطبخه المعدة ويستحيل دما ينمو عنه البدن لكنه غذاء ناقص فهو كالو أكل سما او نحوه مما يضره وهو بمنزلة من أكل أكلا كثيراً أورثه تخمة ومرضاً. فكان منعه في الصوم عن هذا أوكد لانه ممنوع عنه في الافطار وبقي الصوم أوكد، وهذا كمنعه من الزنى فانه اذا منع من الوطء المباح فالمحظور أولى .

(فان قيل) فالجماع مفطر وهذه العلة منتفية فيه ؟

(قيل) تلك أحكام ثابتة بالنص والاجماع فلا يحتاج اثباتها الى القياس ، بل يجوز أن تكون العلل مختلفة فيكون تحريم الطعام والشراب والفطر بذلك لحكمة، وتحريم الجماع والفطر به لحكمة، والفطر بالحيض لحكمة، فان الحيض لايقال فيه انه يحرم وهذا لان المفطرات بالنص والاجماع لما انقسمت الى أمور اختيارية تحرم على العبد كالأكل والجماع ، والى أمور لا اختيار له فيها كدم الحيض ، كذلك تنقسم عللها

(فنقول) أما الجماع فانه باعتبار انه سبب انزال المني يجري مجرى الاستقاءة والحيض والاحتجام كما سنبينه ان شاء الله تعالى - فانه من نوع الاستفراغ لا الامتلاء كالأكل والشرب ، ومن جهة انه احدى الشهوتين يجري مجرى الأكل والشرب وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن الله تعالى « الصوم لي وأنا أجزي به ؛ يدع شهوته وطعامه من أجلي » فترك الانسان مايشتهيه لله هو عبادة مقصودة يثاب عليها كما يثاب المحرم على ترك ما اعتاده من اللباس والطيب ونحو ذلك من نعيم البدن ، والجماع من أعظم نعيم البدن وسرور النفس وانبساطها ، وهو يحرك الشهوة والدم والبدن أكثر من الاكل ، فاذا كان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم . والغذاء يبسط الدم الذي هو مجاريه ، فاذا أكل أوشرب

انبسطت نفسه إلى الشهوات ، وضعفت إرادتها ومحبتها للعبادات، فهذا المعنى في الجماع أبلغ، فانه يبسط إرادة النفس للشهوات، ويضعف إرادتها عن العبادات أعظم، بل الجماع هو غاية الشهوات وشهوته أعظم من شهوة الطعام والشراب، ولهذا أوجب على المجامع كفارة الظهار فوجب عليه العتق أو مايقوم مقامه بالسنة والاجماع، لان هذا أغلظ، وداعيه أقوى، والمفسدة به أشد. فهذا أعظم الحكمتين في تحريم الجماع

وأما كونه يضعف البدن كالاستفراغ فذاك حكمة أخرى فصار فيه كالاكل والحيض وهو في ذلك أبلغ منهما فكان افساده الصوم أعظم من افساد الاكل والحيض

*
* *

فنذكر حكمة الحيض وجريان ذلك على وفق القياس ، فنقول : إن الشرع جاء بالعدل في كل شيء . والاسراف في العبادات من الجور الذي نهى عنه الشارع وأمر بالاقتصاد في العبادات ، ولهذا أمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور ونهى عن الوصال وقال « أفضل الصيام وأعدل الصيام صيام داود عليه السلام ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى» فالعدل في العبادات من أكبر مقاصد الشارع ، ولهذا قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ماأحل الله لكم) الآية . فجعل تحريم الحلال من الاعتداء المخالف للعدل وقال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) فلما كانوا ظالمين عوقبوا بأن حرمت عليهم الطيبات، بخلاف الامة الوسط العدل فانه أحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث

واذا كان كذلك فالصائم قد نهي عن أخذ مايقويه ويغذيه من الطعام والشراب فينهى عن اخراج مايضعفه ويخرج مادته التي بها يتغذى ، وإلا فاذا مكن من هذا ضره وكان متعديا في عبادته لا عادلا

فالخارجات نوعان: نوع يخرج لايقدر على الاحتراز منه أو على وجه لايضره فهذا لايمنع منه كالاخبثين، فان خروجهما لايضره ولايمكنه الاحترازمنه أيضاً ، ولو استدعى خروجهما فان خروجهما لا يضره بل ينفعه . وكذلك اذا ذرعه القيء لايمكنه الاحتراز منه ، وكذلك الاحتلام في النام لا يمكنه الاحتراز منه

وأما اذا استقاء فالقيء يخرج ما يتغذى به من الطعام والشراب المستحيل في المعدة ، وكذلك الاستمناء مع ما فيه من الشهوة فهو يخرج المني الذي هو مستحيل في المعدة عن الدم فهو يخرج الدم الذي يتغذى به ، ولهذا كان خروج المني اذا أفرط فيه يضر الانسان ويخرج احمر

والدم الذي يخرج بالحيض فيه خروج الدم ، والحائض يمكنها ان تصوم في غير أوقات الدم في حال لا يخرج فيها دمها فكان صومها في تلك الحال صوما معتدلا لا يخرج فيه الدم الذي يقوي البدن الذي هو مادته ، وصومها في الحيض يوجب أن يخرج فيه دمها ، ويوجب نقصان بدنها وضعفها وخروج صومها عن الاعتدال ، فأمرت ان تصوم في غير أوقات الحيض

بخلاف المستحاضة فان الاستحاضة تعم الزمان وليس لها وقت تؤمر فيه بالصوم وكان ذلك لا يمكن الاحتراز منه كذرع القيء وخروج الدم بالجراح والدمامل والاحتلام ونحو ذلك مما ليس له وقت محدد يمكن الاحتراز منه . فلم يجعل هذا منافيا للصوم كدم الحيض ،

وطرد هذا اخراج الدم بالحجامة والفصاد ونحو ذلك فان العلماء متنازعون في الحجامة هل تفطر الصائم أم لا ؟ والاحاديث الواردة عن النبي ﷺ في قوله « أفطر الحاجم والمحجوم » كثيرة قد بينها الأئمة الحفاظ

وقد كره غير واحد من الصحابة الحجامة للصائم وكان منهم من لا يحتجم إلا بالليل . وكان أهل البصرة اذا دخل شهر رمضان أغلقوا حوانيت الحجامين والقول بان الحجامة تفطر مذهب أكثر فقهاء الحديث كأحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه وابن خزيمة وابن المنذر وغيرهم

وأهل الحديث الفقهاء فيه العاملون به أخص الناس باتباع محمد ﷺ والذين لم يروا افطار المحجوم احتجوا بما ثبت في الصحيح «أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم محرم » وأحمد وغيره طعنوا في هذه الزيادة وهي قوله « وهو صائم » وقالوا الثابت انه احتجم وهو محرم. قال أحمد قال يحي بن سعيد قال شعبة لم يسمع الحكم حديث مقسم في الحجامة للصائم، يعني حديث شعبة عن الحكم عن مقسم عن ابن

عباس ان النبي ﷺ احتجم وهو صائم محرم

قال مهنا: سألت أحمد عن حديث حبيب بن الشهيد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم محرم. فقال ليس بصحيح ، وقد أنكره يحيى بن سعيد الانصاري ، قال الاثرم سمعت أبا عبد الله رد هذا الحديث فضعفه وقال: كانت كتب الانصاري ذهبت في أيام المنتصر فكان بعد يحدث من كتب غلامه وكان هذا من تلك

وقال مهنا: سألت احمد عن حديث قبيصة عن سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الخ فقال: هو خطأ من قبل قبيصة . وسألت يحيى عن قبيصة فقال: رجل صدق ، والحديث الذي يحدث به عن سفيان عن سعيد خطأ من قبله

قال مهنا سألت احمد عن حديث ابن عباس ان النبي ﷺ احتجم وهو محرم صائم فقال ليس فيه «صائم» انما هو «محرم» ذكره سفيان عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس احتجم النبي ﷺ على رأسه وهو محرم . وعن طاوس وعطاء مثله عن ابن عباس ، وعن عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس مثله ، وهؤلاء أصحاب ابن عباس لا يذكرون صائما

(قلت) وهذا الذي ذكره الامام احمد هو الذي اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم ، ولهذا أعرض مسلم عن الحديث الذي ذكر حجامة الصائم ولم يثبتا إلا حجامة المحرم . وتأولوا أحاديث الحجامة بتأويلات ضعيفة كقولهم: كانا يغتابان وقولهم أفطرا لسبب آخر . وأجود ماقيل ماذكره الشافعي وغيره أن هذا منسوخ فان هذا القول كان في رمضان واحتجامه وهو محرم كان بعد ذلك لان الاحرام بعد رمضان . وهذا أيضا ضعيف بل هو صلوات الله عليه أحرم عام الحديبية بعمرة في ذي القعدة ، وأحرم من العام القابل بعمرة القضية في ذي القعدة ، وأحرم من العام الثالث سنة الفتح من الجعرانة في ذي القعدة ، وأحرم سنة عشر بحجة الوداع في ذي القعدة ، فاحتجامه وهو محرم صائم لم يبين في أي الاحرامات كان ، والذي يقوي ان إحرامه الذي احتجم فيه كان قبل فتح مكة ، وقوله «أفطر الحاجم والمحجوم» فانه كان عام الفتح بلا ريب هكذا في اجود الاحاديث

قال احمد: أنبأنا اسماعيل عن خالد الحذاء عن ابي قلابة عن الاشعث عن شداد

ابن اوس انه مر مع النبي ﷺ زمن الفتح على رجل محتجم بالبقيع لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان فقال « أفطر الحاجم والمحجوم » وقال الترمذي سألت البخاري فقال ليس في هذا الباب أصح من حديث شداد بن أوس وحديث ثوبان. فقلت ومافيه من الاضطراب؟ فقال كلاهما عندي صحيح ،لان يحيى بن سعيد روى عن أبي قلابة عن أبي اسماء عن ثوبان عن ابي الاشعث عن شداد الحديثين جميعاً

(قلت) وهذا الذي ذكره البخاري من أظهر الادلة على صحة كلا الحديثين اللذين رواهما ابو قلابة ــ الى ان قال ــ ومما يقوي ان الناسخ هو الفطر بالحجامة أن ذلك رواه عنه خواص اصحابه الذين كانوا يباشرونه حضراً وسفراً ، ويطلعون على باطن امره مثل بلال وعائشة ،ومثل اسامة وثوبان مولياه ،ورواه عنه الانصار الذين هم بطانته مثل رافع بن خديج وشداد بن اوس

وفي مسند احمد عن رافع بن خديج عن النبي ﷺ قال « أفطر الحاجم والمحجوم » قال أحمد اصح شيء في هذا الباب حديث رافع ، وذكر أحاديثه «أفطر الحاجم والمحجوم» إلى أن قال: ثم اختلفوا على اقوال (احدها) يفطر المحجوم دون الحاجم ، ذكره الخرقي ، لكن النصوص عن احمد وجمهور اصحابه الافطار بالامرين ،والنص دال على ذلك فلا سبيل إلى تركه (والثاني) انه يفطر المحجوم الذي يحتجم ويخرج منه الدم ، ولا يفطر بالافتصاد ونحوه لانه لا يسمى احتجاما ، وهذا قول القاضي وأصحابه، فالتشريط في الآذان هل هو داخل في مسمى الحجامة؟ تنازع فيه المتأخرون فبعضهم يقول التشريط كالحجامة كما يقوله شيخنا ابو محمد المقدسي ، وعليه يدل كلام العلماء قاطبة ، فليس منهم من خص التشريط بذكر ولو كان عندهم لايدخل في الحجامة لذكروه كما ذكروا الفصاد فعلم ان التشريط عندهم من نوع الحجامة ، وقال شيخنا ابو محمد هذا هو الصواب إلى أن قال :

(والرابع) وهو الصواب واختاره ابو المظفر ابن هبيرة الوزير العالم العادل وغيره انه يفطر بالحجامة والفصاد ونحوهما، وذلك لان المعنى الموجود في الحجامة موجود في الفصاد شرعا وطبعا، وحيث حض النبي ﷺ على الحجامة وأمر بها فهو حض على مافي معناها من الفصاد وغيره، لكن الارض الحارة تجتذب الحرارة فيها دم البدن فيصعد

إلى سطح الجلد فيخرج بالحجامة والأرض الباردة يغور الدم فيها إلى العروق هربا من البرد، فإن شبه الشيء منجذب إليه كما تسخن الأجواف في الشتاء وتبرد في الصيف، فأهل البلاد الباردة لهم الفصاد وقطع العروق. كالبلاد الحارة الحجامة لا فرق بينهما في شرع ولا عقل

وقد بينا أن الفطر بالحجامة على وفق الأصول والقياس، وأنه من جنس الفطر بدم الحيض والاستقاءة وبالاستمناء. وإذا كان كذلك فبأي وجه أراد إخراج الدم أفطر كما أنه بأي وجه أخرج القيء أفطر سواء جذب القيء بإدخال يده أو بشم ما يقيئه أو وضع يده تحت بطنه واستخرج القيء، فتلك طرق لإخراج القيء وهذه طرق لإخراج الدم، ولهذا كان خروج الدم بهذا وهذا سواء في باب الطهارة، فبين بذلك كمال الشرع واعتداله وتناسبه، وأن ما ورد من النصوص ومعانيها فإن بعضه يصدق بعضا ويوافقه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)،

وأما الحاجم فإنه يجتذب الهواء الذي في القارورة بامتصاصه، والهواء يجتذب ما فيها من الدم فربما صعد مع الهواء شيء من الدم ودخل في حلقه وهو لا يشعر والحكمة إذا كانت خفية أو مستترة علق الحكم بالمظنة كما أن النائم الذي يخرج منه الريح ولا يدري يؤمر بالوضوء، فكذلك الحاجم يدخل شيء من الدم مع ريقه إلى بطنه وهو لا يدري.

والدم من أعظم المفطرات فإنه حرام في نفسه لما فيه من طغيان الشهوة، والخروج عن العدل، والصائم أمر بحسم مادته. فالدم يزيد الدم فهو من جنس المحظور. فيفطر الحاجم لهذا كما ينقض وضوء النائم وإن لم يستيقن خروج الريح منه لأنه يخرج ولا يدري وكذلك الحاجم قد يدخل الدم في حلقه وهو لا يدري.

وأما الشارط فليس بحاجم، وهذا المعنى منتف فيه فلا يفطر الشارط وكذلك لو قدر حاجم لا يمص القارورة بل يمتص غيره أو يأخذ الدم بطريق أخرى لم يفطر والنبي ﷺ كلامه خرج على الحاجم المعروف المعتاد، وإذا كان اللفظ عاما وإن كان قصده شخصا بعينه فيشترك في الحكم سائر النوع للعادة الشرعية من أن ما ثبت في حق الواحد من الأمة ثبت في حق الجميع. فهذا أبلغ فلا يثبت بلفظه ما يظهر لفظا ومعنى أنه لم يدخل فيه مع بعده عن الشرع والعقل، والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا آمين.

نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها

وبعثة محمد خاتم النبيين

للناس أجمعين (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وخاتم النبيين ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أيها السادة

ان موضوع الليلة هو بيان نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها من الشرائع ، وبعبارة أصح : بيان عموم بعثة نبينا محمد ﷺ ، وأن الله تعالى أرسله للناس أجمعين ، سواء أصحاب الاديان السماوية وغيرهم.

وقبل الكلام على هذا الموضوع لابد لنا من تمهيد ندخل به اليه ، وهو وإن كان تمهيداً فيما يبدو ، إلا ان له اتصالا قويا بهذا الموضوع في الحقيقة ، حتى كأنه أحد أجزاء.

(التمهيد) من المعلوم عندنا من الدين بالضرورة أن الله تعالى لم يبعث لرسل إلا لاصلاح العالم بمعرفته وعبادته وحده واجتناب عبادة الطاغوت، وإيضاح الطريق اليه، لإتمام المجازاة بين العباد يوم الرجوع اليه ، كما كانت البداية منه . يوافقنا على هذا أصحاب الاديان الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولقد آزر أصحاب الاديان في ذلك العقل الانساني ، المجرد عن أهواء النفس وميلها الشهواني، والعقل في كل عصور التاريخ من اليوم الذي ترعرع فيه وقوى على الكفاح والنضال لم يختلف مع

(*) محاضرة لفضيلة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني في جمعية الشبان المسلمين

أصحاب الاديان في أصل الفكرة ، إذ العقل مهما تعرجت به السبل لايستطيع أن ينكر حاجة البشر إلى الاصلاح والمصلحين ، كما انه قد وقف خاضعاً مبهوتاً أمام معجزات الانبياء في عصورهم ، وبعد انقراض عصورهم . بل العقل البشري في عصور الفلسفة الاولى وهي منعزلة عن الاديان تمام الانعزال وغير متأثرة بها ، قدعرف واجب الوجود ، وخطا خطوة واسعة في الشعور باليوم الآخر وهو من الغيب المحض ، فرأى أن الحكمة تأبي على مبدع هذا الوجود وقد تفاوت فيه أفراد الانسان: سعادة وشقاوة ، ولذة وألما ، وظالمية ومظلومية — أن ينتهي العالم بعد ذلك التفاوت البليغ إلى العدم المحض ، وقرر انه لابد من حياة وراء هذه الحياة تتجلى فيها مظاهر العدل والحكمة بين أفراد الانسان

أيها السادة

ان هذا النوع الانساني الذي أرسل الله له الرسل مبشرين ومنذرين لا بد له من بداية ، ولابد أن تكون هذه البداية فرداً ، وقد أجمع أصحاب الاديان السماوية على أن الفرد الذي تناسل منه هذا النوع الانساني هو آدم عليه السلام ثم زوجه حواء . ولا يهم بحثنا أن تكون حواء مخلوقة من طينة آدم على قانون تخليقه ، أو من جزء من أجزائه بعد انتقاله الى الطور الانساني ، كما لا يهم العقل أيضا هذا البحث ، لان بداية العالم من الغيب المحض ، فلا سبيل الى الوصول الى الغيب من طريق المشاهدة والتجارب المادية ، ولا من طريق البحث والاستنتاج ، لان الغيب المحض لايكون الاستنتاج فيه أكثر من حدس وتخمين ، وإذاً لا يمكن الوصول الى معرفة الانسان الاول خلقا وتعليما إلا من طريق الحق ، طريق الوحي المنزل على الانبياء المؤيدين بالمعجزات ، ولقد اعلمنا الله تعالى على لسانهم رحمة منه بنا حيث لم يتركنا حيارى فيما يمسنا ، ونعجز عن الوصول اليه بعقولنا ، ان آدم عليه السلام أبو البشر ، وانه خلقه من طين ومن صلصال من حمأ مسنون . ولا بدع في ذلك فانسان اليوم يتخلق من الطين بوسائط ، وبعض العلق (الدود الصغير) يتخلق منه بلا واسطة

ومن هذا تعلمون قيمة القول بأن القرد هو أصل الانسان ، على أن هذا القول لا يزال في دور البحث العلمي عند أصحابه ، وهم أنفسهم يقولون إن هناك حلقة مفقودة لايتم لهم هـذا البحث الا اذا عثروا عليها ، ونحن نقول لهم لانؤمن بما تقولون وان عثرتم عليها ، لان بحثكم على فرض تمامه مبني على القياس والاستنتاج لا على المشاهدة واليقين . وقد قال الله تعالى وقوله الحق الذي يذعن له العقل ، (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) فأي عاقل بعد هذا يستبيح لنفسه أن يترك يقينيات الاديان الى ظنون الباحثين ، وإذا أباح العقل للباحث أن يتأثر بنتائج بحثه ، وعذره فيه لانه منتهى علمه ، لانه يبحث بعيداً عن كل دين ، فأي عقل يبيح لغير الباحث من أصحاب الاديان أن يقلده فيه ويتخفى بما يخالف جميع الاديان ؟ وأي سقوط وراء من يقلد عن جهل من لا ضمان له ، ويترك عظمة الاديان وفيها الضمان كل الضمان بالمعجزات وشهادة التاريخ

أيها السادة

أن الدعي الذي ينتسب لغير أبيه حقير في ذاته ، ممقوت عند الناس ، وإن انتسب الى من هو أكرم من أبيه ، فكيف اذا انتمى الى من هو دون أبيه بمراحل ؟

أيها السادة : لست الآن بصدد البحث عن إثبات مبدأ الخليقة ، ولا عن إثبات إرسال الرسل وحكمة ارسالهم ، وانما جر الى ذكر ذلك التمهيد لاغير ، لان موضوع الليلة خاص بأصحاب الاديان ، وكلهم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وليست المسألة أكثر من موضوع يطرح أمام العقل ليبحثه ، وينصف من نفسه

واني لم أعتمد في هذا البحث إلا على أدلة العقل المستندة الى نظام الوجود الثابت لئلا يقال (كل فتاة بأبيها معجبة) ومن واجب أصحاب الاديان أن يبحثوا عن الحق حيثما كان ، ويطلبوا السعادة أينما وجدت ، ولا يليق بهم أن يجعلوا الاديان من أعراض الحياة الدنيا وأسباب تنازع البقاء فيها ، لان الاديان ما نزلت الا للسعادة الشاملة ودوام البقاء في الآخرة . وقد انحرف أصحابه

الاديان جميعاً عن هذه الغاية السامية ، فتعصب كل لتراثه الموروث أياً كان مركزه من الحق ، كي لا يضيع عليه شيء من مظاهر الدنيا وتقاليدها ، ولم يقف الامر عند التنازع في ذات الاديان بل انتقل الى تنازع أصحاب المذاهب المختلفة من دين واحد لهذه الغاية الكاذبة ، مع ان الدين يجب ان يكون كله لله وان يبحث فيه دائماً عن أقوم الطرق الموصلة الى الله

وقد اخترت هذا الموضوع لانه يمس حياة العالم الدينية والعقلية ويتصل بسعادتهم الابدية كل الاتصال . وها أناذا الآن بتوفيق الله تعالى داخل على اصل الموضوع

أيها السادة

ان الانسان في طوره الاول بسيط وساذج ، وهو في حياته الاولى أشبه بالطفل بعد ولادته ، وقد قال الله تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) وإذا كان الطفل في حياته الاولى لا علم له بشيء أصلا بشهادة الدين والحس وقد تولد من انسان عاقل مرت به أحقاب طوال في الانسانية المعبدة المهذبة ، فكيف يكون حال الانسان الاول وقد انفصل عن الطينة الصماء وعن ظلام الوجود (؟) وقد تعلمون ان استعداد المنفصل عن انسان ، أقوى من استعداد المنفصل عن جماد أو حيوان . لهذا يجب علينا ان نبحث بحثا هادئا في هذا الانسان الذي وصل أبناؤه الى ما نرى ونسمع من العلم والعمل والرقي في أساليب الحياة المتشعبة الاصول والفروع فنقول :

إذا كان من الجائز عقلا أن نحيل أمر حياته المادية ونظام معيشته على الغرائز الحيوانية كما هو الشأن في بقية الحيوانات لان دواعي النفس كلها مركوزة في الغريزة الحيوانية ومشتهياتها على ظهر الارض — فليس من الجائز عقلا أن نحيل أمر تنظيم جزئه الانساني على قانون الغرائز الحيوانيـة ، لانها لا تعدو المادة ولا تتجاوز وظائف حياتها الحيوانية ، والنفس الناطقة وغريزتها العقلية فوق الحيوانية : هذه سماوية وتلك ارضية ، هذه نورانية وتلك ظلمانية ، وعالم النور غير عالم الظلمة . ومن غير المعقول أن يستمد عنصر السماء من عنصر الارض ، ولو أن في الارض عالما آخر أرقى من الانسان في بداية نشأته لجاز أن نحيل عليه امر تنظيم حياته

العقلية والادبية وتاتي مبادىء العلوم المختلفة . وقد علمتم ان الفطرة الحيوانية لاتهدي الا الى سبيلها الحيواني، والا ترتقي الحيوان الاعجم الى مستوى الانسان، بل لو جاز ان يكون قانون الفطرة وحده هو الذي وضع لآدم نظام حياته الاولى وهو الذي ارشده الى الحق والباطل والى الخير والشر لكانت آثار العقل من الطهارة وحب الخير والسلام العام مثلا متمشية في الرقي جنبا لجنب مع الرقي المادي، مع أن دليل الحس قائم على اطراد الرقي المادي، واضطراب الرقي الروحي الذي لا يتم بدونه كمال الانسان، بل لا أبالغ اذا قلت إن الرقي المادي قد طغا على العقل طغيانا كبيراً حتى أفقده آثاره الروحية التي تظهر في طهارة النفس، ومتانة الاخلاق

على انا لو تساهلنا وقلنا ان الانسان الاول قد هدته فطرته الى وضع المبادىء الاولى لنظام حياته العقلية، لما كان لنا مندوحة عن القول بان الفطرة يجب أن تسبق بنموذج تقيس عليه، ونبراس تسير على ضوئه . وليس ثمة من يهديها من العوالم. والجاهل لايستمد علمه من نفسه، فمن كان ياترى مصدر ذلك القياس، ومطلع هذا النبراس ؟

مهما قلب العقل طرفه يمنة ويسرة في صفحات الوجود لايمكنه أن يهتدي إلى المعلم الاول للانسان الاول من عالم المادة . ولا بد أن يرجع أخيراً إلى ماجاء به الانبياء ونطق به القرآن الكريم حيث قال (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون * وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون)

ثم ان مبادىء التعليم الاولي للانسان الاول لاتعدو شعوره بنفسه، وشعوره بخالقه، وشعوره بالمسئولية امام خالقه . وهذه الامور الثلاثة تكاد تكون أساسا مضطرداً في كل تشريع إلهي، وان آخر تشريع لم يزد في جوهر هذه الاسس

عن أول تشريع . ولذلك كانت هذه الاسس عماد التشريع الالهي وعناصره القوية التي لايعدو عليها تطاول الازمان ، فأصول الشرائع الالهية منحصرة في تصحيح الاعتقاد ، وفي حفظ النظام ، ومعرفة أقرب الطرق إلى الله وأوضحها للسير فيه ، وهذا هو مايشير الله اليه بقوله (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب)

الا ان هذه الاصول لم يخاطب بها العقل ولم يكلف بتنفيذها الانسان في أطواره المختلفة بنسبة واحدة . فالعقل في بداية حياته غير العقل في نضوجه وغيره فيما بينهما من الاطوار ، والحكمة قاضية بأن يكون لكل طور حاجات خاصة به ، ولبيانها له أسلوب خاص في الخطاب وطرق الاستدلال للاقناع ، كذلك الانسان في حياته الماشية الحيوانية ومحيطه المادي له أطوار كثيرة تختلف بحسبها حاجاته وطرق علمه بها ، والغرض من الشرائع الالهية اصلاح النفس وتهذيبها وكبح جماح قوتيها السبعية والشهوية ، ومعلوم ان عوامل قوى النفس كامنة فيما يثيرها مايحيط بها من زخرف ومتاع ، ولا ينكشف خلق سبعي او شهوي في انسان إلا إذا أثاره محيطه المادي ودواعي الشهوات المادية لم تتوفر للعالم في عصر واحد

واذا تبين ان التشريع الالهي مرتبط بما ذكرنا من الاطوار المختلفة باختلاف الاعصار . تبين ان اختلاف التشريع باختلاف العصور المتطاولة ضروري لاصلاح البشر ، وان التشريع المتقدم لايصلح في تفصيله للزمان المتأخر ، لان التشريع اذا لم يكن وفق الاستعداد وطبق الحاجات ضاع وضاعت معه حكمته ، ولو ان أصحاب الاديان جميعا تجردوا عن الشهوات والتنافس في الدنيا وبحثوا عن طريق الله الواضحة وعن الحق ليصلوا إلى الله على الوجه الذي دعاهم به ، لو انهم فعلوا ذلك لاهتدوا إلى قانون نظام النشوء والارتقاء في الاديان السماوية ، كما اهتدى اليه الماديون في القوى والعناصر المادية ، ولأصبح من المسلمات في عقول البشر ومتعارف حياتهم أن شريعة نوح لاتصلح لقوم ابراهيم ، وأن شريعة موسى وعيسى لاتصلح لزمان محمد ، وان أوضح دليل على ذلك أن اليهود والنصارى

لا يسيرون على المسيحية ولا على اليهودية لا من قرب ولا من بعد ، وان أصحاب هاتين الديانتين في العالم انقلبوا ماديين أكثر من الطبيعيين

إن علم وحدانية الخالق وكماله وان المبدأ منه والمنتهى اليه الذي هو تصحيح الاعتقاد - انما يعتمد على أدلة الوجود وعلى مقدار ما في العقل من يقظة وانتباه

وقد كان العقل وأدلة الوجود في أزمنة الانبياء السابقين ، دون ما ارتقت اليه في زمان البعثة المحمدية قوة واستعداداً ، اذ كان الانسان بطول الكفاح العقلي قد تم او قارب التمام . كذلك ارشاد العالم إلى الطريق الموصل إلى الله وإلى كيفية السير فيه وهذا النوع من الارشاد يعبر عنه بكلمتين: تنظيم صلة العبد بالله ، وتنظيم صلة العباد بعضهم ببعض ، ومجال القول فيها واسع المسافة بعيد الغور ، مترامي الاطراف . خصوصا ما يتعلق بالناس في مصالحهم ومتاجرهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وآدابهم وأخلاقهم ، فكما ان أسلوب الاستدلال على الله والخوف منه والرجاء فيه تابع لدرجة انتباه العقل ويقظته ، ومرتبة الارتقاء الانساني ، كذلك صور العبادات ، إذ حكمة مشروعية العبادة تنمية معرفة النفس بخالقها ومالكها ، وتقوية ملاحظتها لما يجب من الشكر له ، وانتباهها لبواعث الخوف منه والرجاء فيه ، ومراتب العقل ودرجات استعداد النفس متفاوتة تفاوتا عظيما في العصور المتباينة فلكل استعداد أسلوب خاص وتأثير خاص ومن هنا كانت صور العبادات وأشكالها متفاوتة وتفاوتها ضروري ، وإن اتحدت في الغرض ، فرب عصر يتأثر بصورة وشكل، لا يتأثر به عصر آخر ، ورب انسان يطمئن قلبه لحال وتخضع عندها نفسه ولا تتحرك من حال آخر

ثم لننتقل من التشريع الخاص بالخالق إلى التشريع المتصل بافراد الانسان وجماعاته وشعوبه . وما يجب على الجميع من مراعاة الحقوق والمرافق في الانفس والاموال والاعراض، وما يجب أن يفعل عند المخالفة ليتم السلام العام من جهة والتعبد طريق الله من جهة أخرى . وهذا النوع أدق أنواع التشريع وأخطرها في حياة البشر . بل هو المحور الذي كان يدور عليه وحده نظام التغيير والتبديل فلعتو الزمان وتمرده وتغلب القوة السبعية فيه أحكام تناسبه ، والامم التي بالغت في حب

الدنيا وتغلغلت فيها آثار الشهوة البهيمية والوحشية عقوبات تناسبها ، ولذلك كانت عقوبة الله للامم المتمردة المحق والخسف وعذاب الاستئصال ، ولم تكن عباداتهم أكثر من رموز بسيطة وملاحظات، لان العبادة في صورتها التامة على الحقيقة لباس إلهي يخلعه الله تعالى على من جاوز حدود الحيوانية الهوجاء ، ووقف في مصاف الانسان

ولهذا لو قارنا بين روح التشريع في بني اسرائيل وروح التشريع في عصر المسيحية لوجدنا الفرق واضحا، لان حياة بني اسرائيل في عصر موسى عليه السلام كانت حياة مشادة في خبث وتمرد ، وحياة المسيحية حياة انكسار وتواضع، ولهذا كانت تكاليف بني اسرائيل أشق ، وعقوباتهم أشد ، والعقوبات دائما تتبع الجرائم ، والتكاليف الشرعية تتبع حالة النفوس . فأي مؤرخ طبيعي وأي عقل انساني يستطيع أن يقول ان العالم في عصر محمد هو العالم في عصر موسى وعيسى خلقا واستعداداً ؟ فالعرب كانوا في سذاجة وبساطة وجهالة تامة بالشرائع وقد بلغ منهم التنافر وتنازع البقاء أقصى حدوده، ولكنهم مع ذلك كانوا أصحاب فصاحة لسان، وذكاء جنان ، وفطرة سليمة ، وحرية تامة ، واليهود كانوا على العكس من أمر العرب ، والنصارى ورثوا من اليهود الشيء الكثير ، واليهودية والمسيحية بتطاول الزمان والحروب المستمرة، والحرص على متاع الدنيا لعبت بهما أيدي الرؤساء والحكام

وقد بعث محمد ﷺ للعرب ولغير العرب، ودعا الناس كافة فاستجاب له العرب وغير العرب. فأي دين من الاديان السابقة يصلح نظاما ويحقق حياة سعيدة لهذه التشكيلة العجيبة التي كانت عناصرها متباينة متنافرة ؟ تفضل الله على نبيه محمد فجمعها برباط واحد قوي ، ومكن له دينه في الارض رغم تألب العالم عليه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

وبعد هذه الادلة الواضحة والبيانات الصارخة هل يبقى شك في عموم بعثة نبينا محمد ﷺ وان شريعته ناسخة لما قبلها من الشرائع لمقتضيات الزمان وتجديد الاصلاح ؟

فان قال قائل اذا كان الامر على مابينت وقد تطاول العهد بين العصر المحمدي وهذا العصر فمن الواجب تجديد التشريع

(فالجواب) انا نتكلم الآن عن التشريع الالهي النازل على الانبياء المؤيدين بالمعجزات ، فلو علم الله ان التشريع المحمدي أصبح غير صالح لحياة العالم لرحم العباد برسول جديد وتشريع جديد .

أما ان العالم يترك شرائع الانبياء إلى شرائع البشر المضطربة المختلفة التي لا تتفق في الامم ولا تستقر على حال واحد ـ فأمر لا يمكن أن يصلح به حال البشر . على أن الشريعة المحمدية قد وضعت من الاسس في الكتاب والسنة ما فيه الكفاية. اما ما ترونه غير صالح من أحكام الفقهاء والعلماء فليس مرجعه ضعف الاساس، ولا رخاوة الاصل ، وانما مرجعه جهالة الباحثين ، وشهوات المسيطرين

ولقد نبتت طائفة في هذا الزمان ـ وكثيراً ما ينبت مثلها في عصور الانتقال ـ تنادي بوجوب سير الشريعة الاسلامية بجانب نظام المجتمع المادي الحاضر . وهذه الطائفة سامحها الله إن لم تكن خبيثة فأقل ما يقال فيها انها جاهلة بالاسلام ، فمن واجب الباحث الجاد غير المتشهي ان يكون عالماً تام العلم بطرفي ما يبحث فيه وبأساليب الاستدلال عليه على طريقة البحث العلمي في مثله ، وإلا كان صاحب شهوة وصاحب الشهوة لا يلتفت اليه

ان حياة العالم الآن حياة مادية تنحدر بسرعة في طريق الاهواء والشهوات ، فلو جارى الاسلام انحدار الامم فأباح الزنا للاعزب ومن لا كسب له وللجيوش المحروب ، وأباح الرقص لمتاع النفس ، وأباح الربا لاستكمال مشتهيات الحياة ، او لمزاحمة الاجانب ، وفي مكنة المسلمين أن يزاحموهم ويقفوا مثل وقفتهم بثروتهم الطبيعية والاقتصاد الديني ، وهكذا وهكذا ، لو اتسع الاسلام لذلك كله لكان دين مادة لا دين خلق ، واصبح من أوضاع البشر لا من شرائع الله ، ومع ذلك ماهو الاساس الاسلامي الذي جرب في الامم الاسلامية وغيرها ثم فشل وتبين خطؤه ؟ ومن ذا الذي وازن بعقله السليم المنصف بين حكم اسلامي ونظيره في تشريع وضعي ثم اقام البرهان الصحيح على ضعف التشريع الاسلامي وخذلانه؟ ثم ماهو الامر الجوهري الذي طعن به أعداء الاسلام عليه مع تألبهم الشديد وعداوتهم المستحكمة من اول أمره إلى اليوم ، على كثرتهم وقوتهم ، ووفرة أساليب حروبهم ، وضعف المسلمين وتخاذلهم ، ثم اثبت العقل في وضوح انهم محقون والاسلام مبطل ؟

انهم والحمد لله مع هذا كله لم ينالوا من دين الله ومن مبادئه الثابتة مايشفي غلتهم ، ويبلغهم غايتهم ، وان نالوا من المسلمين بحكم نشاطهم المادي الشيء الكثير ،

وقد كان فضل الله على محمد ﷺ عظيما أن لم يجعل معجزته الدائمة من جنس معجزات الانبياء ، بل هي كتاب خالد يصارع العقل في كل زمان ، فيصرعه بالحجة والبرهان ، (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

ان العالم المادي لايزن الاسلام الا بحالة المسلمين ، مع أن الاسلام دين وخلق ومبادىء ، ومثلها يجب أن يوزن بميزان العلم والعقل ،لا بميزان أهلها المضيعين لها ، على انا لو وازنا بين المسلمين وغير المسلمين او بين الماديين وغير الماديين لوجدنا ضعف المسلمين أجدى على الانسانية من نشاط المادة ، فليست المادة إلا آلات ظلم وإفساد وتخريب ، وانها في رقيها لأشبه بمخالب الحيوانات المفترسة وأظفارها، وأنياب الكلاب الكلبة ، وان من الجهل الفاضح أن يتحدث ضعفاء العالم وضعفاء العقول بأن اوربا تخدم الانسانية ، كلا والله كاذبة ، ومن العدل أن يقال ان اوربا المسيحية واليهودية او بعبارة اصح اوربا اللادينية إنما تخدم القوتين السبعية والشهوية، ان الانسانية سلام واخاء وتعاطف في الخير لا في جواذب المادة، وتناصر في الحق لاتغلب على الضعيف بل الحيوان الضعيف أجدى على الانسانية من الحيوان الشرير ،

لهذا أرجو المسلمين الذين يسيرون وراء كل ناعق مادي أن يخلصوا لعقولهم ويفرقوا بين الرقي الانساني والرقي المادي لتحقيق الاهواء والشهوات، لان ميزة الانسان في حسن تقديره ، وقوة تفكيره ، وسبره غور الحقائق

واني قبل أن أبرح مكاني هذا أرجو الشبان المسلمين أن لاينخدعوا في دينهم باتباع المذبذبين الذين لاعلم لهم بالمادة ولا بالدين ، وأن لا يفروا من دينهم بغضا في قوم ادعوا معرفتهم به وحمايتهم له ورعايتهم لحقوقه زورا وبهتانا، فالحلال بين والحرام بين ، ولا يخلو قطر اسلامي من علماء صادقين مخلصين ، كما ارجو أن اوفق في محاضرة اخرى لبيان عظمة القرآن وشخصية محمد ﷺ

واني اشكر جمعية الشبان المسلمين على هذه النهضة المباركة واسأل الله لها السداد والتوفيق علي سرور الزنكلوني المدرس بالازهر

(تعليق المنار)

ان أسس التشريع الاسلامي ، قد قيدت البشر بقواعد من الحق والعدل والرحمة والفضل وحقوق الروح والجسد الصالحة لكل عصر تكفل لهم كمال الانسانية وسعادة الحياة ما أقاموها ، وأباحت لهم التشريع الاجتهادي فيما يتجدد لهم من الاقضية والمصالح التي تختلف باختلاف الأزمنة والامكنة مع المحافظة عليها ، وبهذا لم يكونوا محتاجين الى تشريع سماوي جديد بعدها . وقد كان من عدم تقيدهم بها هذه الفوضى السياسية والأدبية والاجتماعية والثورات الحكومية التي تهدد العالم المدني بحرب شر من حربها الاخيرة تدك معالم العمران دكا ، والجاد (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدّاً) فقد وردت الانباء بأن دولة البلشفية الروسية ، تعد سبعة عشر مليونا من الجند لغزو أوربة الرأسمالية على مابين دول أوربة من الاحقاد والضغائن واستعداد بعضها لتدمير بعض ، وانهماك أممها في الفسق والفجور ، والاباحة والشرور ، وتلك القواعد الاسلامية قد بيناها في المنار وتفسيره ، وفي رسائلنا المقتبسة منهما خلاصات من ذلك وهي (١) خلاصة السيرة المحمدية وكليات الدين الاسلامي وحكمه (٢) الخلافة الاسلامية (٣) يسر الاسلام ، والتشريع العام .

ولو ان دول أوربة تدين الله تعالى بما شرعه الله تعالى في كتابه القرآن من وجوب حفظ العهود والمواثيق واجتناب جعلهـا دخلا باطنها ينقض ظاهرها ، لنجاهم ذلك من كل مابينهم الآن من التنازع والتخاصم في معاهدة الحرب الكبرى وفروعها ، وهاك بضع آيات من سورة واحدة كافية لاصلاح البشر إذا دانوا الله بها وهي (١٦: ٩٠ إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون (٩١) وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ماتفعلون (٩٢) ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ، أن تكون أمة هي أربى من أمة ، إنما يبلوكم الله به ، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون)

بيان بشأن المجالس الحسبية

حادث تنصير البربر يتكرر في مصر (١)

المجالس الحسبية من المؤسسات الشرعية الاسلامية في هذا القطر ، فهي أصلا من اختصاص القاضي الشرعي وحده ، ولظروف لا تريد بالاسلام والمسلمين خيراً ـ ضم اليه فيها عضو ادارة وعضو أعيان ، مع بقاء كل مظاهر الاختصاص فيها للقاضي الشرعي ، فكانت رسومها ترد الى المحاكم الشرعية ، وكان القاضي الشرعي يحضرها ومعه كاتبه ومضبطته ليضبط كل القرارات التي تصدر متوجة باسمه ، محالة عليه من رئيس محكمته ، فألغيت كل هذه المظاهر الشرعية شيئاً فشيئاً ، ولم تفاجأ بها هذه الامة الاسلامية حتى لا تحس بما يبيت لشريعتها ، وقد كان أحمد خشبة باشا رأى ما في هذه المجالس من حال غير قارة ، ومظاهر غير سارة ، فاستشار فيها القضاة جميعاً ، فكان أغلب الرأي في غير صالح وجودها على تلك الحال؛ ووفقا لغالبية الرأي ألغى الادارة الحسبية وضمها للادارة الشرعية ، وبذلك نجت ميزانية الدولة من عبء باهظ ، وقد اتفق رأي إلغائها مع اسلامية البلد وزعامتها في مظاهر الاسلام ، وان اهانة القاضي الشرعي بجعله مرءوساً دائماً في عمل هو من اختصاصه دون سواه شيء يمجه تقليد البلد ، وأدبه مع علماء دينها وقضاته ، فضلا عن انه ليس عدلا ، بل ينطوي على مقدار ظاهر من العصبية ضد قضاة المسلمين ، وزيادة على ما تقدم فان غيرة المسلمين على أحكام دينهم لم يخف عليها ان القاضي الشرعي انما أحيط بعضوين في هذه الهيئة لا صلة لهما بالشريعة الاسلامية لاجل شل أحكامها في هذه المجالس ، وان ذلك إنما يراد به أن يألف الشعب الزراية بالاسلام وعلمائه وقضاته ، ويألف الممنوع من الشريعة بعضو مشلول مغلول لا يملك الحكم تنفيذاً حتى تحين غفلة من الشعب الاسلامي فيبتر هذا العضو نهائيا بعد أن تكون هذه المجالس قد امتصت كل اختصاص المحاكم الشرعية ، وكل ذلك تمهيد لالغاء هذه

---

(١) لأحد قضاة الشرع الشريف

المحاكم نفسها وهو اليوم الذي يتم فيه انهزام الاسلام في داره على يد أبنائه والعياذ بالله
وانفق رأي إلغاء هذه المجالس أيضاً مع الامور الآتية :

(١) ان أمور الاوصياء والقامة والوكلاء والمحجورين من الاحوال الشخصية، والمحاكم الشرعية على أسوأ تقدير محاكم الاحوال الشخصية المسلمين في مصر ، ولو وجد الاسلام نصيراً لكانت محاكم المسلمين في كل أمورهم

(٢) ان هذا الباب من المعاملات وردت فيه أحكام شرعية يجب اتباعها وتحرم مخالفتها ولم تكن من مشتملات القانون الاهلي

(٣) انه رغم كثرة الشكوى من مجالسنا واختلالها بسبب تنافر تأليفها وفساده ، وتناقضه من علم وجهل ، ودين ولادين ، ونظام وفوضى ، وقضاء وادارة ، حتى صارت أسوأ حالا من محاكم الاخطاط التي خنقتها العدالة ، ولكن هذه المجالس لايعد في وجودها إلا انها قائمة لنقض أحكام الاسلام ، ورغم كل ذلك يدعون انها عنوان الرقي في مصر ، وان البلاد الاسلامية الاخرى التي تتولى أمور المجالس الحسبية فيها المحاكم الشرعية ، ولا يوجد بسبب ذلك أي شكوى فمتأخرة لانها لم تبتدع مفسدة كالمجالس الحسبية تثل بها في بلادها عرش شرع الاسلام ، وينتج من ذلك ان مصر وحدها هي التي تتهم قاضيها الشرعي وتهينه عصبية للقضاء الاهلي ، وانه أحط تربية وتحقيقا من كل القضاة الشرعيين في كل باقي بلاد الاسلام

(٤) ان المحاكم الشرعية تتولى تطبيق الاحكام الشرعية في بعض المسائل كالاوقاف والمواريث ثم تتولى المحاكم الاهلية الجانب التنفيذي المدني فيها فيجب أن تكون المجالس الحسبية كذلك ،

فهذا ملخص الاستاذ خشبة باشا ، ثم قفاه الغرابلي باشا فجعل لهذه المصلحة وكيلا من القضاة الشرعيين ، وهذا معنى كبير ولكن عهده لم يطل

وأما معالي الوزير الحالي فمع انه كان ينتظر منه أكثر من ذلك لان معاليه يتحرى أكثر رضاء جلالة مولانا الملك - والامور الشرعية الاسلامية لدى جلالته بالمكان الاول - طرد وكلاء الادارات الشرعيين ووسع وجود هذه المجالس اللادينية وبعد

بها عن الشريعة كثيراً ، ورغم ما فيها من مظاهر الاهانة لحرمات البلد (١) لتسلط الادارة على القضاء الشرعي فيها ، لان المدير ووكيله والمحافظ ووكيله والمأمور يرأسون القاضي الشرعي للغاية التي بيناها (٢) وتحكيم قاض في قاض، وهو عمل لايسيغه أي ذوق فضلا عن أنه افساد مابين طائفتين من الزملاء ، وهذه عيوب قضائية لايحتملها أي نظام ، رغم كل هذا فان معاليه لم يعمل لتدارك هذا الفساد بالاصلاح، بل بنى عليه فأنشأ مجالس حسبية استئنافية تزيد في البلد ثروة الفوضى والفساد وتزيد غبء الميزانية التي على وشك الزوح والاعياء

ولا ندري إذا ظفرنا بقاض شرعي استوعب التعليم الديني واللاديني، والتهذيب الوضعي والفلسفي في حيز معاهد القضاء، ودرس في خمسة عشر عاما الشريعة التي يحكم بها حتى تفقهت فيها نفسه، ثم تدرب وجرب وغمر هذا الاستعداد الراقي سائر المحاكم الشرعية قضاة وكتابا، ولم يبق في المحاكم بعد هذه الحركات العنيفة من يقال فيه لو ولا ليت ، إذا كان الامر كذلك فمتى تنصف قاضينا الشرعي بين قضاة العالم؟ ومتى يقضي على العصبية ضده لزميله المطربش، فان هذا غير جميل من ناس تخرجوا من القضاء، والعصبية ضده انما هي عصبية ضد الاسلام

والخطأ الشائع ان بعض المسلمين يقيسون الاسلام على المسيحية، مع أن هذه ديانة أخروية روحية محضة لم تجيء بحكم واحد، لكن الديانة الاسلامية ديانة ختامية كاملة شاملة، فهي نظام كامل لدولة اسلامية وامة اسلامية وتاريخ اسلامي. فالمصحف كما يوجد في المساجد يوجد في مقاصير البيوت وزوايا الاكواخ، ويوجد على سرر الملك ومنصات الاحكام ومعترك الاسواق وميادين الحروب ونوادي السياسة. وبالاجمال فحيث تقعد او تمشي او تقف او تنام يطل عليك المصحف باحكامه وآدابه فان عصيته لم تكن به مؤمناً ولا باراً

وأما مايتشدق به المفتونون منا من ان الاحكام الشرعية أمور مدنية لايضر الدين في شيء ان تتولاها المحاكم الاهلية بقوانينها فليس بعيداً من الذي يقول ان الديانة الاسلامية أوسواها من الديانات ليست إلا دعوى إلى خير وفضيلة، فتتساوى فيها جميع الاديان والمذاهب الاخلاقية والمبادي، القائمة عليها جمعيات الخير ، فيمكن

أن يستغنى عن الاسلام مثلا بالماسونية وكفى الله المؤمنين القتال ـ وبعد فاما اسلام صريح اولا اسلام ، فان الامم لاتنهض بهذا الارتياب

وما كنا ننتظر أن يشكو لمعالي الوزير ثلاثمائة عالم اسلامي من هذه المجالس باسم الانتصار لاحكام الاسلام وكرامة قضاته ثم لاينصفون

[المنار] جاءتنا هذه الرسالة في البريد فأهمنا أصل الموضوع فيها جداً على انكارنا على الكاتب بعض التشنيع الشعري ، الذي لاينبغي لمن يطالب بمثل هذا الحق الشرعي ، ونرى انه يجب على رياسة المعاهد العلمية الدينية في مصر أن تتولى مطالبة الحكومة بجعل هذه المجالس الحسبية شرعية تابعة للمحاكم الشرعية يتولى رياستها قضاة الشرع بما هو مقرر في الشرع ، وان ينكروا عليها أي تشريع يتعلق بحقوق الشرع ومحاكمه بدون موافقة رجال الشرع عليه واقرارهم له ، ويجب على مجلتهم نور الاسلام بسط ذلك

اذا صح ماذكره صاحب هذه الرسالة من ان ثلاثمائة عالم من علماء الاسلام شكوا الى وزير الحقانية مسلك وزارته أو عمله في هذه المجالس الحسبية بما يعد اعتداء على حقوق المحاكم الشرعية وما يلزمه من الاعتداء على الشريعة نفسها ـ ولا نخاله صحيحا ـ فكيف تسكت رياسة المعاهد الدينية ومجلتها على هذا ؟ وأي خدمة للشرع ترجى منهما اذا أضاع رجالهما هذا الحق ، ورضوا بهذا الهضم لحقوق الشرع ؟ ماأرى لهما عذراً إلا عدم العلم بما بينه هذا القاضي الشرعي في رسالته هذه اذا كانت الحكومة المصرية تحرم على علماء الاسلام التعرض لسياستها الخارجية وإدارتها الداخلية ، فهل تستطيع أن تحرم عليهم التصدي لحماية مابقي فيها من الاحكام الشرعية ، وتكرههم على الرضا بمثل مابينته هذه الرسالة في شأن المجالس الحسبية ؟ كلا ، ان على فضيلة الاستاذ الاكبر رئيس المعاهد الدينية أن يكتب الى الحكومة بوجوب جعل المجالس الحسبية شرعية خالصة ، فان لم تستجب له فعليه أن يرفع الأمر الى جلالة الملك صاحب النفوذ الأعلى ، وكلمة من جلالته تعيد الحق الى أهله ، وتحله في محله .

باب المراسلة والمناظرة

(الانتقاد على المنار وتفسيره)

مولاي الاستاذ السيد العلامة حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قرأت في العدد السابع من المجلد ٣١ من المنار الزاهر في تفسير قوله تعالى (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) ص ٥٠٩ مانصه « وفي مسند أحمد عن ابن مسعود : خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن منكم منافقين فمن سميته فليقم؛ ثم قال: قم يافلان حتى سمى ٣٦ » وروى غير هذا في معناه

ولما كنت أعمل - كما تعلمون - في وضع فهارس دقيقة مفصلة لمسند الامام احمد فقد استغربت أن يكون فيه هذا الحديث ، ثم رجعت الى فهارس المسند التي عملتها فأيقنت انه لم يروه أحمد أصلا من حديث ابن مسعود فانه لم يرو من حديثه فيما يتعلق بالمنافقين إلا خمس أحاديث هي :

حديث المواظبة على اجابة النداء بالصلاة وفيه « ولقد رأيتني وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم نفاقه » رواه مرتين في صفحة ٣٨٢ و ٤١٤ ج ١

وحديث « ان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه » الخ وهو ليس نصاً في وصف المنافق ورواه ثلاث مرات في ص ٣٨٣ ج ١

ولم يرو من حديث ابن مسعود في خطب النبي ﷺ إلا أربعة أحاديث هي أحاديث خطبة الحاجة رواه بأربعة أسانيد في ص ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٤٣٢ ج ١

وروى في التفسير من حديث ابن مسعود ٣٦ حديثا ليس منها هذا الحديث على اليقين ولولا خوف الاطالة لذكرتها بصحتها

وقد رجعت الى الدر المنثور للسيوطي فوجدته روى قريباً من هذا المعنى من حديث ابن عباس ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الاوسط وأبي الشيخ وابن مردويه ، وهو في تفسير ابن جرير الطبري كما قال السيوطي ولفظه « قام رسول الله ﷺ خطيبا يوم الجمعة فقال : اخرج يافلان فانك منافق

أخرج يافلان فانك منافق فأخرج من المسجد ناساً منهم فضحهم» الخ ونسبه صاحب كتاب جمع الفوائد للطبراني في الاوسط وقال « بضعف » وحقيقة ان في اسناده عند ابن جرير ضعفا . وكذلك نقله ابن كثير عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس ولم يذكر من أخرجه ، وظاهر أنه أخذه من تفسير ابن جرير ،

وذكر السيوطي في الدر المنثور حديثا آخر لابن مردويه عن أبي مسعود الانصاري قال « لقد خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم خطبة ماشهدت مثلها قط ، فقال : «أيها الناس إن منكم منافقين فمن سميته فليقم ، قم يافلان، قم يافلان، حتى قام ستة وثلاثون رجلا » وذكر باقي الحديث ولم يتكلم على اسناده من الصحة والضعف فلا ندري ماهو وليس انفراد ابن مردويه بحديث مما يطمئن معه القلب الى صحته

وأظن أن هذا الاخير هو الاقرب الى رواية المنار الزاهر ولكنه من حديث أبي مسعود البدري الانصاري لا من حديث عبد الله بن مسعود ومن رواية ابن مردويه لا من رواية الامام أحمد بن حنبل في المسند

هذا مابدا لي في استخراج هذا الحديث أرجو من أستاذي الجليل أن يتفضل بنشره في المنار وأن يمن على تلميذه بذكر مصدر الرواية إن كانت منسوبة للمسند من حديث ابن مسعود حقيقة استدراكا لفائدة نفيسة كهذه حتى نقيدها عندنا على نسختنا من مسند أحمد ، لا زلتم أهلا للفضل ومناراً للعلماء والسلام

تلميذكم المخلص

أحمد محمد شاكر — القاضي الشرعي

(المنار) أشكر لاخينا الكرم خادم السنة بحثه العلمي عن الحديث المذكور وإيذاننا بنتيجته وأخبره بأنني نقلته من كتاب (فتح البيان في مقاصد القرآن) وانني اطلعت على ما ذكر في معناه في تفسير الطبري والدر المنثور وابن كثير وغيرهما فاقتصرت عليه لاختصاره ، بعد أن كنت نقلت غيره ولم أنشره لانني أعتقد انه لايصح شيء في فضيحة اولئك المنافقين في المسجد بالتصريح بكفرهم باعيانهم لما صرحت به من تعليل ذلك عقب نقله ولولا هذا لما ذكرت هذا الحديث أيضا

وانني قد استغربت سكوت السيوطي عن هذا الحديث في الدر المنثور ولكنني

أعلم انه لم يستقص كل ما ورد وقد راجعت جدول الخطأ والصواب من فتح البيان لعلي أرى فيه تصحيحاً لخطأ وقع في عزو الحديث إلى المسند او إلى ابن مسعود فلم أره فيه، وأنا أعلم أن مؤلفه رحمه الله كان يتحرى في نقل الاحاديث ويقال انه كان يستعين في تأليف تفسيره هذا بلجنة من علماء الحديث وغيرهم ، ومن الكتب التي كان يعتمد عليها تفسير الشوكاني ، فان وجد الحديث في هذا التفسير يكون ناقلا له عنه ، وان لم يوجد فيحتمل أن يكون وجده في نسخة للمسند خطية في خزانة كتبه الحافلة ، ويحتمل أن يكون عزوه الى مسند ابن مسعود عند الامام أحمد خطأ ، ويرجحه عدم نقل السيوطي إياها عنه في الدر المنثور ، على انني قد حذفت هذه الرواية مما طبعته على حدته وكذا من مختصره الذي شرعت فيه بل قلما أذكر فيه شيئاً من الروايات الصحيحة بألفاظها وتخريجها ، وأختم هذا التعليق باعادة ما بدأت به من شكر اخينا الاستاذ، جعله الله تعالى خير عون على العلم وتحرير كتبه

اقتراح مناظرة

(في الخلاف بين أهل السنة والشيعة)

(جاءنا الكتاب الآتي من حضرة صاحب الامضاء ، أحد علماء الشيعة الامامية الاعلام ننشره بنصه وحروفه ، وننشر بعده جوابنا له ، وقد سبق هو الى نشرهما في بعض الصحف)

بسم الله تعالى

بازكى التحية وأفضل السلام أحيي مقام ذلك الامام السيد الرشيد آل رضا ألهمه الله قول السداد ، وسلك به سبيل الهدى والرشاد

أما بعد فاني أحمد اليك الله سبحانه الذي عرفنا أولياءه وأهل محبته، وهدانا إلى ماسنه من شريعته (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) واسئله أن يوفقنا جميعا لنصرة الحق وارشاد الضال ، واحياء السنة واماتة البدعة ، فانه ولي ذلك

والقادر عليه. ثم اني رأيتك قد أرهفت يراعتك وثلت كنانتك منتصبا في وجه الشيعة زاعما أنهم قد نشطوا في هذه الايام لدعاية الرفض والبدع ، والصد عن السنة وأعلامها، فان يكن ذلك منك حمية للحق وغيرة على الاسلام (والسرائر لايعلمها غيره سبحانه) فحقق دعواك ان رأيت بان تفتح لنا بابا في مجلتك الغراء نذكر فيها المسائل الهامة التي وقع الخلاف فيها بين الطائفتين ونحقق الحق في ذلك متبعين البرهان، غير متحيزين إلى فئة، ملتزمين آداب المناظرة، وايم الحق لئن فعلت ذلك انها لاعظم حماية للدين ، وأعود نفعاً على المسلمين، وأكون لك بلسان أهل الحق من الشاكرين ، فأرجوك وظني بك ستحقق رجائي ولك عهد الله سبحانه أن لا أذكر في مناظرتي كلمة أقصد بها جرح عاطفتك والغض من كرامتك ، واحتمل لك كل قول، وبذلك يظهر فساد ماليس من الدين مما يعتقد صحته الكثير من الطائفتين، وتنال لقب المصلح، ويكون لمجلتك شأن ، واني بانتظار الجواب والا فسندرج صورته في مجلة العرفان الغراء وغيرها

صاحب الكلمات

عبد الحسين نور الدين

جواب صاحب المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد رضا — إلى الاستاذ الكبير ، والعلامة الشهير ، السيد عبد الحسين نور الدين ، هدانا الله وإياه الصراط المستقيم ، آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فقد ألقي إلي كتاب منك أنكرت فيه علي ما كتبته أخيراً في دعاية الشيعة، وما هو إلا ردي على كتاب السيد عبد المحسن العاملي فيما طعن به علي أقبح الطعن الديني والشخصي بالتبع لطعنه على الوهابية، وعلى شيخ الاسلام ابن تيمية، بما تضمن الطعن على سلف الامة الصالح في عقيدتهم — ثم انتقادي ما كتبته أنت في الجزء الاول من كتابك في موضوع غزوة حنين

وقدعبرت عن ذلك تعبيراً منتقداً أغضي عنه، وأخص بجوابي مادعوتني اليه من فتح باب في المنار للمناظرة « في المسائل الهامة التي وقع فيها الخلاف بين الطائفتين » لتحقيق الحق فيها بالبرهان « غير متحيزين إلى فئة ، ملتزمين أدب المناظرة » الخ

فأقول: لبيك لبيك ، لقد دعوتني إلى ما كنت أتمنى مثله ، فانني ما كتبت وان أكتب في هذه المسألة ولا في غيرها إلا ما أعتقد حقيته، وأقصد به النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين ، وهو ما أرشدنا اليه الله ورسوله ﷺ بقدر مايصل اليه علمي ورأيي ، فانني لا أنتحل مذهبا من مذاهب الفرق الاسلامية أتعصب له ، ولا اقلد عالما من أئمتها أتقيد برأيه واجتهاده ، فأخشى أن يظهر بالمناظرة بطلان قوله ، بل طالما ذكرت في المنار ماهو منتقد عندي من المذاهب الشهيرة ، وليس للمنار أدنى مساعدة مالية ولا معنوية من طائفة من الطوائف ، ولا أهل مذهب من المذاهب ، ولا من فرد من الافراد ، فأخشى على نفسي أن تتبع الهوى في الانتصار لمذهبهم أو شخوصهم من حيث ادري ولا أدري ، فان كنت تعاهد الله كما أعاهده على ما نقلته عنك آنفا فهلم .

ولا أحفل بما قلت قبله ولا بعده من الامور التي أملاها عليك سوء الظن بي من ترغيب وترهيب ، وشك مريب

ولما كانت مسائل الخلاف كثيرة ، وكان الباب الذي نفتحه لها مع بقاء سائر أبواب المنار مفتحة ـ ولاسيما التفسير والفتاوى والشؤون الاسلامية العصرية ـ لايتسع لدخول هذه المسائل كلها فيه إلا في سنين كثيرة ، وجب أن نقتصر على المسائل المهمة ، وان نلتزم فيها الاختصار غير المخل بالغرض ، وان تكون وجهتنا جمع الكلمة ، والتأليف بقدر الطاقة ، على المنهج الذي شرحته في الجزء الرابع من (منار) هذه السنة .

فعسى أن تكتب إلي برأيك في هذا تمهيداً للشروع في هذا العمل . وأسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه من جمع كلمة المسلمين على كتابه وسنة رسوله ﷺ ونبذ البدع ، ثم على مصالحهم الدنيوية العامة والسلام

١٤ رمضان سنة ١٣٤٩

نظرة تاريخية في الثورة الهندية الكبرى وأسبابها

(وما اقترفه الانكليز من الفظائع فيها)

(لصاحب الامضاء كاكته)

لايجهل أحد له المام بتاريخ الهند الحديث الثورة العامة التي نشبت في البلاد ضد الحكم الانكليزي سنة ١٨٥٧ م فكل من اطلع على تاريخ الهند تستوقف نظره هذه الثورة وتوغر صدره على الهنود ، فيتهمهم بالهمجية والبربرية ، لان التاريخ يبين له ما ارتكبه الهنود « الثوار » من الفظائع والمنكرات ويريه أنهاراً من الدماء الانكليزية التي أراقها هؤلاء المتوحشون. ولكن هذا التاريخ انما دونته الاقلام الانكليزية المتعصبة التي اشتهرت بتشويه الحقائق ان كان من وراء ذلك كسب للاستعمار ، وهو بالحقيقة ليس بتاريخ بل دعاية استعمارية انكليزيه أريد بها تبرير استيلاء انكلترا على القطر الهندي العظيم

بيد أن الحق لايعدم أنصاراً ولا يمكن اخفاؤه إلى آخر الدهر ، فقد وجد أناس منصفون في الانكليز أنفسهم برزوا للدفاع عن الحق، ولبيان ما ارتكبه اخوانهم من الفظائع خلال الثورة الهندية وقبلها وبعدها . وقد ظهر حديثا كتاب ألفه مؤرخ هندي دون فيه شهادات هؤلاء المنصفين من الانكليز، فأحببنا أن نلخص منه فصلا لقراء المنار الاغر ليكونوا على حذر من كتب التاريخ الانكليزية المتداولة عن الثورة الهندية (١) فنقول :

للثورة الهندية أسباب كثيرة ولكن هنالك سببين مشهورين هما أساس لغيرهما (أولهما) ان الشركة الهندية الشرقية « ايست انديا كبني » أخذت تبلع وتهضم جميع المقاطعات الهندية واحدة بعد أخرى الى ممتلكاتها، فخافت الهند على ضياع حريتها وأخذت تنظر إلى الشركة بنظر الريب والشك (وآخرهما) قهر الجنود الهندية على استعمال الخراطيش المدهونة بشحوم الخنزير والبقر . وقد كتب عن هذه الخراطيش «انيس» وكان إذ ذاك القائد العام لقوات الشركة ما يأتي :ـ

(١) وليكونوا على حذر أشد مما تنشره الجرائد الانكليزية في تضليل الهند ومصر وغيرهما

« لقد فتشت تلك الخراطيش التي كانت محل الريب فوجدت ان عذر الجنود في امتناعهم عن استعمالها كان مبنيا على الحق وما كنت أتوقع ان شحم الخنزير والبقر يوضع في الخراطيش ، فأقول ولا أبالي بلائم: ان الشركة لم تحترم عواطف الهند الدينية »

ان هذه الخراطيش التي قهر الجنود على استعمالها كانت مدهونة بشحم البقر والخنزير وكانت توضع في البنادق بعد قطعها بالاسنان لان بعض الاجزاء منها متين الى درجة انه ما كان يمكن استعمالها إلا بعد أن تقطع بالاسنان . ومن المعلوم ان الديانة الوثنية تحترم البقر كل الاحترام ، والدين الاسلامي يحرم الخنزير ، فحين أكرهت العساكر على استعمالها غضبت غضباً شديداً وهاجت وماجت فعصى ٨٥ جنديا منهم في بلدة « ميرت » وابوا استعمال الخراطيش ، فساقتهم السلطة الانكليزية الى المحكمة العسكرية فحكمت على كل واحد منهم بسجن عشرة سنوات بدلا من تسكين هيجانهم ومعاملتهم باللطف والاقناع . ولو اكتفى الانكليز بذلك لما حسب له حساب ولكنهم لجوا في طغيانهم وعاملوا هؤلاء الجنود معاملة سافلة جدا ، وقد صور أحد الكتاب الانكليز ذلك المنظر البشع قائلا :

« سيق ٨٥ جنديا الى المحكمة العسكرية ، تحت مراقبة الآلات النارية ، وحكم عليهم بهذا الحكم القاسي: ثم عريت ابدانهم عن الملابس العسكرية ووضعت في أرجلهم الاغلال والسلاسل من الحديد فكان منظراً هائلا حتى ان رفقاءهم الناظرين اليهم عن بعد كانوا يتململون ويتأسفون على هذه المعاملة الوحشية وكان بين المحكوم عليهم من خدموا الانكليز خدمات جليلة ، وأظهروا شجاعة فائقة في كثير من المعامع (١)

---

(١) ياللعجب من هذا الجهل الذي يبذل المبتلي به روحه في خدمة عدو دينه ووطنه ولا يخاف إغاولا عارا ، وهو من أكبر الكبائر ان لم يستلزم كفراء ثم يتأثم أويتورع عن لمس مادهن بشحم نجس حكما بيده اوفمه ويعده اهانة فيثور ويعرض نفسه لاشد العذاب والتنكيل ، مع أن تنجس الفم به يطهره اللعاب او الماء في مذهبه ، واعجب من جهل هؤلاء العوام غطرسة الانكليز واحتقارهم لشعور الناس

«وقد احتجوا على هذه القسوة ورجوا من قائدهم ان لا يرميهم بمثل هذا الذل والاهانة، فلم يصغ الى تضرعاتهم ولما لم تنجهم ولولتهم وبكاؤهم من العذاب المبين وتحققوا ان « لاحياة لمن تنادي » توجهوا الى رفقائهم الشاخصين اليهم وصاحوا بأعلى صوتهم «أليست فيكم غيرة وطنية ؟ أليس عندكم شيء من عاطفة الاخوة والمروءة ؟ نحن اخوانكم نهان ونذل ونخزى وأنتم شاخصون ؟ فنزلت هذه الصرخات المؤلمة على قلوب رفقائهم كالصاعقة ، فتأثروا بها ايما تأثر ورأوا أن يساعدوهم على الثور ، ولكن وجود الآلات الجهنمية حال دون ارادتهم ، فكظموا غيظهم ، الا أن الفعلة الشنيعة نفرت جميع الجنود الهنود من الانكليز فثاروا عليهم ثورة عامة بعد ان كانوا يضحون حياتهم في سبيلهم»

وقد صرح « ازورد كينج » الوالي العام للهند يومئذ بما يأتي « لقد كان هذا الحكم الجاف القاسي بعيدا عن الانسانية الى درجة أنه لا يوجد له نظير في العالمين فكان وحده سببا لايقاد نار الثورة »

وقد صدق الوالي فانه في اليوم الثاني من المحاكمة أي في ١٠ مايو سنة ١٨٥٧ م ثار الفرسان وفرقتان من المشاة وتوجهوا الى السجن ففتحوا أبوابه عنوة وأطلقوا سراح الجنود المسجونين، ثم طفقوا يحرقون بيوت الانكليز ويقتلونهم حيثما وجدوهم، وبعد ذلك توجهوا كلهم الى « دهلي » وفعلوا هنالك مافعلوه من القتل والنهب

ولا عجب فقد جرت العادة أن الامة المقهورة اذا اضطرت الى اخذ الثار من قاهريها فقدت توازنها العقلي ولجأت الى الاعمال الهمجية دون تبصر ولكن الانكليز المتحضرين لم يكونوا اقل همجية من هؤلاء الجنود الجهلة (١)

قال فرينك تين في تاريخه مايأتي « كانت هذه المحاربة بين امتين متوحشتين متجاوزتين حدود العدل والانسانية وكان همهما الوحيد القتل والنهب والسلب وقد بلغا في الظلم والعدوان حدوداً متناهية يستحسن ان يسدل الستار عليها »

ان التاريخ الانكليزي قد وارى سوآت الانكليز ولكنه قسا كل القسوة على الهنود فذكر كل مافعلوه وما لم يفعلوه ، فملأ صحائفه بمئات من القصص المخترعة

(١) ولكنها أفظع بكونهم هم المتدين الظالمين

لتهييج عواطف الانكليز وحملهم على الانتقام من الهنود الساكين إلى آخر الدهر وإني أقتبس من الكتاب بعض الحوادث التي أخفاها التاريخ الانكليزي عمداً :

حادثة بشاور

ألقي القبض على ١٢٠ من الجنود يوم ١٥ يونيو سنة ١٨٥٧ م بمدينة بشاور ولم يكن أحد منهم ارتكب جناية ما، ولكنهم اضطروا الى الالتحاق بالثوار اضطراراً، فماذا فعل بهم الانكليز؟ تعرف ذلك مما يلي :

كتب القائد « نكلسن» إلى «أدوارد» مدير بشاور « اني أشفع لديك للعفو عن ٥٥ جنديا من هؤلاء الجنود، لان ضباطهم أكدوا لي أنهم بريئون من الخيانة . ولم يشتركوا في الثورة اشتراكا فعلياً ، وأما الباقون من ١٢٠ فاربطهم على أفواه المدافع ، لجعلهم رمادا» فأجاب لارنس «أنهم لايستحقون العفو لأنهم وُجدوا في صفوف الاعداء، ومع ذلك لا أريد أن أهلكهم جميعاً، ولكن أريد أن أجازيهم جزاءاً مراً حتى يكونوا عبرة للآخرين . أريد ان أقتل ثلثهم وأنتخب لهذا أشرارهم أو الذين يشكو ضباطهم منهم ، فان لم يكمل العدد من هؤلاء أكمله من الشيوخ ، وأما الباقون فأعاقبهم بالسجن لمدد مختلفة أقلها السجن ٣ سنوات»

وقد كتب «اللورد رابرت» الى والدته عن هذه الحادثة وكان يومئذ ضابطا في الجيش «جئنا من جيلم إلى بشاور ماشين على الاقدام وصرنا نقتل الثوار ونجردهم من أسلحتهم، وعند ما أهلكناهم بالمدافع ارتعب الآخرون من بطشنا ، وشدة شكيمتنا ، أجل ان هذه لقسوة ولكن لامناص لنا منها ،لقد أردنا أن نُقنع بهذه الاعمال القاسية أشرار المسلمين، بأننا بعون الله نبقى على الهند متسلطين » (١)

---

(١) ظن هذا الجاهل المتكبر ان شدة الظلم سبب لدوام الحكم ، وما هي الا سبب زواله، ولا بد أن يزول حكم الانكليز من الهند ومن هم شر منهم من الاوربيين من البلاد التي استعبدوا أهلها — ولكن بعد ان ينقشع سحاب الجهل عن هذه الشعوب وتعرف نفسها . وقد سبقت مصر والهند في هذا غيرهما ،

حادثة بنجاب

سيق رجل من الثوار إلى مدفعة كان فيها بارود زيادة عن المعتاد فأطلق عليه النار فطار جسمه ممزقا كل ممزق

وأشار الجنرال (نكلسن) في كتاب له الى (ادوارد) قائلا: يجب علينا أن نسن قانونا يبيح لنا أن نحرق أو نسلخ جلود الثوار وهم أحياء، لان نار الانتقام التي تتأجج في صدورنا لا تخمد بالشنق وحده، ثم ان الامم الشرقية اعتادت أن لا تحسب للحكومات حسابا ولا تخاف جانبها الا إذا كانت ذات سطوة قاهرة»(١)

وكتب مدير (امرتسر) في ذلك العهد «كان جميع الضباط في بنجاب يبدأون بالفظائع لايقاع الرعب في قلوب الاهالي لكيلا يتجرأوا على أخذ الثأر منا»

وذكر (المامسن) للسر هنري كاتن عن بعض المسجونين المسلمين ما ترجمته: أتاني ذات ليلة عسكري فقال لي بعد التحية العسكرية «لعلك تريد أن ترى المسجونين» فقمت حالا إلى السجن فرأيتهم مربوطين على الارض يتنفسون آخر انفاسهم وكان على أجسامهم آثار الكي بالنحاس المحمي على النار، فرق قلبي لحالتهم التعسة، فأخرجت المسدس وصرت أطلق النار عليهم واحداً بعد آخر لاخلصهم من هذا العذاب الاليم، فلما سمع (كاتن) عن هذه الحادثة المؤلمة سأل (المامسن) عما فعل مع الذين ارتكبوا هذه الافعال الشنيعة؟ فأجاب (المامسن) انه لم يعاقبهم بشيء.

الهمجية في القتل والنهب

لقد كان كل عسكري هندي في ذلك الوقت متهما بالاشتراك في الثورة ومسئولا عن قتل أولاد الانكليز ونسائهم، سواء كان جانيا أو غير جان قريبا او بعيداً، حتى ان الانكليزي الذي كان قتل في دهلي يسئل عنه من كان في بنجاب او في بشاور ويعذب أشد العذاب.

وقد ذكر اللفتنيت مجدن حادثة تفتت القلوب لفظاعتها فقال «وأثبت ذات

---

(١) ليعتبر الشرقيون

مرة أن الانكليز والسيخ كانوا يطعنون عسكريا هنديا بالحراب الا أن طعنهم لم تقتله فجمعوا الحطب وأشعلوا النار فيه، فلما اشتد ضرم النار ألقوا الهندي المسكين فيها وظلوا ينظرون اليه بفرح وسرور عظيمين! »

وأيد هذا القول المستر رسل الكاتب الخصوصي لجريدة « لندن تيمس » وزاد عليه « انني رأيت عظام الجنود المحروقة في ذلك المكان »

وقد احتج « رسل » هذا على تلك الافعال الهمجية الخارجة عن الانسانية: فكتب في مذكراته

« ان الانتقام من الجنود على طريقة همجية، مثلا وضع المسلمين في جلود الخنازير ثم الخياطة عليهم وادخال شحم الخنزير في أفواههم قبل قتلهم، وقهر الهندوس على أكل لحم البقر لاعمال شنيعة تشمئز منها الانسانية كل الاشمئزاز ولا بد أنها تنتج النتائج السيئة عاجلا أو آجلا! »[1] (عثمان..)

حول النشأة الاسلامية في الهند

﴿ ترجمة السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر ﴾

رسالة للاستاذ السيد أبي الحسن علي الحسني بن العلامة السيد عبد الحي ناظم ندوة العلماء (سابقاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين الطيبين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

أما بعد: فلم تزل سنة الله في عباده ولا تزال — ولن تجد لسنة الله تبديلا — أن يبعث فيهم — وقد أخذ الشيطان قيادهم، وذهب بهم النسيان مذهبا حتى (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) — مذكراً مبشراً منذراً

(١) هذا العاقل وذلك المنصف قلما يوجد مثلهما في الشعوب المستعمرة الأخرى

فترى ان الانسان يذكر شيئا فكأنه لاينساه أبداً، ثم يضرب عنه صفحا فكأنه لم يكن قط على ذكر منه (وكان الانسان أكثر شيء جدلا) الكهف (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما (طه) (ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا (الفرقان) (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون (الانعام) (فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون (الاعراف) (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به (المائدة) (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم (الحشر)

فلا بد من التذكير ولا غنى عنه (واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت ، فاجمعوا أمركم وشركاءكم (يونس) (وذكرهم بايام الله (ابراهيم) (فذكر انما أنت مذكر (الغاشية)

وكان محمد ﷺ خاتم النبيين (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين (الاحزاب) به أكمل الله للبشر دينه ، وأتم عليهم نعمته

﴿ مجددو الامة ومصلحوها بعده ﴾

قال ﷺ « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم » رواه الشيخان وغيرهما وفي السنن « ان الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الامة أمر دينها » رواه ابو داود وغيره

فلم يزل في هذه الامة من جدد لها أمر دينها ، أيقظها وقد طال بها الكرى ، وبثَّ فيها روح الحياة والعمل

وأرجو ان يكون السيد الامام احمد بن عرفان مجدد القرن الماضي وأنا على ثقة وبصيرة ان شاء الله ، فمنه كان عصر النهضة الاسلامية واليه يرجع فضل النشأة الحاضرة .

﴿ حالة الهند العامة في عهد نشأته ﴾

انتهت الحرب السياسية التي دارت بين المسلمين واليسوعيين في القرن الثامن وذهبت على اثرها السياسة الاسلامية ، إذ ذهبت الحمية الاسلامية ، وسكرة العزة الملية ، وفقد العالم الاسلامي نشاطه وروحه ولم يبق يومئذ من الاسلام الا اسمه، ومن الدين الا رسمه

طرأت على الهند حوادث سياسية فكثر المفسدون واخذوا يعيثون فيه فساداً ، ويفرسون بفور الفتنة استئثاراً بالامارة ، فلم يكن فيه من يكبح جماحهم ويقطع دابرهم ، فحدثت ثورة بعد ثورة ، وبغوا وطغوا وأكثروا فيه الفساد ، وانقطعت وسائل الراحة والطمأنينة

حتى اذا احتلت الهند الانكليز لعبت يدهم بسياسته ، وساروا على قاعدة « فرّق تسد) وأوقدوا نار العداوة بين أمراء الهند وملوكه حتى صار بأسهم بينهم شديداً ، وصار يقتل بعضهم بعضا ، وكانوا مع الحروب الداخلية يحاربون عدواً آخر وهو الفرنساويون ، فانكسروا وانكسر الفرنساويون وآل الامر الى الانكليز

أما ملوك دهلى (١) فبقوا كأعجاز نخل خاوية ، أو خشب مسندة، حتى اذا استشهد المغفور له السلطان طيبو الذي حارب الانكليز ودفع عن المسلمين سنة تسع وتسعين وسبعمائة وألف (م) ضاقت على المسلمين أرض الهند وكادت تلفظهم

ان مما امتاز به العرب عن غيرهم أنهم اذا دخلوا قرية غيروا دينها ومدنيتها واجتماعها ومعاشرتها وآدابها ولسانها من غير جبر ولا استكراه ، وانقاد أهلها رضا وطاعة لهم ، وحبا وكرامة لطاهر عواطفهم الملية ، ولكرمهم وتقواهم ، وحسن معاملتهم لهم

وأما ملوك الهند وفاتحوه فقد خلوا من تلك العواطف الملية الطاهرة ، وانما ألجأتهم اليه مطامعهم فزحفوا عليه وفتحوه ، وحكموا ماشاء الله أن يحكموا. فداس

---

(١) دهلى مهد الحكومة الاسلامية ومدفنها كانت بغداد الهند وقرطبته عدة قرون

أكثرهم أحكام الإسلام وشرائع الدين كما يظهر من أعمالهم المنكرة التي يأباها كل ذي ضمير حي فضلا عن المتدينين

فالتيموريون لما استقرت بهم الحكومة أراد بعضهم أن يستتب أمره فلم يجد بداً من معاضدة الوثنيين له، فألان جانبه لهم حتى ازورّ جانبه عن المسلمين، ومال اليهم ميلا شغله عن الدين، بالرغم من المتدينين، فتزوج فيهم، وخرّ لأوثانهم، وصار كأنه واحد منهم لا يخيل لاحد انه مسلم، ثم أمرهم بعبادة شخصه فخروا له سجداً وكفّروا له — فهذا كان شأن الحكومة الاسلامية في الهند في ربيع حياتها، أو ريعان شبابها، فما ظنك بها في وهنها وهرمها ؟

اتخذوا القرآن هزؤا، بل كان تلقينه والاستمساك به ذنباً لا يغفر، فلم يكن يوجد للقرآن ترجمة في أي لسان إلا الترجمة الفارسية المنسوبة الى الشيخ سعدي (رح) حتى ان الشيخ العلامة ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي حين ترجمه خشي على نفسه واضطر أن يهاجر من الهند

وأما الحديث فلم يبق منه إلا روايات وأساطير كأساطير ألف ليلة وليلة، كانوا يسجدون بين يدي القبور سجودهم بين يدي الله، فكان القبر قبلتهم التي يتوجهون اليها، وملجأهم الذي يلجئون في شدائدهم وحاجاتهم اليه، فكانوا يزينونه ويزخرفونه ويطوفون به، ويعتكفون عليه، وكانت تنعقد عليه الاسواق وتجتمع عنده المواكب، وكل امرىء رضي بشيخه رائداً، وإلى النجاة قائداً، حتى إذا توفي أحدهم دفنت معه صحيفة عليها اسم شيخه ونسبة ظنا انها تقيه سوء العذاب

ثم المتصوفون — تصوفا مبتدعا — فأحلوا ما حرم الله، وجعلوا المنكر معروفا، والباطل حقا، واعتدوا وأسرفوا، واتبعوا أهواءهم، فضلوا وأضلوا، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتخذوا دينهم لهواً ولعبا، ولذة وطربا، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، وكان الاسلام يومئذ كالمسيحية ما هي إلا أوهام، ومعتقدات وأسماء سموها استغناءاً بها عن الاعمال (لها بقية)

الشيخ محمد عبد العزيز الخولي

رزئت مصر، بل نهضة الاصلاح الاسلامي في هذا العصر، باختضار الشيخ محمد عبد العزيز الخولي في شرخ شبابه، وغضاضة إهابه، وغضارة معيشته، وصولة مجاهدته، بعد مرض فجأه على غرة في قصده، بجهل الطبيب كنهه وعلاجه، لاستكماله ما كتب الله له من العمر، وإذا قضي الأجل عمي البصر وضاعت الحيل، وخاب الأمل

مات الشاب الذي فاق الشيوخ حكمة وعلماء وفات الكهول همة وثباتا وحلماء وبذ الشباب نجدة وإقداما

مات خطيب مصر المفوه، وواعظها الديني المؤثر، المبشر المنذر الذي تخشع لوعظه القلوب، وتسيل الغروب، وتجيش الصدور، وتسهل الشؤون

مات المصنف المدرس الصحيح العلم، الجيد الفهم، المتحري لهدى القرآن الحكيم، وتهدي محمد خاتم النبيين، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم في التزام سنته، والنصح لامته

ثم مات أخونا وصديقنا وأحد أركان جماعتنا دعاة الاصلاح على المنهج الذي تقتضيه حال الزمان، من هدم الخرافات والبدع، وإقامة قواعد السنن، والقيام بحقوق الروح والجسد، واستقلال العقل والفكر، والجمع بين الدين والعلم، والعمل النافع في عمران الدنيا والاستعداد للآخرة، فحزنت لموته القلوب، وفاضت الدموع، وإنا على فقده لمحزونون، فانا لله وإنا اليه راجعون

كان أول عهدنا بمعرفته سنة ١٣٣١ إذ اشترك في مجلة المنار وصار يتردد علينا للمذاكرة والبحث، وكان طالبا في مدرسة القضاء الشرعي، فكانت قراءته للمنار وزياراته لنا في بعض الاحيان، مقوية لاستعداده لمعرفة حقيقة الاسلام، والاهتداء بها للعمل والتعليم على منهج الاصلاح

ولما حان وقت امتحانه النهائي لنيل شهادة المدرسة، وكان لا بد له من كتابة رسالة في أحد المباحث العلمية الدينية للتقديم بين يدي الامتحان اتباعا للعادة الملتزمة — اختار بحث السنة وعلومها وتاريخها فكتب رسالته التي سماها (مفتاح

السنة —او— تاريخ فنون الحديث) وكان يستشيرنا في تأليفها وفي الكتب التي يستمد منها ، وفي الوقوف على أخبار المشتغلين بعلم السنة في الأقطار الاسلامية في عصرنا. ونشرنا له هذه الرسالة في مجلد المنار الثاني والعشرين وطبعناها مستقلة في مطبعة المنار سنة ١٣٢٩ (١٩٢١م) وقدمها للمدرسة فنالت حسن القبول

وقد نوه رحمه الله تعالى في أواخر هذه الرسالة بما كان من تأثير مجلة المنار في نشر السنة والاهتداء بها إذ قال في فصل (حال السنة في عصرنا الحاضر) ما نصه (ص ٦١ من الطبعة الاولى)« ولما كانت مجلة المنار سلفية المنهج وكانت عنايتها موجهة إلى محاربة البدع، والرجوع بالدين إلى مادرج عليه الرعيل الاول من السلف ، وكان ذلك داعياً للعناية بالسنة والبحث فيها وفي فنونها، والاستدلال بها في الفتاوى وغيرها، كان لها أثر صالح في نشر السنة وتكثير سواد الطالبين لها في الاقطار الاسلامية المختلفة » اهـ

وبقي لنا عليه دين أدبي كان يعد بوفائه من غير مطالبة، وهو تقريظ تفسير المنار كما قرظه أخص اخوانه من علماء الازهر وغيرهم، وكان يسوف فيه ليجد فرصة لكتابة شيء لم يسبقه إليه غيره ، فرحمه الله وعفا عنه

خلاصة ترجمته

قال صديقه ورفيقه في الطلب والتدريس الاستاذ الشيخ مصطفى محمد خفاجي المدرس في تجهيزية دار العلوم في تأبينه إياه في حفلة المدرسة (في ٢٦ ذي الحجة):

ولد رحمه الله ببلدة الحامول من أعمال المنوفية سنة ١٣١٠ من الهجرة، ولما أتم حفظ القرآن وتجويده التحق بالجامع الازهر كسائر أهل بلده إذ ذاك (كذا) ولكنه لم يرقه ما كان عليه من الفوضى، فولى وجهه شطر الاسكندرية وانتسب إلى معهدها إذ كان على شيء من حسن النظام والدقة فقضى به أربع سنين إلا بعض السنة ، ثم تاقت نفسه الوثابة وآماله البعيدة إلى الالتحاق بمعهد يكون أدق نظاما ، وأعلى إحكاما، فكانت مدرسة القضاء الشرعي طلبته ، ومغناها بغيته ، فألقى عصاه بذراها ، وانتظم في طلبتها وذلك سنة ١٣٢٩ هـ الموافق سنة ١٩١١ ميلادية وما زال بها الطالب المجد والجندي القوي حتى أتم تسع السنين

ثم غادرها إلى حلبة الحياة العملية وقد انسدت أمامه الأرجاء ، وانفتح لمداركه وآماله مغلق الأنحاء ، فعين مدرساً بالمعهد الذي تخرج فيه سنة ١٩٢٢ ولما أنشيء به قسم التخصص في الشريعة الاسلامية كنا ممن اختير ليدرس في هذا القسم ، ولما عصفت الأعاصير بذلك المعهد الشامخ نقلنا إلى مدرسة دار العلوم ، حتى اذا كان صيف العام الماضي نقلنا إلى المدرسة التجهيزية حيث نحن الآن ، ثم غادرنا إلى الدار الآخرة قبل شهر كامل من اليوم » (أي في ٢٥ ذي القعدة)

ثم ذكر خلاصة ما علمه بالمعاشرة ، والمزاملة في المدرسة ، من شمائله وآدابه وأخلاقه ، وأسلوبه في الدرس ، ومنزعه في الخطابة والوعظ ، وصلته للارحام ، ووفائه للخلان ، وغيرته على الدين ، واهتمامه بامر المسلمين ، وذكر انه لقي في طريقته الوعظية التي جرى عليها في المساجد معارضة من الخرافيين الجامدين فنصره الله عليهم

وأقول ان الخطابة الدينية قد ارتقت في هذه السنين بمصر ارتقاء يبشر بخير عظيم ، فنبغ فيها طائفة من علماء الخطباء العارفين بحال الزمان ، يرجى فيهم الخير الكثير في هداية العوام ، الذين زادهم جهلا على جهلهم ، وضلالا على ضلالهم خطباء الفتنة الذين يلقون على منابرهم خطب الدواوين المعروفة ، وكان فقيدنا رحمه الله تعالى في الذروة منهم ومن عرف كنه ما هبطت اليه الخطابة الدينية في المساجد الاسلامية بموت العلم وافساد الملوك والامراء الفاسقين للعلماء الرسميين ، وانها صارت في هذا العصر مشوهة للاسلام في نظر المتعلمين المصريين ، ومعززة للخرافات في أنفس العوام الجاهلين ، ـ علم ان مثل فقيدنا اليوم خير لدينه وأهل ملته من ألف عالم من هؤلاء المتأخرين الجامدين ، حتى من يعدونهم من كبراء المصنفين ، كالشرقاوي والباجوري والانبابي والسقا واضرابهم . وكتابه في الوعظ والخطابة ورسالة في تاريخ الحديث أنفع من كل تلك المصنفات ودواوين الخطب التي ليس لاحد منهم تحقيق مسألة دينية نافعة فرحمه الله رحمة واسعة ، آمين

(تأخر صدور المنار وكثرة مواده المتأخرة والمنتظرة)

عرض لنا في أوائل شهر شوال من العوارض المختلفة عامة وخاصة ما أمسك بيدنا عن كتابة أي شيء للمنار وامتد ذلك الى ما بعد عيد النحر ، ولا حاجة إلى بسط العذر ، (وكان أمر الله قدراً مقدورا) وقد سبق لنا مثل هذا مما جعل أول سنة المنار يتأخر عن شهر المحرم الى أن عاد في العام الماضي ، ولنا الرجاء في الله عز وجل ان نصدر في عام ١٣٥٠ اثني عشر جزءا فتعود سنة المنار في ١٣٥١ إلى أول المحرم ونجعل ما فات من الشهرين في سنة ١٣٤٩ بدلا من أجازة السنة الجديدة ـ ان أحيانا الله في عافية وسعة بفضله وكرمه وحده كما عودنا

هذا وانه قد كثرت علينا مواد المنار فعلينا في العام الجديد أن نتم مقالات (المساواة بين النساء والرجال) التي كتبنا منها ثلاث عشرة مقالة . وما هو أهم منها من اتمام بحث الربا وما يترتب عليه من أحكام المعاملات المالية في هذا العصر ، وكذا نشر محاضرتنا في موضوع التجديد والمجددين التي ألقيناها في رمضان سنة ١٣٤٨ في نادي الجمعية الجغرافية الملكية ، وكثرت مطالبة الناس لنا بنشرها ، لأنها كانت الفاصلة في هذه المسألة التي كان كثر الخوض فيها .

ولدينا أيضا موضوع المناظرة في مسائل الخلاف بين أهل السنة والشيعة وقد أرسل الينا الاستاذ السيد عبد الحسين شرف الدين مقالته الاولى فيها ولكنه لم يلتزم فيها ما اشترطناه عليه في جواب اقتراحه المنشورين في هذا الجزء ، ولا بد مع هذا من نشرها وبيان ما نراه في تحرير موضوع المناظرة . وكذا مسألة تنكيل ايطالية باخواننا مسلمي طرابلس وبرقة وهتكها لدينهم وعرض نسائهم

وقد نجم في أواخر العام المنسلخ قرن فتنة جديدة في الاسلام لا بد من تقديم الكتابة في دفع ضررها على كل ما ذكر ، وهي أن رجلا جاهلا مغرورا تجرأ على وضع حواشي لكتاب الله تعالى وطبعها مع المصحف الشريف وسماها تفسيرا للقرآن بالقرآن وما هي الا تحريف قبيح يراد به هدم دين الاسلام ، واستبدال دين جديد به . وقد بدأت بتفنيد بدعته التي هي ردة صريحة ، مقرونة بدعاية قبيحة ، بنشر مقالات في جريدة الاهرام التي كانت أول من فتح باب البحث في هذه الموضوع .

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

المحرم سنة ١٣٥٠ هـ الجوزاء سنة ١٣١٠ هـ ش يونيه سنة ١٩٣١

أيطالية شر دول الاستعمار

كانت دول الاستعمار شراً على الشعوب التي يستعمرون بلادها وحدهم فصارت شراً على جميع البشر ، فان التنازع والتحاسد فيه قد أغرى بينها العداوة والبغضاء أو زاد نارها ضراماء فكان أفظع أثر له في العالم هذه الحرب الاخيرة التي هي مصداق لقوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) فقد أصاب سعيرها جميع البشر ، ولا تزال عواقبها السوءى موضع الشكوى في العالم كله من ضيق المعايش والعسر المالي ، وهو لم يزد هذه الدول إلا طمعاً وجشعاً في سلب الاموال، وضراوة بسفك الدماء، والاستعداد للحرب المدمرة للعمران

وكان المعروف ان شر هذه الدول في الاستعمار فرنسة كانت خطتها في مستعمراتها إفساد عقائد أهلها وأخلاقهم وآدابهم وحرمانهم من الثروة ومن جميع العلوم الدينية والدنيوية ، ليرضوا بأن يكونوا كالبهائم والدواب في هذه المزارع الفرنسية يحرثون ويزرعون وينقلون ويبنون لتوفير أموال سيدتهم وتمتيع شعبها الفاسق بالشهوات واللذات. ثم اذا احتاجت الى الحرب والقتال لتذليل أبناء ملتهم أو للدفاع عن نفسها تسوقهم الى ذلك كما تسوق الخيل والبغال

ما كان يخطر على قلب بشر أن يوجد في البشر شر على البشر من هذه الدولة ولكن كان هذا قبل استيلاء شقيقتها اللاتينية على طرابلس وبرقة وقبل عهد وزيرها الفاشيستي السنيور موسوليني الذي شبهه الملك ابن السعود كما قيل لنا برجل من الديناميت على أتون من النار، قد قارب الانفجار، فلا يدري أحد الا الله ما يكون لانفجاره من فظائع الآثار

ظهرت هذه الدولة في هذا العهد بأفظع ما عرف في التاريخ الكاثوليكي وحروبه الصليبية من مظاهر الحماسة الدينية، وأفظع ما يؤثر فيه من أخبار الاثرة اللاتينية، وشر ما طار من عار المظالم النيرونية ، فخطتها الآن محو الاسلام واستئصال العرب من طرابلس وبرقة بالتقتيل والتجويع والاجلاء للرجال، والتنصير للاطفال، والعلل لذلك عندها أن نسل شعبها من سوء حظ البشر كثير لا تسعه بلاده فيجب أن تنتزع من بلاد الناس ما تقدر على انتزاعه وتستأصلهم منها لاسكانه فيها ، وانه لا بد لها من اعادة المستعمرات الرومانية كلها إلى رومية.. (وسيرى القاريء بعض فظائعها في هذا الجزء)

الالحاد في القرآن

ودين جديد بين الباطنية والاسلام

(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)

طبع القرآن المجيد في خاتمة هذا العام، طبعة جديدة مشوهة حواشيها بتحريف سخيف لآياته في العقائد والاحكام، ووُصف كذبا وزوراً بانه تفسير للقرآن بالقرآن، وبهذا الوصف بيعت نسخ كثيرة منه قبل طبعه باسم الاشتراك، لمن صدقوا انه ليس فيه إلا تفسير كل آية بالدلالة على كل ما في معناها أو موضوعها من الآيات

ومن هؤلاء بعض أهل العلم الديني وفي مقدمتهم صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية السباق إلى اقتناء المطبوعات الجديدة المفيدة للمطالعة أو المراجعة

وعرض الاشتراك فيه على آخرين بوصف آخر فقبلوه به، وهو انه تفسير عصري سياسي يقيم الحجج من القرآن على بطلان الحكومة الشخصية الملكية وذم استبداد الملوك (!) واثبات الحكومة الوطنية النيابية (!) ويزيل من طريقها عقبات التشريع المدني الذي وضعه الفقهاء وغيرهم من علماء الدين حتى ما كان منها منصوصا في القرآن كالحدود الشرعية وتعدد الزوجات والتسري، وكل ما مستنده السنة النبوية. بل يبيح لهم تعمد مخالفة رسول الله ﷺ بآرائهم وما يدعون من المصلحة بأهوائهم

وعرض على بعض الماديين بانه تفسير مادي يتأول لهم ما ورد في عالم الغيب من الجن والشياطين والملائكة ومعجزات الانبياء والمرسلين، فيكفيهم من الاسلام أن يعترفوا بالفاظ القرآن، ويتصرفوا في معانيها بما يشاءون غير

مقيدين باللغة العربية في مفرداتها ولا تركيبها ونظم أسلوبها ، ولا بما ورد عن النبي ﷺ وأصحابه (رض) فيها ،ولا من دونهم من أئمة الحديث والفقه بالاولى، ويلزم من هذا بالاولى ألا يلتزموا كل ماقبله هذا الملحد من أحكام القرآن غير محرف ، اذ ماجاز له من الرد والتأويل بالهوى يجوز لغيره على قاعدته في اختلاف معاني القرآن باختلاف الزمان والمكان ، وهو ماصرح به فيما نشره في الاهرام

ثم تم الطبع وظهر الكتاب ، فوقع في يد فضيلة شيخ الازهر فبادر إلى مخاطبة الحكومة بمصادرته لتضمنه مخالفة ماأجمع عليه المسلمون من دين الله تعالى . فصادرت الحكومة ماكان في مطبعة الحاج مصطفى البابي الحلبي وأولاده منه وما وجد في أدارة البريد أو سكة الحديد مهيئا لنقله

ثم نشرت جريدة الاهرام حديثا بعد حديث لفضيلة شيخ الازهر في شأنه ليتهما لم ينشرا ، فانهما على كونهما لم يبينا للناس أهم مايجب بيانه من تحريف تلك الحواشي لكتاب الله ، واشتمالها على ماهو ارتداد صريح عن دين الله، لايحتملان التأويل لغة ولا شرعا،قد تضمنا اتهام بعض علماء الازهر المدرسين في قسم التخصص منه ـ وهو أعلى أقسامه ـ بنشر هذا الكتاب ، ويلزم منه موافقة صاحبه على ما فيه ،والتصريح بان المجلس الاعلى للأزهر والمعاهد الدينية قد قرر نقل اثنين من هؤلاء المتهمين من قسم التخصص إلى معهد أسيوط من باب الاحتياط قبل التحقيق في أمرهما .

فبهذا وذاك فهم عامة الناس وبعض خاصتهم ان هذا التفسير الجديد للقرآن موضوع خلاف بين علماء الازهر أو بين شيخ الازهر وبعض مدرسي القسم الاعلى فيه ،لامما يتفق علماء الملة على كونه مخالفا لاجماع المسلمين،وقد نشرت الجرائد من عهد قريب لبعض العلماء انكاراً على بعض مانشر في مجلة الازهر والمعاهد الدينية (نور الاسلام) مع الوعد بتتابع النشر، (ونحن قدجاءتنا رسائل متعددة في الرد على هذه المجلة في مسائل تتعلق بالعقائد ومقام الرسول ﷺ وحديثه) فكان للناس عذر إذا ظنوا ان الخلاف في التفسير الجديد كالخلاف فيما تنشره مجلة المعاهد الدينية مما يعهد مثله دائما بين العلماء

ولما نشر في جريدة الاهرام وغيرها اسماء هذين المدرسين (وهما الشيخ محمد العدوي والشيخ عبد الجليل عيسى) قويت الشبهة في اتهام الاستاذ الاكبر إياهما، لعلم المشتغلين بالقضية الوطنية — أو جمهور الناس — انهما من المائلين إلى الوفد المصري والمتصلين بأكبر زعمائه بصداقة سابقة ، وأنهما من جماعة العلماء الذين أنكروا على فضيلة شيخ الازهر ومن معه من هيئة كبار العلماء الرسميين ذلك المنشور المشهور الذي نشروه لتأييد الوزارة الاسماعيلية الحاضرة ، ووضعوا بيانا آخر في موضوع الشقاق في القضية الوطنية ، ولم يتمكن الشيخ من منع نشرهم له إلا بجهد وعناء عظيمين

فبهذا وجد واضع الحواشي البدعية الالحادية طريقا ممهداً الرد على شيخ الازهر بانه انما سعى لدى الحكومة التي ينصرها بان تصادر تفسيره لتأييد سياستها لا للدفاع عن الدين ، وطعن على فضيلته بانه لم يعهد منه النضال عن الاسلام والمسلمين ،ويخشى أن يصدقه في هذه الدعوى أكثر المصريين، مستدلين كما استدل بسكوت الشيخ عن الانكار على أعمال الفرنسيس في المغرب الاقصى، وايطالية في طرابلس وبرقة، والحق ان هذا لا يقاس على ذلك وان كان واجبا وضروريا، فان سكوت الشيخ وهو رئيس العلماء الدينيين عن هذا الكتاب يعد إقراراً له ، وانكاره إياه يقتضي منع نشر الالحاد والفساد باسم القرآن ،وأما الانكار على عدوان الدولتين على الاسلام والمسلمين فقصاراه أنه يقوي التكافل والتعاون بين المسلمين في الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم، ولكنه لا يمنع ذلك العدوان إلا اذا ترتب عليه عمل كبير، وانا لنعلم انه وجد من الناصحين من حذر فضيلة الشيخ الاستهداف لهذه التهمة وسوء تأثيرها في سمعته

وشبهة الشيخ على هذين الاستاذين كما علمناه من حديثنا مع فضيلته ان الرجل كان مصاحبا لهما ، ونحن نعلم انه كان ينزل ضيفاً على أحدهما وعلى المرحوم الشيخ محمد عبد العزيز الخولي خير خطباء مصر وأنفع وعاظها، ويلقى عندهما أو معهما سائر إخوانهما من المدرسين الممتازين في الازهر باستقلال الفكر ،والانصاف والادب في البحث ، والدفاع عن الاسلام بدلائل العلم ، ونعلم أيضاً انهم كانوا يناقشونه مناقشة علمية

في فهمه الشاذ الذي نذكر قريبا كيف تدرج فيه ، ولم يكونوا يثنون عليه بمثل ما نقل الينا من ثناء الأستاذ الاكبر شيخ الازهر عليه في محفل من المهنئين له بالرياسة ، ولا كانوا يعرفون منه كل هذا الالحاد الذي قاءه في هذه الحواشي الجديدة . ويافضيحة الازهر ان كان هؤلاء يوافقونه فيها ،وإني لأشهد انهما انكرا أمامي كل ما أنكرته عليها

لهذا كله افترص هذا المبتدع ما نشرته الاهرام من حديثي الشيخ لاعلان تفسيره هذا واتهامه فيه وتهديده له ، وصرح بما نشره في الاهرام وغيرها بانه مبطل للحكومة الحاضرة بدلائل القرآن، وانه سيبين هذا للناس . ومن المعروف عنه انه من غلاة أنصار الوفد ، وقد سبق تأييده له من طريق الدين ، بما فيه تحريف ظاهر للقرآن المبين،وهو يرجو أن يكافئه الوفد اذا عادت له الكرة المرجوة إلى الحكم ، ولهذا تجرأ على تهديد شيخ الازهر في رده عليه ، وسنبين خطأ ظنه في موافقة الوفد له على إلحاده ،وخيبة أمله في ازدلافه اليه بالباطل

صفة الالحاد الجديد في تفسير القرآن

لهذا الضعف الذي وجدته في مقاومة شيخ الازهر لهذا الالحاد،ولما رأيته من الضعف فيما نشر في الجرائد من انكار هذا الافساد ، وجب علي أن أبادر إلى بيان ماينبغي أن يعلمه المسلمون في هذه الفتنة الجديدة ، بما لاتحوم حوله الشبهة ، ولا تدنو من قائله الظنة ، وأنشره في الاهرام قبل نشره في المنار،وقبل أن يكثر أنصارها من الجاهلين وأصحاب الاهواء الالحادية والسياسية. فأقول ـ

(أولا) ان هذه الحواشي (الهوامش) القليلة المبهمة لا يصح أن تسمى تفسيراً بوجه من الوجوه و خاصة ما سماه « تفسير القرآن بالقرآن » فانه على اعتماده فيه على فهمه الشاذ المخالف للغة والشرع ـ وهما مادة كل تفسير ـ يحيل فيه عند أكثر الآيات التي يكتب شيئاً بازائها على آيات متعددة وعلى سور كثيرة لايمكن أن تكون بمعنى الآيات أو الآية التي جعلها مفسرة لها ، وقصاراه أن يكون في بعضها مسألة منها ،وأكثر الآيات لايفسرها بشيء

وقد فتحت المصحف الآن لاجل كتابة شاهد على ماقلت فجاءت أمامي

سورة الجن فاذا هو قد كتب في حاشيتها مانصه:

(٦ـ١٠) اقرأ الصافات وتدبرها آية آية ثم الاعراف إلى ٣٨ و٣٩ وما بعدها إلى آخرها ثم سبأ وغافر وابراهيم والانعام ويس والشعراء ـ ثم الاسراء والكهف والحجر والرحمن والنمل وفصلت والذاريات وأواخر الاحزاب ـ ثم هود والسجدة والناس ـ ثم الفاتحة ثم ١٤٦ و١٦٥ ـ ١٦٧ في البقرة. بعد هـذا تفهم انه يطلق الجن والجنـة على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين، ويعبر عن الانس بسائر الناس المقلدين، والتابعين المستضعفين اه بحروفه

هذه الحاشية تقنع كل من له مسكة من العقل، أن كاتبها ليس له مسكة من العقل، ولا شمة من العـلم، وانه لا يفهم ما يكتبه هو فكيف يفهم كلام الله تعالى الذي يتوقف فهمه على اتقان اللغة العربية، وسعة العلم بالعلوم الشرعيـة، وهو لم يؤت منها شيئاً له قيمة. أمر من يبتليه الله تعالى برؤية (هوامشـه) أن يقرأ عشرين سورة من السور الطوال والمثين وطوال المفصـل ووسـطه وقصاره بترتيب معين، عطف بعضـه بثم وبعضـه بالواو — ثم بقراءة ثلاث آيات من البقرة بعد قراءة الفاتحة وقال: «بعد هذا تفهم انه (أي الله عز وجل) يطلق الجن والجنـة على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين، ويعبر عن الانس بسائر الناس المقلدين، والتابعين المستضعفين»

ان في هذه العبارة من ضروب الجهل مايربأ الانسان بكرامة نفسه ويضن بقيمة وقته أن يضيع شيئاً منه في شرحها وبيانها، اذ لا يوجد عامي ولا خاصي يتوهم أن فيها شبهة على دعواه فنحاول ردها رحمة به، وحسب الأمي أن يفتش في سورة الفاتحة التي يحفظها كل مسلم عن صحة دعواه التي لا نعرف في اللغة اسما ولا وصفا يليق بها. وانما ذكرني ذكره الفاتحـة فيها ما استنبطه غلام احمـد القادياني مسيح الهند الدجال من الدليل منها على مسيحيته، وما استنبطه منها اتباعه من بقاء النبوة والوحي بعد خاتم النبيين، بل دعوى هذا المفسر الجديد أبعد عن اللغة العربية من دعوى اولئك الاعجميين لانه أجهل بها منهم

وأقول (ثانيا) إن ماذهب اليه من تحريف آيات الله في الجن كما رأيت آنفا

وفي الملائكة وفيما أيد الله به رسله من الآيات الكونية كعصا موسى واحياء عيسى الموتى وابرائه للاكمه والابرص باذن الله تعالى وغير ذلك وزعم ان هذا من فهم القرآن الذي تقتضيه علوم هذا الزمان ـ قد سبقه اليه ملاحدة الباطنية منذ أكثر من الف سنة ، فليس هو مما أفاضته عليه فلسفة هذا العصر وعلومه المادية في شيء ، وعهدنا به أنه لا يعرف من هذه الفلسفة ولا من هذه العلوم شيئا الا ماقد يراه في بعض الصحف وقلما يفهمه . وقد كان اولئك الباطنية ممن حذقوا الفلسفة الطبيعية والعقلية والعلوم الرياضية ، واتقنوا علوم اللغة العربية ، كما يرى القارىء في كتاب رسائل اخوان الصفا من كتبهم ، ولذلك انخدع كثير من المتعلمين بدعايتهم التي أرادوا بها تحويل الناس عن دين الاسلام بالانتقال البطيء من درجة في التأويل لنصوص القرآن والحديث الى درجة ، ولم يفاجؤهم بمقصدهم دفعة واحدة

ما اظن ان هذا الباطني الجديد قرأ شيئا من كتبهم فسرت اليه دعوى الالحاد منها . فالذي أعلمه انه لا يعنى بمطالعة الكتب القديمة ولا الحديثة ، ولكن لا يبعد أن يكون قد لقي بعض دعاة البابية البهائية فهم ينشرون دينهم في مصر وفلسطين وسورية ، وكانوا ممنوعين من ذلك في عهد الدولة العثمانية

ومما ينقل عنهم ان المراد بعصا موسى ما آتاه الله من القوة الروحية ، ومن إحياء عيسى للموتى إزالة جهل موتى القلوب بالعلم والتهذيب ، ولكنهم مع هذا يدعون ظهور لاهوت الرب في ناسوت المسيح تمهيداً لمثل هذا في معبودهم البهاء ، ولهذا قلت في العنوان إن الدين الجديد الذي يبث دعايته مفسر دمنهور الجديد هو وسط بين الباطنية والاسلام

وأقول (ثالثاً) ان مايوجد في بعض هذه الحواشي وفي مقدمتها من المسائل الصحيحة في الجملة كسنن الله تعالى في خلقه ، وتعظيم القرآن لشأن العلم والعقل والبرهان ، وهدمه لتقليد الآباء والاجداد في الايمان وأصول الدين ، وخطابه للامة بما يجعلها به متكافلة في تربيتها وسياستها وآدابها — وجعله حكومة الامة شورى بين اولي الامر وأهل الحل والعقد منها — وتكريمه للانسان واعلائه لشأنه بالتوحيد والعلم وعزة النفس ـ وجعله الجزاء على الاعمال بقدر تأثيره في تزكية النفس ـ وموافقته لمصالح البشر في كل زمان ومكان لانه دين الفطرة

المكمل لها الجامع بين مصالحها الجسدية والروحية - ان مايوجد في مقدمته وبعض حواشيه من هذه القضايا جله أو كله مأخوذ من تفسير المنار ومن مجلة المنار أيضا - يعلم ذلك كل من يقرأهما ، ولكنه قد وضع بعض هذه القضايا في غير مواضعها ، وحرف كثيراً من الآيات عن مواضعها لادخالها فيها ، وسأبين هذا بالشواهد في مقال آخر . ومنه يعلم انه ربما لا يوجد في تفسيره كلمة حق قد انفرد هو بها

ومن شاء أن يطلع على ما أخذها صحيحة غير محرفة ولا مخالفة لقواعد الدين ولا لفصيح اللغة ، فليراجعها في مظانها من فهارس أجزاء التفسير العشرة ، كلفظ سنن الله ، وسنن الاجتماع ، والاسلام ، والقرآن ، والجزاء ، ولا سيما الفصول التي نلخص بها مسائل كل سورة في أبواب أصول الدين وفروعه وقواعد الاجتماع وسنن العمران

***

تنقل هذا الملحد في الحاده بالتدريج

وأقول (رابعا) ان هذا الرجل قد عرف بالولوع بالشذوذ وحب الشهرة في مخالفة جماعة المسلمين في أمور له في بعضها وجه ما من المسائل العلمية ، ثم فيما ليس له وجه حق في مخالفة العقائد القطعية ، وتحريف نصوص القرآن الاجماعية ، فأول ماعرف به من ذلك أنه لايكاد يصلي إلا بنعليه ، والصلاة بالنعلين جائزة إذا كانتا طاهرتين أو خاليتين من الخبث ولكنها ليست واجبة ، وهي في الغالب منافية للنظافة ان لم تقل الطهارة ، وانما كانوا يصلون بنعالهم في العصر الاول لانهم كانوا يصلون على التراب ، لا على الحصير أو البساط . ثم حكي لنا عنه أنه لا يتوضأ في السفر ولو من بلده الى غيرها من بلاد وطنه ، بل يصلي بالتيمم دائما مع وجود الماء ، وانما التيمم رخصة بشرطه لا عزيمة

ثم انه لما زار المدينة المنورة وعاد منها إلى مكة سنة ١٣٤٤ لاجل أداء فريضة الحج لم يحرم من ميقاتها الذي كان يحرم منه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهو ذو الحليفة ، فشذ دون جميع من كان معه من المسلمين . ولا حاجة إلى بسط

شبهته والجواب عنها هنا وقد شددت عليه النكير فيها بالمشافهة في وقتها

ثم اننا سمعناه يرفع عقيرته في المؤتمر الاسلامي العام في مكة المكرمة في مسألة عملية ظننت انها شذوذ جزئي من جهله بالفقه ، ثم تبين الآن انها فرع لأصل من أصول دينه الجديد، ذلك أنه عند مابحث أعضاء المؤتمر في اقتراح انشاء سكة حديدية بين جدة ومكة المكرمة تؤخذ نفقاتها من ضريبة يفرضها ملك الحجاز على الحجاج وامتنع الملك ابن السعود من ذلك بانه لايحل له فرض هذه الضريبة — ادعى هو انه يحل له ذلك لانه اصلاح، و « الاسلام لايمكن ان يمنع الاصلاح » فأخذ يرفع عقيرته ويصيح في المجلس بهذه القاعدة التي لا تدل على جواز اكراه الملوك للناس على دفع أموالهم لامثال هذا الاصلاح ، وقد بسطت حكم الشرع في هذه المسألة في المؤتمر بما لم ينكره أحد من أعضائه كما أنكروا عليه قاعدته المخترعة، وكان الاستاذ الظواهري من حاضري تلك الجلسة

ثم جهر في نادي جمعية الشبان المسلمين بتحريف كلام الله تعالى في مسألة عرش ملكة سبأ فقام الناس في وجهه وأهانوه

ثم ألف رسالة في الزواج أنكر فيها التسري وملك اليمين بما هو أبعد عن اللغة والشرع والتاريخ من كل تلك الجهالات وهو مما خالف فيه الاجماع المعلوم من الدين بالضرورة ، وقد احتدمت في انكاري عليه حتى لم يعد يزورني منفرداً

ثم كتب مقالة ونشرها في جريدة من جرائد الوفد الشهيرة أراد التقرب بها اليه والزلفى عنده بأقبح من كل ماتقدم من الجرأة على العبث بكلام الله تعالى جعل عنوانها قول الله عز وجل (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) أراد ان يثبت فيها ان الآية تصدق على جماعة الوفد الذين ذهبوا إلى لندن للمفاوضة في عقد المعاهدة بين مصر وانكلترة ، وسخر فيها من علماء المسلمين في تفسيرهم للتقوى ، كما سخر من أئمة الحديث والتفسير في رواية سحر اليهود للنبي ﷺ فمعبر عنهم بوصف المسلمين بما يشعر انه ليس منهم ، ولا يليق بمن يطالب بحرية الرأي والفهم أن يسخر من هؤلاء الأئمة فيما يخالفهم فيه .

وبلغني انه كان يكلم بعض انصار الوفد الذي رآه يستحسن مثل هذا

الالحاد والتحريف لكتاب الله في مكافأة الوفد له على هذه الخدمة ، فاجابه بانه يجب عليه أن يصبر لان حالة الامة الاسلامية الآن لاتساعد على ذلك

. فهذا الاستدراج الذي ذكرناه هو الذي جرأه على ان يطبع كتاب الله مسخما حواشيه بما ذكر، وبما هو ابعد في الضلال وأوغل في الالحاد من كل ما ذكر ، على ان يهدد فضيلة شيخ الازهر بأنه إنما أمر بمصادرته لما فيه من التصريحات سياسية المخالفة لحكومة مصر الحاضرة

نعم ان فيه شيئا كثيرا مما ذكره بعضه صحيح وبعضه باطل، والقصد منه سياسي ظاهر ، وهو أن يجعله الوفد عند ما تعود السلطة اليه إمام المسلمين في دينه الجديد ، الذي يتوهم انه هو الموافق لحال هذا العصر والواقع انه إلحاد قديم

وأنا اعتقد انه هو القاضي على جميع آماله هذه ، فان اكبر زعماء الوفد من المسلمين متدينون فعلا لا سياسة ، يصلون ويصومون ويدينون الله بما هو مقرر في كتب أهل السنة والجماعة من العقائد والعبادات ، وفي مقدمتهم الرئيس الجليل مصطفى باشا النحاس ، ومحمد نجيب باشا الغرابلي ، وفتح الله باشا بركات، ومحمد باشا الباسل، وكل منهم أحسن منه فهما للقرآن لأن لهم من علم اللغة وغيرها ما ليس له . فكيف يرضى أحد منهم أن يجعله اماما له ، أو يجهل أن تكريمهم إياه يسقط مكانتهم من نفوس الامة؟

وأقول (خامساً) ان أهل السنة والجماعة وغيرهم من الفرق الاسلامية مجمعون على أن من جحد شيئا مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة يحكم بكفره وارتداده عن الملة الاسلامية ولا يقبل منه تأويل إلا إذا تاب وأناب

وفي هذه الحواشي عدة مسائل جحد كاتبها فيها ما ذكر ، ومهد لها السبيل ثم لها الاحتجاج بما ذكره في مواضع كثيرة من حرية الاعتقاد ، ولكن حريته في اعتقاده لا تمنع علماء المسلمين أن يبينوا لهم ان عقيدته غير عقيدتهم ، وأن يطالبوا الحكومة على منعه أن يشوه كتاب الله وينشر تحريفه بينهم ، ولا يمكن لأية حكومة مصرية أن تخالفهم في هذا ، ولا يرضى أحد من زعماء الوفد المسلمين بهذا القبط منهم فلا يرضون لهذه المسألة بوجه من الوجوه

جحود هذا الملحد للمجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة

وأقول (سادسا) ان افظع ماخالف به إجماع المسلمين فيما هومعلوم من دين الله بالضرورة إجازته عصيان رسول الله ﷺ بالرأي والمصلحة فيما كتبه عند قوله تعالى (٢٤ :٦٣: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا . قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) فقد كتب عندها مانصه:

(عن امره) يفيدك ان المخالفة المحذورة هي التي تكون للاعراض عن امره وأما التي تكون للرأي والمصلحة فلامانع منها بل هي من حكمة الشورى اه بحروفه. فاطلاقه جواز المخالفة للرسول بهذه العلة يشمل السنن العملية والقولية القطعي منها والظني

فهذه القاعدة من قواعد هذا الدين الجديد تبطل من قواعد الاسلام وجوب تقديم النص على الرأي والاجتهاد المبني على الرأي ودعوى المصلحة . وجميع علماء القوانين الوضعية موافقون للمسلمين فيها . (على أنه يعني بالرأي الهوى لا القياس الفقهي لانه لايعرفه) ومن فروع هـذه القاعدة مازعم به عبقريته في المؤتمر الاسلامي بمكة المكرمة ، وهو يقتضي أن كل ماأخذه اسماعيل باشا من أموال الامة المصرية بأنواع الضرائب والمغارم كان جائزاً شرعا لانه أخذه باسم اصلاح مصر وجعلها مدينة أوربية ! !

ومما يتعلق بطاعة الرسول ﷺ وخالف فيه المسلمين قوله في تفسير (٤:٥٩ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) مانصه (ص ٦٨)

« جعل أولي الامر مع الرسول في الطاعة لاعتباره رئيس حكومة شورية تنفذ قانون الله ، وكل رئيس ينفذ حكم الله له هذه الطاعة »

والمقرر عند المسلمين ان الرسول ﷺ انما يطاع لرسالته لا لرياسته ، وهو مقتضى تعلق الحكم بالمشتق ، فقد كانت طاعته واجبة منذ بعثته وقبل ان تكون لامته حكومة ، وهي عامة فيما يتعلق بمصالح الحكومة وما لا يتعلق بها ، فلو أمر

أي مؤمن أمراً خاصا بشؤونه الشخصية وجب عليه امتثال أمره . وقد قال الله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وليس لكل رئيس حكومة هذه الاولوية.

وقد سبقه بعض الملاحدة الى ادعاء ان طاعة الرسول (ص) انما كانت واجبة لانه رئيس الحكومة وأن هذه الطاعة قد سقطت بعده ، وأنها واجبة لكل رئيس حكومة من ملك أو أمير أو سلطان

وكان بعض رجال النيابة المصرية ألقى محاضرة في هذا الموضوع منذ بضع عشرة سنة قرر فيها ان السنة النبوية كانت شريعة مؤقتة خاصة بعصر الرسول (ص) الخ ورددت عليه رداً مفصلا في مجلة المنار . والمشهور عن هذا المفسر الجديد أنه لا يحتج بالسنن القولية ، وقد ظهر من تفسيره هذا انه لا يبالي بالسنن العملية أيضا ، وقد احتج عليه الشيخ عبد الجليل والشيخ العدوي باقامة النبي ﷺ حد الزنا على ماعز والغامدية باعترافهما به مرة واحدة ، فلم يمنعه ذلك من اصراره على القول بان الحد لا يقام الا على من اعتاد الزنا واصر عليه واشتهر به

ومما أجمع عليه المسلمون وعلم من الدين بالضرورة الآيات الكونية التي أيد الله تعالى بها رسله عليهم السلام على ظواهرها من نصوص القرآن وكذلك ما في معناها من آيات الله التي وردت في القرآن مطلقة وهو يحرف تلك الآيات كلها بما هو جحد صريح لما أجمعوا عليه ولا يحتمل النص سواه . وشبهته في هذا كله أن ظواهر هذه الآيات مخالفة لسنته تعالى في نظام الخلق ، وهو يتأول الآيات القطعية الدلالة في ذلك بما تتبرأ منه اللغة والتاريخ واجماع أهل الملل كاليهود والنصارى مع المسلمين . وهذه المسألة قد ذكرها كل من رد على هذا الالحاد اجمالا ، وذكرناها في القولة الثانية من مقالنا هذا عرضا ، وسأذكر عبارته في عصا موسى واحياء عيسى الموتى وابرائه للاكمه والابرص باذن الله وفي قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) مع أدلة بطلانها لغة وشرعا وعقلا وتاريخا . وأبين جهله بمعنى سنن الله تعالى ، وبمعنى كونها لا تبديل لها ولا تحويل ، وألزمه الحجة بما يعرف في العالم بالمشاهدة في كل زمن من وقوع أمور مخالفة للسنن المعهودة في نظام الخلق ، ومنها ما قرأناه اليوم في بعض الصحف من ولادة امرأة في اسبانية بضع بنات سليمات الابدان ، وغير ذلك مما يسميه الماديون

«فلتات الطبيعة» دع جهله الذي حمله على تقييد قدرة الله ومشيئته وحكمته بما يسميه هو أو غيره من الناس سننا الهية أو طبيعية وجهله بكون واضع السنن هو فوق السنن.

وأختم هذا المقال المجمل بان ما انفرد به من هذه الحواشي التي سخم بها المصحف الكريم هو مجموعة جهالات وسخافات يظن أن ما مهد لها من تجهيل الامة الاسلامية من عصر النبوة الى هذا العصر وزعمه انه لم يفسر القرآن منهم أحد تفسيراً صحيحاً، وان هذه المنقبة قد ادخرت له ـ سيتلقاه كثير من الناس بالقبول، ويكون به مؤسس دين جديد بين البهائية والاسلام، وان الوفد المصري سيرفع به قدره بين الانام، وقد ظن مثل هذا الظن من سبقه الى انكار حكومة الاسلام، وهو يفوقه بشيء من أدب اللغة وخلابة الكلام، فخاب ظنه، وسيكون هو أشد خيبة وأسوأ عاقبة منه

فأدعوه بعد هذا البيان الوجيز الى التوبة الى الله تعالى والبراءة من هذا الالحاد، وأنبئه بأن الباطنية قد ألفوا كتبا كثيرة، واسسوا جمعيات قوية، وسفكوا دماء غزيرة، بل أسسوا خلافة ودولة في مصر وغيرها (دولة العبيديين التي اسست الجامع الازهر والمشهد الحسيني) كل ذلك لاقناع المسلمين بتأويلاتهم الباطلة للقرآن فخاب سعيهم، وحفظ الله كتابه من الهادم، وقد بقي لهم اتباع في غير مصر التي كانت مركز خلافتهم، فهل يمكن ان تتبع مصر مثله فيما هو أسخف من تأويلاتهم، ولا قوة له في علم ولا حكم، ولا عصبية ولا مال؟ كلا فليعتبر بتلك العاقبة، وإلا فلينتظر سوء الخاتمة، وخسران الدنيا قبل الآخرة، وذلك هو الخسران المبين، واني له لمن الناصحين، والعاقبة للمتقين.

المقالة الثانية

السرقة والتزوير، في دعوى التفسير

وعدت في المقال الاول الذي نشرته الاهرام بأن أبين في مقال آخر ان ما أورده هذا الملحد في مقدمة (هوامشه) من مزايا القرآن الصحيحة قد سرقها كلها من تفسير المنار، ثم ادعاها لنفسه بالزور والبهتان، وجعلها في المقدمة لاجل

الاعلان ، وإيهام الناظر فيها انها مما فاق به جميع المفسرين من (الهداية والعرفان) إذ زعم انهم هدموا بتفاسيرهم جميع أصول القرآن (كما في الصفحة الثانية منها) وقد قال الرسول ﷺ وهو الذي أوجب الله اتباعه لرسالته ، لا لرياسته كما زعم هذا الملحد المبيح لمخالفته ، « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » متفق عليه

وقد كان من رأيي الذي أفضيت به إلى فضيلة شيخ الازهر أن لا ينشر عن هذه الضلالة والجهالة شيء في الجرائد يشعر بأن لهوامشه قيمة أو تأثيراً ولو في الكفر ، لئلا يكون ذلك وسيلة لاعلانها ، وما يبغيه مبتدعها من الشهرة والربح منها ، ولاجل هذا وحده لم أسبق غيري الى الرد عليها ، وأرجو أن تكون مقالتي الاولى كافية لاقناع من قرأها بأن هذه الهوامش التي سميت تفسيراً للقرآن بالقرآن ليس فيها من حقيقة هذه التسمية شيء ، فلا هي مساعدة للمسلم على فهم القرآن ، ولا قوية التأثير في تشكيكه في الايمان ، ولا هي تصلح بسخفها شبهة للملحدين والمبشرين على الصد عن الاسلام ، لان ما فيها من التحريف سخيف لا يقبله الخواص ولا العوام ،

ولكنني أخشى أن يظن من يطلع على مزايا القرآن في مقدمتها ان تلك الهوامش شرح لها ، وانها مما امتازت به على غيرها ، فيرتكب جريمة اقتناء هذا المصحف المشوه المحرف لاجلها . فأنا ابين في هذا المقال بعض المواضع التي سرقها منها ، ليعلم الناس بطلان ما اوهمه في مقدمته ، وما صرح به لمندوب الاهرام في حديثه الذي نشره له ، من انه لم يعتمد في فهمه القرآن على تفسير أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين ، وإنما هو علم استفاده من نظره وسياحاته في العالمين . . .

ولا ادري ما حكم هذه السرقات الكثيرة في دينه الجديد ؟ هل تثبت بها الجريمة العلمية الادبية عليه لتعدد ما ارتكبه منها كما قال في حكم الزاني والسارق ؟ أم هي مباحة عنده وان كان مرتكبها كاذبا في دعواه ، ومزوراً غاشا للناس ؟

شر آرائه الالحادية في مقدمة تفسيره

كل ما في مقدمته من معنى صحيح قبل ذكر المزايا وبعدها فهو مسروق من تفسير المنار أيضاً ولكنه مقترن ببعض آرائه الفاسدة وقواعد دينه المبتدع او التمهيد له ، وشره وأعرقه في الافتراء وابطال ثقة المسلمين بدينهم ما يأتي :

(أ) قوله : « وقد بلغ الدس والحشو في التفاسير انك لاتجد أصلامن أصول القرآن الا وتجد بجانبه رواية موضوعة لهدمه وتبديله » وقد فرع على هذه الفرية الطعن بجميع المفسرين وكتبهم ، وكتب اللغة التي يعتمدون عليها

(ب) زعمه انه قرأ في بعض المسائل خمسين تفسيراً فرآها كلها متفقة برجع أصلها « الى رواية مكذوبة أو رأي ميت لايصح أن يكون تفسيراً لكلام الله » وقد اثبت قبل هذا ان من عيوب التفاسير رد بعضها على بعض ، فاذا اتفق مع هذا خمسون منها على بعض المسائل لرواية عن النبي ﷺ او بعض الصحابة صحت عندهم أو رأي لبعض الأئمة قوي دليله ـ فكيف يقبل المسلمون طعنه فيهم كلهم وزعمه ان الرواية مكذوبة وهو من أجهل الناس بعلم الرواية ، أو زعمه ان رأي من مات من أئمة المفسرين لايصح أن يكون تفسيراً للقرآن؟ وهل كتب تفسيره هو ليعمل به الناس ما دام حيا فقط ؟

(ج) زعمه ان معنى كون القرآن متشابها هو « تحمله لاختلاف الآراء والانظار في كل زمن أي انه من تعدد المعنى يتشابه ويختلف على الناظرين » وهذا الاطلاق فاسد لانه يشمل العقائد وأصول الدين وحدود الله وقواعد أحكامه ، وهي كلها قطعية ومقتضى كلامه انه ليس فيها شيء قطعي ، وهو يناقض قوله في حاجة الناس إلى الدين . واما الذي قررناه في التفسير ولم يفهمه فهو أنه يوجد في القرآن آيات في الخلق والتكوين والادب والتاريخ وغير ذلك تحتمل كل منها معاني قد يظهر منها في كل زمان ما يدل على انها من عند الله تعالى ، وتجد بيان هذا في الوجه السابع من وجوه إعجاز القرآن(صفحة ٢١٠ جزء أول)

(د) زعمه انه لايضر الناس اختلافهم في فهم القرآن « ماداموا يرجعون إلى المحكمات من الاصول والامهات ، أي يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات » فقد حصر أصول الدين المحكمة في الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، ولم يجعل منها الايمان بالرسل وما أيدهم الله به من المعجزات ، وغيرها من أصول العقائد وقواعد الاحكام . وهذا أصل من أصول دينه الجديد الذي يريد به هدم الاسلام .

أ كتفي الآن بهذه الاباطيل مجملة ،وأذكر عبارته في المزايا العشرين بلفظه على مافيها من الضعف والادماج والتكرار، وأبين بعض مآخذها من تفسير المنار بالاختصار، وأتحرى ان يكون اكثر الشواهد على هذه المآخذ من الجزء الاول منه . فأقول:

(مزايا القرآن العشرين من مقدمته مميزة بوضع خطوط فوقها)

(١) بلاغة الاسلوب الذي يقوم به الانسان لسانه وقلمه ، وبه يبلغ مايريد من نفس السامع اه

هذه المزية مقتضبة من بحث بلاغة القرآن في الصفحات ٢٠١ و٢٠٢ و٢٣٠ من جزء التفسير الاول . ومنها قولنا في آخر ص٢٠٢ وأول مابعدها

« الحد الصحيح للبلاغة في الكلام هي أن يبلغ به المتكلم مايريد من نفس السامع باصابة موقع الاقناع من العقل ، والوجدان من النفس » !!

(٢) خطاب جماعة الامة في الاحكام الاجتماعية بما يجعل الامة متضامنة في الاعمال فيظهر مسؤوليتها ويقرر سلطتها اه

بينا هذه القاعدة في مواضع من تفسير المنار فأنت ترى في فهرس الجزء الاول منه (الامم) تكافلها ووحدتها ص٣٠٩ و ٣٢٢ و٣٨٤ الخ ومما جاء في ص ٣٢٢ ما نصه :وما جاء الخطاب بهذا الاسلوب إلا لبيان معنى وحدة الامة واعتبار ان كل مايبلوها الله من الحسنات والسيئات ، وما يجازيها به من النعم والنقم ، انما يكون لمعنى موجود فيها يصح أن يخطب اللاحق منها بما كان للسابق كأنه وقع به ، ليعلم الناس ان سنة الله تعالى في الاجتماع الانساني أن تكون الامم متكافلة يعتبر كل فرد سعادته بسعادة سائر الافراد وشقاءه بشقائهم ، ويتوقع نزول العقوبة به اذا فشت الذنوب في الامة وإن لم يواقعها هو (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وهذا التكافل في الامم هو المراج الاعظم لرقيها ، لانه يحمل الامة التي تعرفه على التعاون على الخير والمقاومة للشر فتكون من المفلحين

(٣) تعقيب الآيات بما يناسبها من صفات الله كعليم وحكيم الخ

راجع هذه المسألة بعينها في ص ٤١٦ من الجزء الاول ، ولو شئت لذكرت نصها ونصوصا أخرى من غيره ، ولكن جميع المفسرين يبينون هذه المناسبات

(٤) تعظيم شأن العقل وجعله أساسا لفهم الاحكام وسير الامور والاعمال اه

هذه القاعدة مبينة في مواضع كثيرة من تفسيرنا وقد قلنا في بيان الاصول والقواعد الشرعية العامة المستنبطة من سورة البقرة من الجزء الاول ص ١٢١ مانصه :

(القاعدة ٣٣) بناء أصول الدين في العقائد وحكمة التشريع على ادراك العقل لها واستبانته لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد ، وسد ذرائع الفساد الخ — وذكرت بعض آيات الشواهد . وفي ص ٢٥٠ منه مانصه : ولذلك جاء القرآن يلح أشد الالحاح بالنظر العقلي والتفكر والتدبر والتذكر ، فلا تقرأ منه قليلا إلا وتراه يعرض عليك الاكوان ويأمرك بالنظر فيها الخ وفيه بعض آيات الشواهد

(٥) اعلاء النفوس واعزازها بتوحيد الله وعدم الذلة للمخلوق اه

هذه القاعدة مبينة في مواضع كثيرة جداً من أجزاء تفسيرنا أولها في تفسير (إياك نعبد وإياك نستعين) من الجزء الاول قولنا (ص ٦٠)

ماأفاده الحصر من وجوب تخصيص الاستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك (أي ماقدمناه من استفراغ القوة في الاستقلال من طريق الاسباب) وهو روح الدين وكمال التوحيد الخالص الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الاغيار ويفك ارادتهم من أسر الرؤساء الروحانيين ، والشيوخ الدجالين ، ويطلق عزائمهم من قيد المهيمنين الكاذبين ، من الاحياء والميتين ، فيكون المؤمن مع الناس حراً خالصاً وسيداً كريما ، ومع الله عبداً خاضعا (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) الخ

(٦) تقرير حرية الاعتقاد والقضاء على الرياسة الدينية حتى يكون الخضوع في الدين لله بوازع من النفس لا بالضغط والاكراه اه

هاتان مسألتان لامسألة واحدة . فأما حرية الاعتقاد ومنع الاكراه في الدين

فقد بيناها في عدة مواضع وذكرناها في قواعد سورة البقرة العامة بقولنا في (ص ١١٦ من الجزء الاول)

(القاعدة العشرون) حرية الدين والاعتقاد ومنع الاضطهاد الديني ولو بالقتال حتى يكون الدين كله لله، ومنع الاكراه على الدين » الخ وفيه بعض آيات الشواهد على القاعدة

وأما مسألة القضاء على الرياسة الدينية فانما تصح إذا أريد بها سيطرة رجال الدين الرسميين على الناس في فهمهم للدين كما هو معهود في بعض الملل وهذه مبينة في مواضع كثيرة من تفسير المنار ومجلة المنار ومنها ماذكرناه آنفاً في مأخذ المزية الخامسة مما ذكره هو. وقد بسطها الاستاذ الامام في (كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية)

---

(٧) رفع شأن الانسان بالمساواة بين جميع الطبقات وجعل الامتياز للاتقى اه

هذه المسألة مبينة في مواضع كثيرة من تفسير المنار أيضاً اولها مافي مقدمة التفسير (ص٢٩) من بيان أخوة المسلمين من جميع الاجناس وفيها الاستشهاد بآية الحجرات (٤٩: ١٣ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقول النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع « يا أيها الناس ألا ان ربكم واحد، لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لاسود على أحمر، ولا لاحمر على أسود إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ألا هل بلغت؟» قالوا بلى يارسول الله. قال « فليبلغ الشاهد الغائب» وذكرنا بعد هذا ماحدث من العصبية الجنسية في المسلمين وما كان من مفاسدها

---

(٨) هدم التقليد الذي يقضي على استقلال الفكر ويضعف الاستعداد الفطري في البحث والاستنتاج)

قد حققنا هذه المسألة في مواضع كثيرة من أجزاء التفسير ومن المنار أيضاً. وجملتها القاعدة الثالثة عشرة من قواعد سورة البقرة (ص ١٠٤) فتجد في فهرس

الجزء الاول منه مانصه: التقليد : بطلانه وذمه (صفحة ٢٤ و ٣٢ و ٦٨ و ١٠٨ و ١١٤ و ١٧٣ و ١٧٨ و ١٨٠ و ٢٠٣ و ٣٠٦ و ٣٩٥ و ٤٢٥ و ٤٢٩ و ٤٤٨ و ٤٨٩ و ٤٩١

التقليد التجرد منه لطلب اليقين بالبرهان ٤٤١

« كونه كفراً بنعمة الفطرة والدين وخروجا من نورهما ١٨٥ و ٣٩٥

(٩) الجزاء على العمل بمقدار تاثيره في النفس لا بالفدية والشفاعة اه

هذه المسألة ما رأيت احداً سبقني إلى بيانها بمثل مابسطته في مواضع كثيرة من التفسير منها ما ذكر مع مسالة الشفاعة والفداء ومنها ما ذكر مع تفسير آيات أخرى ليست مقرونة بعدم الاتكال على الشفاعة والفداء . ومن الاول تفسير قوله تعالى (٢ : ٤٧ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) وهو في ص ٣٠٥ من الجزء الاول وما في معناها وهو آية (١٢٣)

ومن الثاني تفسير (ووفيت كل نفس ما كسبت) من الجزء الثالث ص ٢٦٨) بما نصه :بأن رأت ما عملته محضراً موفى لا نقص فيه فكان منشأ الجزاء ، ومناط السعادة او الشقاء ، دون الانتماء الى دين كذا اومذهب كذا او الانتساب الى فلان وفلان من النبيين والصالحين . ألا أنهم يرون يومئذ ان الجزاء يكون بشيء في داخل نفوسهم لامن شيء خارج عنها ، يكون بما أحدثته أعمالهم فيها من الصفات الحسنة او القبيحة ومقدرة بقدر ذلك .الخ

(١٠) بيان السنن العامة وهي النواميس والانظمة الطبيعية . بالبحث فيها يفهم القدر والميزان، وينكشف العلم ويزداد الايمان اه

هذه المسئلة مما امتاز بها تفسيرنا أيضا وتجدها مفصلة في كل جزء منه . ففي فهرس الجزء الاول وحده مانصه :

سنن الله المطردة في الكون — ص ٢٣ و ٣٦ و ٥٨ و ٦١ و ٧١ و ٢٤٢ و ٢٥٩ و ٣٤٤ و ٤١٣ و ٤٢٣

سنن الله في نظام الاجتماع البشري ١١ و ٢٤٢ وما بعدها و ٣٣٦ و ٣٤٤

وأما سنن الله تعالى في الكائنات التي يفهم منها معنى القدر فهي مكررة فيه، وقد جعلتها الاصل السادس من الاصول العلمية والعملية في تلخيص سورة الانفال، وتجده في صفحة ٢٨٦ من الجزء الثامن، وراجع في هذا الجزء وزن الاعمال أيضاً (ص ٣١٩)

(١١) هيمنته على الكتب بالحكم على الابحاث الفلسفية وتقرير الصحيح من المذاهب وجمع الناس كلهم على طريقة مرضية تجمع خلاصة الكتب ولا تفرق بين أحد من الرسل اه

هيمنة القرآن على الكتب الالهية من أعظم مزاياه وهو نص قوله تعالى في سورة المائدة بعد ذكر التوراة والانجيل (٥: ٤٨ وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) وهو لم يتكلم عليها في مكانها بشيء وفي تتمة بتها حكمة اختلاف الشرائع، وهي مسألة أخرى، وقد بينا معناها في تفسير الآية بما لم نر مايدانيه في التفاسير المعروفة (راجع صفحة ٤١٠ ــ ٤٢٠ من الجزء الرابع) وعدم التفريق بين الرسل مسألة أخرى بينها جميع المفسرين لانها من أصول عقائد الاسلام

وتكلمنا على هيمنة القرآن على الكتب الالهية في مباحث اعجازه أيضا، ومنه الفصل في الخلاف بيننا وبين أهل الكتاب، وتحقيق الحق في مسائل طعن ملاحدة أوربة في كتابة التوراة وكتب الانبياء بعد فقدها باحراق بختنصر لهيكل سليمان ... بما لا تجد له نظيراً في غير المنار وتفسيره، وأول موضع ذكرت فيه هذه المسألة

(النوع السابع) من اعجاز القرآن من صفحة ٢١٢ــ٢١٥ من الجزء الاول وآخره الفصل الاستطرادي الذي عنوانه (هيمنة القرآن على التوراة والانجيل وشهادته لهما وعليهما) وهو في صفحة ٣٤٢ من الجزء العاشر

(١٢) ذكر ما فيه الفائدة والعبرة من القصص والحوادث اه

هذه عبارة مبهمة قاصرة يجد قاريء تفسيرنا أول بسط لها في صفحة ٣٢٧

من الجزء الاول ويرى لها شواهد متعددة في مواضعها من الاجزاء الأخرى مفصلة تفصيلا ، ومنها ما في صفحة ٢٠١ و ٤٦٤ من الجزء الثاني وما في الفصل الذي عقدناه عقب ذكر قصص الرسل من سورة الاعراف بعنوان (سنن الله وحكمه في هذه القصص وأمثالها والاعتبار بها) وهو في صفحة ١٤ من الجزء التاسع

(١٣) هدايته العامة وأحكامه المنطبقة على مصلحة كل شعب في كل زمان ومكان اه

هذه المزية قد بيناها في مواضع كثيرة من أجزاء التفسير ، تارة بالايجاز والاجمال ، وتارة بالاسهاب والتفصيل ، مثبتين انه لا يمكن الاستغناء عن هدايته وأحكامه بما هو خير منها أو يغني عنها ، راجع في ذلك صفحة ٢٢١ — ٢٢٤ من الجزء الاول وبحث (الرجاء في اهتداء الافرنج بالاسلام) في ص ٣٥٨— ٣٦٣ من الجزء العاشر ، وفي الصفحة الاخيرة منها التصريح بمثل عبارته وقد سبقها تصريحات كثيرة . وأما هو ففي حديثه الذي نشرته الاهرام ما يدل على أن سبب تحريفه لآيات القرآن وحملها على غير ما عمل به الرسول الذي أنزلت عليه ﷺ وأصحابه (رض) وسائر أئمة المسلمين هو زعمه إن حال الزمان والمكان تقتضي ذلك ، فهو إذاً لا يقول بظاهر هذه القاعدة بل يقول بضدها وهو أنه لا يمكن العمل بأحكام القرآن إلا بما حرفها هو به حتى في الحدود القطعية

(١٤) تشابه معانيه ، ليتسع مجال الافهام فيه اه

قد بينا آنفا مراده الباطل من هذه الجملة ، في الكلام على مسألة حرف (ج) وهو قد قلب بها ما كتبناه في هذه المسألة في أواخر صفحة ٤٣٥ من الجزء الاول وهو : وهذا الضرب من البيان مما امتاز به القرآن على سائر الكلام ، فانك لترى فيه فنونا من الاستدراك والاحتراس ، قد جاءت في خلال القصص وسياق الاحكام ، تقرأ الآية في حكم من الاحكام أو عظة من المواعظ ، أو واقعة تاريخية فيها عبرة من العبر ، فتراها مستقلة بالبيان ، ولكنها باتصالها بما قبلها قد أزالت وهما ، أو تممت حكما ، وكان ينبغي لاهل العربية أن يقتبسوا هذا الضرب من البيان ، ويتوسعوا به في أساليب الكلام ، فان القرآن قد أطلق لهم اللغة من عقالها ،

وعلمهم من الاساليب الرفيعة ما كانت تستحليه أذواقهم ، وتنفعل له قلوبهم ، وتتحرك به أريحيتهم ، ولكنهم لم يوفقوا لاقتباس هذه الاساليب الجديدة الخ

(١٥) تكريره المسائل ومزجه القصص بالاحكام لينفخ روح الهداية بصور مختلفة والنفوس تتأثر بالشيء بمقدار تكريره وتجديد ذكره اه

هذه المسألة مما بسطته في مواضع كثيرة من تفسير المنار ولم أطلع لأحد على كلام فيها ، وأخصر عبارة لي فيها مافي صفحة ١٢١ من الجزء التاسع :

« اعلم ان وضع هذه الآيات الواردة في الترهيب والترغيب، والانذار والتبشير، في سياق الآيات الواردة في قصة أحد — هو من سنة القرآن في مزج فنون الكلام وضروب الحكم والاحكام بعضها ببعض الخ

وفي صفحة ٢٠١ من الجزء العاشر في التكرار مانصه :

والتكرار الذي يقتضيه المقام أعظم أركان البلاغة لانه أعظم أسباب اقناع العقل والتأثير في الوجدان .

(١٦) بناؤه الحكومة على الشورى وتقريره سلطة الأمة للقضاء على الاستبداد وحكم الفرد الذي يضعف الارادة ويولد النفاق والجبن اه

شرحت هذه القاعدة من قواعد التشريع الاسلامي شرحا واسعا في تفسير (وشاورهم في الامر) من سورة آل عمران (٣ : ١٥٩) من الجزء الثاني (ص١٩٨) وفي تفسير آية طاعة (أولي الامر) في سورة النساء (٤ : ٥٨) وهي من صفحة ١٨٠ — ٢٢٢ من الجزء الخامس وفيها تفصيل الكلام على أولي الامر وأهل الحل والعقد الذين يمثلون سلطة الأمة ، ومقارنة ذلك بالمجالس النيابية في هذا العصر.

وأما الاستبداد وظلم الملوك وافساده للأمة وإذلاله لها فقد بسطته في مواضع كثيرة أولها مافي تفسير (لاينال عهدي الظالمين) من سورة البقرة (٢ : ١٢٤) وهو في ص ٤٥٦ — ٤٥٩ من الجزء الاول . ولعل آخرها ماعبرنا عنه في فهرس الجزء العاشر بقولنا (الملوك والرؤساء ، وإفسادهم للاخلاق بتقريبهم لأهل النفاق) ص ٥٣٩

(١٧) تخييره الانسان بين الانتقام بالعدل من المسيء والعفو عنه بما تدعو اليه المصلحة، حتى تنتشر العزة في النفوس، ويذوق كل امريء لذة فضله وجاهه اه

هذه المسألة مبينة في مواضعها من جميع التفاسير وتجدها في تفسير (فاعفوا واصفحوا) من سورة البقرة (ص ٤٢٠ من الجزء الاول) وفي تفسير (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة) في سورة الانفال (ص ٦٣ ج ١٠) وفي مواضع أخرى منه كالمقابلة بين الاسلام والنصرانية

(١٨) نظامه الاجتماعي وتأسيسه على الفضيلة وحسن المعاملة اه

هذه جملة مبهمة تدخل في قواعد كثيرة من قواعد نظام الاسلام الاجتماعي التي بيناها في مواضع كثيرة من تفسيرنا ، منها تفسير آية (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وآية معاملة اليتامى بما فيه إصلاحهم ، وكلاهما في الجزء الثاني . وفي آخرها ثماني قواعد اجتماعية في حكم الاسلام تدخل في ذلك أيضا .

ومن أهمها مابسطناه في حكمة تحريم الربا في الجزء الثالث وهو ان الاسلام دين عدل ورحمة وفضيلة وهو في صفحة ١٠٦ ـ ١٠٧ ، ثم في صفحة ١٢٣ـ ١٣١ من الجزء الرابع . (ومنها) ماذكرناه في شكل الحكومة الاسلامية وفي نظامها المالي أصلا أو استطراداً ، ومن مباحثها ماتقدم آنفا في المزيتين ١٦ و ١٧

(١٩) كتاب يؤاخي العلم ، ويسير مع الفطرة ، يقنع العقل بالحجة ، ويؤثر في النفس بالموعظة الحسنة ، اه

هذه أربع مسائل لا مسألة واحدة ، وقد تقدم ذكر المسألة الثالثة والرابعة منها في بيان مأخذ المزية الأولى من تحديدنا لمعنى البلاغة من التفسير ، وكذا في بيان مأخذ المزية الرابعة وهي تعظيم شأن العقل ، وهما مشروحتان في مواضعهما المناسبة من أجزاء التفسير ، وأما مؤاخاته للعلم فهي مشروحة في مواضع كثيرة من التفسير والمنار ، وفي كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية وكذا رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام ، وهو صاحب الفضل الاول في تقرير هذه الحقيقة ، وأول موضع فصلتها فيه من التفسير (الوجه السادس) من وجوه إعجاز القرآن وهو «عجز الزمان عن ابطال شيء منه» وفيه الرد على من زعم ان فيه

شيئا معارضا بشيء ثبت بدليل علمي قاطع ، وهو في صفحة ٢٠٧ من الجزء الاول
ويليه الوجه السابع من وجوه اعجازه وهو « اشتماله على تحقيق كثير من المسائل
العلمية الكونية والتاريخية كانت مجهولة للبشر » وترى في أول الكلام على الاسلام
من فهرس الجزء العاشر مانصه : إظهار الله إياه على جميع الاديان، بالحجة والبرهان
والهداية والعرفان ، والعلم والعمران، والسيادة والسلطان (صفحة ٣٨٩)

وأما كونه دين الفطرة بمعنى موافقته لها ، وتقويمه إياها ، وكونه للنوع البشري
كالعقل لافراده - فهو مبين في مواضع كثيرة أيضاً سيأتي بعضها بنصه في الكلام على
المزية العشرين التاليه. وتعبير هذا السارق والمزور عن ذلك بالسير مع الفطرة مبني
على زعمه الالحادي جواز تحريفه القرآن، وتغيير أحكامه لموافقة المبتدعين في هذا الزمان

وقد شرح الاستاذ الامام معنى الفطرة البشرية وما كان عليه البشر قبل
بعثة الرسل وشرع الدين في تفسير قوله تعالى (٢ : ٢١٢ كان الناس أمة واحدة
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) بما لم يحم حوله أحد من المحققين، وتجده
في الجزء الثاني من التفسير (من ص ٢٧٦-٣٠١)

---

(٢٠) كتاب يجمع بين صلاح الروح والجسد فيضمن للناس سعادة الدنيا والآخرة اهـ

قد سبق فيما مر من مآخذ بعض هذه المزايا بعض الشواهد على هذه المسألة
وهي كثيرة جداً جداً في تفسيرنا ، بعضها تفسير للآيات المناسبة لها وأظهرها
قوله تعالى في سورة البقرة (٢: ١٤٣ وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وهي في أول
الجزء الثاني كما تقدم - ومنها في الشواهد ، وقد بيناها في قواعد سورة البقرة ،
فجعلنا أهلها القسم الاول من المهتدين بالقرآن ثم قلنا في القواعد (القاعدة ٢٢)
ان من شأن المسلمين طلب ماهو أثر لازم الاسلام من سعادة الدنيا والآخرة معاً
كما تقدم في القاعدة الاولى . وانما تتحقق الغايات ولوازم الامور بطلبها والسعي
لها . فليس من هداية الاسلام أن يترك المسلمون الدنيا ومعايشها وسياستها
ويكونوا فقراء أذلاء، تابعين للمخالفين لهم من الاقوياء ، ولا أن يكونوا كالانعام
لا همّ لهم إلا في شهواتهم البدنية ، وكالوحوش التي يفترس قويها ضعيفها ، وهذا
الجمع بين الامرين مقتضى الفطرة، والاسلام دين الفطرة - ثم ذكرت بعض الشواهد

وأنت اذا نظرت كلة الدين من فهرس الجزء الاول تجد فيه بحث اقتضائه السعادة في ستة عشر موضعاً مبينة بأرقام صفحاته ، وتجد مع هـذا في حرف السين (سعادة الدارين تابعة لآثار اعتقاد الانسان وعمله في تزكية نفسه)

وقد قال هذا السارق المزور في التفسير بعد هذه المزية (٢٠) مانصه :

«هذا وأن القرآن بهذه المزايا جدير بالعناية ، ولتعلم ان الله تعالى سماه قرآنا ليقرأ على الدوام ، ليكون خلقا وملكة في النفس لاليكون كالقوانين تراجع مواده عند الطلب . وان في دوام القراءة تجديد الافهام الداعية الى إحياء الموروث الهداية اهـ

وهذه الخاتمة مسروقة من تفسير المنار أيضاً ولكنه أساء بجعل سبب العناية بالقرآن محصوراً فيها ، لانه لم يتيسر له سرقة غيرها من المزايا الاعتقادية وغيرها أو لانها لا توافق دينه الجديد ، وهذا اذا كان يعلم ان قوله « ان القرآن بهذه المزايا جدير بالعناية » يدل على الحصر على انه قال في كلامه على السنة « إن القرآن دستور فيه كل شيء من أصول القوانين »

وأما المواضع التي سرقت منها هذه العبارة ، فهي في تفسير المنار كثيرة ، بل هي أول ماقررته في فاتحة التفسير من الجزء الاول ، فقد أوردت بعد البسملة آيات في وصف القرآن وهدايته في صفحتين ونصف صفحة وقلت بعدها مانصه :

أما بعد فيا أيها المسلمون ! إن الله أنزل عليكم كتابه هدى ونوراً ليعلمكم الكتاب والحكمة ويزكيكم ، ويُعِدّكم لما يَعِدكم به من سعادة الدنيا والآخرة ، ولم ينزله قانونا دنيويا جافا كقوانين الحكام ، ولا كتابا طبيا لمداواة الاجسام ، ولا تاريخا بشريا لبيان الاحداث والوقائع ، ولا سفرا فنيا لوجوه الكسب والمنافع ، فان كل ذلك مما جعله تعالى باستطاعتكم ، لا يتوقف على وحي من ربكم ، وهـذا بعض ماوصف الله تعالى به كتابه في محكم آياته (اشارة الى الآيات السابقة) تدبرها سلفكم الصالح واهتدوا بها فأنجز الله لهم من سعادة الدنيـا قبل سعادة الآخرة ما وعدهم ... (وههنا أوردت بعض هذه الوعود القرآنية)

وانا فتوى في حكمة انزال القرآن أوردنا فيها ٢٤ آية من أمثال هـذه الآيات و ١٥ حديثا في معناها ، وهي (ص ٢٥٨ من مجلد المنار الثامن)

ثم قلت بعد زهاء صفحتين مانصه :

صلحت أنفس العرب بالقرآن إذ كانوا يتلونه حق تلاوته في صلواتهم المفروضة وفي تهجدهم وسائر أوقاتهم، فرفع أنفسهم، وطهرها من خرافات الوثنية المذلة للنفوس المستعبدة لها، وهذب أخلاقها، وأعلا هممها، وأرشدها إلى تسخير هذا الكون الارضي كله لها، فطلبت ذلك فأرشدها طلبه الى العلم بسننه تعالى فيه من أسباب القوة والضعف، والغنى والفقر، والعز والذل، فهداها ذلك الى العلوم والصناعات الخ

ثم قلت: إنما يفهم القرآن ويتفقه فيه من كان نصب عينيه ووجهة قلبه في تلاوته في الصلاة وغيرها ما بينه الله فيه من موضوع تنزيله، وفائدة ترتيله، وحكمة تدبره، من علم ونور، وهدى ورحمة، وموعظة وعبرة، وخشوع وخشية، وسنن في العالم مطردة. فتلك غاية إنذاره وتبشيره، ويلزمها عقلا وفطرة تقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة فانه كما قال (هدى للمتقين) الخ

(فان قيل) ألا يصح أن يكون صاحب هذه الحواشي التي سماها تفسيراً مما سرقه من تفسير المنار من مزايا القرآن بالحق، مع ما أورده فيها من إلحاد الزنادقة وتأويل الباطنية الباطل — ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً؟

(قلت) لا. بل هو ممن خلطوا الكفر بالايمان ومثله في تفسيره مثل المنافقين الذين قال الله فيهم (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد انهم لكاذبون)

فلا يجوز لمن يدين بالاسلام، أو باليهودية او النصرانية ايضاً، أن يقتني هذا المصحف المحرف لكتاب الله، الذي يجعل اصول الايمان كفراً. فان اقتناءه شر من اقتناء كتب الكفر والالحاد الاخرى، ومن وافقه على ما فيه من مخالفة أصول الدين، واتباع غير سبيل المؤمنين، فهو مرتد عن الاسلام، وبريء من جميع الانبياء لا يختلف في هذا عالم من علماء المسلمين، ولا من علماء أهل الكتاب، فانه جحد معجزات موسى وعيسى عليهما السلام، وكون السيدة مريم العذراء وابنها آية من آيات الله بحملها به من غير أن يمسها بشر الخ. وسنزيد ذلك بيانه في المقال الثالث ان شاء الله تعالى

(موضوع المقال الثالث أصول دينه الجديد وهي خمسة ومقدماتها التمهيدية له وهي خمسة)

الطريقة المثلى لعمران الحجاز الاقتصادي

من الرحلة الحجازية الموسومة (بالارتسامات اللطاف ، في خاطر الحاج الى أقدس مطاف)

(للأمير شكيب أرسلان)

ان الحجاز فيه بقاع زراعية هي في الدرجة القصوى من الخصب والزكاء، ولكن ينبغي لها المال والعلم فلا بد من بناء السدود كما كانت من القديم ومن حفر الابار الارتوازية لاستنباط المياه ، ومن الاعتماد في السواني على الآلات الرافعة البخارية (المواتر) وهناك طريقة رأيتها في الصيف الماضي في جزيرة ميورقة وهي الدواليب الهوائية تدور بهبوب الريح فترفع الماء وينصبب إلى الصهاريج ، ولا يتكلف عليها صاحبها زيتاً ولا فحماً

فاذا وجد الماء وجد من الخصب والخير والمير في الحجاز مالا يوجد في قطر آخر . وأما المال اللازم للمشروعات الزراعية المذكورة فله طريقان:

(احداهما) ان تنظم الميزانية المالية لحكومة الحجاز تنظيما حسنا ويفرز منها جانب واف لمصلحة الزراعة ، فتأخذ هذه كل سنة بمشروع وتقوم بانشائه من مال الخزانة ثم تستوفي ذلك من الاهالي المنتفعين على أقساط معلومة مؤجلة إلى عدة سنوات بحسب جسامة المشروع

(والثانية) أن تتقدم لهذه الاعمال شركات اسلامية بحتة من حجازيين ونجديين ومصريين وشاميين وهنود واندونسيين وغيرهم وتعطيها حكومة الحجاز بها امتيازات الى آجال معينة ، وهذه الشركات هي التي تبني السدود وتستوفي على الري شيئاً معلوما من الزراع، او تحفر الآبار الارتوازية وتأخذ بدل العمل مع الربح الذي يكون وقع عليه الشرط، أو تقدم المواتر لاصحاب السواني وتأخذ منها منجما على عدة سنوات وما أشبه ذلك (١)

(١) وفي أخبار أم القرى ان الحكومة السعودية انتدبت أحد كبار مهندسي الامريكان لاختبار الارض وأماكن وجود المياه فيها . وأنه وجد مياها غزيرة قرب وادي فاطمة من جهة جدة ، وستحفر هناك الآبار الارتوازية لاستخراجها وسقي الارض بها اهـ من حاشية الاصل

ويوجد عدا الزراعة منبع عظيم الرزق في الحجاز بل في كل جزيرة العرب هو المعادن . فان غنى الجزيرة بالمعادن موصوف معروف عند جميع الامم من قديم الدهر حتى ان المؤرخين أجمعوا على ان حضارة هذه الجزيرة الباهرة في الحقب القديمة انما قامت بامرين (أحدهما) نقل متاجر الهند والشرق الاقصى إلى الغرب بموقع العرب بين الاثنين (والثاني) ثروة المعادن التي تكنها أرض الجزيرة

فينبغي الآن وقد مضى وقت الفتوحات وصرنا لا نطمح إلا إلى حفظ الموجود بيدنا، أن نارز إلى الجزيرة التي هي مهد العرب المنتشرين في أقطار المعمور جميعاً ونجعلها الكهف المانع ، والاصل الجامع ، ونستخرج كل مافيها من عيون الحياة الكامنة، حتى تصون نفسها، وتنجد أخواتها التي انبسطت عليهن أيدي الاستيلاء الاجنبي، وأصبحن لايملكن لانفسهن أمراً، فتزحزح عنهن هذا الرق الذي يرسفن في قيوده، وتتم بذلك الجامعة العربية التي هي نكتة المحيا ، ونشيدة آمالنا في هذه الدنيا . ويجب ان لاننسى ان هذا الامر لايصلح آخره إلا بما صلح به أوله . فقد كانت معادن الجزيرة في القديم من أغزر منابع ثروتها وعزها وارتقائهـا وهي لاتزال هي هي لاينقصها إلا الارادة والعمل

ولقد يقال ان استثمار المعادن ليس بامر سهل وانه ان انشبت الشركات الاوربية مخالبها في هذه المعادن جنينا منها السيطرة الاجنبية ، والذل ،والندامة، فالافضل ان نكون فقراء أحراراً ولا نكون أغنياء أرقاء ... ولن نكون أرقاء وأغنياء أبداً، لان الثروة لاتجتمع مع فقد الاستقلال. وهاؤم أهل المغرب والجزائر وتونس عندهم من معادن الفوسفات وغيرها مايقوم بالمليارات وليس بايديهم منه شيء حتى كأن ذلك ليس في أرضهم

كل هذا التعليل صحيح لااعتراض عليه . وأحسن لنا ان نبقى فقراء مستقلين من ان يبتلعنا الاستعمار الاجنبي بواسطة معادن نرجو في استثمارها اليسر، فيؤول بنا الامر إلى الخسر . ولكن هذا التعليل لايحل المشكل ، ولا يجوز لامة عاقلة رشيدة أبية تبغي الحياة مثلنا ان تعول في قضية ذات بال كهذه على حل سلبي

صرف، نظن أننا قد أجبنا به ضمائرنا الناشزة، وسكنا به خواطرنا الثائرة، على حين انه الحل الذي يليق بالامم التي استوى عندها الماء والخشبة والتي لاتريد ان تعمل شيئا ، بل تنظر قضاء الاستيلاء الاجنبي ان ينفذ فيها

أقول في تعليل ذلك (أولا) ان الذين يقترحون استثمار هذه المعادن الثمينة لايشيرون باعطاء أقل شيء منها لشركة أجنبية او لشركة مؤلفة من مسلمين هم تبع لدولة أجنبية غير مسلمة ، بل يشيرون باعطاء الامتيازات لاستثمارها إلى شركات إسلامية مرجعها حكومات اسلامية ، ومما لانزاع فيه ان الشركات التجارية في بلاد الاسلام قليلة وان رءوس الاموال قليلة أيضاً

فالمسلمون لم يتعودوا أسلوب الشركات في التجارة فضلا عن ان ثروتهم العامة لاتساعدهم على تأليف هذه الشركات . الا ان المبالغة في كل شيء مذمومة فلا يجوز ان نظن أن تأليف الشركات عند المسلمين مستحيل ولا ان المال معدوم تماما بين أيديهم ، فكلا هذين الافتراضين مخالف للمحسوس

وفي بلاد الاسلام شركات اقتصادية كثيرة ، ومن المسلمين عدد غفير من ذوي الثروة ، وعدد غفير من ذوي المهارة في الامور الاقتصادية

واذا جربت حكومتا الحجاز واليمن استثمار المعادن التي في هذين القطرين على أيدي متمولين من المسلمين فلا يبدأ هؤلاء بالربح ولا يتحقق المسلمون ان هذه المشروعات ذات عوائد أكيدة حتى يقبلوا على المساهمة من كل صوب ويجد من رءوس الاموال عند المسلمين مالا يخطر لك على بال . وذلك لان الربح جلاب ، وحيث تحقق وجود الفائدة وجد المال بلا اشكال

اذن يمكننا أن نستثمر معادن جزيرة العرب برءوس أموال أصحابها مسلمون بل أصحابها مسلمون لاتلي بلدانهم دول غير مسلمة (١) وليس بضربة لازب ان

(١) إن تجار العرب في بمبي «الهند» وأكثرهم من نجد والكويت قد ألفوا شركة بواخر تمخر بين الهند وشط العرب زاحموا بها الشركات الانكليزية فزحموها، ثم كانت الحرب العامة سبب استيلاء الانكليز عليها بصفة قانونية اهـ مصحح الرحلة

يستثمر هذه المناجم كلها دفعة واحدة ، بل يمكننا أن نستخرج خيراتها تدريجياً ، ولكن الذي لايجوز أصلا هو ان نظماً والماء فوق ظهورنا ، او أن نشكو مزيد الفقر والمال تحت أرجلنا

(ثانيا) ان الظن الذي يظنه بعضنا ان الشروع باستخراج هذه المناجم يفتح أعين الاوربيين على الجزيرة لاسيما اذا رأوا الخيرات تدر منها وانهم قد يشنون الغارات على البلاد لاجل حيازة هذه المعادن هو ظن لعمري بغير محله

فان الافرنج يعرفون مواقع هذه المعادن ويعلمون مافيها إن لم يكن تفصيلا فاجمالا . وعندهم علم آخر من طبقات الارض يجعلهم عارفين بما يحتوي من المعدن والفلز كل نوع من هذه الطبقات ، فان كانوا لم يشنوا الغارات إلى اليوم على الجزيرة فليس لجهلهم بما في بطنها من الكنوز والخيرات ، بل لان الامور مرهونة باوقاتها ، والاستيلاء على جزيرة العرب او على بعض أقسام من جزيرة العرب ليس بالامر السهل ، بل دونه عقبات من وعورة الجبال ، وحرارة الرمال ، وشجاعة الرجال ، فضلا عما بين الدول من التنافس الذي يحمل بعضهن على الوقوف بالمرصاد لبعض مما يخشى منه وقوع الحرب بينهن . وعلى كل حال فالجزيرة إلى الآن سالمة من استيلاء الاجنبي إلا بعض أطراف لابال لها

فليس من الحكمة ولا من الحزم أن نضيع على أنفسنا ثروة نحن في أشد الاحتياج اليها تحت ملاحظات ليست صحيحة وأسباب غير واردة

ومما يدلنا على كون هذه المعادن معروفة عند الافرنج رسالة بالالمانية أطلعني عليها مؤخراً مؤلفها المستشرق الالماني الشهير الاستاذ موريتز واسمها « المعادن في العربية القديمة » die bergwerke in alten arabien

جاء فيها ماملخصه :

يظن الناس إجمالا ان جزيرة العرب هي من افقر بلاد الدنيا ، وحقيقة

الحال انها ليست كذلك، بل إذا نظرنا إلى ما كانت عليه في القرون الوسطى نجدها كانت ذات ثروة تضرب بها الامثال وكانت تلك الثروة آتية من منبعين (أحدهما) كون الجزيرة طريق التجارة بين الشرق والبحر المتوسط (والثاني) وفرة المعادن التي كانت فيها، وأخصها الذهب، فقد كانت هذه المعادن في أواسط عهد الالف سنة قبل المسيح معروفة عند العبرانيين والفينقيين والاشوريين. وقد كان سليمان بن داود أرسل بعثة على حسابه إلى البحر الاحمر، وعادت بغنائم تدهش العقل

وذكر سترابون (جغرافي يوناني مات في زمان طيباريوس قيصر) وديودور (مؤرخ يوناني يقال له ديودور الصقلي صاحب تاريخ عظيم، وكان معاصرا لاغسطس قيصر) انهرا في بلاد العرب كان فيها التبر

وقد كانت جزيرة العرب قبل الاسلام وقبل دخولها في الفتوحات النائية ذات ثروة عظيمة بالزراعة والمعادن، وكانت مكة أشبه بمركز حكومة جمهورية ذي مراكز تجارية عظيمة ذات علاقات مع الآفاق، وكان الاخذ والعطاء جاريين بقوة بينها وبين سائر البلدان، وكانت فيها صناعة الحلي بالغة درجة الاتقان، ولا يزال صاغة مكة، وصنعاء اليمن، وعنيزة نجد، الى يومنا هذا مشهورين باتقان الصنعة

أماكن معدن الذهب في جزيرة العرب

فأما الاقاليم التي فيها معادن الذهب من جزيرة العرب فمنها الاقاليم الغربية والذهب يوجد فيها باسناد الجبال الواقعة بين الداخل والساحل أي أسناد الجبال المتدلية إلى التهائم. وكذلك توجد معادن ذهب في أواسط الجزيرة في الاماكن المجهولة الضاربة إلى الجنوب والشرق. وهذه الجوانب الجبلية متكونة من حجر الغرانيت مع كثير من الرخام السماقي، وهذه الحرات التي في الجنوب

والتي تمتد إلى مكة وإلى غربيها لا شك أنها تولدت تحت تأثير التحولات الجيولوجية التي أدت إلى هذه القفار المحرقة وهذه اليبوسة في الجزيرة ، وأن شكل الغرانيت الصواني هذا يظهر في وسط البلاد وتمتد آثاره الى جهة الشرق اي في جبال نجد . واطرافه الجنوبية تظهر في شمالي اليمن الى أن تحاذي صنعاء من الشمال . واما الجنوب الغربي من الجزيرة والجنوب كله فتشكلاتهما الجيولوجية مختلفة عن الاولى ، والذهب انما يوجد في الجهات التي فيها الصوان أو الغرانيت وهي ما يأتي :

(أولا) في الشمال الغربي من الجزيرة بأرض مدين القديمة

(ثانياً) في ارض الحجاز الضاربة الى الجنوب

(ثالثا) في الشرق من الجزيرة نحو نجد

(رابعاً) في الجنوب الشرقي إلى جهة اليمامة

(خامساً) في الجنوب المحض بأرض عسير إلى الشمال من اليمامة

فمدين هي البلاد الواقعة بين البحر الاحمر وقمم الجبال المحاذية للبحر الممتدة من نحو العقبة في الشمال إلى وادي الحمض في الجنوب وهي اليوم تابعة للحجاز . وهناك مراكز على ساحل البحر منها (ظبا ، والمويلح ، والوجه)

*
* *

فأنت ترى من هذه الرسالة المنشورة سنة ١٩١٧ أي منذ أربع عشرة سنة ان الاوربيين يعرفون ما في جزيرة العرب من المعادن ان لم يكن تفصيلا فاجمالا وانه ليس عدم سماعهم بثروتها المعدنية هو الذي ثبطهم حتى اليوم عن احتلالها . بل لذلك أسباب سياسية مرجعها حفظ التوازن الدولي ، وعسكرية مرجعها صعوبة مراس أهلها

فالأولى بنا أن نغتنم هذه الفرصة ونستغل ما أمكننا من هذه المعادن لنقوي بها جيوشنا ، ونصلح إدارتنا ، ونبث العمارة في بلادنا ، وأن لا نأخذ هذه الامور بالتسويف والمطاولة حتى يصيبنا ما أصاب تركيا في مطاولاتها باستخراج الكنوز التي كانت تحت يدها إلى أن جاء الاجانب واستولوا عليها ، فقد كانت قادرة أن تستفيد من زيت الموصل من عهد طويل ، فلم تبت في أمره شيئاً ، ولم تزل تماطل إلى أن أضاعت بهذه الماطلة ثروة تقوم بالمليارات الكثيرة من الجنيهات لامن الفرنكات ، وكان عندها البحر الميت فلم تصنع في استخراج ثروته شيئاً ، ولا أبدت ولا أعادت إلى أن جاء الانكليز بعد الحرب العامة فحللوا مياهه وقوموا مايمكن أن يستخرج منه ، فقالوا انه يمكن أن يستخرج منه قيمة خمسة آلاف مليار جنيه ، وعشرون الف مليون طن من الفوسفات وهلم جرا مما تعي العقول عن تصوره ، وليس في جزيرة العرب شيء من الخيرات التي تقوم بهذه المليارات من الجنيهات ولكنه بدون شك فيها كثير من المعادن التي يمكن كلا من حكومة الحجاز ونجد السعودية وحكومة اليمن الامامية أن ترتفق به وتستعين به على اصلاح بلادها وتعزيز أجنادها ، وذلك على شرط أن لاتلجأ في هذا الموضوع إلا إلى رؤوس أموال أصحابها مسلمون ليسوا من تبعة الاجانب وهذا ممكن إذا أرادته هاتان الحكومتان وبدأتا بفحص في عن هذه الاماكن حتى تعلما ماتحت ارجلهما قبل مباشرة العمل ؟

باب المراسلة والمناظرة

العلويون في أوغندة والمنار

جاءتنا هذه الرسالة مع كتاب خاص من حضرة صاحب الامضاء من أوغندة ميالة في ٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٩ الموافق ٢٥ مارس سنة ١٩٣١

مجلة المنار هي المجلة الوحيدة التي انفردت دون سواها من المجلات والجرائد لخدمة دين الاسلام والمسلمين ، وصاحبها هو العالم الفذ الذي كرس كل حياته في هاته الوظيفة السامية، وما انفك - أيده الله وأطال بقاءه - منذ أنشأ مجلته (المنار) وهو يكافح المبشرين تارة ، والملحدين من المجددين أخرى، وتارة نراه شاهراً قلمه في وجوه المبتدعة من غلاة الروافض والخوارج، والمتمشيخين من دجاجلة التصوف الكاذب، وعبدة القبور أو معظميها . ولا يعرف قدر ما يبذله من الخدمات العمومية إلا من وجدت عنده مجموعة صالحة من أجزاء المنار ومصنفات صاحبه ، وأمكنه مطالعة ذلك بامعان وتدقيق ، وترو وتحقيق ، ومنها يعرف قدر ماله من الفضل في دين الاسلام على المسلمين

امتاز صاحب المنار على أقرانه من العلماء الاعلام بخدمه الجليلة ، ومواقفه الشهيرة ، في كل موطن من مواطن الجهاد ، وناهيك بفتاويه القيمة ، وردوده المؤيدة بالحجة والبرهان (بمناره الاغر) ومباحثه الطلية المفيدة وتفسيره المشهور ، ولو لم يكن له من المصنفات غيره لكفاه فخراً في الدنيا والدين، وذخراً يوم يلقى رب العالمين

مما لا شك فيه ان الاقطار الاسلامية وغيرها لا تخلو من العلماء العظام ، والفطاحل الاعلام، وانه قد يوجد فيهم من يداني صاحب المنار أو يوازنه في العلم، بيد أننا نجده قد فاق الكل في الناحية العملية ، وقد وجدنا فيه كل ما فيهم من العلم والفضل ، ولم نجد فيهم بعض ما فيه من تكلفه المشاق ، وحمل ما لا يطاق ، ومواصلة الليل بالنهار بحثاً وتحقيقاً وكتابة ونشراً وتأليفاً، في كل شأن له تعلق ومساس بالدين

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

حقا لقد امتاز عليهم بصفات كثيرة أهمها وأعظمها كما قدمنا آنفا : غيرته على الدين ، ويليها شجاعته الادبية وعفة نفسه ، وتواضعه مع علو قدره ، وها نحن نراه اليوم وقد صلخ من عمره - أطاله الله - ثلاثة عقود ونصفا من السنين مكافحا ومنافحا - بيراعه الاغر - عن دين الاسلام ، ولم نره يوما ما وضع قلمه تحت إرادة حزب معين او طائفة مخصوصة ، أو حكومة جائرة ، وهكذا دأب المخلصين من المجاهدين المؤمنين

وقد غلا وافترى من قال : انه من حين ظهور الملك ابن السعود على مسرح السياسة ما زال في خدمته لأغراض مادية صرفة ، وانه (أي الملك ابن السعود) بذل له من المال كذا وكذا عوضاً عن خدمته (سبحانك هذا بهتان عظيم)

اننا ننزه الاثنين من ان يتواطآ على مثل هاته الفعلة ، وحاشاهما من ذلك ، وقد أراد المفترى بقوله هذا أن يذم فمدح ، وأن يفضح فافتضح ، وما على صاحب المنار من غضاضة أو عار اذا أيد الملك ابن السعود ، فتأييده اياه هو - والحق يقال - في نظر المنصفين من المسلمين عين الخطة التي رسمها صاحب المنار لنفسه ، وهي نصرة دين الاسلام وتأييده ، وبلا شك ان ابن السعود أعظم أنصار هذا الدين نصره الله وأيده . وقد أيد قبله الملك الحسين بن علي حيث كان يؤمل فيه المصلحة العامة للاسلام والمسلمين حتى بان له غلطه فانتقده في ذلك وبذل له النصح

* ولم يتبين الرشد إلا ضحى الغد *

وهكذا نراه اليوم قائما بجانب الملك ابن السعود فاذا حاد لا سمح الله عن النهج القويم والطريقة المثلى فبلا شك انه (أي صاحب المنار) لا يذره وشأنه ، بل يعرفه بخطئه ، ويفعل معه مثل ما فعل مع الملك الحسين بن علي (*)

(*) المنار : تالله لقد أصاب هذا الكاتب العلوي كبد الحق فيما رمى اليه من أوغندة على بعدها عن مراكز السياسة فنحن كنا ننصح للملك عبد العزيز بن السعود من رحمه الله قبل الاستيلاء على الحجاز بالاخلاص الذي كنا ننصح به للملك حسين بن علي ، والفضل الذي نراه لهذا على ذاك انه يشكر لنا نصيحتنا ويعدنا بالاصلاح الذي نقترحه عليه بقدر الامكان ونحن لوعده منتظرون ، مع علمنا بأنه يعوزه الرجال العاملون ، والملك حسين لم يحتمل كلمة واحدة في انتقاد رجاله بل عاقبنا عليها بمنع دخول المنار من الحجاز الذي كان يسميه المملكة الهاشمية

هاته هي عقيدتنا وعقيدة السواد الاعظم من المسلمين في شرق الارض وغربها (في صاحب المنار) ولا عبرة بمن يشذ من المنافقين والملحدين والدجالين المتاجرين بالدين، والمضللين لطغام المسلمين

وليثق صاحب المنار أننا عرب هذا القطر (أوغندة) وأهاليه من اخوانه المؤمنين، وأنصاره المخلصين، الذين يقدرونه قدره، ويوفونه حقه من الاجلال والاكبار والاحترام، ومن المقتفين أثره في العقيدة، وهديه في الدين، بيدأننا معشر العلويين المقيمين بهذا القطر لانرى باساً إذا شكوناه (أي صاحب المنار) إلى نفسه بسبب الرسالة التي بعث بها اليه من جاوة أخونا في الدين عبدالسميع منصور الجاوي ونشرها في المنار في الجزء الثامن من المجلد السابع والعشرين في صحيفة ٦٠٤ .وجاء فيها ماتراه ماسا بكرامتنا وشرفنا وعقيدتنا، والمنار كما يعلمه الخاص والعام قد انتشر في أنحاء المعمور انتشاراً هائلا ونال صاحبه ثقة الجمهور لاسيما فيما له تعلق بالدين،فهوفيه إمام الانام، وخادم المقام، ويقرأه العالم والجاهل والمطلع على أحوال العلويين وغير المطلع فيتخذ نشر المنار لها (أي الرسالة) كقضية مسلمة، وحجة ثابتة لزاما على العلويين البريئين مما يجري هناك (بجاوة) بين بعض إخوانهم العلويين والارشاديين من سفاسف الاقوال والافعال

اننا معشر العلويين المقيمين هنا بافريقية الشرقية اسوة لسائر إخواننا بكل قطر ومصر نستنكر ونستهجن ككل ذي وجدان حي مايبلغنا من حين إلى آخر من التشاجر والتناحر والتنابز بالالقاب، والطعن في الانساب، ومن كل فعل شائن بين الطائفتين بجاوة أو غيرها، كما أننا نبرأ إلى الله ككل ذي عاطفة دينية وغيرة عربية، مما ينشره أصحاب المقاصد والاغراض في جريدة حضرموت أو غيرها من الجرائد في حق الملك ابن السعود من الكلام الذي نرى فيه عدوانا صريحا او تلميحا في حقه

ان كثيراً من ضعفاء النفوس وأرباب الاغراض السافلة ينشرون ويذيعون أخباراً عارية عن الصحة يفهم منها ان العلويين غير راضين عن الملك ابن السعود وسلطانه، وانهم ناقمون عليه ويناصبونه العداء لانه على غير مذهبهم، ومشربه

غير مشربهم ، إلى غير ذلك من لغو القول وهذره ،ليدخلوا على أنفسهم الضعيفة شيئا من السرور وليحطوا -بظنهم- من قدر العلويين شيئاً وأنى لهم ذلك؟

أنفق بطانك ياجرير فانما منتك نفسك في الخلاء محالا

والعلويون أجل قدراً من كل مايتوهمه هؤلاء المساعير ، ومابينهم وبين الملك ابن السعود غير السلام والوئام والاحترام ، التي ظهرت آثارها من جانب الملك ابن السعود في حق من وصل إلى مكة من أعيان العلويين وسراتهم ، فقد لقوا من جلالته (أيده الله) فوق مايتوقعونه من الاجلال والاكبار،حتى انهم رجعوا إلى أوطانهم وألسنتهم رطبة بحمده وشكره والثناء عليه ، لما شاهدوه هناك من صنوف الحفاوة بهم وبغيرهم من الناس ، والعدل والامان ،ووسائل الراحة لسائر الرعية ، أفبعد ذلك يأتي (هماز مشاء بنميم) ويقول عن العلويين غير ماهم متصفين به ؟ (فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

ان علماء العلويين وأعيانهم والسواد الاعظم منهم قد رسموا لأنفسهم خطة الحياد في كل أمر من شأنه تكدير العلائق الودية، وتحريك العواطف الدينية بينهم وبين اخوانهم المسلمين ، وقد عرفوا مسألة المتنازعين بجاوة، فرأوها مسألة هزلية صرفا أوجدها أصحاب المقاصد والاغراض والمطامع الاشعبية ليصطادوا في الماء العكر فغشوا سذج العوام من الحضارمة فاتبعوهم وهم لايعلمون عن المسألة فتيلا ولا نقيرا

ومن فهم منهم شيئا حببوا اليه الظهور الكاذب ، والفخر المزيف ، فيغتر بهذا ويتوهم انه قد حاز علوم الاولين والآخرين

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا ياسعد تورد الابل

ربما يعترضني معترض ويقول لي : فكيف بك وقد ألزمت نفسك أنت وغيرك من اخوانك في البلدين في هذه المسألة خطة (الحياد) ثم نراك تأتي اليوم وتبعث المسألة من جديد ؟

فأقول له : إن ظهور هاته المسألة هو من نحو عشرين عاما تقريبا ولم أنبس فيها أنا ولا غيري ببنت شفة ، حتى ظهرت لنا رسالة أخينا عبد السميع منصور الجاوي ونشرت في أعز مجلة علينا (المنار) فعظم علينا ذلك وعلمنا ان الحالة

غير مرضية، وانها قد دخلت في طور جديد بدخول بعض اخواننا الجاويين، فجئنا بكلمتنا هاته إلى المنار على سبيل الشكاية منه واليه، والنصح لاخواننا الكرام الجاويين

اننا ننصح لأخينا في الدين عبد السميع منصور، إن كان هناك شخص يدعى بهذا الاسم خصوصا ولاخواننا الجاويين عموما، فنقول لهم: مالكم والدخول في هاته المسألة المشئومة التي تشتت بسببها شمل الحضارمة هناك، وأضحوا شذر مذر، لا يوقر كبير لكبره، ولا يرحم صغير لصغره، في زمن ومحل هم أحوج الخلق فيهما إلى التعاون والتعاضد تبعاً لأوامر دينهم القويم، ورسولهم الكريم، ولما تقتضيه الظروف الزمانية، والمنطق الصحيح لو كانوا يعقلون

أيها الاخوان الكرام: خلوا الحضارمة وشأنهم ماداموا يمثلون هاته المأساة المحزنة والرواية الهزلية، واسمعوا مانشره عالمهم الاشهر، وزعيمهم الاكبر، السيد العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله بجريدة الشورى الغراء بالعدد المؤرخ ١٤ شوال من درر النصائح الغالية التي هي أحري بالاتباع وأولى أن تكتبوها على صفحات قلوبكم بماء الذهب، وتضعوها في أعز ماتضعون فيه نفائس أموالكم كذخيرة لاحفادكم

أيها الاخوان الكرام: إن دخولكم في هاته المسألة يزيدها إعضالا وتعقيداً وتتسع دائرة الشقاق بين الفريقين، وتدخل في طور جديد من التكيف والتلون وبه يجد القاصب القاعد لكم بالمرصاد مدخلا بين صفوفكم فيثبت قدمه (بأندونسية) الفتية التي تتجاوز اليوم عقبات كأداء لاستقلالها المطلوب، بلغها الله إياه

أيها الاخوان الكرام: اننا والله لانخاف ضيراً عليكم ولاعلى وطنكم المحبب الينا واليكم، مازالت المسألة مقتصرة على من أوجدوها من الحضارمة لانهم أقلية وصوتها غير مسموع، لكننا نخشى ونخاف دخولكم فيها، فيتفاقم الامر وتندمون ولات ساعة مندم

ياعبد السميع هاته نصيحتنا لك ولقومك الكرام فان تلقيتموها بالقبول — ومثلكم من يفعل — كنا لكم من الشاكرين الحامدين، وإن أبيتم قبولها (وهو

مالا نرضاه) ولكن قد يستفيد الظنة التنصح ـ فنقول لك ولاخوانك إن عقلاء العلويين وذوي الفضل والسواد الاعظم منهم لاقدرة لهم على النزول إلى الميدان الذي تدعونهم اليه ، لعلمهم ان الغالب فيه أظلم من المغلوب كما جاء في الحديث ، ولعلمهم أيضا أن السب والشتم والمهاترة في الاعراض ، والمشاجرة في الانساب، هي أسلحة لا يحملها إلا كل وغد جبان ، قد قصر باعه في العلم فضعف مزاجه في الدين ، وخارت عزيمته في العمل ، وانه من سقط المتاع

ياعبد السميع : لو أنه تكلم غيرك من العرب الارشاديين أوغيرهم بما تكلمت به على العلويين في رسالتك لكان الامر في غاية السهولة والبساطة ، ولكان جوابه من كل علوي فاضل السكوت الدال على الاهمال ، لأنه قد سمع منهم ماهو أعظم من ذلك

ياعبد السميع : إن العلويين في شرق الارض وغربها يعيشون مع اخوانهم في الدين والانسانية على اختلاف مشاربهم في سلام ووئام واحترام، وإخاء اسلامي وانساني في كل شأن من الشؤون الدينية والدنيوية ، وإنهم مازالوا ولن يزالوا إن شاء الله سائرين على الخطة التي رسموها لأنفسهم من خدمة الاسلام والمسلمين، والقيام بالشعائر الدينية بمعاونة أولي الفضل منهم والسعة ، ونشر الدعوة المحمدية بكل قطر ومصر ، والصبر واحتمال كل مايصل اليهم من أذى ، والمرور على لغو القول وهذره مر الكرام

ياعبد السميع فان المعتقدات التي ذكرتها برسالتك ونسبتها اليوم الى زنوج الكنغو (أو اوغنده هنا) اكذبك الحس وشواهد الحال ، فكيف بك وقد نسبتها اليوم ـ إرضاء لاخوانك الارشاديين وتزلفا لديهم ـ الى آل الرسول، وأبناء البتول، الذين تلقيت انت وأجدادك الكرام رحمهم الله تعاليم دينكم القويم وعقائده الصحيحة عنهم؟ أفيحسن بك بعد هذا أن تأتي اليوم وتنسب اليهم ماهم برآء منه ومما تعملون ؟

يا عبد السميع : اننا نقول لك ولغيرك من المفترين علينا ـ غير ما سبب نعلمه ، غير مفتخرين عليكم ولكن نعمة الله نتحدث بها : ان للعلويين الذين بدأت

آنت دون سواك من الجاويين بالحط من شأنهم لم على سكان أهالي الهند الهولندية وافريقية الشرقية من الفضل ، بقدر مالهم عند الله من الاجر ، فان أنكر جاحد او غضب غاضب ،قلنا له :

يامرسل الريح جنوبا وصبا ان غضبت قيس فزدها غضبا

ياعبد السميع : ان ما ذكرت برسالتك من العقائد الفاسدة ، والخرافات الباردة ، فانه غير ممكن قبوله اليوم ولا بعد اليوم . وقد تنورت العقول وتفتقت الاذهان ، وتفتحت العيون ، وبان الصبح لذي عينين . وان ما أمكن وقوعه في القرن الثاني عشر لايمكن وقوعه اليوم وقد انتشر المنار الاغر في أنحاء المعمورة، وتغلغل في خلال الاقطار الاسلامية، فجلا الابصار والبصائر من الاوهام والخرافات

ياعبدالسميع: اننا اصبحنا في عصر لانخاف فيه من تعظيم علي او غيره تعظيم ربوبية، فان الناس قد انقلب حالهم الى تفرنج وزندقة وإلحاد ، وسقطت كرامة الصالحين من نفوسهم وتمردوا على الدين وأهله فضلا عن الغلو في الصالحين بل اننانشكوا اليوم من أقوام بدءوا يهاجمون مقام النبوة ويحطون من قدرها. وغلا آخرون ومالوا إلى التعطيل والالحاد وهذا صاحب المنار أطال الله بقاءه نراهاليوم بعصر يقاسي منهم عرق القربة وقد ثبت لهم في الميدان حتى أرجعهم مدحورين مذءومين(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

الشريف صالح محمور العلوي الحضرمي

(المنار) نشرنا هذه الرسالة برمتها بعد اقفالنا اباب هذه المسألة وذيولها لما آنسناه فيها من الاخلاص في النية والاعتدال في الرأي والوقوف على الحقائق الاشدة النكير على عبد السميع الجاوى الذي يشك في وجوده فقد اتهمه بانه يعني بما كتبه جميع العلويين في الدنيا وهذا غير معقول

وقد جاءتنا رسائل أخرى من جاوة وغيرها تؤيد رأي الشيخ عبد السميع فلم ننشر منها شيئا لانها تذكي نار الشقاق ونحن نود اطفاءها ، ويجيئنا رسائل أخرى من جزائر أندونسيا وغيرها يشكو فيها دعاة الاصلاح ومقاومو الخرافات من بعض العلويين المقاومين للاصلاح وانهم يطعنون على المنار لدعوته الى التمسك

بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح واجتناب البدع والخرافات التي يعيشون بها ، وهم الذين يذيعون ان صاحب المنار خصم للعلويين وهم يعلمون انه علوي حسيني الأب حسني الأم ، وجميع أهل السنة والجماعة من العلويين وغيرهم أنصار له ، ويوجد في الشيعة المعتدلين منهم ومن غيرهم من يعترف له بأنه قد سعى أفضل السعي للخير خطة ترفع قدر العلويين ، وتجعلهم الائمة الوارثين ، وزعماء الاسلام في مصالح الدنيا والدين ، والحمد لله رب العالمين .

وقد أتهمنا بعض الخائضين في مسألة التنازع والتخاصم بين العلويين والارشاديين بأننا نصرنا الفريق الثاني وهي تهمة باطلة لا ندري سببها . وقد كنت انا الواضع الاول للكتاب الذي نشرته جمعية الرابطة الشرقية للاصلاح بينهما وان أبغض شيء الينا بعد الكفر والنفاق في الدين جريمة التنازع والتفرق بين المسلمين ،

وقد عزز صاحب الرسالة ما كتبه فيها بكتاب خاص لنا فيه فوائد عن مسلمي اوغندة يسر بعضها ويسوء بعض .

ومما قاله في كتابه بعد تأكيد الرجاء علينا بنشر الرسالة لاسباب ثلاثة تعلم من غضونها الاستطراد الآتي :

﴿ استطراد الى صاحب الفضيلة ﴾

حالة العرب والهنود من المسلمين غير مرضية هنا ولاسيا من الجهة الدينية . الاسباب ليس هنا محل شرحها ولكن مما يبعث على الارتياح الكثير حالة الاهالي فانهم والحق يقال راغبون كثيرا في الدخول الى دين الاسلام ، وقد كفونا مؤنة التبشير إذ قام بعضهم يدعو البعض الآخر الى الدخول في دين الاسلام

والمبشرون (بالنصرانية) بهذا القطر كل يوم في ازدياد وناهيك بنفوذ سلطانهم وكثرة أموالهم الواردة عليهم من كل الجهات غير انهم مع كثرتهم وقوة شكيمتهم ما فازوا بأكثر مما فاز به الاسلام ، بل انه قد فاقهم في كثير من المواضع لاسيا الاماكن التي يقطنها العرب ، فلاسلام في انتشار عظيم فيها كمثل (كمبلا) عاصمة الاوغندة (وجنجة) وميالة ونواحيهن .

وقد بدأت الكراهة تظهر من الاهالي للاوربيين لاسباب كثيرة ، أهمها

انهم أي الاهالي فهموا روح الدين الحق وأحسوا بكابوس الظلم الملقي عليهم من المستعمرين وهو مما يستفيد منه المسلمون .

وهنا نطلب من فضيلتكم ارسال ثلاث نسخ من كتابكم اللطيف الذي صنفتموه وغاب عن ذهني الآن اسمه (لاني بمحل غير الذي أنا مقيم فيه) في حقيقة الدين الاسلامي وتعاليمه وهو كما ذكرتم في الاعلان عنه مختصر ومفيد (يعني خلاصة السيرة المحمدية ...) وهذا الكتاب قصدنا أن نترجمه الى اللغة السواحلية لانها هي المنتشرة هنا ونكتبه بحروف افرنجية لان الكتابة العربية غير منتشرة ولا يعرفها من الاهالي غير آحاد لايعتد بهم ، والفائدة من ترجمته بالسواحلية وكتابته بالاحرف الافرنجية هو اطلاع الاهالي المسيحيين على حقيقة روح الاسلام وتعاليمه لان المبشرين هنا لا همّ لهم إلا الحط من شأن هذا الدين الكريم وتشويه سمعته في نظر الاهالي ، واذا جاء هذا الكتاب وترجم الى اللغة السواحلية وكتب بحروف افرنجية واطلع عليه الاهالي فلاشك انه يكون هنا نكبة كبرى على المبشرين، وسوف ينكشفون وينكشف عوارهم وينهزمون شر هزيمة، لان الاهالي هنا خالية أنفسهم من التعصب ومتسامحين بعضهم مع بعض من جهة الديانة ، ويرون ان كل شخص منهم حتى الطفل له الحرية التامة في اختيار أي دين كان ، وقد تجد الاسرة المؤلفة من اشخاص مثل الاب وأولاده مثلا مختلفي الدين فتجده هو على دين أجداده ، وأولاده منهم مسلم، ومنهم مسيحي، والمسيحيون هنا ينقسمون الى قسمين : بروتستانت وكاثوليك ،وهكذا تجدهم لايعيرون احداً ولا يعتبونه . نعم المسلمة هنا لاتتزوج المسيحي ، وفي وقت الاعياد تجد كلا منهم يحتفل بعيد الثاني وخصوصاً اعياد المسلمين ، فيجتمع يوم العيد جمع غفير هناك ويدخل في الاسلام عدد كثير (أي في يوم العيد)

لهذا نرجو من ترجمة الكتاب وطبعه فائدة تذكر ان شاء الله ،والباري يحرسكم ، والسلام على المنار وصاحبه وأهل إدارته
من المخلص
صالح زيد بك خور العلوي الحضرمي

بيان عن سياسة الابادة والاستئصال

التي اتبعتها ايطاليا في طرابلس الغرب

(ألقي في اجتماع عظيم في نادي جمعية الشبان المسلمين ووقع عليه أهل الرأي والمكانة في مصر ليرسل الى جمعية الامم ويذاع في العالم الاسلامي):

لقد شهدت مصر مشهداً لا تستطيع الانسانية أن تعرض عنه متجاهلة ماانطوى عليه من الآلام ، وذلك أن مئات من بني الانسان - بين رجال ونساء وأطفال وشيوخ - اضطروا تحت ضغط الجور الى أن يتركوا أوطانهم تخلصاً من الظلم ، وأن يهيموا على وجوههم في القفار ، ولولا مروءة مأمور الواحات المصري الذي خرج هو ورجاله للبحث عنهم حتى لقيهم وأنقذهم لهلكوا عطشا وجوعا

أولئك هم فريق من اخواننا الطرابلسيين الذين خرجوا من قسوة الحكم الايطالي الذي لا يطاق

ولم تكد أعيننا تكفكف الدموع على هذا المشهد الذي شهدته على اليابسة حتى حملت الينا أمواج البحر في السلوم مشهداً آخر أفظع من هذا وأشنع ، فرمى البحر الى هذا الساحل المصري أربع عشرة جثة من جثث هؤلاء الطرابلسيين مغلولة في سلسلة واحدة

ثم توالت الاخبار بأن زاوية الكفرة المنقطع أهلها للعبادة قد أمطرتها طيارات الايطاليين بالقنابل وفتكت بأهلها فتكا ذريعا ، وبعد ذلك هاجمها الجيش وكاد يأتي على البقية الباقية من أهلها ولم يتعفف عن هتك الاعراض وسلب الاموال وبقر بطون الحوامل ، وقد قتل من أهل الكفرة في هذه النازلة كثيرون منهم الشيخ أبوشنة وابن أخيه الشيخ عمر والشيخ حامد الهامة والشيخ عبدالسلام أبوسريويل والشيخ محمد المنشوف وابن أخيه علي بن حسين والشيخ محمد العربي والشيخ محمد أبو سجادة والشيخ احمد القائدي الجلولي والشيخ خليفة الدلاية

ولما ذهب كبار شيوخ زاوية الكفرة الى القائد الكبير يرجونه وضع حد لهذه المذابح أمر بذبحهم فذبحوا أمامه كما تذبح الشياه

ومن الفظائع التي ارتكبها الايطاليون في برقة، ونقلها الرواة الصادقون أنهم وضعوا أحد مشايخ عائلة الفوائد المدعو الشيخ سعد وخمسة عشر شخصاً من العرب في الطيارات وارتفعوا بهم عن سطح الارض ثم جعلوا يلقونهم واحداً بعد الآخر ليموتوا موتة لم يسبق لها مثيل.

ومن الفظائع التي ارتكبوها في الجبل الاخضر اخراج أهله منه وهم لا يقل عددهم عن ثمانين ألف عربي الى بادية سرت القاحلة، ثم أذاعوا بواسطة قنصلياتهم في بلاد الارجنتين أن حكومة طرابلس وبرقة تعطي الاراضي الخصبة فيهما لكل ايطالي يريد النقلة اليهما، وبلغت مساحة الاراضي التي أخذت غصباً نحو من مائتي ألف هكتار ولا تزال الحكومة الايطالية تحث الايطاليين على استعمار هذه الاراضي

وقبل انتزاع أراضي الجبل الاخضر من أهله في هذه السنة انتزعت في سنة ١٩٢٤ ما مساحته ٤٢٠ ألف هكتار بدون مقابل، وفي بعض الاحيان كان المقابل عن المائة هكتار ستة آلاف فرنك ايطالي - أي خمسين جنيهاً تقريبا.

وقد خرج أهالي الجبل الاخضر عند اجلائهم منه وهم لا يملكون ما يقتاتون به فرتبوا لكل عائلة فرنكين في اليوم وهم الآن يعيشون بهذا المرتب عيشة بؤس تفتت الاكباد، وفي أثناء نقلهم الى صحراء سرت كان كلما عجز واحد منهم عن مواصلة المشي يرمى بالرصاص.

وفضلا عن كل ذلك فقد جمع الايطاليون الاطفال الوطنيين من سن ٣ إلى سن ١٤ وأخذوهم من أهلهم وأرسلوهم الى إيطاليا بزعم تعليمهم فيها وجمعوا الشبان من سن ١٥ إلى ٤٠ وألحقوهم بالجيش واستخدموهم في محاربة أهلهم وبلادهم

وبلغ الاستهزار بالشعور الاسلامي مبلغا عظيما من ارساليات التبشير المنبثة الآن بين الاهالي ومن صدور الاوامر المشددة على الخطباء في الجوامع بالدعاء لملك إيطاليا على المنابر

وقد حدث مراراً أن الحكومة تعلن العفو والامان، فاذا وقع المعفو عنهم في قبضتها غدرت بهم . وممن ذهبوا ضحية هذا الغدر من رؤساء القبائل: خليفة ابن عسكر والشيخ عبيدة الصرماني وأحمد الباشا وابراهيم بن عباد والهادى كعبار

وابنه محمد كبار والشيخ أحمد الحجاوي والشيخ علي الشوخ والشيخ عبدالسلام ابن عامر والشيخ محمد التريكي والشيخ شرف الدين العامي والشيخ أحمدبن حسن ابن المنتصر والشيخ عمر العوزاني والشيخ محمد عبد العال ، ومن الضحايا الذين لا يعرف لهم ذنب: الشيخ صالح العوامي وهو شيخ يبلغ التسعين عاما من أهل العلم والصلاح قبضت عليه ايطاليا سنة ١٩٢٣ وزجته في سجن بنغازي إلى أن مات فدفن بمحل مجهول

فأرواح هؤلاء الضحايا تصيح بالانسانية جميعها وبجمعية الامم بنوع خاص أن هلمي إلى انقاذ البقية الباقية من أبناء الانسانية المعذبة في هذه الربوع من سياسة الفتك والاستئصال والابادة التي تتبعها إيطاليا في طرابلس المنكودة

وأن العالم الاسلامي يعتبر ماوقع ويقع في طرابلس الغرب عدوانا مباشراً على كل مسلم مهما كان جنسه ووطنه ، وسيبقى عار هذه الاعمال لاصقا بالانسانية كلها حتى تهب الهيئات الرسمية — وفي مقدمتها عصبة الامم — لاجراء تحقيق دولي حر دقيق في نفس بلاد برقة وطرابلس عن كل ماجرى فيها واعلان نتيجته كما تقتضيه العدالة والحق

والموقعون على هذا يطلبون من جمعية الامم اجراء هذا التحقيق تنزيهاً للانسانية عن لحوق هذا العار بها الى الابد ويرجون بالحاح أن يكون لهم مندوب يختارونه مع لجنة التحقيق ، وهم ينتظرون ما تقرره العصبة في هذا الشأن بفارغ الصبر

التوقيعات

محمد أبو الوفا الشرقاوي	خليل الخالدي رئيس الاستئناف الشرعي بفلسطين	محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الاسلامية
محمد عبد اللطيف دراز من العلماء وعضو مجلس ادارة جمعية الشبان بالقاهرة	محمد عبد الرحمن قراعة من العلماء ومدرس بالازهر الشريف	عبد الوهاب النجار وكيل جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة
محمد كامل القصاب	محمد تقي الدين الهلالي الاستاذ الاول للاداب العربية بندوة العلماء بالهند	علي سرور الزنكلوني المدرس بقسم التخصص بالازهر

الامير فؤاد سليم الحجازي علي جلال
عمر طوسن سفير الدولة العثمانية بسويسرا سابقاً المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً

عبد الحميد سعيد حسين شيرين عبد العزيز صدقي
الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين رئيس جمعية الشبان المسلمين بالاسكندرية وكيل مديرية سابقاً

حافظ موسى الكلحي محمود السيد مصطفى الشربجي
عضو مجلس النواب سابقاً محام وعضو مجلس النواب سابقاً محام وعضو مجلس النواب سابقاً

الدكتور يحيى أحمد الدرديري محمود علي فضلي طنطاوي جوهر
المراقب العام لجمعية الشبان المسلمين عضو مجلس ادارة الشبان سابقاً مدرس سابقاً ومؤلف

أحمد حافظ عوض محب الدين الخطيب محمد أحمد الغمراوي
صاحب جريدة كوكب الشرق منشئ مجلة الزهراء وصحيفة الفتح كاتم سر جمعية الشبان بالقاهرة

محمد الناغي ابراهيم اطفيش الجزائري محمد أحمد الحناوي
عضو ادارة الشبان المسلمين صاحب مجلة المنهاج محرر بجريدة الفلاح المصري

الدكتور محمد علي الدكتور نصر فريد الدكتور عبد اللطيف فاضل
من أطباء مديرية الغربية من أطباء القاهرة من أطباء القاهرة

الدكتور حسن أبو السعود محمد أحمد الفقي محمود شلتوت عبد ربه مفتاح
من أطباء القاهرة من العلماء من علماء الازهر من علماء الاسلام

محمد الهياوى أحمد مختار أحمد عبد الحميد محمد عثمان
صحفي مهندس مهندس مهندس

عبد العزيز عثمان محمد عفت عبد الرزاق البيلي
مهندس مهندس مهندس

(ويلي هذا مئات من الامضاءات في مصر وفي اقطار أخرى نشرتها كلها مجلة الشبان المسلمين في القاهرة)

الشريف الحسين ملك الحجاز السابق

وفاته — والعبرة من ترجمته

في يوم الخميس الثامن أو التاسع عشر من المحرم توفي الشريف حسين بن علي آخر من تولى إمارة مكة للدولة العثمانية وأول من سمي ملك الحجاز بعد الانقلاب العام الذي أحدثه حرب المدنية الكبرى . توفي في عمان فنقل منها إلى القدس ودفن في جوار المسجد الاقصى بالقرب من مدفن محمد علي الزعيم الهندي. وقد احتفل بدفنه احتفال عظيم اشتركت فيه الحكومة الانكليزية رسمياً . فنعزي أنجاله أصحاب الجلالة والسمو ونسأل الله تعالى له المغفرة والرحمة التي وسعت كل شيء

كان الملك حسين ذا مواهب فطرية ووراثية عظيمة، صار بها من رجال التاريخ العام وتاريخ العرب الخاص . كان شجاعا حازما قوي الارادة ، ماضي العزيمة ، كبير الهمة، نزيه النفس، شديد البأس، عفيفا عن الشهوات، عزوفا عن الدنايا، محافظا على الفرائض الدينية ، أديب المجلس، حسن الحديث ، على عظمة وكبرياء، وشمم وإباء، ولكن معارفه الدينية والمدنية ضيقة النطاق، مبنية على تقليد المقلدين من الآباء والمشراء، وخبرته ضعيفة مستمدة من أهل الملق والرياء في مكة ، وأولي التقية والعبودية الحميدية في الاستانة ، فلهذا لم يكن ينال الزلفى عنده إلا المراءون المخادعون ، وكان شديد الاعتداد بنفسه ، والاعجاب برأيه ، والثقة بعلمه ، والظنة والريبة في كل من يتصل به ، والاصرار على رأيه ، وان فرض انه ظهر له خطؤه فيه حتى كان بعض خاصته يقول : لولا عناد سيدنا لكان كل ما ينتقد عليه سواه هيناً لايخشى ضرره، ولم يكن أحد من عماله ولا من أولاده يتجرأ على النطق امامه بما يخالف رأيه — وهذا خلق يقطع على المتخلق به طرق العلم والاستفادة التي لا يستغني عنها بشر مهما تكن درجة عقله، وسعة علمه ودقة خبره ، وقد قال الله تعالى لرسوله خاتم النبيين وسيد ولد آدم (وقل رب زدني علماً) وقال الامام الشافعي :

كلما أدبني الد هر أراني نقص عقلي
وإذا ما ازددت علما زادني علماً بجهلي

وان في هذين البيتين لحكمة لا يسمو اليها الا أرقى الناس عقلا وأوسعهم علماً

وكان رحمه الله تعالى يكره دولة الترك ويتألم من سيادتهم على الحجاز، والظاهر ان بعض رجالهم في الاستانة كانوا يشعرون بذلك منه ويحسبون كل حساب لامارته على الحجاز في عهد الدستور، وفي هذا دليل على انه أعز من غيره من شرفاء مكة نفساً، وأعلى همة وأبعد مرمى، وكان نجله الشريف عبد الله أشد منه بغضاً للترك وميلاً للاستعداد للخروج عليهم ونبذ سلطانهم، ولكن نجله الشريف فيصلا كان الى الترك أميل، وعلى الاتفاق معهم أحرص، كما أخبرني بذلك في بيروت والشام بعد الحرب

ولما أسسنا جمعية الجامعة العربية كاشفت بخبرها الشريف عبد الله في نزالته لدى الخديو من قصر عابدين وكان عائداً من الاستانة الى مكة هو وأخوه الشريف فيصل، ولم أقابل فيصلا ثم، وقد نظمت عبد الله في سلك الجمعية وحلفته يمينها الغموس. خلفه، وأخبرني أنه موفد لاقناع والده بقتال السيد الادريسي لاستقلاله في العسير دون الدولة انتصاراً لها، فقلت له: إياكم تسفكوا دماء العرب بسيوف العرب ... فوعدني بأن سيبلغ والده ما أمر به ويجتهد في إقناعه بأن لا يقاتل الادريسي، وأن يعني بالاتفاق معه ولو في الباطن تمهيداً للحلف العربي الذي هو أس جمعية الجامعة العربية

ولكن والده قاتل السيد الادريسي بغضاً فيه وطمعاً في ضم بلاده الى الحجاز لا حباً في الترك وانتصاراً لهم، فقهره الادريسي ورده خائبا منكسراً

ولما اشتعلت نار الحرب الكبرى وانضمت الدولة العثمانية فيها الى الحلف الالماني كان من سياسة الانكليز فيها ان يستميلوا الامة العربية إلى الانضواء اليهم وإلى حلفهم، والخروج على الدولة العثمانية ووعدوهم بأن يكون جزاؤهم على ذلك: الاستقلال وتأسيس دولة عربية جديدة تحيي حضارة العرب الزاهية، ولعلي قد كنت أول من أرادوا أن يستخدموه ببث الدعاية لهم في جزيرة العرب وفي الولايات العربية العثمانية، وكلفوني إرسال مندوبين من قبلي الى أمراء الجزيرة وجمعيات العرب السياسية في الولايات بذلك

ولما كنت اعلم من سياسة الانكليز انهم كالسيل يقذف جلموداً بجلمود، ويقاتلون الامم والشعوب بعضها ببعض ثم يستأثرون هم بالغنيمة، اشترطت عليهم أن تقرر دولتهم بالاتفاق مع حلفائهم الاعتراف باستقلال الامة العربية في جميع

بلادها معرفة بحدودها الطبيعية — استقلالا مطلقا من كل شرط وقيد الخ ولم تنته المراجعات بيني وبين رجالهم هنا في ذلك الا وقد أيقنت انهم مخادعون ، وانهم إذا انتصروا جعلوا البلاد العربية غنيمة لهم ولحليفتهم فرنسة ، ولهذه المناقشات قصة طويلة وفيها وثائق مكتوبة ليس هذا محل بيانها

كنت قررت أن ارسل أخي المرحوم السيد صالح إلى الحجاز للكلام مع الشريف حسين في هذه المسألة وقرر الانكليز أن يرسلوه من طريق السودان فحالت العوائق دون إرساله حتى زال من انفسهم ما كانوا يرجونه مني ، ووجدوا واسطة أخرى لمخاطبته وإقناعه بالخروج على الدولة العثمانية ، وإعلان الانضمام اليهم ، وكانت فظائع جمال باشا السفاح التركي في سورية قد أيأست أهلها من إمكان البقاء تحت سيادة الترك وبثوا شكواهم إلى الشريف حسين وأظهروا له ميلهم إلى الخروج على الدولة ، فأعلن الثورة العربية ولكنه لم يطلع أحداً من حاشيته ولا من بطانته ولا من أولاده على الاساس الذي بناها عليه بالاتفاق مع الذين أغروه بها من الانكليز لانه لا يثق بأحد

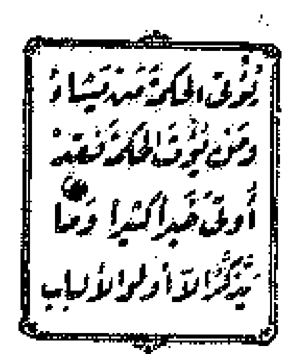
لاينكر عاقل أن الاحتراس والحذر والكتمان من أركان السياسة ، كما لا يخفى على عاقل أن من لايثق بأحد لا يمكنه أن يقوم بعمل عظيم ولاسيما الاعمال السياسية والانقلابات القومية ، وتأسيس الدول والممالك — وان شدة الحذر تفضي إلى التردي في شر مما يخافه الحذر من ناحية ضعف الثقة بالعاملين ، فانه يضطر إلى الاعتماد في أعماله على صغار النفوس المتملقين الذين يرضون أن يكونوا كالآلات المعدنية والادوات الخشبية في يده لاجل منافعهم الشخصية منه أو من الاجانب الذين يدسون له من جواسيسهم من يوافقونه على هواه في كل شيء لينقلوا لهم عنه كل ما يعلمون من أعماله وأحواله

وإن أغرب ما أنكرناه من أموره المتناقضة انه على عدم ثقته بأحد من أمته ولا من اولاده قد وضع ثقته كلها في الانكليز المشهورين في العالم كله بالخداع والمكر والعبث بالرجال العظماء وبالدول والامم — وثق بهم ثقة عمياء صماء بكماء وزهاء بلهاء ، معتقداً انهم أعلى البشر أو فوق البشر في الصدق والوفاء ، بل كان يعتقد انهم سيمنحونه كل مايؤمله ويتمناه ، لا ماوعدوه به خداعا وتغريراً ولا ما اقترحه عليهم مما سماه مقررات النهضة فقط

(للترجمة بقية)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوى « ومناراً » كمنار الطريق

صفر سنة ١٣٥٠ هـ برج السرطان سنة ١٣١٠ هـ ش يوليه سنة ١٩٣١

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(١٢٨) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٩) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ
حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

ختم الله تعالى هذه السورة بهاتين الآيتين اللتين قال أبي بن كعب (رض) انهما آخر ما نزل وبينا في الكلام على السورة قبل الشروع في تفسيرها ما يعارضه وسنحقق المسألة بعد الفراغ من تفسير الآيتين

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ جمهور المفسرين على ان الخطاب هنا

فتاوى المنار

(الزواج بالمسلمة وراثة والكتابية والوثنية تنطق بالشهادتين)

(قدمنا هذا السؤال على غيره مع تأخر وروده لان موضوعه أهم من غيره)

(س ٦٤)من صاحب الامضاء في نهر مبالة (اوغندة)

الى صاحب الفضيلة الاستاذ رشيد رضا

ما قولكم دام فضلكم في نساء هذا القطر (الاوغندة) وزواج العرب والهنود لهن فانه قد عم وانتشر، وهل يعاملن في زواجهن معاملة الحرائر المحصنات المؤمنات، او معاملة الاماء الكافرات ؟

وتوضيحا للمسألة اقول لكم ان الاهالي هنا ينقسمون الى ثلاث طوائف

(الطائفة الاولى) لمسلمون والغالب على نسائهم انهن لايعرفن من امور الدين غير النطق بالشهادتين مع جهل معناهما وقد يكون أولياؤهن مثلهن في الجهل احيانا.

(الثانية)المسيحيون ولا نعلم من احوالهم غير الذهاب الى الكنيسة أيام الآحاد

(الثالثة) الشيترية وهم الذين بقوا على عوائد اجدادهم .

والزواج في هاته الطوائف منتشر بكثرة،

أما المسلمة فيتزوجونها بمجرد كونها مسلمة فقط وهي لاتعرف من امور دينها شيئاً وأما المسيحية فيتزوجونها بحجة انها كتابية ولا يعرفون عن أهل الكتاب شيئاً

وأما الشيترية فيكلفونها النطق بالشهادتين قبل العقد بحجة الدخول في الاسلام ثم يدخل بها وربما لاتصلي وهي عنده يوماً واحداً .وقد تلد له الاولاد وهي على هذه الحالة

افتونا ولكم الاجر ، وبينوا لنا حالات الزوجات والمتزوجين ولكم من الله الاجر ومن المسلمين هنا مزيد الشكر ابنكم المطيع المخلص

الشريف صالح خور العلوي الحضرمي

(ج) ذكرتم صفة الزوجات بالاجمال دون صفة الازواج ، فاذا كان هؤلاء الرجال المسلمون لا يعرفون الضروري من دينهم فهم ونساؤهم سواء ، وإذا كانوا يعرفون عقيدة الاسلام واركانه واحكام الحلال والحرام الاجماعية فكيف لا يلقنون نساءهم ذلك ويحملونهن عليه بالعمل ؟ المرأة الوثنية يحكم بدخولها في الاسلام بالنطق بالشهادتين مع العلم بمناهما، ويجب عليها عقب ذلك معرفة الضروري من هذا الدين الذي قبلته اجمالا ، واوله العقيدة فالطهارة والصلاة ثم كل فريضة وقت وجوبها ولست أعنى بالعقيدة ان تلقن السنوسية الصغرى او معاني الجوهرة، فقد يكفيها ان تعلم ان الله تعالى هو الخالق لجميع الخلق المدبر لأمورهم ، وأنه الواحد الاحد ،الفرد الصمد،لا شريك له ولا ولد،فهو المعبود الحق الذي لا يدعى غيره لكشف الضر وجلب النفع الذي يعجز عنه العبد بكسبه ،وانه متصف بكل كمال منزه عن كل نقص (ليس كمثله شيء) وان علمه محيط بكل شيء ، وقدرته نافذة في كل شيء ،وانه فاعل مريد مختار ، وهو السميع البصير ،العلي الكبير ، الحكيم الخبير ، الرؤف الرحيم. وان تؤمن بملائكته وكتبه وباليوم الآخر ،وما فيه من الحساب والجزاء على الاعمال، إما بدخول الجنة وإما بدخول النار ، وان تؤمن برسله وان خاتمهم محمد ﷺ وان كتابه القرآن كلام الله المعجز للبشر . وان كل ماجاء به حق يجب اتباعه ، وتعلم العبادات بالعمل . وان الله حرم الشرك به والكفر وقتل النفس بغير حق والسرقة والزنا وشرب الخمر وكل ما يزيل العقل والكذب والخيانة وسائر الفواحش والمنكرات ويصح العقد عليها قبل هذا العلم التفصيلي ، فان الشهادتين مفتاح الاسلام ومدخله ولكن مع توطين النفس على ما يتبعهما من شرائعه. فالاقتصار عليهما لا يعد اسلاما.

وكذلك المرأة المولودة من ابوين مسلمين اذا لم تفهم معنى الشهادتين وما يتبعهما من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واركان الاسلام لا يعتد باسلامها الاسمي.
والذي يظهر لي بالاجمال ان اكثر اهل هذه البلاد يجهلون حقيقة الاسلام فان دعوته لم تبلغهم كما بلغها رسول الله واصحابه ومن تبعهم، وان بعضهم يعرفون ذلك معرفة ما، والاثم الاكبر على هؤلاء العارفين فيجب عليهم تبليغ الدعوة للمسلمين والمسلمات

بالوراثة اولا وبالذات، ثم للوثنيين والوثنيات وأهل الكتاب. وانني مرسل اليك بعض الكتب والرسائل التي تساعدكم على ذلك فان قصرتم كان إثم الجميع عليكم

واما النصرانية فالغالب انها تعرف الضروري من دينها لان النصارى في هذا العصر اشد من المسلمين عناية بتعليم نسائهم واولادهم أمور دينهم وتربيتهم عليه بالعمل، والدليل على ذلك ان النساء يحافظن عندكم على صلاة الاحد التي هي اظهر شعائر دينهن في الكنائس، وان عندكم دعاة منهم الى دينهم

وحكم من لم يعلم ماذكرنا من ضروريات الاسلام في بلادكم حكم من لم تبلغهم دعوة الاسلام على وجهها الصحيح على مايظهر لي ، فاذا هم عرفوا الاسلام بعد هذا التبليغ وبادروا الى اتباعه فالظاهر أنهم يقرون على نكاحهم السابق والله أعلم

(٦٥—٧٠) اسئلة من صاحب الامضاء في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء دام محفوظا

سلاما واحتراما وبعد فاني أرفع مايأتي راجياً التكرم بالاجابة على صفحات مجلة المنار الاغر ليكون النفع عاما

١ـ مارأي فضيلتكم في عقيدة الوهابيين ساكني الحجاز ونجد وغيرهما وهل هي موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة أم لا ؟

٢ـ هل أعمال بعض أرباب الطرق كالتصفيق والتمايل وضرب الدفوف وأكل النار والزجاج وضرب الشيش وغير ذلك مما يحدث في مجتمعاتهم التي يسمونها حلقات الذكر شرعية أم بدعة ضلالة يجب الانكار عليها وإزالتها

٣ـ هل يجوز المرأة أن تخلو مع طبيب كطبيب الاسنان وغيره اذا كان عدلا صالحا لاجل المعالجة سواء كان ذلك في بيتها أو في محل عيادته من غير أن يكون معها أحد من محارمها كأبيها او أخيها او عمها او خالها او زوجها ام لا ؟

٤ ـ هل يجوز تمثيل حياة بعض الصحابة على شكل رواية أدبية خلقية تظهر محاسن ذلك الصحابي الممثل لاجل الاتعاظ بسيرته ومبادئه العالية مع التحفظ والتحري لضبط سيرته دون اخلال بها من أي وجه كانت أم لا ؟

٥ ـ هل يجوز مصاحبة المنافقين والزنادقة والملحدين والطبيعيين مع العلم بنفاقهم وزندقتهم وغير ذلك أم لا ؟

٦ ـ هل يجوز استخدام المسلم عند المسيحي وغيره من الذين يشتغلون بالمحرمات كسباق الخيل والمراسح العمومية ونوادي اللهو والخلاعة مع ملاحظة أنه ليس له أي عمل آخر يتعيش به مع عائلته سوى ذلك أم لا ؟ تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب

محمد عبد الرؤف مفتي

ج (٦٥) عقيدة الوهابية : هي عقيدة أهل السنة والجماعة التي كان عليها سلف الامة الصالح من الصحابة والتابعين وحفاظ السنة التي كان أكبر المدافعين عنها عند ظهور البدع وتأييد الدولة العباسية لها امام أئمة السنة احمد بن حنبل رحمه الله تعالى . فان صح عن أحد منهم خلاف لشيء مما كان عليه أحمد وجمهور السلف فانما يكون ذلك عن جهل منه بالمسألة التي خالف فيها فلا يتخذ دليلا على انه مذهبه ومذهب قومه . كما نرى كثيراً من أتباع سائر المذاهب في الاصول والفروع يخالفون أئمتهم عن جهل في الغالب

ج (٦٦) ماذكرتم من أعمال بعض أهل الطرق كله من البدع المنكرة يجب انكارها وكذا إزالتها باليد على من يقدر على ذلك من غير أن يترتب عليه مفسدة أخرى وضرر يفوق ضررها

ج (٦٧) لايجوز للمرأة أن تخلو برجل غير محرم سواء كان طبيبا أو غيره ، ويمنع تحقق الخلوة وجود غير المحرم لها من الرجال والنساء الذين يمتنع في العرف حصول أي منكر في حضرتهم كما هو مفصل في كتب فروع الفقه

ج (٦٨) لا يوجد دليل شرعي يمنع تمثيل حياة بعض الصحابة او أعمالهم الشريفة بالصفة المذكورة في السؤال

ج (٦٩) مصاحبة من ذكر من المنافقين والزنادقة وغيرهم يختلف حكمها باختلاف

حال من يصاحبهم من المؤمنين وحالهم معه، فقد تكون صحبة ومودة واقرارلهم على نفاقهم وكفرهم وهذه غير جائزة ، وقد يصاحبهم المؤمن العالم لنصحهم وارشادهم وانكار مايظهر من منكراتهم وهذا جائز وقد يكون مندوبا أو واجبا اذارجيت الفائدة او غلب الظن بحصولها ، وقد تكون عارضة في سفر او اجتماع لامندوحة عنه ولا ضرر فيه فتكون مباحة

ج (٧٠) لايجوز للمسلم اكتساب رزقه من الطرق المحرمة كالحانات ومواخير الفسق ، وأعمال القمار المختلفة ، ولا حيث يتعذر عليه القيام بالمفروض عليه في دينه، والضرورات التي تبيح المحظورات لا تكون عادة الا عارضة فلا نعقل وجود مصر من الامصار كبيروت لا يجد فيها المسلم وسيلة لرزقه الا مثل هذه المعاصي. وانما يتصور ان يتعود ذلك بعض المسلمين الجاهلين المتهاونين بدينهم ، ومثل هؤلاء قد يصعب على احدهم اذا اراد التوبة ان يجد رزقا غير الذي الفه الا بعد بحث ، فاول مايجب عليه ان يراجع بعض اهل الغيرة من المسلمين لكي يسعوا له ويساعدوه على عمل مباح يعيش به

(أسئلة من صاحب الامضاء في صولو)

(س ٧١ - ٧٥ من صاحب الامضاء في صولو)

الحمد لله وحده

حضرة عزيزي ومولاي صاحب الفضل الاكبر .... ومنشيء مجلة المنار الغراء ، السيد محمد رشيد رضا ، كان الله له معينا ومرشدا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أمابعد) فياصاحب الفضيلة أرجو من جنابكم العالي أن تجيبوا على الاسئلة الآتية بأدلة شرعية لتحوزوا الثواب والاجر من الله . وتفضلوا بقبول أوفر تشكراتي الجزيلة

(١) ماقولكم عزيزي في حديث «من تشبه بقوم فهو منهم» هل ذلك حديث صحيح أو موضوع ؟

(٢) وما معناه اذا كان حديثا صحيحا ليس بموضوع؟

(٣) وهل المسلمون الذين يستعملون «البنطلون» و «الزنار» أي حبل الرقبة ويعرف عند الفرنساويين (قرافات) يكفرون بموجب نص ذلك الحديث أم لا؟

(٤) وما معنى الآية (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) الخ؟

(٥) وما قول جنابكم في شخص مسلم يدين بدين الاسلام كما انه يزعم انه من جهابذة المسلمين الكبار وعلامة بمعنى الكلمة أفتى للفيف من المسلمين بقوله: ان الرجل المسلم الذي يرتكب المعاصي المحرمة شرعا كشرب الخمر والزنا أفضل عند الله من المسلم الذي يستعمل الزنار أي حبل الرقبة وبالفرنساوية (قرافات) وما حكم القائل بهذا الكلام والافتاء الفظيع الشنيع في الشرع؟ وهل يحكم عليه العقل بالجنون أو بالالحاد؟ أفيدونا سيدي على صفحات مجلتكم المنار الغراء. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (عيضة بن أحمد البحري الصدفي)

ج (٧١) حديث «من تشبه بقوم فهو منهم» رواه أحمد وأبو داود والطبراني قال في المقاصد الحسنة: وسنده ضعيف وصححه ابن حبان. أقول ولكن السيوطي أشار في الجامع الصغير الى حسنه، ففيه ثلاثة أقوال أوسطها انه حسن بين الصحيح والضعيف وليس بموضوع قطعا. وابن حبان يتساهل في التصحيح فيتروى فيما ينفرد بتصحيحه كالحاكم

ج (٧٢) معنى الحديث من تكلف أن يكون شبيها بقوم في أفعالهم ومزاياهم فانه يعد منهم، فالذي يتكلف البذل تشبها بالاسخياء الاجواد يعد سخيا جوادا وقد يصير منهم بالفعل فان التكلف ينتهي غالبا بأن يصير ملكة كما ورد «العلم بالتعلم والحلم بالتحلم» ومن المعلوم بالبداهة ان الانسان لا يميل الى التشبه الا بمن يراه فوقه وأفضل منه، فكل من يترك شيئا مما هو عليه وقومه من العادات والتقاليد والآداب والاعمال ومنها الازياء ويستبدل بها ما عليه غيره وغير قومه في معناها فانما يفعل ذلك لاحتقاره ما تركه وتفضيل ما تكلفه عليه، ولذلك كان يكره النبي ﷺ التشبه بأهل الكتاب في عاداتهم وأعيادهم وغير ذلك وينهى عنه فهو في الدينيات محرم وفي العادات مكروه، وكان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ينهي جيوشه عن التشبه بالاعاجم الذين يفتحون بلادهم ويحتم عليهم المحافظة على مشخصاتهم العربية، وقد فصلنا ذلك مرارا

معنى آية (ولا تركنوا الى الذين ظلموا)

ج (٧٣) الركون ميل الثقة والاطمئنان. ومعنى الآية في الجملة (ولا تركنوا) أيها المؤمنون (الى الذين ظلموا) من المشركين وغيرهم فتوالوهم او تعتمدوا على صدقهم في ولايتكم او تقروهم على ظلمهم أو تساعدوهم عليه (فتمسكم النار) التي هي جزاء الظالمين في الآخرة وهي مآلهم ومآل أعوانهم ، قد تعاقبون على ذلك في الدنيا والآخرة جميعا فان عاقبة الظالمين في الدنيا إذا طال المهد على ظلمهم هو الهلاك كما نطقت بذلك الآيات الكثيرة ودلت عليه عبر التاريخ (ومالكم من دون الله من أولياء) يتولون أمركم (ثم لا تنصرون) بالركون اليهم فيفوتكم ما املتم من الركون اليهم

حكم لبس البنطلون ونحوه

ج (٧٤) المسلمون الذين يلبسون السراويل الضيق المعروف بالبنطلون ويضعون في رقابهم الزيق المذكور في السؤال لا وجه للقول بكفرهم ولا فسقهم بذلك لان هذا اللباس لا يتضمن تكذيبا لما جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين من أمر الدين ولا خروجا عنه، بل هو الآن لا يعد تشبها بغير المسلمين لانه صار من ملابسهم. وتشبه المسلم بغير المسلم في بعض العادات غير الدينية لا يعد كفراً ولا معصية لله ولرسوله وانما هو مكروه شرعاً كما هو مكروه سياسة ووطنية . أما شرعا فلما تقدم، وأما وطنية وسياسة فلما ذكرناه من تضمنه لاحتقار عادات أهل ملته ووطنه ، وتفضيل غيرهم عليهم

شرع ما لم يأذن به الله

ج (٧٥) إن الذي زعم ان من يرتكب كبائر الاثم والفواحش كشرب الخمر والربا افضل عند الله من المسلم الذي يضع في عنقه زيق الرقبة المسمى باللغة الفرنسية « بالكرافات » اقل مايقال فيه انه جاهل بدين الله يقول على الله ما لا يعلم، وقوله هذا اعظم جرما واكبر اثما ممن ذكر من العصاة لا من واضع زيق الرقبة على فرض انه إثم . لأن العلماء قالوا في الآية الجامعة لأصول الكفر والمعاصي (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) قالوا ان هذه الكليات ذكرت بطريق الترقي

من المحرم الى ما هو اشد تحريما منه ، وان القول على الله بغير علم تشريع ديني وهو حق الله وحده فمن شرع للناس ما لم يأذن به الله فقد جعل نفسه شريكا لله في التشريع ، ومن قبل تشريعه فقد اتخذه شريكا لقوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)

وانما كان هذا اكبر من اتخاذ شريك لله في العبادة كالدعاء والاستغاثة لان شرك من عبد غير الله بدعاء ونحوه قاصر عليه ، ومن اتخذ نفسه شارعا للناس فشركه متعد الى من يتبعه في تشريعه .

هذا اذا كان نقلكم عمن ذكرتم صحيحا . ويحتمل ان يكون الرجل قال هذا في الزنار الذي كان في العصور الأولى شعارا لاهل الذمة يمتازون من المسلمين وصار لابسه يعد منهم لاشتباهه بهم ، ولكن هذا قد بطل منذ قرون. وزيق الرقبة في هذا العصر يتخذه ملايين من المسلمين وغيرهم ، ولا يصح على اي حال ان يقال ان مرتكبي كبائر الاثم والفواحش افضل عند الله ممن يلبس لبساً خاصا بالنصارى او غيرهم ولا من النصارى انفسهم ، فان المقام ليس مقام تفاضل مطلقا ،

وقد اعتاد بعض المتنطعين من لابسي لباس العلماء على المجازفة في التحريم والتكفير بغير علم ولا عقل وانما يغرهم قبول اكثر العامة لأقوالهم ، وهذا سلطان كان لهم وقد اشرف على الزوال لاساءتهم التصرف فيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

﴿ حكم وقوف التعظيم لشعار الامة أو الدولة ﴾

(س٧٦) من صاحب الامضاء في (بتاوي - جاوه) تأخر سهواً

فضيلة العلامة الحجة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء ، أدام الله للاسلام نفعه ومتع به آمين

بعد اهداء مايليق بفضيلتكم من مراسم التحية والاحترام وفائق السلام ، ترون القصد من هذا المرقوم سؤالا كنت أود أن أورده على قواعد الاسئلة بايجاز ، ولكن استحسنت أن أصحبه بقليل من الشرح لا لأهميته فحسب بل لافادتكم أيضاً لكي توردوا السؤال على الوجه الذي يتناسب مع الجواب .

كنت قد وجهت هـذا السؤال لحضرة العلامة الداعي الى الله بقوله وفعله السيد علي بن عبد الرحمن الحبشي العلوي الحضرمي القاطن الآن بمدينة بتاوي فصادف حضوري عنده وقت رقمه مسطوراً لفضيلتكم . فاشار عليَّ أن أرقم له السؤال في مكتوب ليضمنه المسطور الذي سيرسله للمنار ، وأن أنتظر الجواب ربما يراه على صفحات مجلتكم فيطلعني عليه . وذلك لا لعدم المعرفة، منه لا ، حاشا وكلا . ولكن لعدم حبه للتظاهر بالانحياز لحزب من الاحزاب الاندونساوية بجاوه . وقال : اننا عرب مهاجرون يلزم أن نبقى على الحياد تجاه كل حركة اندونسياوية ، ولا بد في جوابنا مالا يرضي أحد الفريقين . ومن ثم أشار عليَّ برقم السؤال هكذا :

وهو ان في الجزائر الاندونساوية قامت ضجة بين حزبين عظيمين من الاحزاب الاندونساوية وهما الحزب الوطني والحزب الاسلامي ، انتقد هـذا الاخير على الاول وقوفهم لدى اجتماعاتهم احتراما للعلم الذي وضعوه شعارهم القومي، ولوقوفهم أيضاً عند سماعهم للحن النشيد الموضوع لوطنيتهم مع نوع من الانحناء كما هي العادة المتبعة في الشرق والغرب، وكذا عندكم في مصر وغيرها من البلدان الاسلامية يقومون بواجب الاحترام والتعظيم لعلمهم ونشيدهم عند رؤيته وسماعه مع نوع انحناء

فهل عملهم هـذا ينافي الدين ويناقض ماأتى به محمد ﷺ أو هو من قبيل العادة فقط ؟ وكيف حكمه في ديننا الحنيف ؟ (مع العلم بأن للاسلام في أدواره أعلاما) ونريد البيان أيضا كيف كان احترام الصحابة لعلم المحمدي اذا كان هنالك احترام منهم ؟

وقد قال الحزب المنتقد انه يمس بأصول الدين الاسلامي وأن الوقوف لقطعة من القماش ضرب من الجنون، فما أحوج البيمارستانات الى معالجتهم ! وانه مروق من الدين بحجة انهم ينحنون لغير الله ، وبرهان واضح على عدم معرفتهم بالدين وما يدعوهم اليه ، وانه خدش لجبهة الشريعة الغراء، الى غير ذلك مما جعل حتى غير المسلمين يدلون بدلائهم في المسألة . وقد خبط الحزب المنتقد عليه في الدفاع

وافهام المنتقدين خبطا مما جعل من واجب كاتب هـذه السطور أن ينبه العلماء ليبينوا المسألة بيانا يحسن السكوت عليه

فنرجو من غير تحكم على هذا الدين أن تفسحوا في مجلتكم للجواب على صفحاتها بما يشفي العليل ويبرد الغليل ونرجو أن لا نحال على عدد سابق لصعوبة التفتيش عليه

وإننا للجواب على صفحات المنار بفارغ الصبر منتظرون ، وفي الختام تفضلوا بالتنازل لقبول أسمى سلامنا وفائق احتراماتنا

السيد علي بن عبد الله السقاف العلوي

مدرس بمدرسة عنوان الفلاح بتاوي ويلتفريدن ـ جاوه

(ج)الدين كله اتباع ، وأمور الدنيا فوضها الشارع إلى علم أهلها بها . بناء عليه نقول : لو كان لتعظيم العلم الذي اتخذ شعاراً قومياً بالقيام عند نصبه مثلا صبغة دينية كاعلام أهل الطريق بأن نصب في المسجد ـ او كان نصبه مقترنا بالاذكار وتلاوة القرآن بحيث يعد كالمشروع دينا ـ او قال متخذوه انه مطلوب شرعا ، لقلنا لهم ان عملكم هذا بدعة في الدين ، وقولكم هذا افتراء على الله ، وان مجموعهما شرع لم يأذن به الله . اما وهم يعدونه من العادات ، لا العبادات ، وينظمونه في سلك السياسيات لا الشرعيات ، فحكمه حكم سائر ما يستحدث الناس من أمور الدنيا في معايشهم وصحتهم وتنقلاتهم وأسفارهم ونظم التربية والتعليم في مدارسهم ، والادارة والسياسة والحرب ، الاصل في هذه العاديات الاباحة وقد يعرض لها الحظر او الوجوب أو الندب لضررها او نفعها فلا يحكم بتحريم شيء من ذلك ولا كراهيته لذاته شرعا ما دام لم يخالف نصاً من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله ﷺ أو يشتمل على ضرر عام او خاص تحرمهما الشريعة بدليل قطعي فيكون حراما اوغير قطعي فيكون مكروها .

كذلك اذا اشتمل فعله على منفعة مشروعة وتركه على مضرة ممنوعة فان الحكم يكون بضد ما تقدم ، بأن يكون فعله واجبا أو مندوبا ، وتركه محرما او مكروها ، لما ذكر لا لذاته ، فلا شك في ان جميع مستحدثات أسلحة الحرب الحديثة وعتادها ووسائل النقل فيها واجبة في قتال المسلمين لمن يقاتلونهم بها ، ومن عجز عن

الحج ماشياً أو راكبا على جمل او دابة وقدر عليه بركوب البواخر المستحدثة وسكك الحديد او الطيارات وجب عليه الحج على هذه النقالات الحديثة

واما الانحناء لغير الله فان فعل بقصد القربة والثواب أو عده فاعله مطلوبا شرعا فانه يكون عبادة محرمة وقد يكون استحلاله كفرا كما يفعل الذين يطوفون بقبور الصالحين ويقبلونها ويلتمسون أركانها من باب التدين وطلب النفع أو رفع الضر من المدفونين فيها ، وأما الانحناء الذي لاشبهة للتدين فيه فهو من العادات المباحة. وقد يتجه القول بكراهته اذا كان بشكل الركوع في الصلاة للاشتباه به في الصورة وان خالفه في النية .

وأما قول من قال ان تكريم العلم القومي أو الدولي جنون فهو يتضمن الحكم بأن أكثر البشر مجانين، فاذا حكموا عليه بمثل حكمه عليهم فاي الحكمين يكون أرجح في العالم؟

فيا أيها المسلمون لاتغلو في دينكم ، ولا تلبسوا الحق بالباطل ، فدينكم يسر لاحرج فيه ، ووسط لا افراط ولا تفريط فيه . ومن أخطأ في اجتهاده ثم ظهر له الحق فليرجع اليه ، فان الرجوع اليه فضيلة، والاصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة

هذا واما الاعلام ورايات الحرب في عهد النبي (ص) واصحابه ودول الاسلام فلم يكونوا يقومون لها عند رفعها ، ولكنها كانت محترمة لا يحملها الا الاخيار ، فكان علي المرتضى كرم الله وجهه كثيرا ما يحمل راية النبي (ص) وقد حمل رايته يوم فتح مكة سعد بن عبادة سيد الأنصار ، فلما قال: اليوم يوم الدمدمة، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة . وشكي الى النبي (ص) اخذ الراية منه واعطاه لولده لئلا يعد اخذها اهانة له وللانصار (رض)

(عقد النكاح وصيغة الطلاق عند اعراب فلسطين)

(س ٧٧ و ٧٨) من صاحب الامضاء

صاحب الفضيلة مولانا الحجة السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد فاني أرجو من فضيلتكم الاجابة على ماياتي فالحاجة الشرعية ماسة إلى ذلك ولكم منا عظيم الشكر ومن الله تعالى جزيل الاجر والثواب

(١) ان طريقة عقد النكاح عند الاعراب في قضاء بئر السبع هي ان يخطب الرجل المرأة التي يريدها إلى أهلها ، وبعد الاتفاق على السياق يأخذ ولي أمر المرأة عوداً ويناوله الخاطب قائلا له هاك قصلة فلانة (ويسميها) بسنة الله وسنة رسوله، فيأخذ الخاطب العود او القصلة ويضمه في عقاله او يحفظه معه، فيصير هذا عقداً صحيحا في عادتهم ثم يبني عليها وتقيم معه إقامة الازواج . فهل هذه الطريقة عقد صحيح لان الاصل في العقود الصحة ولان الاعمال بالنيات كما يؤخذ من تحقيق شيخ الاسلام ابن تيمية في الصحة من كتابه القياس في الشرع الاسلامي . أم هي عقد فاسد يجب على القاضي الحكم بين هذين الزوجين بالتفرقة لانهما لم يأتيا بالالفاظ المذكورة في كتب الفقه لعقد النكاح .

(٢) اذا أراد رجل من الاعراب المذكورين ان يطلق زوجه قال لها : كفيل فراقك فلان ويسميه، وهذا عندهم طلاق بائن لا يقوله إلا من قصد عدم البقاء مع زوجه، ولذلك تتزوج بعد ذلك بمن تشاء فلا يعارضها زوجها الاول . فهل هذا يعد طلاقا لان قوله لها : كفيل فراقك فلان كناية بمنزلة حبلك على غاربك الخ . أم ان هذا مجرد وعد بالطلاق ولا تعتبر نيته الفراق بهذه الجملة ؟

كتبت هذا والناس عندنا ينتظرون فتواكم الشافية لان هذه مسائل واقعة بكثرة في هذه النواحي والسلام عليكم المخلص

حافظ البطة

(ج) العبرة في العقود كلها وفي حل عقدة الزواج بالطلاق ما يتعارف عليه الناس فيما بينهم ، ويعد ايجابا وقبولا في عرفهم، لا بألفاظ لا يفهمونها بلغتهم ولا عرفهم ، والالفاظ التي اعتمدها الفقهاء في صحة العقود أو وقوع الطلاق ليست تعبدية وانما وجد الائمة أهل اللغة يستعملونها فيها فبنوا أحكامهم عليها ، وقد جاء في القواعد الشرعية التي جعلت مقدمة لمجلة الاحكام العدلية الشرعية ان « العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني ، لا بالالفاظ والمباني » وهي قاعدة صحيحة ، وقد حقق الموضوع شيخ الاسلام في قواعده وفي كتاب القياس الذي ذكرتموه بما يغنيكم عن إطالتي فيه والله أعلم

مراهنة سباق الخيل والتداوي بما خلط بمحرم

(س ٧٩ و٨٠) من حضرة صاحب الامضاء في بيروت
بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أرفع الى سيادتكم ما يأتي :

(١) هل تجوز المراهنة على سباق الخيل وغيرها سواء كانت الشركة الضامنة للخيول وغيرها أجنبية أم وطنية . وكيفيتها عندنا أن يشتري المراهن ورقة بنمرة حصان أو حصانين فاذا صادف وصول الحصان أو الحصانين الى الدرجة الاولى أو الثانية وغيرها حسب الشرط ربح الراهن وإلا فهو الخاسر ، فما قولكم في هذا الرهان ؟ وهل هو بمثابة القمار المحرم شرعاً أم لا ؟

(٢) هل يجوز تعاطي الدواء المخلوط بالمحرمات كالخمر والحشيش والكوكايين وغيرها لاجل تسكين الآلام وشفاء الامراض والاسقام وذلك بأمر الطبيب سواء كان الطبيب مسلما أو مسيحياً أوغيرهما أم لا ؟ تفضلوا بالجواب على صفحات مجلة المنار الاغر ليكون النفع عاما ولكم الأجر والثواب محمد عباس

مدير مدرسة رأس بيروت العلوي

(ج) أما الجواب عن الاول فهو ان المراهنة المذكورة في السؤال من القمار المحرم لا ريب في ذلك ، وانما المراهنة المشروعة في السباق فهي ما كانت تمريناً عملياً على الجهاد ولها شروط مشروحة في كتب الشرع لا حاجة الى ذكرها ، إذ لا وجود لها فنذكر حكمها . ولو سألتم أي فقيه أو طالب علم عنها لبينها لكم .

وأما الدواء المخلوط بشيء من هذه السموم المحرمة فيشترط في جوازه عند الحاجة اليه عدم وجود غيره يغني عنه ، وللمريض أن يأخذ في ذلك بقول الطبيب العدل فان لم توجد العدالة الشرعية فله أن يأخذ بقول من يثق بعلمه وتجاربه من الاطباء ، وكذا بتجربته هو ، واعلم ان اكثر الادوية مشتملة على شيء من السموم المحرمة لضررها ، ولكن وضعها بمقادير معينة مع مواد من غيرها يجعلها نافعة باذن الله تعالى ، وقد فصلنا هذا في المنار من قبل

مجلة نور الاسلام والاستاذ الدجوي

أتمت هذه المجلة الازهرية سنتها الأولى ولولا فتاوي الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي ومقالاته فيها لكانت جديرة بالتهنئة ، ففي مكتوباته مايدعو الى العجب من مخالفة اجماع السلف الصالح في الاتباع ، وتأييد الخلف الطالح في الابتداع ، وإقرار ما أفسد على الخرافيين دينهم وآدابهم وصحتهم من عبادة القبور بالدعاء والاستغاثة والتضرع والنذور لها ، والطواف بها كالكعبة ، واستلام أركانها وتقبيلها كالحجر الاسود ، وتقريب القرابين لها ، وتسييب السوائب لاجلها ، وشد الرحال الى موالدها ، وتقديم عرائض الشكوى من مصائب الزمان للمدفونين فيها ، وتسميته ذلك كله توسلا ، وتوجيه التأويلات التي حذقها الازهريون في توجيه عبارات الكتب المنتقدة بالاحتمالات الغريبة .

وقد كثر إنكار أهل العلم الصحيح على هذه الفتاوي والمقالات وكان القائمون بأمر الوعظ والارشاد في مصر اشدهم تبرما وسخطا على هذه المجلة أنها قطعت عليهم طريق الوعظ والارشاد بكونها مجلة المعاهد الدينية لا بكون الكاتب في توجيه البدع وعدها من عبادات الاسلام هو الشيخ يوسف الدجوي أحد كبار العلماء الرسميين ، فكل واحد من هؤلاء المرشدين الذين نعنيهم قادر على الرد على هذا الشيخ وتفنيد تأويلاته الباطلة ، ولكن الذي يجبنون عنه هو مقاومة رياسة الازهر والمعاهد الدينية في مجلتها ، لانهم موظفون من قبلها ، ويعتقدون ان اغضابها يقطع عليهم عملهم فيفوتهم ثوابه ورزقهم ، لذلك طالبنا بعض من نعرف ومن لم نكن نعرف منهم بالرد عليها كما طالبنا غيرهم من أهل هذا القطر ومن غيره بهذا الرد وأوجبوه علينا وأرسل الينا بعض أهل العلم من الازهريين غير التابعين لرياسة المعاهد ومن غيرهم رسائل في الرد على الفتاوى والمقالات الدجوية لنشرها في المنار ، وهو لايتسع لهاء وكل ما ينشر فيه خير منها ، وما فيها من الدلائل على نصر السنة ودحض البدعة ، وحماية جانب التوحيد الاسمى ، قد سبق لنا بسطه بأوسع وأقوى مما كتبوه ، فقراء

المنار يعرفونه ولا يخشى على أحد منهم أن يضل بشبهات الاستاذ الدجوي وتأويلاته الضعيفة النحيفة السخيفة ، كالاستدلال على شرعية دعاء غير الله تعالى من أصحاب القبور والاستغاثة بهم في الشدائد والتضرع اليهم بكشف الضر ، وجلب النفع، مما عجزوا عنه بأسبابه ـ بان لفظ الدعاء والاستغاثة قد ورد في اللغة العربية فيما ليس بعبادة الخ . وبان الصالحين الذين يدعونهم يجوز أن ينفعوهم لانهم أحياء في قبورهم ، وقد أثبت وجود الارواح وصلتها بالاحياء كثير من الافرنج وغيرهم

أمثال هذه الشبهات لاتروج عند أحد من عوام قراء المنار فضلا عن خواصهم لانهم يعلمون جميعا أن الدين اتباع لا ابتداع ، فلو كان لما يصنعه عباد القبور ماذكر بالاجمال أصل في الاسلام لنقل فعله نقلا متواتراً عن الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ، عند قبر النبي ﷺ وقبور خلفائه وخواص أصحابه (رض) ولكن لم ينقل عنهم شيء لامتواتراً ولا آحاداً ، لابسند صحيح ، ولابسند ضعيف، على ان العبادة لا تثبت إلا بالنص ، بل نقل عنهم ما يبطل هذه البدع وأمثالها ، بل نصوص القرآن القطعية تبطل هذا ، وأنى لنا أن نوصل هذه المعلومات إلى قراء مجلة نور الاسلام وأكثرهم لايطلعون على المنار ؟

كنا نظن كما يظن كثير من الناس بالاستاذ الشيخ يوسف الدجوي ظنا حسنا يرفعه عن طبقة الجامدين على التقاليد الذين تؤثر في علمهم البيئة العامية

وأول ماظهر لنا مخالفا لحسن ظننا في علمه وفهمه خطاب أرسله إلى عدو السلف والمحدثين الشيخ الكوثري التركي الحشوي، فطبعه تلميذ للكوثري ووزعه في الامصار ، فلما رأيته عزمت على الرد عليه ، ودعوة الشيخ الدجوي إلى المناظرة في موضوعه كتابة ، فلم نلبث ان رأينا اسمه في محرري مجلة نور الاسلام ومن رأينا أن لا نتعجل بنقدها ، ثم لم نلبث ان رأيناه هو مفتيها ، وأن رأينا في فتاويه مالو خصصنا جميع صحائف المنار الرد عليه لما وفت به ، ولو كانت مجلة نور الاسلام تقبل الرد على ماينشر فيها كالمنار بما شاءت من الشروط العلمية والادبيه لكفتنا وكفت غيرنا مؤنة هذا الواجب ، لتمييز الحق من الباطل ، ولكنها لا تفعل

فلم يبق إلا أن تنشر هذه الردود التي كتبها أو يريد أن يكتبها الكثيرون

في بعض الجرائد الاسلامية اليومية بمصر ، وأن ترسل خلاصة منها إلى الجرائد الاسلامية في سائر الاقطار

وقد كان بعض علماء هذه البلاد شرعوا في الرد عليه في جريدة الفلاح المصري فحال إبطال الحكومة لها دون المضي في ذلك، ولكن من هؤلاء من حاول الرد عليه في كل ماراه مخطئا فيه من نقل ورأي وحكاية قول غير صحيح ، وهذا شرحه طويل، فالواجب الرد عليه فيما أخطأ فيه من المسائل الدينية قبل كل شيء

وان لدي من الشواغل الخاصة في هـذا الوقت مايمنعني من التصدي للرد التفصيلي عليه في الجرائد (منها) انني مشتغل باتمام طبع الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام الذي طال العهد على مطالبة الناس لنا به وهو أكبر مما سبقه وسيصدر في هذا الصيف إن شاء الله تعالى

لو أعطى فضيلة الاستاذ الاكبر ـ أو مجلس الأزهر الاعلى ـ هذه المجلة حقها من العناية في نظام التحرير وأبواب المسائل لجعل لباب الفتوى لجنة خاصة أو لناطها بفضيلة مفتي الديار المصرية وهو يختار لها من العلماء من يرى فيهم الكفاية تحت إشرافه، فقد علمت ان الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتي هذا العصر قد فضل من قبله من المفتين باقامة الدلائل على مايفتي به في كل موضوع بحسبه، وهو على ماعلمت من سيرته في الذروة العليا من علماء الأزهر في سعة الاطلاع على العلوم الشرعية ومتعلقاتها ولا سيما التفسير والحديث اللذين قصر فيهما الاكثرون . ويظهر مما يكتبه الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي في نور الاسلام انه من أقلهم بضاعة في هذين العلمين ، وهما أساس علوم الشرع ولا سيما الحديث رواية ودراية ـ وفي آثار السلف الصالح

ولم يقف هـذا الاستاذ عنـد حد الفتوى في الجنـاية على هـذه المجـلة العامة التي كان من الواجب عليهـا العناية بجمـع كلمة المسلمين والتأليف بينهـم حتى وجه عنايتـه للتفريق بين الازهريين ـ ان لم أقل المصريين ـ وبين الوهابيين ، بكتابة مقالات خاصة في الطعن على عقائد هؤلاء وتجهيلهم ، وقذفهم بتكفير من عداهم من المسلمين، والظاهر انه تلقى مايسنده اليهم من المتداول على ألسنة

الناس من تأثير الدعاية العثمانية التركية القديمة التي أذاعها أتباعهم وأنصار سياستهم منذ ظهرت نهضتهم الدينية في بلاد العرب ، وخشي الترك أن يؤسسوا دولة عربية قوية تزيل سلطانهم من البلاد العربية ، فحاربتهم الدولة لذلك بالسلاح وبالدسائس والدعاية الدينية ، واستخدمت في هذا بعض المنافقين والخرافيين من المعممين وغيرهم من الكتاب، فزعموا أن لهم مذهبا جديداً في الاسلام من قواعده تكفير كل من يخالفهم ، ومن أشهر من ألف في الرد عليهم كبير ملاحدة العراق المجاهر بالالحاد جميل صدقي افندي الزهاوي الشاعر المشهور

ولولا هذا السبب السياسي لما كانت الدولة تبالي بعقائدهم وافقت السنة أم خالفتها فانها كانت تعد النصيرية والاسماعيلية والدروز من المسلمين في معاملاتها الرسمية كلها

والحق ان هؤلاء الذين سموهم بالوهابية من اتباع امام السنة الاكبر أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وانني اطلعت على أكثر كتبهم وفتاويهم فلم أرهم يخالفون مذهبه إلا في شيء واحد وهو انه اذا صح الحديث بخلاف الصحيح في المذهب وأخذ به الأئمة الثلاثة أو اثنان منهم فانهم يرجحون العمل به على الصحيح في المذهب

وأما التكفير فلا يأخذون فيه إلا بما اجمع عليه المسلمون . بهذا صرح المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب وغيره من أولاده واحفاده رحمهم الله تعالى

وهم يفرقون بين بيان ماهو كفر بالقول والكتابة ، وبين الحكم به على الشخص المعين ومعاملته معاملة المرتدين بالفعل فقد صرحوا بان الشخص المعين يمكن أن يكون متأولا ، وان يكون في ارتكاب بعض المكفرات معذورا بالجهل، ولم يبلغنا أن حكومتهم قد أقامت حد الردة في الحجاز على أحد ممن ينكرون عليهم بعض أقوالهم ويقولون لهم انها شرك بالله تعالى، مع العلم بانهم يقيمون الحدود الشرعية .

وقد أجمع علماء المسلمين على تكفير من يشرك بالله تعالى احداً من خلقه ملكا كان أو نبيا أو ولياً أو حيوانا أو نباتا أو جماداً بتوجيه اي عبادة اليه مما يقصد به القربة وطلب النفع او دفع الضر من غير طريق الاسباب ولا سيما الدعاء الذي هو مخ العبادة، والتضرع في الشدائد، وتقريب القرابين، فما كان من هذه التعبدات عمليا فهو لا يحتمل التأويل، وما كان منها قولياً فمنه ما يحتمل التأويل ، وقد يخطيء

بعض علماء الوهابية كغيرهم في بعض المسائل التي تحتمل ذلك والتي لا تحتمله .
ولكن لا ينكر احد عرف حالهم وبلادهم انهم طهروها مما كان فاشياً فيها من الشرك بعبادة القبور والشجر والحجر، ومن البدع والخرافات التي اجمع المسلمون على بدعيتها، فضلا عن المعاصي المعروفة وترك الفرائض . فهي بهذا تفضل هذه البلاد وغيرها من بلاد الاسلام . وان ماينكره العالم المسلم على اهلها مما لا يخلو منه قوم من الاقوام فهو دون ما ينكر على غيرهم . فلماذا يخص الاستاذ الدجوي هؤلاء بالرد عليهم والطعن في دينهم بغير بصيرة في هذا الوقت الذي وقع فيه بين حكومتهم في الحجاز وحكومتنا المصرية من الخلاف والشقاق ماهو معروف يشكو منه جميع المسلمين عندنا وعندهم وفي سائر الأقطار ويتمنون زواله ؟

هل يدعي الاستاذ الدجوي انه يفعل ذلك من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو يعلم أن في بلادنا من البدع والمنكرات أضعاف مافي بلادهم ، وأن أهلها أحوج من أهل نجد إلى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، لان المجلة التي يكتب فيها منتشرة هنا غير معروفة في نجد ، ولان كلامه يرجى قبوله عند عوام مصر وما يقرب منها من الامصار ، ولا يرجى أن يكون له من التأثير عند من عساه يطلع عليه من الوهابيين الاشره وأضره ، لانه ليس له من الآثار العلمية المؤيدة بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح ما يحملهم على الثقة به والاعتقاد بعلمه ودينه اذا هو وصل اليهم ، ولم يكن طعناً فيهم ، فكيف وهو طعن يستطيع عوامهم الرد عليه

وكان اللائق بمكانته من كبار علماء الازهر وباشتغاله في تحرير مجلة دينية منسوبة إلى هذا المعهد الكبير الصيت جديرة بأن يكون من أكبر مقاصدها التأليف بين المسلمين — وقد قام عنده باعث ما على الرد عليهم دون غيرهم — أن يقرأ عدة من كتبهم المطبوعة المشهورة ويرد على ما يراهم متفقين عليه مما يرى هو انه خطأ أو على من يراه مخطئاً من علمائهم باسمه ولو فعل هذا لرأى ان هذه التأويلات والاحتمالات التي يحتج بها على هذه البدع التي يسميها التوسل قد قيلت من قبله وفندت تفنيداً في تلك الكتب

ومن أغرب مايتأوله لعباد القبور بناء اقوالهم وافعالهم على انهم أشعرية يعتقدون أن لا فعل لغير الله تعالى ولا تأثير في شيء ما، لا كسب البشر الذي هم فيه مجبورون

في قوالب مختارين، ولا خواص الاشياء الطبيعية كاحراق النار وارواء الماء، فلو كان هؤلاء الناس يعتقدون هـذا لما شد الرحال نساؤهم مع رجالهم وأطفالهم إلى القبور، وحملوا اليها الهدايا والنذور، وقربوا عنـدها القرابين لاجل قضاء حوائجهم، ودفع البلاء عنهم ومن العجيب انهم يعتقدون ان بعضهم لا يقبل من القرابين الا للمعز كاويس القرني الذي ذبح عند قبره من عهد قريب آلوف من المعز، وهذا القبر مزور قطعا، فان اويسا لم يأت مصر (واشهر الاقوال انه قتل في وقعة صفين وكان في جيش علي كرم الله وجهـه) وكذلك شيخ آخر اسمه ابو سريع لايقربون له في مولده وغيره إلا المعز

ومن استنبأهم و استنبطن أمرهم يعلم انهم يعتقدون أن هؤلاء الموتى يجيبون دعاء من يدعوهم واغاثة من يستغيث بما له من التصرف في العالم فوق الاسباب لا ان الاسباب نفسها صورية يخلق الله الاشياء عندها لا بها كما يقول الاشعرية، وان ابلد الناس يعلم انهم لو كانوا يؤمنون بأنه لا تأثير لها في نفع ولا كشف ضر لا بسببية ولا بسلطة غيبية لما شدوا إليها الرحال، وحملوا الاثقال، وبذلوا الاموال وارتكبوا عندها منكرات الاعمال، كترك الصلوات، واتباع الشهوات المغفورة بزعمهم بما لهم من الكرامات. وكذلك لو كانوا يعلمون ان نذر هذه القرابين لها لاينفعهم شيئا لما نذروا شيئا منها. فالى متى نكابر الحس بالاحتمالات الوهمية ونسمي هذا علماً وديناً؟ ونزيد هؤلاء الخرافيين الذين لايعرفون من الدين إلا مايتلقفه بعضهم عن بعض من الجهالات الموروثة التي اتبعوا فيها سنن من قبلهم مصداقا للحديث الصحيح المعروف. وقد أفسد ذلك عليهم دنياهم وصحتهم كما أفسد دينهم وقد صح في الاحاديث لعن النبي ﷺ لمتخذي القبور مساجد ولواضعي السرج عليها، ووصفه اياهم بأنهم شرار الخلق عند الله عز وجل؟ آلله ياشيخ يوسف لو كان الوهابيون هم الذين يقترفون هذا كله وما قبله، مما حرم هذا لاجله، من دون قومك الذين ألفت هذا منهم، وتتأوله لهم تارة بحمل الفاظهم على المجازات اللغوية او العقلية التي لايعقلونها وتارة بانه لايضر مع العقيدة الاشعرية ماذا كنت تقول فيهم؟ حاسب نفسك قبل أن يحاسبك ربك وأنصف منها

مسيح الهند القادياني الدجال

(٤)

نقلنا في النبذة الثالثة من هذا الرد بعض نصوص القادياني في مسألة نسخ الجهاد وما فيها من اطراء الانكليز بالمدح والحكم بوجوب شكرهم على المسلمين وتحريم جهادهم من كتابه (الهدى والتبصرة لمن يرى) الذي ألفه للرد على صاحب المنار

وقد أيد هذا في مواضع أخرى من كتبه محتجا بأن الجهاد انقطع بطبعه بظهور المسيح اذ زالت به غربة الاسلام وضعفه وانتصر أهله على النصارى المعبر عنهم عنده بيأجوج ومأجوج ، وحصل كل ما ورد انه يحصل بظهور المهدي والمسيح من عزة الاسلام والقضاء على أعدائه الكافرين . ومن ذلك ما فصله في أواخر خطبة له سماها (خطبة إلهامية) وزعم انها من معجزاته ، فانه بعد أن زعم ان الذلة التي أصابت الملة الاسلامية في عصره ما أصابتها من قبل ولن تصيبها الى يوم الدين قال « فعند ذلك تنزل النصرة من السماء ، ومعالم العزة من حضرة الكبرياء ، من غير سيف ولا سنان ولا محاربين (*) واليه اشارة في قوله تعالى (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا) وهو مراد من بعث المسيح الموعود يا معشر العاقلين (**) وفي لفظ النزول الذي جاء

(*) حاشية له من الاصل : إن عيسى بن مريم ما قاتل وما أمر بالقتال ـ فكذلك المسيح الموعود فانه على نموذجه من الله ذي الجلال ـ والسر فيه ان الله اراد أن يرسل خاتم خلفاء بني إسرائيل وخاتم خلفاء الاسلام ـ من غير السنان والحسام ، ليزيل شبهات نشأت من قبل في طبائع العوام ـ وليعلم الناس ان اشاعة الدين بامر من الله لا بضرب الاعناق وقتل الاقوام ـ ثم لما كان اليهود في وقت عيسى والمسلمون في وقت المسيح الموعود ـ قد خرج أكثرهم من التقوى وعصوا أحكام الرب الودود ـ فكان بعيدا من الحكمة الالهية ان يقتل الكافرين لهذه الفاسقين ـ فتدبر حق التدبر ولا تكن من الغافلين اهبنصه وإملائه السخيفين وهو يزعم أنه وحي من الله

(**) وكذلك اشير إلى المسيح الموعود في الكتاب الكريم اعني في سورة التحريم وهو قوله تعالى (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) ولا شك ان المراد من الروح ههنا عيسى ابن مريم فحاصل الآية أن الله وعد انه يجعل اخشى الناس من هذه الامة مسيح ابن مريم و ينفخ فيه روحه بطريق البروز فهذه وعد من الله في صورة المثل لا تقى الناس من المسلمين فانظر كيف سمي الله بعض أفراد هذه الامة عيسى بن مريم ولا تكن من الجاهلين اه بحروفه و إملائه الكثيري الاغلاط أيضا

في الاحاديث إيماء الى ان الامر والنصر ينزل كله من السماء في أيام المسيح من غير توسل أيدي الانسان ومن غير جهاد المجاهدين » اهـ بحروفه

وكنت أريد أن أبحث في كتبه على نصوص أخرى في هذا الموضوع فراجعت بعض ما عندي منها على كثرة شواغلي في هذه السنة فشغلني عن مسألة الجهاد ما رأيته فيها من الجهالات السخيفة في الاستدلال على كونه هو المهدي المنتظر والمسيح الموعود به ، وغرائب تحريفه لآيات القرآن والاحاديث الواردة في هذه المسألة ، ومنها ما كنت رأيته ونسيت تفصيله ، ومنها مالم أكن قرأته ، فان ذا المعرفة الفنية والملكة الذوقية في اللغة العربية ، يمل ويسأم وتغثى نفسه من اسجاعه المتكلفة التي يحاول بها محاكاة فواصل القرآن، على ما فيها من الاغلاط النحوية والصرفية، دع قواعد المعاني والبيان ،

وهو لمراقته في الجهل باللغة لا يستحيي من الاستدلال على مسيحيته بسورة الفاتحة وبسورة العصر ، وبآيات كثيرة من القرآن ، ليس فيها ادنى اشارة الى هذا الشأن ، كما رأى القارىء فيما نقلناه آنفا من خطبته الالهامية وحواشيها الجهلية ،

وكذلك يحمل على شخصه جميع الاحاديث الواردة بشأن عيسى عليه السلام ومن اغربها قوله في حاشيته ص ٩١ من التبصرة : « اول بلدة بايعني الناس فيها اسمها لدهيانة ، وهي اول أرض قامت الاشرار فيها للاهانة ، فلما كانت بيعت (كذا) المخلصين ، حربة لقتل الدجال اللعين ، باشاعة الحق المبين . اشير في الحديث ان المسيح يقتل الدجال على باب اللد بالضربة الواحدة ـ فاللد ملخص من لفظ لدهيانة . كما لا يخفى على ذوي الفطنة » اهـ بحروفه ومعلوم ان « اللد » اسم مدينة في فلسطين . فزعم هو ان المراد بها بلدة لدهيانة في الهند وان معنى لفظ الدجال مخالفة اعدائه . وان الحربة مبايعة المغرورين به له . وكان اتباعه يقبلون مثل هذا منه لجهلهم باللغة العربية واما الآن فقد صار لهم جمعية غنية يعتصمون بها لمنافعها . وقد ظهر لمتقني هذه اللغة بعده مقدار جهله وسخفه وهوسه العقلي في دعواه فمنهم من ترك ضلالته ، ومنهم من اعتدلوا في دعاويهم فيه . وانما يصر عليها الجاهلون، ويؤثرا لانتفاع الطامعون الجشمون . ولله في خلقه شؤون .

الحاد في القرآن

ودين جديد بين الباطنية والاسلام

المقالة الثالثة

ماقدمه من التمهيد ، لهذا الدين الجديد

قد مهد هذا الملحد لبيان الحاجة إلى دينه الجديد بهذه الدعاوي الخمس :

(١) قوله « ان هؤلاء المسلمين بعدوا عن القرآن ولم يعملوا به ، ففريق منهم لم يفكر فيه وا كتفى منه بالانتساب اليه ، والفريق الآخر الذي يظن انه متمسك به بعد عنه من جهة الخطأ في التعاليم » اه

(٢) قوله « وقد بلغ الدس والحشو في التفاسير انك لا تجد أصلا من أصول القرآن إلا وتجد بجانبه رواية موضوعة لهدمه وتبديله » اه

(٣) قوله في أصحاب المذاهب إنهم حكموا أصولهم في القرآن « حتى صار ميدانا للجدل وأصبح غير صالح للحياة .. فهدايته فقدت بالمجادلات في الالفاظ والمذاهب ، ومعانيه ومقاصده ضاعت بالروايات الناسخة ، والتفسيرات المتحجرة العقيمة »

(٤) قوله « وقد تغيرت معاني القرآن أيضا وتبدلت مقاصده باعتماد المفسرين على كتب اللغة التي تفسر الالفاظ بلازمها ، وتقصرها على بعض معانيها ، ... فتكون بذلك بعيدة عن فقه اللغة فيتغير معناها المراد في القرآن » اه

(٥) زعمه ان القرآن ليس له معاني قطعية ثابتة ، بل ألفاظه تقبل الآراء والانظار المختلفة المتعارضة في كل زمن وهذا معنى كونه متشابها ، وإذاً يجب تفسيره في كل عصر بما يناسبه . وقد ذكرنا قوله هذا في المقال الماضي وسنعيده قريباً في بيان أصول دينه الجديد

خلاصة هذه الدعاوى الخمس ان جميع المسلمين قد بعدوا عن دين الاسلام،

ولا يكاد يوجد أحد منهم عليه، وان سبب ذلك هو هدم المفسرين لجميع أصول القرآن وتبديلهم لها ، وكون علماء المذاهب حكموا أصولهم فيه، فزالت هدايته ، وضاعت معانيه ومقاصده ، وانه لا يمكن الاعتماد في فهمه على كتب اللغة التي استمد منها المفسرون لانها فاسدة بعيدة عن فقه اللغة فتتغير بها المعاني المقصودة من القرآن، ولانه ليس له معاني ثابتة يجب التزامها في كل زمان ،

ونتيجة ذلك كله أنه لما كان لابد للناس من الدين وانه « لما كان القرآن آخر الكتب الالهية كان واجبا على الناس أن يرجعوا اليه لمعرفة حقيقة الدين »، ولما كان لا يمكن أخذ دين القرآن من كتب التفسير ولا من اصول المذاهب وفروعها ولا من كتب اللغة ـ وانه لابد أن تكون معاني القرآن في هذا العصر موافقة له دون ما قبله — ولما كان هو الذي بين هذا في تفسيره ، — تعين ان يكون ما جاءهم به (هذا الملحد) هو دين القرآن الذي لابد لهم منه ، وهذا عين ما كان يقوله دعاة ملاحدة الباطنية من ان مراد الله من القرآن لا يمكن العلم به إلا من إمامهم المعصوم كما هو مبين في كتب المقالات والتاريخ والمناظرات معهم (راجع أخصرها وهو القسطاس المستقيم للغزالي) واننا نشير الى بطلان مقدماته بالاختصار فنقول :

أما الدعوى الاولى فهي صادقة في كثير من المسلمين لا في جميعهم، وقد بينا هذا في مواضع كثيرة من تفسير المنار ومجلة المنار ، ونعبر عن هؤلاء المسلمين بالجغرافيين، أي الذين يعدون من المسلمين في إحصاء الحكومات وعلماء الجغرافية للامم والشعوب مع بيان أديانهم الرسمية . وقد سرقها هذا المدعي الكذاب إلا انه جعلها عامة، ومقدمة لنتيجة باطلة . بل علاها بما يجعل حكمه عاما يشمل مسلمي السلف كلهم ،

وأما الدعوى الثانية فهي باطلة ، ليس فيها للحق شبة ولا شائبة، فالروايات الموضوعة قليلة في أكثر التفاسير ، ولا يعتمد عليها في هدم شيء من أصول الدين ، واما دينه هو فتهدمه نصوص القرآن القطعية ، والسنن القولية والعملية،

وأما الدعوى الثالثة فمقدمتها تصدق في بعض آراء المقلدين المتعصبين لمذاهبهم من المفسرين،وهي التي نبين القول الراجح منها في تفسيرنا . والاقيسة المؤلفة من مقدمات جزئية ، لا تنتج نتيجة كلية ، فدعواه ان هداية القرآن فقدت بذلك دعوى باطلة

وأبطل منها زعمه ان معاني القرآن ومقاصده ضاعت بالروايات الناسخة ، والتفسيرات المتحجرة العقيمة ، أما النسخ الاصولي فالسيوطي حصر آياته في عشرين ، وحقق بعض الاصوليين كالشوكاني انها بضع آيات فقط . دع انكار بعض المفسرين للنسخ من أصله ، وترجيح آخرين لكثير من نقضه لما قيل فيها

ومن العجيب الغريب أن هذا الملحد المغرور يتصدى لنسخ آيات العقائد والاخبار الالهية التي أجمع العلماء على أنها كلها محكمة لا يعرض لها النسخ ، وينسخ أيضا كثيراً من الاحكام القطعية بفهمه الباطل . ثم يزعم ان القرآن قد ضاعت معانيه كلها بذهاب المفسرين إلى نسخ بعض الآيات بآيات أخرى خير منها للامة او مثلها !

وأعجب من هذا وأغرب انه يزعم ان القرآن يحتمل جميع الآراء والافهام، وهو ينكر على أعلم الناس به ما فهموه منه ! !

وأما التفسيرات التي سماها المتحجرة تقليداً لأدعياء التجديد الالحادي من المتفرنجين فلا يقبل لمثله قول فيها بعد ما علم من جهله وإلحاده وبراءته مما أجمع المسلمون على انه من محكمات القرآن وأصول الاسلام

وأما الدعوى الرابعة فهي ظاهرة البطلان أيضاً فالمحققون من المفسرين راسخون في فقه اللغة، وكتب الائمة في جملتها قد حققت المعاني الاصلية للألفاظ ، ومنها ما فرق بين الحقيقة والمجاز ، وعابوا على الفيروزبادي الخلط بينها ، وحشر الالفاظ الاصطلاحية فيها . وناهيك بمفردات القرآن للراغب واساس البلاغة للزمخشري دلالة على ذلك ، وهذا جهل منه لا يحتاج دحضه إلى التطويل

وأما الدعوى الخامسة فقد ذكر وجه بطلانها في الكلام على الاصل الثاني من أصول دينه الجديد ، وانما نقول هنا انها مستمدة من إلحاد الباطنية . قال النسفي في عقائده : النصوص على ظاهرها والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد . وقال السعد التفتازاني في شرحه لها : سميت الملاحدة باطنية لادعائهم ان النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم (يعني الذي يسمونه الامام المعصوم)

بعد هذا التمهيد نبين أصول دين هذا الملحد الجديد ، فنقول :

الاصل الاول

﴿ للدين الجديد تفسير القرآن بالقرآن دون اللغة والسنة ﴾

هو ماسماه طريقته في تفسير القرآن وهو « كشف معنى الآية وألفاظها بما ورد في موضوعها من الآيات والسور ، فيكون من ذلك العلم بكل مواضيع القرآن ، ويكون القرآن هو الذي يفسر نفسه بنفسه كما أخبر الله ، ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذي ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله في الكون ونظامه في الاجتماع »

أقول : هذا الاصل كله جهل وغش ، سببه ان مدعيه فاقد لكل ما اشترطه العلماء من العلوم التي يتوقف عليها فهم القرآن وتفسيره . وبيانه من وجوه

(الوجه الاول) ان من لم يكن يفهم القرآن بما أوتي من العلم باللغة الفصحى وسيرة الرسول ﷺ وسننه العملية والقولية لا يمكن أن يفهم كل آية بمراجعة مايناسبها في لفظها ومعناها ، وانما الذي قررناه في تفسير المنار هو ان الذي يفهم الآيات المتعددة في موضوع واحد يحتاج إلى استحضارها عند ارادته بيان حكم الله تعالى في ذلك الموضوع

(الوجه الثاني) ان هذه الطريقة أكبر شاغل عن تدبر القرآن والاهتداء به ، اذ يأمره عند تلاوة الآية الواحدة بمراجعة آيات كثيرة يدعي هو انها بمعناها ، ومن المعلوم بالضرورة أنه قد يكون في كل آية منها معاني أخرى غير اللفظ او المعنى المراد من المقابلة وحينئذ يضطرب الفهم في اختلاط هذه المعاني فلا يسلم للقاري منها شيء

(الوجه الثالث) قوله ان الله أخبر بهذا — هو كذب وافتراء على الله ، فان الله لم يخبر بهذا ، ولو أخبر به لبينه بالعمل رسوله الذي أنزل عليه بتلاوة الآية مع كل مانزل بمعناها ، ولنقل ذلك بالتواتر ، ولكنه لم ينقل قط لا تواتراً ولا آحاداً

(الوجه الرابع) قوله ولا يحتاج إلى شيء من الخارج الخ باطل فان مايحتاج اليه مريد فهم القرآن من الخارج (ولا يصح اسناد الاحتياج إلى القرآن نفسه) غير ماذكره كثير ، وأهمه وأوله وأولاه بالتقدم معرفة معاني مفرداته وأساليبه في اللغة العربية الفصحى ، كالعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين وقواعد النحو والمعاني والبيان — ويليه او يقرن به معرفة حال الامة العربية قبل نزول القرآن

وفي أثناء نزوله ومعرفة سيرة الرسول وسنته . فهـذا مايتوقف عليه فهم عقائد الدين الذي جاء به وعباداته وأصول التشريع فيه وهي المقاصد الاساسية للدين. وأما معرفة سنن الله تعالى في الكون والاجتماع فهي مزيد كمال في هذا الدين

ولكن هذا الملحد يريد هدم بعض قواعد هذه العقائد والاصول والاحكام ، محتجا على هدمها بمخالفتها لسنن الكون ونظام الاجتماع ، وهو يجهل هذه السنن كما يجهل تلك القواعد والاحكام .

(الوجه الخامس) ان الله قد وكل بيان كتابه إلى رسوله الذي أنزله عليه بمثل قوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وقرن طاعته بطاعته أمراً ونهياً ، ووعداً ووعيداً ، فزعم هذا الملحد ان المسلم لايحتاج في فهم القرآن إلى غير القرآن الخ هو كفر بالقرآن وبمن أنزل عليه القرآن ، وبناء على هذا قال ﷺ للناس « خذوا عني مناسككم » وقال « صلوا كما رأيتموني أصلي » ولكن هذا الملحد لم يحرم بالحاج من الميقات كما أحرم النبي ﷺ وأصحابه لانه غير متبع للرسول ﷺ وقد أمر القرآن باتباعه ، وناط به حب الله تعالى والفلاح في الآخرة

وجملة القول في هذا الاصل الذي انتحله لتفسيره بالباطل انه يستغني عنه المفسر إذا أراد جمع الآيات في كل موضوع بكتاب (فتح الرحمن ، لطالب آيات القرآن) وكتاب (مفتاح كنوز القرآن) وكتاب (نجوم الفرقان) ومافي موضوعها ، بل أرقامه التي وضعها هو للمراجعة ليست عامة لكل الالفاظ ولا لكل المعاني . وهي قاصرة على مايفهمه هو ، وفهمه سخيف باطل كما علم من الشاهد الذي أوردناه منه في المقال الاول في الانس والجن

وقد وضع الشيخ ثناء الله الهندي المعاصر تفسيراً سماه (تفسير القرآن بكلام الرحمن) وتباع الطبعة الثانية منه في مكتبة المنار . وانا لنذمه إذا قلنا انه أصح من هذا الملحد فهما ، وأوسع علما . والحافظ ابن كثير يعنى في تفسيره بايراد الآيات الكثيرة في معنى الآية التي يفسرها . ونحن أشد عناية في تفسيرنا بايراد مايتوقف عليه تحقيق المعنى اللغوي أو العلمي من هذه الآيات ، وما يصح شاهداً على بعض المعاني المطلوبة يغني عن اطالة القول في بعض آخر .

الاصل الثاني

﴿ في الدين الجديد المحكم والمتشابه من القرآن ﴾

وهو زعمه ان أصول الدين المحكمات في القرآن هي الثلاثة الآتية وان القرآن كله متشابه قال « أي انه من تعدد المعنى يتشابه ويختلف عن الناظرين ولا يضر الناس اختلافهم في المعاني والافهام ماداموا يرجعون الى المحكمات من الاصول والامهات ، أي يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات. »

المراد من هذا الاصل انه ليس في القرآن نصوص قطعية الدلالة في العقائد ولا في التشريع يجب على أهله التزامها علما وعملا ، بل يكفي كل أحد أن يؤمن بأن للعالم إلهاً وباليوم الآخر ويعمل الصالحات بحسب رأيه غير متقيد في ذلك بما أجمع المسلمون على نقله من عهد الرسول الى هذا العهد من قول ولا فعل ، وله أن يفهم القرآن كما يشاء ، لانه قابل بتشابهه لكل فهم وكل رأي (قال) « وان آراء المفسرين فيه تابعة للبيئة والظروف المحيطة بهم ، وهذه تتغير وتتجدد ، فالجمود على آراء فاتها الزمان مؤخر للأمة ، وجعل القرآن مقيداً بهذه الآراء ضار به ، لانه يجعله غير صالح لكل وقت فيضيق سعته » اهـ

خلاصة هذا أنه يمكن أن يكون لكل فرد يدعي اتباع القرآن دين خاص به ، وقد صرح بهذا فيما سماه الواجب الختامي لمقدمته بقوله : « والواجب ان كل انسان يعمل في خاصة نفسه بما يفهمه ويقتنع به ، ولا يكون تابعاً لأحد بدون برهان »

وأول مايخطر في بال من وقف على ماتقدم من مقدماته انه يريد من « فهم كل انسان » مايخطر بباله من معاني القرآن لانها متشابهة لا يمكن القطع بشيء منها . وهو لا يبيح لاحد أن يعتمد فيها على كتب اللغة ولا على السنة النبوية ولا على اجماع السلف ، فضلا عن مذاهب الائمة ، وهذا هو الذي يجري عليه في العمل ، فانني لما أقمت له الحجة على بطلان ما كتبه في مسألة الاماء والتسري أو التزوج بهن لم يقبل مني الاحتجاج بنص اللغة ولا بما جرى عليه العمل من عهد النبي ﷺ

فهو يزعم أن قوله تعالى (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) ان مملوكات اليمين هن الخوادم الخ .

وقد قال يومئذ لمن كان يتكلم معهم في هذه المسألة إن السيد لم يقنعني . . .

والذي قررناه في المنار وفي تفسير المنار فيما يشبه هذه المسألة أن الاحكام الثابتة بالنصوص القطعية والسنن العملية المتبعة واجماع الصحابة يتعين على كل مسلم اتباعها

وأما المسائل الاجتهادية فيجب على الباحث في الادلة أن يعمل بما يثبت عنده منها في المسائل الشخصية ، ومن لم يكن من أهل الاستدلال فيستفتي فيما يعرض له من ذلك من يثق بعلمه ودينه ، سائلا عن حكم الله ورسوله . ولكن هذا الملحد جعل الاحكام وكذا العقائد كلها فوضى كما علمت ، فهدم بهذا أعظم قاعدة للدين تقي أهله من الفوضى في عباداتهم وآدابهم وبه يكونون أمة واحدة متحدة في عقائدها وعباداتها

وكذلك أهمل وجوب العمل بنصوص الكتاب والسنة في أحكام المعاملات المتعلقة بامور الامة والدولة فقال بعد ماتقدم « فرجعها أهل الشورى من العلماء فان الذي يقررونه باجتهادهم وتطبيقهم هو الواجب اتباعه والعمل به ، ولا يجوز لفريق من الامة أن يشذ عنه »

والذي قررناه في تفسير (٤ : ٥٩ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وغيره ان طاعة أولي الامر وأهل الحل والعقد بالشورى بينهم هي في المرتبة الثالثة بعد طاعة الله وطاعة رسوله وخاصة بما ليس فيه نص قطعي وهو المسائل الاجتهادية . في المصالح العامة والاحكام القضائية ومن أصول دينه الجديد أن كلام الله تعالى ليس فيه نصوص قطعية يجب التزامها دائما ، وأما رسوله ﷺ فلا تجب طاعته بمقتضى رسالته . وكما ترى :

الاصل الثالث

﴿ للدين الجديد اباحة مخالفة الرسول بمحض الرأي والمشاورة ﴾

وهو ما صرح به في تفسيره لقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) إذ قال كما تقدم في المقال الاول مانصه « يفيدك ان المخالفة المحذورة هي التي تكون للاعراض عن أمره ، واما التي تكون للرأي والشورى فلا مانع منها بل هي من حكمة الشورى » اه أي فهي مرجحة على الطاعة له ﷺ هذا مع كونه في تفسير آية سورة النساء المشار اليها آنفا (٤ : ٥٩) أوجب طاعة الرسول من حيث هو رئيس حكومة شورية ، لامن حيث رسالته ، فالظاهر انه كما يخص هذا الوجوب بعصره ﷺ يخصه بما كان تنفيذاً لحكم الشورى

ثم انه فسر قوله تعالى (صلوا عليه وسلموا تسليما) بقوله (ص ٢٣٤) « اقبلوا عليه بكل مايحكم الصلة بينكم وبينه ـ ولا تعارضوا في شيء من أحكامه وتعاليمه ، انظر النساء في ٦٥ »

فهو على شذوذه ومخالفته اللغة والاجماع في هذا التفسير للصلاة والتسليم أحال فيه على آية ٦٥ من سورة النساء وهي قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية وقد فسرها بقوله « يفيدك ان مقتضى الاسلام تحكيم دين الله والرضاء بقضاء رسوله ، فكل من ينتسب إلى الدين ولا يخضع لحكمه لايكون انتسابه إلا رياء ونفاقا » اه

فقد علم بهذا ان مراده بعدم المعارضة في أحكام الرسول وتعاليمه خاص بقضائه ﷺ بحكم الله ، لا عام لكل أوامره ونواهيه التشريعية ، وهو مقتضى قاعدته وجوب طاعة الرسول في عصره لرياسته للحكومة لا لرسالته مطلقا . مع تقييدها بعدم مخالفة الرأي والمصلحة جمعا بين نصوصه السقيمة على ما فيها من التعارض والاختلاف .

ومن فروع هذا الاصل وما قبله زعمه أن السرقة والزنى لاحد على فاعلهما

إلا إذا تكررا وصارا من العادات له . ولما احتج عليه بعض أهل العلم بإقامة النبي ﷺ حد الزنا على ماعز والغامدية وقد زنيا مرة واحدة رفض هذا الاحتجاج ولم يعتد بفهم النبي ﷺ الآية ولا بعمله في تنفيذ حكم الله تعالى ، لانه مخالف لرأيه، وزعمه انه كان ﷺ يطاع في عصره لرياسته لا لرسالته

(ومنها) انكاره للرق والتسري والتزوج بالامة وما يتعلق بذلك من النصوص

الاصل الرابع

(للدين الجديد النزعة المادية)

ترى هذا الملحد مقلدا اتباعه الماديين في انكار ماوراء المادة المدركة بالحس مما ثبت في كل دين وتاريخ كل أمة وأشهره مايعبر عنه بالملائكة والجن والشياطين كما ترى في المعاجم والمعالم العلمية والتواريخ والكتب الدينية فهو يحرف الآيات في ذلك تحريفا مخالفا لما هو متواتر عن أهل اللغة وعن جميع رسل الله تعالى وأتباعهم. وكذلك عرش الرحمن فانه يفسره بالملك، وملك الله (بضم الميم) عبارة عن جميع مخلوقاته التي يتصرف فيها ويطلق على التصرف بالتدبير ، كما يطلق الملك (بالكسر) على التصرف في الاعيان . ونصوص الكتاب والسنة صريحة في أن العرش مخلوق عظيم فوق السموات كلها وانه كان قبل تكوين السموات والارض على الماء ، وأن له حملة من الملائكة ، وانهم يكونون يوم القيامة ثمانية ، وقد شبهنا كونه مركز التدبير العام للعالم كله بالبناء الذي تولد فيه الكهرباء لمدينة عظيمة تنيرها كلها وتدير جميع آلات الصناعة فيها ، وهو يحرف الآيات فيه وأما الاحاديث النبوية فلا تدخل في دينه من باب التشريع ولا من باب اللغة والتفسير ،

إن هذا التحريف ليس مما ابتدعه خيال هذا الملحد بل هو مسبوق اليه من الباطنية وغيرهم كما قلنا مراراً . وقد ذكر الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدس معنى كلمة شيطان وأشار إلى مواضعها من العهدين الجديد وذكر ثلاثة

آراءهم في تأويل نصوص الانجيل في دخول الشياطين الناس والبهائم وإحداثهم فيهم اعراض الجنون قال

(١) انه يشير إلى دخول مبدأ الشر فيهم واستيلائه عليهم وان إخراج الشياطين بكلمة الرب يشير إلى غلبته على الشر بتعليمه وسيرته (قال) على أن ذلك يخالف النص الصريح

(٢) ان المجانين لم يكونوا بالحقيقة تحت صولة الشياطين ، إلا انه حيث ظن الناس بذلك تكلم ربنا ورسله حسب اعتقاد العالم الخ

(٣) ان دخول الشياطين كان أمراً حقيقيا ظهر على هيئة أمراض جسدية وعقلية (قال) وهذا هو الصواب - إلى أن قال - وأخيراً لا بد من هذا التفسير لمن يعتبر المسيح صادقا اه المراد منه، وهكذا يقول كل عاقل في أخبار الرسول الذي يؤمن به والكتاب الذي جاء به

وأما الملائكة فالايمان بهم من أصول العقيدة وأركان الايمان وهو يلي الايمان بالله تعالى ، ويليه الايمان بالرسل (عليهما السلام) لان الوحي الذي يكون به الرسول رسولا يكون في الغالب الا كثر بتبليغ الملائكة . وكون الملائكة من عالم الغيب المقابل لعالم الشهادة أو المادة معروف في جميع الاديان الالهية

ومن المعروف عندهم أنهم قادرون على التشكل في الصور الجسمانية ، وأنهم كانوا يتمثلون للانبياء عليهم السلام بصور البشر ، وهذا ثابت عندنا في نصوص القرآن والاخبار النبوية الصحيحة . وأهل الكتاب يصورونهم بأجنحة اتباعا للمأثور عندهم . ولكن تلك الصور خيالية . وأما الاجنحة فهي ثابتة عندنا بقوله تعالى في أول سورة فاطر (الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الخلق مايشاء إن الله على كل شيء قدير)

وملاحدة الباطنية يتأولون هذه النصوص وتبعهم ملحد منهور ، ولكن كلامه في الآيات المختلفة في خلقهم وأعمالهم مذبذب ليس له قاعدة ولا نظام كالمعروف عن الباطنية ، فهو يسميهم في قصة آدم من سورة البقرة رسل النظام وعالم السنن ، ويقول في قوله تعالى (أولي أجنحة) : « يمثل لك السرعة في إجراء سننه تعالى

في الكون وتنفيذ أمره » يعني انه ليس هنالك مخلوقات لها أجنحة حقيقية ، ويقول في قوله تعالى في قصة مريم (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا) مانصه: « يفهمك انها رؤيا تمثيلية ، وبشارة روحية » وفي مواضع أخرى يحيل على الآيات المتشابهة كالآيات في ملائكة الموت الذين يتوفون الناس فلا يمكن لمتبع دينه السخيف أن يقف بعقيدته في الملائكة على معنى جامع معقول ، فضلا عن مخالفته للمنقول ، ولارباب الاديان والعقول

الاصل الخامس

(لهذا الدين الجديد جحد مبتدعة لآيات الله التي جاءت على غير المعهود عند الناس كمعجزات الرسل عليهم السلام)

ان أكثر البشر في مشارق الارض ومغاربها يعتقدون ان هذا العالم علويه وسفليه صنع خالق عليم حكيم مريد مختار ، وأنه لم يوجد بالمصادفة والاتفاق ، أو تأثير ضرورات المادة العمياء ، وفي كل شيء منه آيات دالة على ذلك . وشذ أفراد منهم ظنوا ان سنن النظام العام المطردة تنافي أن تكون فعل فاعل مختار ، يقدر أن يتصرف في الكون كما يشاء ، فأقام الله تعالى حجته البالغة على عموم قدرته وشمول ارادته ، وكونه هو المقدر للسنن (النواميس) والمتصرف فيها والحاكم عليها ، ولا تتقيد قدرته بها ، إذا اقتضت حكمته شيئاً غيرها . فأوجد في الكون آيات أخرى مخالفة للمعروف عند البشر ، ومنها ماأيد به رسله عليهم السلام فأقام بهم الحجة على الذين تقيدت عقولهم بما ألفته حواسهم ، وكان ماجاءت به الرسل من اخبار عالم الغيب (ومنه الملائكة والجن) وما أيدهم الله تعالى به من الآيات أكبر فائدة للشعوب المهتدية بالدين ثم لغيرهم في كشف أسرار الكون الخفية ، وتوسيع دوائر العلوم والفنون الطبيعية والفلكية ، ولو ظلوا مقيدين بمألوفات الحواس ونظريات العقول ، لما بحثوا عن غيرها ، ولما وصلوا إلى ما وصلوا اليه في هذا الزمان ، مما كان يجزم الناس بانه من محالات العقول وخيالات الاوهام .

ولكن الماديين أنكروا تلك المعجزات بحجة أنها مخالفة لسنن الكون (نواميس الطبيعة) وزعمهم ان مخالفتها محال ، وسلك ملاحدة الباطنية هذه السبيل في التشكيك في الدين وإفساد عقائد العوام ، واتبعهم في هذا على جهل وغباوة ملحد دمنهور في دينه الجديد ، كما نوهنا بذلك في مقالنا الأول ، فهو يتأول تلك الآيات كلها فيزعم أنه لم يكن لموسى ولا لعيسى ولا لغيرهما من رسل الله تعالى آية على الرسالة إلا الحجة العقلية والسيرة الأدبية ، فلا فرق عنده بينهم وبين الأدباء والفلاسفة . وقد فرق بينهم جميع الامم فقال المؤمنون بهم أنهم جاؤا بآيات هي من خوارق العادات ، دالة بعجز البشر عن مثلها ، على أنها من عند الله تعالى أيدهم بها ، وقال الكافرون بهم أنها سحر مبين ، ونصوص القرآن في هذا عديدة ، فلو كانت آياتهم هي الحجج القولية ، والآداب العملية ، لما وصفها الكافرون بالسحر ، ولكان قوله تعالى حكاية عن كفار قريش (لولا يأتينا بآية من ربه) فليأتنا بآية كما أرسل الاولون) دليلا على انه ﷺ لما يأتيهم بآية علمية أدبية ، وهو هو الذي جاء بكل الحجج العقلية والعلمية والتعاليم الادبية وقد وعدنا بذلك كلمة في شأن عيسى وأمه عليهما السلام في هذه المقالة فنقول :

﴿ الشواهد على جحده لآيات المسيح وأمه عليهما السلام ﴾

(١) قال في تفسير قوله تعالى (٢٣: ٥٠ وجعلنا ابن مريم وأمه آية) مانصه : « جعلناهما آية بسيرتهما الحسنة وبالنجاة من الصلب الذي كان مدبراً للمسيح فهربت به أمه وهاجر كما يهاجر كل نبي خوفا من القتل » اهـ

(٢) وقال في تفسير قوله تعالى (٣: ٦ هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) مانصه : « ذكر التصوير في الارحام هنا مقدمة لذكر عيسى واظهار ان الله صوره في الرحم كما صور غيره »

(٣) قال في تفسير قوله تعالى (١٩: ١٧ فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا) « يفهمك انها رؤيا تمثيلية ، » أي رؤيا في المنام

ونقول إن الله تعالى بين في سورتي الانبياء والتحريم ان هذا الروح (أي

الملك) نفخ فيها نفخة كانت سبب حملها بالمسيح عليه السلام ، وفي الآية الاولى أسند الله النفخ إلى نفسه فقال (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) فهل يتبع هذا الملحد عاقل أو مجنون فيقول ان المراد من الاية جعلها آية بادابها ؟ وهو لم يتكلم على هاتين الآيتين بل اكتفى بالاحالة على هذه الآية وقد أحال فيها على الآيتين ٩ و ١٠ قبلها يعني قوله في حمل امرأة زكريا بيحيى عليهما السلام « فآية الله في مجيء الغلام لم تخالف سنته في نظام التناسل والزوجية » اه

وهذا خطأ مزدوج فان إزالة عقم المرأة وحملها ولا سيما في الكبر مخالف لسنن المعهودة في الحمل ، وآية على قدرة الله تعالى على خرق العوائد . وأما حمل مريم بالمسيح فليس فيه من نظام الزوجية شيء ، وهو نص ماقصه الله تعالى من قولها للملك للبشر لها (٢٠ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا) وفي معناه آية آل عمران (٣: ٤٧ قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) وهذا الجواب من الله تعالى نص في ان هبة هذا الولد لها يكون بمحض إرادة الله المعبر عنها بكلمة التكوين لابسنة الزوجية المعروفة . ومثله :

(٤) قوله تعالى (٣: ٥٩ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقد كتب عليها هذا الملحد « أي لم يكن عيسى خارجا عن نظام البشرية حتى يصفوه بما لاينبغي لها من الصفات الالهية . راجع قصة آدم في أوائل البقرة اه

وأقول انه قال في قصة آدم إنها « قصة فيها تمثيل حياة الانسان وتطوراته » فأي مناسبة بين قصة تمثيلية لأطوار البشر وبين خلق عيسى وهو شخص معين

(٥) انه حرف المعجزات المنصوصة في الآية (٤٩) من هذه السورة بما يأتي :

أما النفخ في صورة الطير من الطين فتحل فيها الحياة فتكون طيرا فقال فيه « يفيدك التمثيل لاخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته الى خفة العلم وروحه » وأما ابراء الأكمه والابرص فقد قال فيه « ان الأكمه من ليس عنده نظر »

والابرص المتلون بما يشوه الفطرة » ثم قال « فهل عيسى يبرىء هذا بمعنى انه يكمل التكوين الجسماني بالاعمال الطبية أم بمعنى انه يكمل التكوين الروحي والفكري بالهداية الدينية » ؟

نقول انه لايكمل التكوين الجسدي ولا الروحي انما يزيل باذن الله هذه العاهة وهذا المرض من الجسد ، وأما الهداية الدينية فلم يعط نبي من الانبياء منها إلا الدلالة والتعليم ، وأما الهداية بالفعل التي هي اتمام التكوين الروحي فهي لله وحده كما قال عز وجل لخاتم النبيين (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) وقال (انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)

ثم قال في تحريف قوله عليه السلام لبني اسرائيل (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) مانصه « يعلمهم التدبير المنزلي »!!

يعني ان من مقاصد بعثة المسيح امام الزاهدين أن يعلم اليهود التدبير المنزلي وهم عبيد المال وأعلم علماء الارض بشؤون الكسب والرزق !!

(٦) ثم قال في تفسير الآيات التي في آخر سورة المائدة في هذا المعنى وفيها احياء الموتى ما نصه :

« من هذا تعرف ان عيسى نبي أرسله الله الى بني اسرائيل ليشفي مرض نفوسهم ، ويحيي موت قلوبهم ، فآيته في دعوته (أي كائنة في دعوته) وسيرته وهدايته ، عاش ومات كغيره من الانبياء في بشريته ، فلم يكن خارقا لله في سنته ولا ممتازاً بما يدعو الى ألوهيته وعبادته » اه

أما زعمه انه لم يكن ممتازا فهذا باطل مخالف لنصوص القرآن ولما عند النصارى من نصوص الاناجيل ، وأما كون هذا الامتياز لايدعو الى ألوهيته وعبادته فهذا حق أريد به باطل ، من هذا الملحد الجاهل .

﴿ مأخذ هذا التحريف من كلام الباطنية ﴾

ان من اطلع على ماقاله الباطنية وكذا غلاة الصوفية في تأويل هذه الآيات وأمثالها يعلم أن هذا الملحد قد سلك طريقتهم وأخذ هذا الكفر عنهم بنوعه أو

جيته في بعض العبارات ولم أر له تحريفاً لم أر له نظيراً إلا تحريف آية الاسراء فقد أولها بالهجرة من مكة إلى المدينة وقال ان المسجد الاقصى هو مسجد النبي ﷺ فيها . وقد بلغنا هذا الزعم عن بعض اليهود الصهيونيين فإن صح هذا النقل كان غير مستقل بهذه السخافة أيضا

سورة الاسراء نزلت قبل الهجرة بسنين . ووصف الله المسجد الاقصى بقوله (الذي باركنا حوله) يدل على أن موقعه بالقرب من مهاجر ابراهيم ولوط عليهما السلام إذ قال تعالى (ونجيناه ولوطا إلى الارض التي باركنا فيها للعالمين) وورد في الاحاديث النبوية الصحيحة ذكر المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ الذي في المدينة والمسجد الاقصى .وان ثواب الصلاة في الثلاثة مضاعف والتفاضل بينها على هذا الترتيب .

وجملة القول ان هذا الملحد قد أخذ إلحاده كله عن ملاحدة الباطنية وبعض الماديين ولكنه لم يتقن صرف الناس عن دين الله تعالى بعض إتقانهم

مثال من تأويل الباطنية لآيات المسيح عليه السلام

وإني أذكر شاهداً واحداً من تفسير الكاشاني الباطني المنسوب الى الشيخ محيي الدين بن عربي في آيات عيسى عليه السلام المذكورة آنفا من تفسير آية آل عمران . قال في قوله (ورسولا الى بني اسرائيل) الخ «ورسولا» الى المستعدين الروحانيين من أسباط يعقوب الروح (اني قد جئتكم بآية من ربكم) تدل على اني آتيكم من عنده (أني اخلق لكم) بالتربية والتزكية والحكمة العمليـة من طين نفوس المستعدين الناقصين (كهيئة الطير) الطائر إلى جناب القدس من شدة الشوق (فأنفخ فيه) من نفث العلم الالهي ونفس الحياة الحقيقية بتأثير الصحبـة والتربية (فيكون طيراً) اي نفسا حية طائرة بجناح الشوق والهمة الى جناب الحق (وأبرىء الاكمه) المحجوب عن نور الحق الذي لم تنفتح عين بصيرته قط ، ولم تبصر شمس وجه الحق ولا نوره ، ولم يعرف أهله بكحل نور الهداية (والابرص) المعيوب نفسه بمرض الرذائل والعقائد الفاسدة ، ومحبة الدنيا ، ولوث الشهوات

لطب النفوس (وأحيي) موتى الجهل بحياة العلم (باذن الله وأنبئكم بما تأكلون) تتناولون من مباشرة الشهوات واللذات (وما تدخرون في بيوتكم) أي في بيوت غيوبكم من الدواعي والنيات اهـ

هذا وان صاحب هذا الكلام لا يسميه تفسيراً للقرآن ، ولا ينكر التفسير الظاهر المأثور والمعقول ، بل يقول ان هذا تأويل يشير إلى مقاصد روحية وتهذيبية وفاقا لما ورد من أن للقرآن ظهراً وبطنا . ولكن الباطنية يزعمون أن ظواهر القرآن التي يقتصر عليها المفسرون خاصة بالعوام غير المرتقين في معارج العرفان ، وان المعاني الباطنة هي المقصودة بالذات ، التي يستغني من ارتقى اليها عما يكلفه العوام من الاعمال والعبادات

والذي قصد بملحد دمنهور عن شأو كل من كتب في التفسير من أهل الشرع وأهل الالحاد ، وأهل الظاهر والباطن ، هو انه جاهل بعلوم الجميع ، ومستعجل الاستغلال القرآن بايجاد تفسير للملاحدة الماديين المتفرنجين، ظن أنه يجد فيهم عصبية له فيكون إمام المجددين ، وقد خاب ظنه فيهم ، فلم ينتصر له أحد منهم

ارتداد من يصدق أصول هذا الدين الجديد

وجملة القول في هذه الحواشي (الهوامش) التي دنس المصحف الشريف المعظم بطبعها عليه انها إلحاد جديد في كتاب الله تعالى هو أعرق في الجهل ومحاولة هدم دين او الاسلام من إلحاد الباطنية، فمن صدق تلك الاصول التي أجملناها كلها أو بعضها يحكم بارتداده عن دين الاسلام باجماع المسلمين ، ولا يجوز لامرأته المسلمة أن تعاشره معاشرة الازواج ، ولا يرث المسلمين ولا يرثونه . ونحن لا نخشى أن يتبعها جماعة تتألف منه ملة جديدة كالبابية البهائية أو الأزلية، ولا فرقة مارقة مع التمسك بأركان الاسلام الخمسة كالمسيحية القاديانية، وإنما نخشى أن ينتشر هذا المصحف فيظن بعض الجاهلين بأصول الدين وعقائده أنه تفسير لبعض آيات القرآن فيعلق بأذهانهم بعض ما فيها من العقائد الفاسدة او بعض تحريف آيات الاحكام المخالف لاجماع المسلمين . فهذا أهم ما حملنا على كتابة هذه

المقالات ونشرها في الاهرام التي هي الآن أوسع الجرائد انتشارا . فنحن نجزم بأن بيع هـذا المصحف حرام ، واقتناءه حرام ، إلا لعالم قادر على تفنيد ما فيه من الكفر والضلال، ونعتقد أن جميع علماء الاسلام يوافقوننا في هذا

هذا وانه قد جهر بهذا الكفر في وقت سئم فيه العالم المدني من مفاسد الافكار المادية ، وضعف الحياة الروحية الدينية، وتألفت كتب وتأسست جمعيات في أوربة وأمريكة لاحياء العقائد الدينية ، وسنحت الفرصة لعلماء المسلمين الحكماء العارفين بحال هـذا الزمن لعرض هداية القرآن الوسط الجامعة بين الحياتين الجسدية والروحية على العالم المدني، واقناعهم بأنها هي التي تخرجهم من هذه الفوضى المادية والادبية، والاخطار الاستعمارية والبلشفية ، التي يخشى أن تدعهم دعاً الى حرب عامة أخرى تدمر هـذه الحضارة وتقضي على أهلها . وقد فصلنا هذا في المنار وتفسيره وجزمنا ـ تبعاً لأستاذنا الامام ـ بأن العالم المدني كله سيتبع هداية القرآن (ولتعلمن نبأه بعد حين)

وقد ضاق المقال عن بيان جهل هذا الملحد بالسنن العامة والاجتماعية التي يتوكأ عليها في هدم الدين ، فوجب أن نخصه بمقال آخر هو مما يهتم به جميع المتدينين اهـ

(المنار) أرسلنا هذه المقالات الى جريدة الاهرام التي فتحت باب الخوض فى هذه المسألة على مصراعيه فى وقت عطلت فيه جرائد المسلمين اليومية ، لاسباب سياسية محلية ، ولكن الاهرام أبطأت في نشرها ، حتى ان المقالة الثالثة الاخيرة قسمت الى ثلاث مقالات لتنشر متتابعة في ثلاثة أيام متوالية ، فنشرت متفرقة في زهاء ثلاثة أسابيع ، ولم يعتن بتصحيحها ولا تصحيح ماقبلها فكثر فيها الغلط والتحريف والسقط ،

وقد علمت ان بعض علماء الازهر وغيرهم حفظوا نسخ الاهرام التي نشرتها ولا بد أن يستغنوا عنها بالمنار ، ومن لا يقتني المنـار ينبغي له أن

يصحح ما نشر في الاهرام بالمقابلة عليه . وليعلم القراء ان هذا الملحد هو محمد ابو زيد الذي كان دخل مدرستنا دار الدعوة والارشاد وكنت كتمت اسمه حياء من خزيه وعاره، ولكن قال لي الاستاذ الاكبر شيخ الازهر : وماذا عليك من ذلك وقد ارتد أحد المسلمين الاولين ممن كتبوا الوحي عن الاسلام فلم يضر ارتداده الاسلام ولم يشوه المسلمين . وقال غيره من اخواننا ان الله تعالى قال في كتابه وهو الهدى للمتقين (يضل به كثيراً ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين * الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون) وهذا الرجل المخذول منهم هداه الله

التجديد والتجدد والمجددون

محاضرة ألقاها صاحب هذه المجلة في نادي الجمعية الجغرافية الملكية، باقتراح جمعية الرابطة الشرقية في إحدى ليالي رمضان سنة ١٣٤٨ وقد حضرها الجم الغفير من العلماء والادباء وطلبة العلم بالازهر ونجباء المدارس العالية ، وفضليات النساء . وكذا بعض فضلاء المستشرقين من الشعوب الاوربية ، وقد سئلوا بعد الفراغ منها عن رأيهم فيها، فشهدوا لها بالاعتدال

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة

عهدت إلي جمعية الرابطة الشرقية بأن ألقي على حضرتكم في هذه الليلة محاضرة في موضوع التجديد والتجدد والمجددين ، كما تفضل زميلي في عضوية إدارتها الدكتور منصور فهمي ببيانه لكم باسمها، فأرجو من حضرتكم الاصغاء والاغضاء عن التقصير . وأبدأ بالتمهيد للموضوع بمقدمة في بيان الحاجة الى شرحه وتمحيصه فأقول :

﴿ المقدمة التمهيدية في حاجتنا إلى التجديد بأنواعه ﴾

في هذا العصر المضطرب بأنواع الانقلاب الاعتقادية والفكرية والسياسية والشيوعية والبلشفية: في هذا العصر القلق بالفوضى الدينية والأدبية والاجتماعية، في هذا العصر المهدد بالثورة النسائية، ونقض ميثاق الزوجية، وانقطاع سلك الأسرة، ووشائج الرحم والقرابة، في هذا العصر الذي نجمت فيه قرون الزندقة، والإباحة المطلقة، والهجوم على مقومات الأمة من دين ولغة وأدب، ومشخصاتها من عادات وزي وحسب، حتى لا يبقى فيها شيء ثابت يربى عليه النشء، وتحترمه النابتة

في هذا العصر الذي أجملت وصفه - وعندكم تفصيله - كثر اللهج بيننا بلفظ الجديد والتجديد والمجددين، ولعمر الحق إننا لفي أشد الحاجة إلى التجديد والمجددين، فإنه لم يبق عندنا شيء يحفظ شخصيتنا القومية، ومقوماتنا الملية، ويرتقي بنا في معارج الحياة الاجتماعية، إلا وقد سحلت مريرته، وانفصمت عروته.

أما ما كان عندنا من حسب قديم، ودين قويم، وحضارة زاهية وملك عظيم، فقد أخلقناه وأبليناه، بل هجرناه فنسيناه، وأما ما حاولناه من اقتباس طريف، وانتحال حديث، فإننا تشبثنا بأهدابه، ولم ننسج شيئًا من أثوابه، فكل ما لدينا من القديم والجديد، فهو من قشور قشور التقليد، كقشرة اللوز والجوز الخارجية الظاهرة، التي تغشى القشرة الخشبية الباطنة، لا غناء به في نفسه، ولا هو حافظ لشيء من اللباب في داخله

فإن كان أزهرنا ومعاهدنا الدينية في حاجة إلى الإصلاح لتجديد هداية الدين، فمدارسنا الأميرية والأهلية أحوج إلى الإصلاح لتجديد حضارتنا المدنية، وإعادة استقلالنا، وإقامة سائر مصالحنا، فإن ما ظهر من فساد التربية والتعليم فيها شامل للقسمين: الإيجابي والسلبي. وأما ما نشكو من خلل المعاهد الدينية فمعظمه سلبي محض، وسفين ضرره بعد. ولا يزال أهل الرأي والفهم من الأمة يشكون من كل منهما، ويقترحون الإصلاح بعد الإصلاح لها

نحن نحتاج إلى تجديد استقلالي كتجديد اليابان ترتقي به مصالحنا الاقتصادية والعسكرية والسياسية، وتنمي به ثروتنا الزراعية والصناعية والتجارية، ونكون

في أمة عزيزة ودولة قوية ، مع حفظ مقومات أمتنا من دين وثقافة وتشريع ولغة وحفظ مشخصاتها القومية من زي وعادات حسنة وأدب

لا إلى تجديد تقليدي كتجديد الدولة العثمانية الذي انتهى بتمزيق سلطنتها (امبراطوريتها) الواسعة ، ثم بزوالها من الوجود ، ومحو رسمها من مصور العالم الجغرافي — ولا كتجديد الدولة المصرية الذي بديء به في عهد مؤسسه محمد علي الكبير استقلاليا ، ثم استحال تقليديا ، فانتهى بالاحتلال ، وفقد الاستقلال ، ولو استقام على خطته الأولى لصارت به مصر سلطنة عظيمة مؤلفة من شطر افريقية الشرقي ، وشطر آسية الغربي ، ولأعادت مجد الحضارة العربية ، ونيطت بها زعامة الأمة الاسلامية ، ولا تزال مستعدة لهذا ، وما عليها الا أن تأخذ له أهبته ، وتسعى له سعيه ، ثم تطلبه في إبانه ، وتأخذه بربانه وعلى عرشها اليوم ملك يظهر من الاستعداد لهذا ما يعلمه الجميع

نعم نحن في حاجة إلى هذا التجديد المجيد ، الجامع بين الطريف والتليد ، وإلى مجددين في العمران كمحمد علي الكبير ، وفي العلم والحكمة كمحمد عبده وجمال الدين ، لا إلى تجديد الالحاد والاباحة ، والتهتك والخلاعة ، والدعوة إلى الرذيلة باسم الادب المكشوف ، والتنفير من الفضيلة بدعوى الحرية ، وتحرير المرأة الشرقية ، وتقليد الحضارة الغربية ، فان كل هذه المفاسد قديمة لا جديدة ، كما يعلمه المطلعون على تاريخ أثينة ورومية وغيرهما من عواصم الشعوب القديمة ، وهي التي أضعفت دولها وذهبت باستقلالها (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) اي أمرناهم بالطاعة والفضيلة ، ففسقوا عن امرنا الى المعصية والرذيلة ، فآثروا شهواتهم الخاصة ، على النهوض بالمصالح العامة ، فحق عليهم قولنا (لنهلكن الظالمين) وقولنا (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) وقولنا (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) وقولنا (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) أي ما كان ليهلكهم بظلم منه لهم وهم مصلحون في أعمالهم

أثرها المبادرة

ألا إن إصلاح محمد علي الكبير العمراني لم يزل معروفا ، وان إصلاح الحكيمين الديني والسياسي الاجتماعي لم يصر مجهولا ، فجلالة الملك الجالس على عرش محمد علي والامراء والنبلاء من سلالة محمد علي هم أقوى ظهير للامة وللدولة على إعادة تجديده العمراني العسكري سيرته الاولى ، مع المحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها ، إذا طلبته الامة منهما ، فان عمامة محمد علي الخضراء ، وجبته القوراء ، وأزياء رجال دولته القومية ، ورجال بعثاته العلمية ، لم تكن عائقة لهم عن النهوض بذلك العمران ، والاضطلاع بتجديد العلوم وجلائل الاعمال . ولكن أمان الله خان خسر ملكه ، وسفك دماء قومه ، بما حاول من تجديده التقليدي برنيطته ، وتبرج امرأته ، وحلق لحى رجال دولته !!

وان لجمال الدين ومحمد عبده سلالة علمية عقلية إصلاحية جديرة بالقيام بسنتهما ، والمضي في إصلاحهما بقدر ما تواتيهم به الامة في استعدادها . وقد رأت من نبوغ أحدهم في الزعامة السياسية (١) ما لم يكن يخطر لاحد ببال قبل استعدادها للنهوض معه ، وعرفانها بقدره

بيد أنه قد تصدى لزعامة التجديد واحتكار لقب المجددين أفراد هدامون غير بنائين ، يدعون الامة الى ترك هداية الدين ، والتجرد من لبوس الفضيلة ، والتشرف بلبس البرنيطة ، وإباحة ملابسة النساء الرجال في الرقص والسباحة ، والخلوة والسياحة ، ومعاقرة الخمر ، وما يتبع ذلك من ضروب الفسق . وينعون على المرأة أن يكون جل همها من الحياة الاستعداد للقيام بما خلقها الله لاجله حق القيام وميزها به على الرجل ، وهو أن تكون زوجا صالحة محصنة ، وأما مربية ، وربة منزل مقتصدة منظمة . فيسمون الدار سجنها ـ وان كانت كقصور الجنان ، ويسمون الزوج سجانا لها ـ وان كانت في نظره كالحور المقصورات في الخيام ، ويغرونها بالخروج عليه والتفلت منه ، وأن تُدخِل داره وتدخُل هي دار من أحبت بدون رضاه وإذنه . ويطمعونها في مناصب الحكومة ومقاعد النيابة وعدم المبالاة بما

(١) هو سعد باشا زغلول

يعارض ذلك من وظائف الحمل والولادة ، والرضاعة والحضانة . بل يقول بعضهم : انهن أهل للحرب والقتال ، وقيادة الجيوش البرية والبحرية ، والاساطيل المائية والهوائية ، وان من استبداد الرجال بالنساء وإهانتهن لهن ماعبر عنه بعضهم بقوله :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

كذلك يغرون الشبان بالالحاد ، ويزينون لهم اتباع الشهوات ، ليتخذوا منهم ومن النساء جنداً يطيع قواده منهم طاعة عمياء ، لايقبل فيها وفيهم - بعد المروق من الدين - وعظ واعظ ، ولا يسمع مع فوضى الآداب وطاعة الهوى نصيحة ناصح ، وحسبكم من سفه النفس وأفن الرأي ، التسليم لهم بان القديم قبيح يجب تركه واحتقاره لانه قديم ، ويحتقر المحافظ عليه بوصفه بالرجعية ونبز صاحبه بلقب « الرجعي »

نعم قد حاول انتحال هذا اللقب الشريف (التجديد) في هذا العهد زعنفة من الملاحدة في هذا البلد العظيم ، ليس لاحد منهم امتياز فيه بالعلم والحكمة ، ولا بالرشد والفضيلة ، ولا يكشف حقيقة كانت مجهولة ، ولا بسن سنة نافعة للامة في حفظ حقيقتها ، او تنمية ثروتها ، او اعادة مجدها ، (أستغفر الله ان اعادة مجد الامة في فتوحاتها وحضارتها رجعية عندهم يحتقرون من دعا اليه)

وانما كل ما أوتوا او حملوا من البضاعة في هذه السوق ثرثرة في الكلام ، وسفسطة في الجدال ، وجرأة على تلبيس الحق بالباطل ، وسفاهة في الطعن على من يخالفهم او يرد عليهم ، ولكن بالبهتان الصريح ، لا بالبرهان الصحيح فالصدق لاحرمة له عندهم ، وباطراء غلاة الترك الذين نبذوا الاسلام وراء ظهورهم ، حتى في هدم جميع أركان الحرية : حرية الدين والرأي والخطابة والكتابة والزي والعمل - هذه الحرية ، التي يقدسها من يدعون اتباعهم من أهل العلم والحضارة العصرية ، ولولا افراط الحكومة المصرية فيها ، لما أمكن لهؤلاء الادعياء أن يجهروا بهذه الدعاية الالحادية لهدم دينها وآدابها وتقاليدها ، وهذا الذي يطرونه من غلو ملاحدة الترك ليس بجديد فيهم ، بل نجم في الجيل الماضي منهم وكان من ثمراته في هذا الجيل زوال السلطنة العثمانية ، التي كانت أعظم سلطنة في اوربة وآسية وافريقية ، ولم يبق منها إلا امارة جمهورية صغيرة فقيرة ، هي أقل عدداً وثروة

وعلما وحضارة من المملكة المصرية ، التي كانت إحدى إمارات هذه السلطنة ، وهم يريدون اليوم أن تقتدي بها في إلحادها ونبذ هداية الدين فقط ، لئلا تحل محلها فيما هي أجدر به من زعامة ٤٠٠ مليون من المسلمين

ولما خدع أمثالهم من أدعياء التجديد أمان الله خان وحاول تقليد الدولة التركية الحاضرة طفقوا يفرغون عليه الحلي والحلل من الثناء ، أن أكره قومه على لبس البرنيطة وتبرج النساء ، فكانت عاقبة تجديده الالحادي إيقاد نيران الثورة في بلاده عليه وعلى حكومته ، واضطراره إلى الفرار منها وخسارة ملكه ، وأما المدارس والنظام العسكري والصناعة وغيرها من التجديد الحقيقي فلم يتوجه اليه في بلاد الافغان ، وقد بدىء به في القرن الماضي على عهد عبد الرحمن خان ،

وكل ما يحتاج اليه الترك من التجديد الدنيوي الذي يطلبه الملاحدة وغيرهم قد شرعوا فيه في القرن الماضي ولم يكن الاسلام مانعاً لهم من شره الذي يحظره ، فضلا عن خيره الذي يوجبه ، ولكنهم لم يسلكوا فيه طريقة الاستقلال التي سلكها اليابان بالمحافظة على مقوماتهم الدينية والقومية ، بل كانوا مقلدين فاصطدموا بالمقلدين من رجال الدين ، وكان الواجب عليهم الجمع بين التجديد الديني والدنيوي كما فعلت أوربة في النهضة الاصلاحية الدينية

واما مصر فقد سبقت الترك إلى هذا التجديد الدنيوي ولم يعارضها رجال الدين كما انهم لم يساعدوها ، لان التجديد كان من جانب واحد ، ولو كان من الجانبين لتم وكمل في زمن قليل ، كما سأبينه بعد ،

وأدعياء التجديد هنا لا ينظرون إلى الواقع وانما يقلدون ملاحدة أوربة في عداوة رجال الدين تقليداً ، فهذا التقليد الاعمى هو الذي يحملهم على الصد عن الدين بالتشكيك في عقائده ، والطعن في أحكامه وآدابه ، والتحقير لرجاله ، ودعوى ابطال العلم والفلسفة له ، واتهام علمائه بانهم عقبة كؤود في طريق ترقي الامة ، فيجب أن يماطوا عنه كما يماط الاذى عن الطريق الحسية . ولو كانوا يطلبون باسم التجديد اصلاحا عملياً ويجدون أهل الدين مقاومين لهم فيه لكانوا معذورين

تجديد الملاحدة المزعوم شقاق جديد للامة

هذا التجديد المزعوم كاد يكون تجديداً حقيقياً لفتنة من فتن التفريق ربما كانت شراً من فتن التفرق بالعصبيات الجنسية والوطنية ، والاحزاب السياسية، كأننا لانستكمل جميع أنواع الشقاق إلا بوجود حزب جديد يعادي الدين ويحتقر أهله ـ وهم السواد الاعظم من الامة ـ تقليداً لملاحدة أوربة وأحرارها فيدعو علماءه وخطباءه وكتابه إلى الرد عليه ، واستصراخهم الشعب المتدين لعداوته ومقاومته ويضطر زعماؤه وكبراؤه إلى مطالبة الحكومة بردع المجاهرين من أفراده عن جهرهم بالسوء ، وهذا عين ماوقع بسوء تأثير من جهر في الجامعة المصرية بحقوق للمرأة ما أنزل الله بها من سلطان[1] ثم من جهر في الجامعة الامريكية بوجوب مساواة النساء للرجال حتى في الطلاق والميراث ، في محاضرة طبعها ونشرها في الناس[2] وقد سمعت أمس خطيب الجمعة في المسجد الذي صليت فيه يندب الاسلام ويستصرخ المصلين الصائمين للدفاع عن القرآن . اذ أهانه بعض أعدائه فرماه بظلم النساء الخ بعد أن قام بالانكار الشديد على هذه المحاضرة بعض كبار الامراء[3] وأجمعت الجرائد على انتقاد هذا المرأة

أيها السادة

ان مثل هذا الشقاق قد وقع في قرون أوربة الوسطى التي كانت شر القرون عليهم ، فكانت فتنه كقطع الليل المظلم ، سفكت فيها دماء غزيرة في التنازع بين حرية العلم والحكم من جهة ، وتقاليد الدين وسلطان الكنيسة من الجهة المقابلة

---

(١) هو الاستاذ محمود عزمي الذي ناظرناه في الجامعة فكان لنا الفلج والظفر بتأييد الجمهور لنا وباعترافه هو أيضاً

(٢) هو الدكتور فخري فرج ميخائيل القبطي

(٣) هو سمو الامير عمر باشا طوسن

ووقع مثله أخيراً في بلاد الافغان ، وأرى ان حال مصر مخالف لحال أوربة في تلك القرون وحال الافغان في هذا العصر ، وانه يجب علينا درء هذه الفتنة قبل انتشارها، وتلافي هذا الشقاق قبل تفاقم خطبه ، وهذا ماأنوخاه بهذه المحاضرة ، وأرى انه أفضل عمل أقدمه بين يدي جمعية لرابطة الشرقية لمصر العزيزة والشرق كله

حصر موضوع المناظرة في بضع قضايا

واني بعد هذا الاجمال التمهيدي أحصر موضوعها في بضع مسائل أو قضايا

(١) في معنى التجدد والتجديد ، والمقابلة بين القديم والجديد ، والتنازع بين الطريف والتليد ، والمفاضلة بين المتقدمين والمتأخرين ، وهو بحث لايخلو من مكافحة واحماض ، في أثناء هذا الموضوع الحريف الحاز (*)

(٢) في فضـل الشيء في ذاته وصفته ، ودرجة الانتفاع به ، ومزيته في قدمه أو جدته

(٣) في الحاجة إلى التجديد الديني والتجديد الدنيوي ، وحكم الاسلام فيهما ، وحثه عليهما

(٤) في المجددين في الاسلام ، والتجديد الذي سنه حكيم الشرق الأفغاني والاستاذ الامام المصري

(٥) في أنواع الاصلاح الجديد وعدم التعارض فيه مع الدين

(٦) الاحزاب الثلاثة في المسلمين : الفقهاء المقلدون الجامدون ، والماديون السياسيون والمصلحون المعتدلون، ومايقابلهم في الغرب من الاحزاب والجمعيات الدينية

(٧) في القاعدة التي ينبغي عليها الاتفاق بين الذين يخدمون أمتهم ووطنهم بالاخلاص على مايكون بينهم من اختلاف في المعرف والمشرب ، أو الدين والمذهب

(البقية في العدد القادم)

(*) الحريف بكسر الحاء وتشديد الراء الذي يلذع اللسان بحرافته وهو هنا مجاز ويرادفه الحاز وهو مبالغة حاذ فطعم الحاز قريب من طعم الحرافة

مقدمة الطبع والنشر لرحلة الامير شكيب الحجازية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَذِّنْ فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ • لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ، وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ ٱلأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَائِسَ ٱلْفَقِيرَ •

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ، أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ (الآيات من سورة الحج)

يحج بيت الله الحرام، ويزور مسجد رسوله وروضته عليه أفضل الصلاة والسلام، ألوف كثيرة من مسلمي الآفاق، أكثرهم من العوام والفقراء، وبعضهم من العلماء والادباء والكتاب والشعراء، ويقل في جملتهم من يفقه ما يعمل، ومن يعي ما يسمع، ومن يعقل ما ينظر، ويقل في هؤلاء من يكتب لاخوانه المسلمين ما يفيدهم شيئا لا يجدونه في كتب الفقه أو التاريخ والرحلات والادب

بل نرى من حجاج إخواننا المصريين من يكتبون في كل عام ما يغضب الله تعالى ويسوء جيرانه في حرمه ، وجيران رسوله (ص) في روضته ، وخدام قاصدي هذين الحرمين من المطوفين والمزورين ، وحكامهما الحافظين لأمن السكان ، وآمّين البيت الحرام ، وأطبائهما المحافظين على

صحة أهلها ، وصحة من يتشرف بأداء المناسك والزيارة فيهما، بل يكتبون ما ينفر المسلمين عن اقامة هذا الركن المعظم من أركان الاسلام ، ويصدهم عن إحياء هذه الجامعة العامة التي امتاز بها على جميع الاديان، ـ فهذا يشكو من شدة الحر ، وذاك يتململ من كثرة النفقة ، وآخر يتبرم بما يزعم من تقصير المطوفين وطمعهم

وأغرب من كل هذا أن منهم من ينتقدون منع البدع والخرافات، والطواف بالقبور والاستغاثة بالاموات ، وان منهم من كتب في هذا الشهر مشنعا على حكومة الحجاز التقصير في عمارة مسجد الرسول (ص) وتجديد فرشه ، وهو يعلم ان حكومة الحجاز الحاضرة على فقرها ، قد فعلت ما لم تفعله حكومة قبلها ، من حفظ الامن ، وتسهيل السبل، وتوفير المياه ، والاسعافات الصحية للحاج ، فان هذا قد صار متواترا ، ويعلم أيضا ان حكومته هو قد منعت ما كانت ترسله الى الحرمين وأهلهما من الاموال ، والحقوق المقررة لهما التي كانت ترسلها في كل عام ، وان هذه الحقوق هي بعض ما وقفه الملوك والامراء، وأهل البر من الاغنياء، ويعلم ان وزارة الاوقاف تجبي من أوقاف الحرمين في كل عام مئات الالوف من الجنيهات ، وتصرفها في غير ما وقفت عليه ـ ويعلم أيضا ان الحكومة التركية، قد استحالت حكومة لا دينية، وضمت أوقاف الحرمين الى أملاكها ، بل هي تمنع من يريد الحج من شعبها ، وحجتها الظاهرة على هذا المنع ان الترك أحق بأموالهم أن تبقى في بلادهم من أن تصرف في بلاد العرب !!

وخير من هؤلاء الصادين عن سبيل الله ، والمنفرين عن شعائر الله،

والمؤذنين لجيران الله ، من يؤلفون كتبا في رحلاتهم الحجازية ، ينقلون فيها أحكام المناسك الفقهية ، وبعض الاخبار التاريخية والادبية ، ومن كتبوا في رحلاتهم وفي الصحف ما أملاه الحق من وصف أمن الحجاز وتوفير أسباب الراحة للحاج ، والثناء على الحكومة السعودية ورجاء الخير العظيم للاسلام فيها .

بيد أنك قلما ترى فيما كتبوا عبرة جديدة ، أو شيئا من الاقتراحات المفيدة ، أو ترغيبا في البذل لعمارة المسجد الحرام ، ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو لتسهيل السبيل على الحجاج والزائرين ، وتوفير المياه لهم وللمقيمين ، اقتداء بما كان من فعل السلف الصالحين

دع ما هو أعلى من ذلك منزعا ، وأروى مشرعا ، وأبعد في الاصلاح غاية ، وأقوى في دره الخطر عن الاسلام وقاية ، فقد علم الواقفون على سياسة الاستعمار الاوربي أن خطره قد أحاط بجزيرة العرب ، وتغوّل بعض دوله تداخل في بعض انحائها ، ثم طفق يوغل في أحشائها ، ويلغ في دمائها ، فان المستعمرين قد استولوا على سكة الحديد الحجازية ، التي كان الغرض الظاهر القريب من انشائها تسهيل أداء الفريضة ، والباطن البعيد حفظ الجزيرة نفسها من الاستعمار الاوربي ، ومن قتل الاسلام في عقر داره وإزاحته عن قراره ، تمهيداً لمحوه من الارض كلها .

كذلك كان شأن المسلمين في حجهم وزيارتهم ، وكذلك كان ما دونوا في رحلاتهم ومقالاتهم ، الى أن أذن الله تعالى لعبده المجاهد في سبيله بماله ونفسه ، ولسانه وقلمه ، وعلمه وعمله ، الامير شكيب أرسلان ، الذي يحق لقبته أمته بأمير البيان ، أن يستجيب لاذان ابراهيم خليل الرحمن ،

فيؤدي فريضة الحج، ويعرض مرضا يضطره بعد اداء المناسك، إلى الالتجاء الى الطائف، والتوقل في جبالها وذراها، والتنقل في مزارعها وقراها، والهبوط في أخيافها وأوديتها، فينال الشفاء والعافية من مرضه، ومن مرض سابق له، بما شم من هواء نقي، وشرب من ماء روي، وجنى من ثمر شهي، ويشاهد ما تم من قابلية للعمران، لا يكاد يفضلها مكان، في عصر عم الحجاز فيه العدل والامان، وأن يصف ذلك بقلمه السيال، وبيانه السلسال، الذي يجري فتكبو في غاياته جياد الفرسان، ومن ذا الذي يطمع في لحاق أمير البيان، في مثل هذا الميدان؟ ميدان التاريخ وعلم الاجتماع والعمران، وما فيه من دبر السياسة في هذا الزمان، ولا سيما سياسة الامة العربية والاسلام

أحمد الله تعالى أن وفق أخي شكيبا لأداء المناسك، وشهود ما قرنه بها القرآن من المنافع، وانما هي منافع أمته، لا منافع شخصه وأسرته، وأن يسّر له السير في تلك الارض، لفقه ما أرشد اليه عقله، وهدى له قلبه، فيعرف بنفسه جبالها ووهادها، وأغوارها وأنجادها، وسهوبها وصفاصفها، ومجاهلها ومعارفها، ثم يبحث مادفن في بطون الكتب من تاريخ عمرانها، وكنوز معادنها، مع بيان أماكنها، ووسائل استخراجها من مكامنها، ويجلي للعقول ما فيها من العبر البالغة، ويقرن بها وصف حالتها الحاضرة، ويستنبط منها ما يجب على الامة العربية وحكوماتها، والشعوب الاسلامية وزعمائها، من توجيه أصدق ما أوتوا من ارادة وعزيمة، وأفضل ما أعطوا من علم وثروة، في سبيل عمران الحجاز، وصيانته من خطر الاستعمار، وان ذلك لا يتم لهم الا بعمران جزيرة العرب كلها، لان انتقاصها من أطرافها، يفضي الى الاحاطة بسائر أكنافها

تلك الغاية البعيدة المرمى، هي التي وضع لها الامير رحلته الحجازية التي سماها (الارتسامات اللطاف ، في خاطر الحاج الى أقدس مطاف) وقد أقام الدلائل على إمكان ما دعا اليه وسهولته ، من قابلية في المكان ، ومواتاة من الزمان ، وأشار الى ما يعترض به على ذلك من شبهات داحضة ، وكر عليها بما ينقضها من حجج ناهضة ، بما لم يبق لمتعذر عذرا مقبولا ، ولا لمقصر قولا معقولا

ثم انه لم يقف في ارتساماته دون هذا المقصد الاسمى ، بل ألمّ فيها بكل ما يهم المسلم من حال الحجاز وأهله وحكومته ، فأفاض القول في تعظيم شأن المياه فيه ، وما يرجى من زيادتها بالوسائل العصرية ، ولاسيما الآبار الارتوازية ، واستشهد التاريخ على ما كان من عناية السلف الصالح بعمرانه ، وحبس الاوقاف الواسعة عليه ، وعناية الخلف الطالح بتخريب ما عمروه ، واضاعة أكثر ما وقفوه ، وتمهيد حكامهم الفاسقين سبيل ذلك لسالبي ملكهم من المستعمرين . وضرب لذلك الامثال ، بتاريخ أكبر المعمرين من الملوك والامراء والوزراء ، وأسهب في بيان أحوال المطوفين والمزورين وقناعتهم ، وما يجب من اصلاح حالهم ، ونوّه فيها بفضل الحكومة السعودية الحاضرة وخدمة ملكها للحجاز ، وأعظمها والمقدم منها تعميم الامنة في بدو البلاد وحضرها ، قريبها وبعيدها ، وما يرجى بحكمته من سائر اركان الاصلاح فيها

***

وقد منّ علي بأن عهد بنشر هذه الارتسامات إلي ، بأن أطبعها بمطبعة المنار ، وأشرف على تصحيحها بنفسي ، لتعذر ارسال مثل الطبع اليه في أوربة ليتولى تصحيحها بنفسه ، بل منّ عليّ بالاذن لي بتعليق بعض

الحواشي على بعض المواضع التي أرى التعليق عليها مفيداً لقارئيها ، ليكون اسمي مقروناً باسمه في هذا الاثر الخالد له في خدمة العرب والاسلام ، كما منّ عليّ قبله بمثله في رسالته التي جعل عنوانها (لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم) وهي هي الرسالة التي

سارت بها الركبان تطوي نفنفا فنفنفا وسبسبا فسبسبا

فاضطربت بها بعض دول الاستعمار وزلزلت زلزالا شديداً ، حتى قيل لنا انها أغرت حكومة سورية بمنع نشرها فيها ، وهي أحق بها وأهلها ، فانفردت بهذه العداوة للاسلام دون من أغروها بها

ولقد كان سماح الامير حفظه الله لي بهذا وذاك اعلاما لقارئي الرسالة والرحلة بما بيننا من الاخوة الاسلامية الصادقة ، والاتفاق في المقاصد الاصلاحية النافعة ، للامة العربية ، والشعوب الاسلامية ، التي نفخ روحها في كل منا شيخنا الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) بالتبع لاستاذه موقظ الشرق وحكيم الاسلام (السيد جمال الدين الافغاني) قدس الله روحهما ، وأجزل ثوابهما

هذا وان الامير أمتع الله بعلمه وعمله ، ولسانه وقلمه ، قد وضع للرحلة حواشي كثيرة عزوتها اليه في مواضعها ، وكان يجب أن أشير إلى ذلك في ديباجتها ، ولكنني ما علمت بها إلا عند بلوغ أول حاشية منها

وقد كان لي وقفة ونظر في اقتراحه على الحكومات المختلفة في الدين والسياسة أن تشدد على حجاج بلادها الفقراء ، فيما تفرضه من الشروط للسماح لهم بالسفر الى الحجاز ، لا لأن هذا الاقتراح منكر في نفسه ، بل لان الحكومات الاستعمارية التي تكره للمسلمين المرزوئين بسيطرتها عليهم

أن يؤدوا هذه الفريضة ، لم تقصر في ارهاقهم بالشروط المالية والصحية ، بل أنا أعلم علم اليقين أن جميع الدول الاستعمارية تمقت قيام المسلمين بهذه الفريضة ، وتتعاون على صدهم عنها بما تستطيع من حول وحيلة ، ولولا ماللبواخرها وتجارتها من المنافع من نقل الحجاج لكان تشديدهم في الصد أكبر ، ولكن ماوضعوه من المواثير والعقاب في سبيل الحج باسم المحافظة على الصحة ، قد أنالهم بعض مرادهم منه بقلة من يتحمل مشقته من ملوك المسلمين ، وأمرائهم المترفين ، وأغنيائهم المحسنين ، وزعمائهم المفكرين

وقد كانوا حاولوا ان يقرروا في مؤتمر طبي عقد بمصر في أوائل عهد الاحتلال البريطاني أن الحجاز بيئة وبائية بطبعه ، يجب جعله تحت سلطة الحجر الدولي دائماً ذاته . فجاهد المرحوم سالم باشا سالم كبير اطباء مصر (والطبيب الخاص لسمو الخديو توفيق باشا وأسرته) يومئذ جهادا كبيرا دون ذلك ، حتى دحض كل شبهة تؤيد هذا الاقتراح ، وأثبت بالادلة الفنية الطبية والتاريخية ، أن الحجاز ليس بوطن لوباء الهيضة الوبائية (الكولرة) ولا لغيرها من الأوبئة السارية المعدية . ولكنني لم أصغ لهذه المسألة حاشية ، بل أدعها الى علم الامير الواسع ، ورأيه الناضج ، لعله يستدرك ما يرى استدراكه ممحصا لهذا الرأي (١)

---

(١). ارسلنا الى الامير مثالا من هذه المقدمة قبل طبعها فكتب إلينا هذا الاستدراك : —

« اقتراح تشديد الحكومات على الفقراء بعدم الحج لم يكن مرادي به إلا منع الفقراء المعدمين الذين لايستطيعون الى الحج سبيلا ، والذين اذا جاءوا الى مكة صاروا وقراً على أهلها وحكومتها

وأما الفقراء الذين لم يبلغ فقرهم هذه الدرجة فليسوا المراد بكلامي . وأني =

وها أنا ذا أزف إلى قراء العربية هذه الرحلة النفيسة ، والارتسامات اللطيفة ، ولا ريب عندي في أنهم يقدرونها قدرها ، ويُعنون معي بنشرها، وبث الدعاية الى العمل بما فيها من النصيحة الثمينة ، التي تتوقف عليها حياة هذه الامة المسكينة ، التي كانت هي الناشرة لدعوة الاسلام ، والمفيضة لنور هدايته ، والمفجّرة لأنهار حضارته، وباحيائها وعمران بلادها يناط

= أوافق الاستاذ على كون دول الاستعمار تشدد الشروط عمداً على من يريد الحج المستطيع وغير المستطيع ، وذلك قطعاً لصلة المسلمين بمكة وعزلا لهم عن اخوانهم في الدين. واذا سمحت احيانا بالحج فيكون على كره منها وتعاض من ذلك باكراه الحجاج على ركوب بواخرها ، وتفرض عليهم أجرة فاحشة وتحشرهم فيها حشراً يزيد قهرهم ، وفي السنة الفائتة لم تزل فرنسة تتنوع في الشروط وتعنت على الحجاج حتى لم يقدر على الحج إلا ٣٠ شخصاً من كل جزائر الغرب مع أن الذين كانوا نووا الحج هم أكثر من الف وتسمائة

ولا يكثر على الفرنسيس بعد ذلك أن يمنوا بكرة واصيلا على مسلمي المغرب بالحرية الدينية التي امتعوهم بها ! وان يملأوا جرائدهم بما منحوهم منها ! حتى يخال لمن لم يطلع على الحقيقة ان مسلمي المغرب رائعون في بحابح الحرية الدينية كما يصفها هؤلاء الخطباء والكتاب

والحقيقة أن أهل المغرب جميعاً في عناء شديد من كل جهة ولا سيما من جهة حرية الاجتماع بسائر المسلمين بل من جهة حرية اجتماعهم بعضهم مع بعض، ومنذ نحو شهر نادى المنادي في أسواق فاس بأنه ممنوع ذهاب التجار للبيع أو للشراء بين قبائل البربر . وجميع الناس يعلمون انه لا يقدر أحد من الفقهاء ولا من حملة القرآن ولا من مشايخ الطرق الصوفية ان يدخل قرى البربر، ولا أن يجول في الجبال التي هم فيها إلا باذن خاص من الحكومة على حين مئات من الرهبان والراهبات والاقسة والمبشرين يجولون في بلاد البربر كيف يشاؤن ويبنون المدارس والكنائس

فهذا هو كنه الحرية الدينية التي تمن بها فرانسة على مسلمي المغارب . ومن كان في شك من كلامنا هذا فليذهب إلى تلك البلاد أو فليسأل الثقات من أهلها»

بقاؤه، ويعود رواؤه، وينضر إهابه، ويتجدد شبابه،

وأختم هذا التصدير لما بما يؤيد قولي هذا من الاحاديث النبوية في شأن الحجاز ومستقبله، وكونه مأرز الاسلام ومعقله، وحصنه وموئله، عند ما يشتد على المسلمين البغي والعدوان، ويركبون المناكير فيناكرهم الزمان، او تستباح بيضتهم بما أعرضوا عن هداية القرآن:

قال رسول الله (ص) «ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها» (١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

وأعم منه وأدل على المراد قوله عليه الصلاة والسلام «إن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها» رواه مسلم من حديث ابن عمر

وأعم منه وأظهر قوله (ص) «ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية (٢) من رأس الجبل. ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي»

وأوسع من ذلك كله وأدل على الباعث عليه ما رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس ان النبي ﷺ أوصى عند موته بثلاث أولها «اخرجوا

(١) ارز - كعلم - انضم واجتمع وانكمش (وورد لغة من بابي ضرب وقعد) والمعنى انه سيعود الى المدينة والحجاز كله ويأوي اليه كما تعود الحية الى جحرها ولا سيما اذا خافت

(٢) الاروية بضم الهمزة وكسر الواو وتشديد الياء أنثى الوعول وهي تعتصم في أعالي الجبال. والمعنى أن الاسلام سيضعف ويصير غريباً ومضطهداً في الاقطار فلا يجد له حصناً ومعقلا إلا الحجاز فيعتصم فيه، كما تعتصم الاروية في شناخيب الجبال

المشركين من جزيرة العرب » وما رواه أحمد ومسلم والترمذي عن عمر (رض) انه سمع رسول الله ﷺ يقول « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لاأدع فيها الا مسلما » وما رواه أحمد من حديث عائشة (رض) قالت: آخر ما عهد به رسول الله ﷺ أن قال « لا يترك بجزيرة العرب دينان » وروى عن أبي عبيدة عامر بن الجراح قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ « اخرجوا يهود أهل الحجاز ونصارى نجران من جزيرة العرب » والمراد انه آخر ما أوصى به عند موته، وأما آخر كلمة نطق بها ﷺ فهي « اللهم الرفيق الاعلى »

وقد بينت في مواضع من جزء التفسير العاشر وغيره حكمة هذه الوصايا النبوية، وهي ما أطلع الله تعالى عليه رسوله وأخبر به كما في حديث ثوبان (رض) وغيره، من تداعي الامم على المسلمين كما تداعى الأكلة على قصعتها، وسلبهم ملكهم، واضطهادهم لهم في دينهم، إلى أن يضطروا الى الالتجاء الى مهد الاسلام الاول، ومعقله الاعظم، ومأرزه الآمن، وهو الحجاز وسياجه من جزيرة العرب. ولذلك أوصى بأن يكون هذا المعقل خاصا بالمسلمين لا يشاركهم فيه غيرهم، فهذه الوصية من دلائل نبوته ﷺ قد ظهر سرها في هذا العصر

وها نحن أولاء نرى أعداء الاسلام مازالوا يطاردون المسلمين حتى انتهوا بهم إلى جزيرة العرب، وطفقوا ينازعونهم فيها، بل وصلوا إلى الحجاز واستولوا بمساعدة بعض أمرائه على أعظم موقع من معاقله البرية والبحرية (ما بين العقبة ومعان) وصاروا باستيلائهم على سكة الحديد الحجازية على مقربة من المدينة المنورة التي خصها الرسول ﷺ من هذه الوصايا بالذكر، وأنشأوا يؤسسون وطنا لليهود في جوارها من فلسطين

التي يدعون أنها لهم وحدهم ، وسيطلبون ضم خيبر اليهاء ، بأنها كانت لهم وأخرجهم عمر بن الخطاب منها .

فاذا لم تتعاون جميع الشعوب الاسلامية على مساعدة حكومة الحجاز بالمال والنفوذ الصوري والمعنوي على حفظ الحجاز وعمرانه ، بل إلجائها الى ذلك واضطرارها اليه ، فستتقطع قلوبهم اسفا وندما ، ويذرفون بدل الدموع دما ، إذ لات حين مندم ، ولا متأخر ولا متقدم ، ولقد كنت في حيرة لاأهتدي السبيل إلى أقرب الوسائل لهذا العمران ، حتى وجدته مرسوما في هذه الارتسامات ، داحضة أمامه جميع الشبهات ، فبادروا اليه أيها المسلمون (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات)

وكتبه ناشر الارتسامات

منشيء مجلة المنار

﴿ الانكليز في جزيرة العرب ﴾

﴿ المنار ﴾ كتبنا هذه المقدمة لرحلة الأمير شكيب الحجازية في الشهر الماضي وهو شهر المحرم عند ما تم طبعها ثم أردنا نشرها في هذا الجزء من المنار وهو جزء (صفر) لتكون تقريظا لها فاتفق أن رأينا في جريدة الضياء الغراء مقالا مترجما عن اللغة الانكليزية لرجل من كبار ساسة الانكليز كان من أكبر العاملين في سبيل استعمارهم لهذه الجزيرة بين فيها ماوصل إليه نفوذهم فيها وأنواعه وماهم مستهدفون له في هذا العصر بيقظة الامة العربية وسعي المستيقظين منها لاعادة مجدهم واستقلال بلادهم ، لينبه دولته لما ينبغي لها من الحذر والحكمة في هذا الطور الجديد ، لهذه الامة ذات التاريخ العجيب

فرأيت أن أنشرها في هذا الجزء بجانب هذه المقدمة مفصلة لما أجملته فيها وحجة على صحة رأيي وصدقه في الانكليز الذي بينته في المنار مرارا كثيرة عسى أن يكون نشرها من أسباب انتشار اليقظة العربية التي نسعى لها سعيها منذ سنين كثيرة واقناع بعض الزعماء والامراء بما يرمي اليه هذا السياسي الانكليزي من أن الامم إذا عرفت نفسها، تعذر على غيرها استعبادها أو استعمارها ، فان أكثر أمراء الجزيرة يجهلون هذه الحقيقة فلذلك خنعوا واستخذوا أمام هذه الدولة الطامعة. وهذا نص المقالة:

بريطانيا ستخرج من جزيرة العرب

كما خرج الفرس والرومان

هكذا يقول بريطاني كبير من رجال السياسة (*)

كانت قد وافتنا التلغرافات بنبذ مقتضبة من مقال نشرته الديلي تلغراف لجناب السر هنري دوبس مندوب العراق السامي البريطاني بين سنة ١٩٢٣ ـ ١٩٢٩

ثم جاء بعد ذلك أصل المقال وقد رغب فيه الى حكومته أن تكون أكثر اهتماما وأوفر درساً للحالة الروحية التي عليها بلاد العرب ، وقد اقتطفنا من هذا المقال الخطير الجزء التالي قال : ان المناقشة الحديثة العهد التي جرت في مجلس اللوردات حول اقتراح اللورد ترانشود الذي يرمي به الى توحيد زمام السيطرة والسياسة في الشرق الاوسط قد انتهت بالخيبة . وقد كان فحوى جواب اللورد باسفيلد يفيد أن الحكومة البريطانية تظل قابضة بيديها على جميع زمام السياسة ، وأن تنوع المصالح العديدة في البلدان المختلفة تلك المصالح المتصلة المرجع بعدة من دوائر الحكومة ، يقضي بأن تكون هذه الدوائر متصلا بعضها ببعض اتصالا مستمراً بتبادل الرأي والمشاورة ، وعلى هذا لا تبقى هناك فائدة في إنشاء دائرة واحدة يعهد اليها اسمياً في إدارة الشؤون المتعلقة بالبلدان المذكورة .

فما هي تلك البلدان ذات المصالح والشأن في هذه القضية ، وما هي الاساليب التي تجري سياستنا عليها في تلك البلدان ؟ تلك البلدان هي : سوريا ، وهي تحت الانتداب الفرنسي، وعلاقتها تدار من قبل وزارة الخارجية عن طريق باريس

فلسطين ، وهي تحت الانتداب البريطاني الذي سيتطاول أمده الى حد غير معروف، وتدار من قبل وزارة المستعمرات .

شرقي الاردن ، وهي أيضاً تحت انتداب مندرج في صلب معاهدة معقودة مع الامير الحاكم ، وتدار تحت إشراف وزارة المستعمرات

(*) هذا القول غير موجود فيما نشرته الضياء ولعلها تمده نتيجة له

العراق ، ويرجى دخوله عضواً في عصبة الامم في السنة المقبلة بصفته مملكة مستقلة . وعند حصول هـذا يعتاض عن المندوب السامي المرتبط الآن بوزارة المستعمرات بسفير مرتبط بوزارة الخارجية

نجد والحجاز ، ومنهما يتألف معظم جزيرة العرب ، وهما تحت حكم الملك ابن السعود الذي تدار علاقاته من قبل وزارة الخارجية بواسطة وزير مفوض

الامارات المستقلة والمقاطعات الواقعة في الخليج الفارسي ، وهذه الامارات والمقاطعات داخلة في نطاق دائرة الشؤون الخارجية في حكومة الهند

عدن ، وبعضها من الاملاك البريطانية ، وبعضها الآخر من البلاد المحمية ، إدارتها الداخلية مرتبطة بحكومة الهنـد في بومبي ، وتقوم وزارة المستعمرات بالادارة السياسية تجاه القبائل التي في الاراضي المحمية وتجاه سائر جزيرة العرب

اليمن ، وهي تشمل جانباً من البحر الاحمر الى شمالي عدن وهي تحت حكم الامام يحيى المنافس الكبير لابن السعود ، والمقيم السياسي في عدن يجري في علاقاته مع الامام يحيى على مايتلقاه من ارشاد من وزارة المستعمرات

ففي جميع هذه البلاد ، اللغة العربية هي السائدة ، والاسلام هو الدين الغالب ، وفي أي قطر من هذه الاقطار سرحت بصرك ، ترى الجيل الحديث من أهل السياسة من العرب يطوون صدورهم على أحلام وآمال تتعلق بتكوين بلاد عربية مستأنفة الحياة والقوة ، بحيث يكون بوسع هذه البلاد المتجددة النشأة القبض على المراكز الخطيرة لطرق المواصلات الكبرى في العالم بحراً وهواء ، واحراز الثروة من التجارة الحديثة المزيزة التي لا بد لها أن تمر في هذه الطرق

هذا من ناحية — ومن ناحية أخرى لايصح أن نعتقد أن أفكار النشء العربي الحديث فيما لبلادهم من الخطورة الجغرافية — هي مجرد تصور وخيال ، فان تجارة أمريكا جمعاء تخترق الآن البحر الاحمر . وجميع الطرق الهوائية إلى آسيا واستراليا ـ ما عدا الاتجاه الذي تقوم به روسيا الآن ـ كل ذلك لا بد له من اجتياز العراق . وأنابيب الزيت أوشك يشرع في إنشائها بين آبار الزيت العراقيه والبحر المتوسط بحيث ينتهي من خط هذه الانابيب في طرابلس سورية

وينتهي خط آخر في حيفا بفلسطين . وسكك الحديد سيماشي أنابيب الزيت جنباً إلى جنب . ومما لا يكون عنه مندوحة ان سكك الحديد ستمد شرقا إلى الهند مخترقة أرجاء ايران

وان الاهمية التاريخية الكبرى التي كانت لهذه البلدان العربية في الزمن السابق باعتبار انها صاحبة طرق التجارة . وقد زالت هذه الاهمية مؤقتاً باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وستستعاد عما قريب بكاملها ، فينجلي من هذا أن ضمان سلامة المواصلات هذه في الاقطار مصلحة حيوية للامبراطورية البريطانية

وفي جميع هذه البلاد ـ ما عدا سوريا ـ لم يبرح النفوذ البريطاني هو المسيطر الغالب كل هذا الزمن الحديث ، وقد ازداد هذا النفوذ بسطة واتساعا إلى حد كبير بنتائج الحرب الكبرى . فيتعين علينا ـ والحالة هذه ـ أن نأخذ بالوسائل التي تحفظ هذا النفوذ حتى لا يعتوره تناقض ينشأ عن الجري على خطة مشوشة في علاقاتنا مع هذه الاقطار أو عن أي غموض أو ارتباك في إيضاح الغاية والقصد . أو عن خرق في السياسة . فانه إذا سارت الحال مصابة بآفة من هذه الآفات . فالعرب — وجذوة الامل في إحراز الاستقلال حديثة الاشتمال في صدورهم — سينا بذون مثل هذه السياسة بقسوة وعنف . وأقول بعبارة أخرى : ان سياستنا مع هذه البلاد ينبغي أن لا يفسدها أقل افتقار إلى العطف على طموح العرب إلى استعادة ماضيهم وقوتهم

وآمال العرب هذه لا يبعد أن يكون مكتوبا لها التحقق والنجاح . وان الاقوام العربية بعد أن هجعت سنين طوالا ، دبت فيها روح اليقظة ثانية وانطلقت فيها عوامل الحركة والحياة . وكل أمة تقدم على تجاهل ما للعرب من خطورة وعلو شأن لابد لها من تحمل مرارة النتيجة فيصيبها مثل ما أصاب المملكتين : الرومانية والفارسية من قبل ، يوم أقدمتا على مصارحة العرب العداء عند قيام النبي محمد ﷺ في جزيرة العرب وظهور قوته فيها ، فندمتا ولات ساعة مندم .

وان علي أن آخذ وأعطي مليّاً مع اللورد باسفيلد فان الخلاصة الوجيزة التي شرحتها بصدد أوضاعنا الحالية توضح ان وزارة الهند ووزارة المستعمرات ليستا أهلا

لتصريف هذه الشؤون، ولا يزيد عملها أن يكون تخبطا وارتباكا في حين ينبغي أن تقبض على زمامه في وزارة الخارجية . فاذا لم تبدل الحالة بأحسن منها فتكون النتيجة فساد الامر ، وفوات الفرصة ، وتضارب الغايات والمقاصد

فالمقصد الكبير الذي أومي اليه هو أن سياستنا إزاء القضية العربية الكبرى ينبغي أن تفرغ بحلة متناسقة الشكل تسود الرجال العاملين فيها روح السخاء المشتقة من بعد النظر ، وهذه الروح ينبغي أن تسيطر لا على مديري دفة الامور في المركز، بل يجب أن تشمل أيضا أولئك الذين يعهد اليهم في تصريف الشؤون والادارة في مواطن الامور وأماكنها مباشرة اهـ

(المنار) صرحنا في المنار مراراً كثيرة جداً بان الدولة الانكليزية مجدة في تأليف امبراطورية بريطانية من بلاد العرب، وأن أمراء العرب وزعماؤهم جاهلون مايحيط بهم، وما يجب عليهم ، ودهاة هذه الدولة يسخرونهم لما يحاولون من سلب ملكهم واستعباد أمتهم فينقادون مذعنين ،طائعين اوكارهين ،محترمين او محتقرين، وغير المسخر منهم للخدمة الايجابية ، يقنعون منه بالخطة السلبية ، فلا يوجد في البلاد العربية مقاوم لهم في عمل من أعمالهم المنظمة البطيئة لاستعمار البلاد العربية وهم لا يتمون عملا ويحكمونه الا ويشرعون في غيره إذ يكونون قد مهدوا له

وصاحب هذا المقال يحذرهم يقظة الشعب العربي الجديدة لما أثبته التاريخ من وثبات العرب القوية ، عقب النومات الطويلة ، وهو ينصح لهم بثلاثة أمور لا يرجى بقاء نفوذهم وامتداده في هذه الامة بدونها

(الاول) توحيد المرجع الذي يتولى السياسة والادارة الخاصة بالبلاد العربية جزيرتها وولاياتها وهو وزارة الخارجية

(الثاني) عدم الاكتفاء بما يجرون عليه من توطيد السيطرة والنفوذ في مركز كل حكومة عربية (أي وان كانت كلها مركزية لا شريك للحاكم العام في نفوذه فيها) فان هذا لا يدوم اذا استيقظت الامة ، بل لابد من استمالة جميع الرجال العاملين في كل منها ممن ظهر وممن سيظهر في كل موطن وكل ناحية

(الثالث) أن يكون الرجال الذين يتولون السياسة العربية والادارة الخاصة بها قادرين بما أعطوا من المرونة وروح السخاء على مداراة العواطف الوطنية وعدم تنفيرها من الانكليز ! فتدبروا واعقلوا أيها المستيقظون)

﴿ اشاعة اكتشاف عظيم في وادي يوشفاط بيت المقدس ﴾

تابوت « يسوع بن يوسف »

(جاء في جريدة الاهرام الصادرة في ١٣-٤-١٩٣١ لمكاتبها في باريس تحت هذا العنوان ما نصه)

اهتزت المقامات المسيحية لنبأ اكتشاف عظيم الاهمية والتأثير، لا من حيث قيمته التاريخية فحسب ، بل من حيث علاقته بالدين المسيحي ، وهو نبأ اكتشاف ناووس كتبت عليه باللغة الارامية من الخارج عبارة « يسوع بن يوسف » وذلك في وادي يوشفاط بجوار القدس . فقد وردت الانباء بان الاثري المعروف الدكتور سوكنيك قد عثر على هذا التابوت الحجري في سرداب عليه ركام من الخربات جر عليها تقادم العهد ذيول النسيان ، وذلك في جانب من ذلك الوادي الذي ستجري فيه دينونة العالم حينما يعتقد بعض المتمسكين بحرفية ماجاء في كتب الدين . ويتساءل الناس الآن، هل ذلك الناووس حوى رفات مؤسس المسيحية وهل العبارة المكتوبة عليه كتبت بيد المسيح نفسه إذ قد جرت العادة في العهد المسيحي وقبله — كما قد يعلم رجال الآثار — ان يعد الناس توابيتهم الصخرية قبل دنو الاجل المحتوم ويسطرون أسماءهم عليها بايديهم فتنقش كما هي .

ومما هو جدير بالذكر أيضاً ان ذلك الاثري قد عثر في السرداب نفسه على نواويس أخرى قد نقشت على ظاهرها أسماء الكثيرين من تلاميذ المسيح وأتباعه فعلى أحدها اسم مريم وعلى بواقيها أسماء مرثا واليصابات وسمعان ويعقوب ويوحنا ومتى . فاذا ثبت مايدعيه الدكتور سوكنيك فانه يؤدي إلى بطلان اعتقادات وتقاليد كثيرة بشأن مدفن السيد المسيح وأتباعه، ويكون الملايين من الذين زاروا القبر المقدس في سالف الزمن قد سجدوا في غير المكان الذي وضع فيه جسد المسيح بعد ان أنزل عن الصليب

والمفهوم الآن ان الدكتور سوكنيك مكتشف هذه النواويس كان ولا يزال شديد التحفظ في ابداء رأيه فيها علماً منه بأهميتها الدينية وبما يترتب على ذلك من المسؤولية اذا بدر منه قول عنها قبل التثبت من أمرها . فلما اتصل بصاحب

جريدة الجورنال خبر اكتشافه أبرق إلى مراسله في برلين بأمره بمقابلة المكتشف وأخذ مالديه من المعلومات مهما كلفه ذلك من العناء والمال، فقابله المراسل إذ كان يجمع أمتعته للرجوع إلى فلسطين فأبى الدكتور التلفظ بكلمة واحدة يفهم منها أنه موقن بان الناووس الذي قرأ عليه اسم يسوع هو تابوت المسيح الحقيقي. وكل ماقاله هو انه قد قرأ الاسم المكتوب بالارامية على الناووس. وانه لا يزيد على ذلك حرفا إلا بعد ان يصير على بينة من الامر.

ولكنه يقول انهم عثروا على امثال هذه النواويس في سالف الايام في جوار اورشليم، وبما انها كانت خالية لم يهتم لها الناس كثيراً. ولكن الشيء المهم من الوجهة التاريخية والدينية هو الاسماء المنقوشة عليها

وقرأ الدكتور سوكنيك على أحد النواويس هذه العبارة «في هذا الناووس عظام نكانور الاسكندري الذي بنى الباب» فهو في رأي الدكتور الرجل الذي تبرع بباب نكانور في هيكل هيرودس وقد ورد ذكره في أقاصيص التلمود. والناووس المنقوش عليه «يسوع بن يوسف» لايزال على جدته. ومن رأيه أيضاً ان الاسم المنقوش عليه قد كتب بخط يده. أما ماذا كان يسوع هذا هو المسيح صاحب الديانة المسيحية فالدكتور يأبى الجزم بذلك، فهو يدرك شدة عاصفة الاحتجاج التي تهب عليه من العالم المسيحي ولاسيا اذا فهم من قوله ان هذا الناووس قد كان محتويا على بقايا السيد المسيح

ووجد الدكتور بازاء ناووس يسوع ناووس اليصابات ام يوحنا المعمدان ونسيبته مريم، وناووس يعقوب وهو من التلاميذ. أما مريم فلا يعلم هل كانت أم يسوع أم مريم المجدلية وقد تكون أخت مرثا. وهناك ناووس سالومي التي كانت مع الرفاق عند الصليب، أما سمعان فلا يظن انه سمعان بطرس لان قبر هذا قد تأكد وجوده في رومية. فهو ربما كان سمعان المذكور في الاصحاح العاشر من انجيل متى

أما الاسم «يسوع بن يوسف» المنقوش على الناووس الذي يظن أنه محتو على رفات المسيح فهو بالارامية لا العبرانية إذ كانت الارامية في أيام المسيح لغة أهل فلسطين. كذلك كانت اللغة الاغريقية كثيرة الاستعمال في ذلك العهد،

ولهذا نقش اسم اليصابات على ناووسها بالاغريقية والارامية

ويقول الاثريون بوجود مدينة أخرى منسية تحت أورشليم لم تبد آثارها حتى الاعوام الاخيرة، فالذي يزور المدينة المقدسة لايدري ما استتر تحت سطحها من العمران البائد لان الارض التي يمشى عليها في شوارع المدينة الضيقة تعلو عن الشوارع القديمة من ٣٠ الى ٧٠ قدما في تلك المدينة البائدة عثر الاثريون على تلك التوابيت الحجرية الموسومة باسماء معروفة في التوراة واسم يسوع أيضاً

ولا يدهشنا اذا سمعنا في الحين القريب ان الاثريين قد أماطوا لثام الدهور عن آثار أخرى عظيمة الاهمية في اورشليم السفلى ترجع في تاريخها الى عهد السيد المسيح والى ماقبل تبلج فجر المسيحية بقرون عديدة وتكون ذات اهمية تاريخية ليس لرجال العلم فقط بل لرجال الدين أيضاً

ولعل مكاتبكم الاورشليمي يزيدكم ايضاحا عن الآثار التي وجدت وعما اذا كان مانقل الينا عنها حقيقة راهنة أو حديث خرافة فهو أولى من الاجانب بالاشراف عليها والتثبت من أمرها ، فان الكثيرين من رجال الدين هنا قد هزأوا بالحكاية وظن البعض منهم انها تنطوي على قصد سيء ، ومن اجل هذا كتب أحدهم مقالة جاء فيها مايأتي:

«اذا سلمنا جدلا بأن المسيح حديث خرافة وان المسيحية بجملتها حكاية صبيانية فما الذي يربحه المشكك وما الذي يخسره الدين؟ فان هذه الحكاية أو هذه الخرافة قد كانت أعظم قوة في مدى ألفي سنة أوصلت التمدن الى الاوج الذي نراه فيه اليوم

«ان هذه النظرية قد بدلت الحياة، وتلك الخرافة المبتدعة قد أعطتنا محبة بدل البغضاء، وطهارة بدلا من الشهوات السافلة، ونقاوة بدلا من النجاسة، ورجاء بدلا من اليأس ، والاخاء بدل العداء . فاذا كانت هذه الميزات نتيجة تلك الخرافة التي حملت النفوس على توخي أفضل مافي الحياة فلتحي الخرافة

« ان أكبر العقول في التسعة عشر قرنا التي انقضت قد اعتقدت بهذه الفكرة، الرجال العظام والنساء العاقلات الطاهرات والاولاد البسطاء قد صدقوا بها وكل الذين تمسكوا بها كحقيقة وعاشوا بما رسمته قد كانوا أفضل مثال لكل ما هو حسن

وجويل . فاذا كان كل ذلك حديث خرافة فليكن المسيح خرافة ، فان تعاليمه قد رفعت التمدن الى أسمى الذرى » اهـ والظاهر ان كاتب هذا باريسي أو فرنسي

(تعليق المنار على هذه المقالة)

لئن ثبت وجود رفات المسيح عليه السلام في هذا التابوت ليكونن هدما لدين النصرانية الحاضر من أساسه فان الاناجيل الاربعة مصرحة بانه خرج من قبره في ليلة الاحد وان مريم المجدلانية ومريم الاخرى وسالومي اللائي تفقدنه في صباح ذلك اليوم ولم يجدنه قد وجدن هنالك ملاك الرب فاخبرهن انه قام من بين الاموات الخ

ولهذا لم يجد الكاتب مايدافع به عن هذا الدين على فرض ثبوت ذلك إلا قوله إنه دين كان له من الفوائد الادبية والحضارة العظيمة مايحملهم على المحافظة عليه و إن كان أصله حديث خرافة . ولاشك ان هذا عين ما تفعله الكنائس التي فاقت بنظامها الديني ومدارسها وجمعياتها أعلى الدول نظاما ونفوذا ، اذا أعوزهم الانكار وعز عليهم التكذيب وأعياهم التاويل ، ولن يعجزهم هذا ولا ذاك

ولكن ثبوت ماذكر لاينقض شيئاً من نصوص القرآن فانه يقول بعد الاخبار بمكر اليهود به (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي) فظاهره انهم لن ينالوا مايريدون بمكرهم به وان الله تعالى هو الذي يتوفاه فيقبض روحه ويرفعه اليه وهو يصدق برفع جسده بعد اعادة الحياة اليه و برفع روحه وحدها كما قال في ادريس عليه السلام (ورفعناه مكانا عليا) ويكون ثبوت وفاته ودفنه في الدنيا قبل رفعه حجة لمن قال من المفسرين إن الآية على ظاهرها ، دون من قال بتاويل الوفاة أو بتقديم الرفع على التوفي . وجملة القول ان ثبوت ما ذكر يكون حجة للقرآن كما هو حجة على الاناجيل ، فالقرآن لا يمكن أن ينقضه شيء لانه كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأما أقوال الاناجيل في قيامه بجسمه من القبر فهو روايات تاريخية عن النسوة اللائي ذهبن الى القبر ليس لها أسانيد متواترة فان خبر الاربعة المؤلفين لهذه الاناجيل لايثبت به التواتر لو سمعوه من النسوة وهن غير معصومات في خبرهن فكيف وهم لم يصرحوا بالسماع منهن

والعبرة في هذا كله ان مبشري النصرانية يشككون عوام المسلمين في دينهم وفي كلام ربهم المعجز للبشر من وجوه كثيرة منها انه لا يمكن نقض كلمة منه ، وهم يتمسكون بدينهم و يدعون اليه و يدافعون عنه حتى على فرض ثبوت ما ينقضه من أساسه !!! بحجة انه كان سببا لهداية كثيرين من البشر وهذا صحيح و يفوقه فيه الدين الاسلامي ، وسببا لوجود الحضارة الحاضرة وهذا باطل وانما كان الاسلام هو الذي أحيا الحضارة القديمة التي ولدت منها الحضارة الحاضرة .

الشريف حسين ملك الحجاز السابق

(٢)

كتب كثير من أصحاب الجرائد العربية وغيرهم مقالات في تأبين الشريف حسين ونظمت قصائد متعددة في رثائه ، واقيمت حفلات في الامصار العربية لتأبينه فمنهم من أطرى ومن انتقد ومن حاولوا الجواب عما ينتقد ، ويقل فيمن كتب وأبن من تحرى الحقيقة لذاتها أو من هو واقف عليها ، ومن الظاهر البين ان من المؤبنين والراثين من كان غرضه الازدلاف إلى أنجاله أصحاب الجلالة والسمو

ومن العجيب ان بعض - الافراد قيل والجماعات - قد اقترحوا نصب تمثال له فتهكم الكاتب الاسلامي محب الدين افندي الخطيب بهم إذ اقترح عليهم أن ينصبوا ذلك التمثال تجاه الزاوية التي كان يصلي فيها الجمعة من الحرم المكي الشريف : أي فيكون من مناقبه اعادة التماثيل التي أزالها جده النبي الاعظم ﷺ من بيت الله، والتي قال فيها جده أمير المؤمنين علي عليه السلام لعامله أبي الهياج : ابعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفا إلا سويته .

وقال بعض الذين طرقوا باب المباحث التاريخية في سيرته : انه قد نهض بدعوته واشعل نار ثورته، توسلا إلى استقلال امته، وتأسيس سلطنة (امبراطورية) له لا لنفسه ، فخدعه الانكليز ونكثوا عهده كما خدعوا من هو أجدر منه بمعرفة كيدهم وخداعهم وهو الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة . وانه لم يجد من ينصح له ويبين له ما يجب من الاحتياط في ذلك . وقال بعضهم انه انما أراد انقاذ الحجاز من غائلة الحرب وشناعتها ولم يرد اسقاط الدولة العثمانية التي كانت هي السياج الاخير للحكم الاسلامي

وصرح بعضهم بأن المنقبة الوحيدة له في سياسته سلبية ، وهي امتناعه من امضاء الاتفاق الاخير الذي حمله اليه من لندن وكيله ونائبه في ذلك الدكتور ناجي الاصيل ، ومن مواده اعترافه بالانتداب الذي يتضمن إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ، وزاد بعضهم امتناعه قبل ذلك من إلحاق منطقة العقبة ومعان

بحكومة نجله الأمير عبدالله في شرق الاردن اذ طلبه منه الانكليز لعلمه بانها حينئذ تكون انكليزية يتصرف الانكليز بها كما يشاؤن فيكون أول مسلم خان الله ورسوله في أرض الحجاز المحرمة بوصية رسول الله ﷺ في مرض موته على غير المسلمين، ولكن ما امتنع منه وعد هو المنقبة الصحيحة له قد فعله أبناؤه في حياته

وزعم بعضهم انه بامتناعه مما ذكر قد ضحى ملكه وسلطانه على الحجاز أو حرم نفسه من امتداد ملكه إلى آخر حدود جزيرة العرب بمساعدة الانكليز، والصحيح أنه ما كان يتصور زوال ملكه بذلك، ولا الانكليز يفضلون امتداد ملك ابن سعود إلى البحر الاحمر فيقال انهم ساعدوه على ذلك

وانا لم نجد أحداً من الكتاب ولا من الخطباء احتج على شيء من أقواله بمستند رسمي مما نشره الملك حسين في جريدته القبلة التي كان كل مايكتب فيها إما بقلمه وإما باملائه أو اقراره

وقد نقلت من هذه الوثائق الرسمية في المنار ماهو حجة على اكثر هؤلاء الذين يقولون بغير علم، ومنهم من يقول بلسانه ويكتب بقلمه خلاف مايعتقد ويعلم باختباره

ذهبت إلى الحجاز في أثناء ثورته في أول مدة الحرب الكبرى، وتكلمت معه في هذه الشؤون سراً وجهراً، وارتجلت في حفلة تهنئته بالعيد الا كبر في منى خطبة بينت فيها الاسباب الظاهرة لثورته العربية، وأقصى مايمكن أن يحتج به لجوازها من حال الدولة العثمانية، وما ينبغي أن يقصد بها وماتنتهي اليه، فوافقني هو على كل ماقلته، وصرح في ذلك المحفل الحافل بأنه لم ير أحداً وافق رأيه رأيه من كل وجه بلا تواطؤ ولا سبق حديث إلا هذا الخطيب، وأمر أن أكتب الخطبة لتنشر في جريدة القبلة فكتبتها فأمر بنشرها والتعليق عليها بما قاله في المحفل

والظاهر أن موافقته كانت في الباطن كالظاهر والراجح عندي أنه اقتنع بما قلته لا ان ذلك كان رأيه من قبل، وكان يعتقد يومئذ انني مخلص في نصحي له وكذلك كنت وهودأبي وخلقي، ولكن جواسيس الانكليز أرجعوه عن ذلك الرأي الذي كان اقتنع به، وقد صرح لي برجوعه عنه مدير مكتبهم العربي في مصر (كورنواليس) مستشار الداخلية لحكومة العراق الآن، وكذلك غير قلبه علي أحد

حاشيته من صنائعهم الذي كان يحلف لي قولا وكتابة بان مكانتي من قلبه فوق كل مكانة ، بل أحفظ منه كتابا بخطه أقسم فيه إنه لو اجتمع الخلائق كلهم صفاً صفاً... وقالوا قولا وقلت غيره « لجعلت مقالهم دبر أذني ووراء ظهري » فكان هو سبب منعه المنار من الحجاز أو « من المالك الهاشمية » كما جاء في بلاغ المنع الرسمي من جريدة القبلة، وكان هذا المنع خيرا لي كما بينته في المنار

أنا لم أكن أعرف الشريف حسينا قبل الحرب معرفة شخصية وانما عرفت في الآستانة نجله الشريف عبد الله معدن الظرف واللطف والتواضع والادب ، وكنا نشتغل في ذلك الوقت بتكوين الجامعة العربية فرأيت منه ميلا اليها ورغبة في تأييدها ، فتعارفنا وتواعدنا على ذلك وعقدنا رابطة المودة

ثم كان بيني وبينه في مصر ماذكرته مختصراً في الجزء الماضي وقد بلغ والده ذلك ، ومنه ماذكرته له في الآستانة من شدة استيائي مما كان يكتبه عبيد الله افندي عدو العرب المشهور من الطعن في والده فكان هذا هو السبب الاول لثقته باخلاصي في نصحه . وقد أكده سبب آخر وهو مابلغه إياه المرحوم محمد شريف الفاروقي معتمده في مصر من الثناء والتعاون معه على كل ما فيه نجاح النهضة العربية ، وقد كان هذا الرجل جامعا بين الذكاء والاخلاص في خدمته ، ولو لا انه بلغ الانكليز رسمياً بأنه يطلبني لمقابلته في مكة المكرمة لما سمحوا لي بالذهاب ولو بقصد الحج ، على ان الجنرال كليتون حاول إقناعي بان لا أذهب إلى الحجاز ووعدني وعوداً عظيمة إن بقيت في مصر منها إعادة مساعدة وزارة الاوقاف لمدرسة الدعوة والارشاد ! ! ! لأنه ظن أنني أريد أن أبقى عند الشريف في مكة وكان يعتقد أنني اذا كنت بجانبه لايستطيعون أن يسيروه كما يريدون

وجملة القول أنني جئت مكة مزوداً بثقة لامجال للظنة فيها ، فأجلني وأكرم مثواي، وكاشفني بما يبعد أن يكون كاشف به غيري، وهو من عرف بجميع رجاله وأولاده شدة كتمانه وعدم ثقته بالناس، حتى انه صرح لي بانه انما يخاطب معتمده في مصر بالبرقيات الرمزية (الشفرة) لئلا يعلم موظفو ديوانه بما يخاطبه به لا للتعمية على الانكليز بمصر فهو لايرى مانعاً من علمهم بكل مايخاطبه به (للترجمة بقية)

﴿ خاتمة المجلد الحادي والثلاثين ﴾

قد تم بحمدالله وتوفيقه المجلد الحادي والثلاثون من المنار وكان أهم الاسباب لتأخير هذا الجزء غير ما أشرت اليه في الجزء الثامن ان الحكومة وضعت قانونا للمطبوعات فرضت فيه على كل صحيفة يومية أن تدفع للحكومة تأمينا ماليا قدره ثلاثمائة جنيه وعلى مادون اليومية من الصحف الاسبوعية والمجلات أن تدفع مائة وخمسين جنيها ، وان ادارة المنار لعاجزة عن دفع هذا المبلغ في هذه العسرة المالية الخانقة التي يشط من حمل وزرها الاغنياء أولو الموارد الفياضة التي لاتنضب فماذا تفعل مجلة اسلامية اصلاحية كالمنار قد ازداد مشتركوها مطلا على مطلهم بحجة العسرة ، وقد انقطعت عنها مطبوعات جلالة ملك الحجاز ونجد بعد أن اشتهر بين الناس انها لاتقبل غيرها لاتصال مددها وخشية تأخيرها ، وسوق الكتب في كساد إلا كتب المجون والخلاعة والخرافات ومكتبة المنار خالية منها ، وكتب المدارس وأكثرها محتكرة أو كالمحتكرة

فاذا لم تستثن الحكومة المجلات الدينية من هذه الضريبة فانني أضطر الى ترك اصدار المنار من أول المجلد الثاني والثلاثين أو تحرك الغيرة والنخوة قراءه فيؤدوا له من حقوقه ما يمكنني من استمرار نشره ، ولعل ما وصل إلي منهم في هذه السنة لم يف بثلث نفقته فما قولهم في سائر نفقاتنا ؟ فان كان يرضيهم هذا ويستمرون على مطلهم بل هضمهم لحقه ، ويهون عليهم إطفاء نوره بعد اضاءته على العالم الاسلامي مدة ثلث قرن فعليهم وعلى اسلامهم السلام ، والحمد لله على كل حال .

﴿ أيها الاخوة الكرام ﴾ ان علينا ديونا مؤقتة لبعض المصارف والتجار لا يقبل أصحابها تأجيل شيء منها شهرا واحدا الا بربح أو ربا يقابله ، ومنهم من لا يقبل التأجيل مطلقا . وان لنا ديونا أكثر منها على مشتركي المنار نرضى أن يؤدوها لنا في هذا الوقت بنقص عشرين في المائة وهو أكثر من ضعفي ما يأخذه دائنونا وان كان بعض ديوننا متأخرة عن استحقاقها عدة سنين لا سنة واحدة . واننا نعد إجابتهم طلبنا هذا منة لهم كمنة التبرع لهذه الخدمة الشريفة . بشرط أن يكون الاداء في مدة لاتتجاوز أربعة أشهر أو بحيث تصل الينا قبل انتهاء هذه السنة الميلادية ، لان علينا في كل شهر من هذه الشهور قسطا من هذه الديون المؤقتة

فالبدار البدار يا أولي الوفاء والغيرة والمروءة حاسبوا أنفسكم وارسلوا ما توقنون من الحق الثابت عليكم ، وادارة المنار تخبركم بما تشكون فيه ، وهذه أهم تجربة لغيرتكم ومروءتكم ، التي هي فوق طهارة ذمتكم ، والله يتولى حسن مثوبتكم ، وصلى الله وسلم على محمد خاتم النبيين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين